

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة

في عصر المرابطين والموحدين
من ٤٨٤ إلى ٦٤٠ هـ (من ١٠٩٢ إلى ١٢٢٢ م)

وكورة
سامية مصطفى محمد مسعد

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الحياة الاقتصادية والاجتماعية
في إقليم غرناطة
في عصر المرابطين والموحدين

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

في إقليم غرناطة

في عصرى المرابطين والموحدين

من ٤٨٤ إلى ٦٢٠ هـ (من ١٠٩٢ إلى ١٢٢٣ م)

دكتورة سامية تمصطفى محمد مسعد

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى والحضارة

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

جميع الحقوق محفوظة للناسخ
الطبعة الأولى

٢٠٠٣-١٤٢٣هـ

٢٠٠٢ / ١٨٥٧٦	رقم الإيداع
977 - 341 - 088 - 9	I.S.B.N الترقيم الدولي



الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٣٦ ش بورسعيد - القاهرة

٥٩٣٣٦٢٠ - فاكس، ٥٩٣٦٣٧٢

ص.ب ٢١ توزيع القاهرة - القاهرة

بسم الله

إلى روح والدي وأستاذي
الأستاذ الدكتور /

مصطفى محمد مسعد

الذي علمني الأحرف الأولى في الحضارة
الإنسانية وتقاليد المهنة وأدابها

ابنتك

سامية

تقديم

إن التاريخ السياسى إذا خلا من المضامين الاقتصادية والاجتماعية، تحول إلى أحداث جافية لا يمكن ردها إلى منطقها القويم، لهذا اتجهت الدراسات الحديثة الجادة إلى العناية بالتطورات الاقتصادية والاجتماعية التى جرت تحت لواء الإسلام.

لهذا اتجهت هذا الاتجاه من العناية بالحياة الاقتصادية والاجتماعية ودأبت على ذلك منذ دراستى لدرجة الماجستير ومضيت فى هذا الطريق فأثرت أن أعرض لمباحث فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية فاخترت بلاد الأندلس على وجه خاص لاستكناه الأحداث التى جرت فيه على وجهها الصحيح، ثم تخيرت فترة بذاتها لكى أعرف كنهها الصحيح وأثرها فى تطوير التاريخ السياسى، فاخترت ثورة البربر المندفعين إلى الأندلس إلى «جهاد لتخليص المجتمع مما ألم به من عدوان الفرنجة وتآمرات ملوك الطوائف وتردى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فاخترت عصرى المرابطين والموحدين بصفة عامة، كما اخترت إقليمًا بعينه من الجزيرة الأندلسية وهو إقليم غرناطة «الأندلس الصغرى» فتعرضت للتطورات الاقتصادية والاجتماعية فى عصر سيادة البربر المرابطين والموحدين لاكتشف ما أصاب المجتمع من أدواء عديدة أودت به آخر الأمر وأدت إلى سقوط غرناطة وضياع ملك المسلمين فى الأندلس.

ولكى أخدم هذه الدراسة خدمة علمية حقة قسمت الموضوع إلى ثلاثة أبواب، أفردت الباب الأول لدراسة الموقع الجغرافى لإقليم غرناطة فحددت حدوده الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية وما يقع فيه من أنهار وجداول وجبال وممرتفعات، ثم تحدثت عن مدن وقرى الإقليم مستندة فى ذلك إلى المصادر الجغرافية والتاريخية، التى جمعت منها مادة علمية طيبة وسيجىء الحديث عنها فى نقد المصادر.

ثم تحدثت عن غرناطة وخططها وأرباضها وبدأت الحديث عن نشأة غرناطة إلى أن دخلها المرابطون ثم الموحدون وأهم العمال والقواد الذين أنابوا عن دولتهم فى حكم

الإقليم وأنهيت تلك الدراسة بالحديث عن خطط غرناطة وما فيها من أرباض وما يحيط بها من أسوار وأبواب وما بداخلها من قصور ودور.

كما تحدثت عن عدة منشآت أخرى أهمها المنتزهات والمساجد والحمامات ثم المقابر والقناطر لما لهذه المنشآت من أثر في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للإقليم.

والباب الثانى أفردته لدراسة الحياة الاقتصادية لإقليم غرناطة فعرضت للعوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية، فبعض هذه العوامل طبيعية تتعلق بإقليم غرناطة وما تميز به من خصوبة وكثرة أنهاره التى ساعدت على قيام زراعة ناجحة فى قرى ومدن الإقليم، بالإضافة إلى وفرة المادة الخام فقامت الصناعات وازدهرت، وسيوضح ذلك من خلال قراءة هذا البحث، هذا إلى جانب شبكة الطرق البرية والبحرية التى ربطت قرى إقليم غرناطة ومدنه بعضها ببعض كما ربطت الإقليم بباقي أقاليم الأندلس إلى جانب الطرق التى ربطت بين إقليم غرناطة والعالم الخارجى ثم بينت أثر العوامل الطبيعية فى إنعاش الاقتصاد وتقدمه أو تأخره فى بعض الأحوال.

أما العوامل السياسية فقد لعبت هى الأخرى دوراً هاماً فى ازدهار الاقتصاد فى بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة بصفة خاصة، فبينت أثر المرابطين والموحدين فى ازدهار النشاط الاقتصادى سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة وما قاموا به لرفع مستوى الإنتاج فى البلاد سواء فى المغرب أو الأندلس مع التركيز على إقليم غرناطة موضوع البحث، فتحدثت عن الأمن وأهميته بالنسبة لمناطق الاستقرار الزراعية وسياسة المرابطين والموحدين لتوفير الأمن والطمأنينة للسكان مع اضطراهم للدخول فى حروب مستمرة مع نصارى أسبانيا حماية للسكان، مع تأمين طرق التجارة الداخلية والخارجية البرية والبحرية وحماية التجارة من هجمات القراصنة.

كذلك بينت اهتمام دولتى المرابطين والموحدين بالفراشة وبناء الخزانات وتشجيعهم للمزارعين على استغلال الأرض وتشجيع الصناعة والتجارة واهتمامهم بالصناع والتجار ورفع الضرائب والمكوس التى ترهق كاهلهم ثم بينت أثر فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين وقيام بعض الفتن والثورات فى هبوط مستوى النشاط الاقتصادى سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة وسيوضح ذلك عند قراءة هذا البحث، ثم أفردت جزءاً كبيراً

من هذا الباب لدراسة الزراعة فى إقليم غرناطة من خلال نظام الملكية العقارية للأرض الزراعية واستخلاص نظام الزراعة سواء طرق الرى أو الزراعة للأرض وفلاحتها وكل ما يتعلق بالزراعة وأخيراً تعرضت للمحاصيل الزراعية فى إقليم غرناطة وكيف ميزت تلك المحاصيل الإقليم عن غيره من الأقاليم.

وفى الصناعة تحدثت عن أثر وفرة المادة الخام سواء الزراعية أو المعدنية فى ازدهار الصناعة وكيف أثرت الصناعة على أوضاع الصناع وأرباب الحرف مع اهتمام ولاة الأمر من المرابطين والموحدين بالصناع ثم تحدثت عن الإنتاج الصناعى ومناطقه داخل إقليم غرناطة وقسمت تلك الصناعات إلى صناعات زراعية وصناعات معدنية وغير معدنية أى الصناعات التقليدية، ثم بحثت فى التجارة وبينت كيف أن الإنتاج الزراعى والصناعى أسهم فى نمو وازدهار التجارة حيث وجد هذا الإنتاج سوقاً له لتصريف تلك المنتجات فازدهرت التجارة وشجع ذلك التجار على المعجى إلى البلاد، ثم تحدثت عن التجارة الداخلية وأهم مسالكها وكيف توفرت لإقليم غرناطة شبكة من الطرق الداخلية سهلت ربط المدن والمراكز التجارية مما كان له أكبر الأثر فى انتعاش التجارة داخل إقليم غرناطة والبلاد الأندلسية، ثم تحدثت عن الأسواق وأهم أسواق إقليم غرناطة والرقابة على تلك الأسواق ودور المحتسب فى ضبط الأسواق وأسعار السلع.

ثم تحدثت عن الفنادق وأهميتها فى خدمة التجار الأجانب وتشجيعهم على المعجى إلى البلاد وكيف جهزت هذه الفنادق لخدمة التجار الغرباء.

أما التجارة الخارجية فقد تحدثت عن عوامل ازدهارها ومحاولة المرابطين والموحدين تشجيع التجارة الخارجية وعقد اتفاقيات مع الدول الأخرى لتنشيط التجارة الخارجية وكيف أن التجارة كما كانت تتعرض لبعض الهزات وذلك بسبب الحروب التى كانت دائرة بين المرابطين ثم الموحدين، من ناحية، وبين نصارى أسبانيا ومن يعضدهم من الدويلات المسيحية من ناحية أخرى، ثم أفردت مبحثاً خاصاً للحديث عن الصادرات مثل المعادن والفاكهة والمصنوعات الذهبية والجلدية والمنسوجات الحريرية والكتانية والواردات مثل القمح والتمر والزيت وجلود النمر وبعض المنسوجات الصوفية.

ثم ختمت هذا الباب بدراسة النظام المالى الذى قام بدور بارز فى استقرار الحياة

الاقتصادية ورفع مستوى الإنتاج فى إقليم غرناطة، فتحدثت عن سياسة المرابطين والموحدين المالية ثم مصادر دخل الدولة من الزكاة والجزية والغنيمة والمصادرات ثم تحدثت عن نفقات الدولة مثل نفقات الجيش والأوراق بالإضافة إلى نفقات البناء والتعمير والنفقات المتنوعة، ثم تحدثت عن الإدارة المالية والمشرفين الماليين والعملية باعتبارها وسيلة من وسائل التعامل التجارى إلى جانب السفاتج والصكوك، هذا بالإضافة إلى الموازين والمكايل التى استعملها المغاربة والأندلسيون على حد سواء فى معاملتهم التجارية.

ولارتباط الحياة الاقتصادية بالحياة الاجتماعية أفردت الباب الثالث والأخير لدراسة الحياة الاجتماعية فتحدثت عن العوامل المؤثرة فى الحياة الاجتماعية وذلك بدخول البلاد الأندلسية تحت حكم الدولة المرابطية ثم الموحدية، وما نتج عن ذلك من تأثير على الحياة الاجتماعية وهو ما سيتضح من خلال الدراسة، ثم تحدثت عن السكان فخصصت جزءاً من هذه الدراسة للحديث عن عناصر السكان ومناطق انتشارهم والمهن التى عملوا بها وكيف أن هذه العناصر تنوعت بشكل جعلت هذا المجتمع مجتمعاً متنافراً، ثم تحدثت عن فئات المجتمع الغرناطى فى عصر المرابطين والموحدين فتحدثت عن الفقهاء ومنزلتهم الرفيعة فى ظل دولة المرابطين وطبقة الطلبة فى عصر الموحدين إلى جانب الكتاب والعلماء والشعراء، ثم تحدثت عن كبار رجال الدولة من القادة والأمراء المرابطين والموحدين الذين اندمجوا فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس فاضطروا أن يعيشوا كما كان الناس يعيشون فى الأندلس فكانوا يحيون حياة لا تختلف عن الحياة التى كان ملوك الطوائف يحيونها.

أما المرأة الغرناطية فقد نالت جزءاً من هذه الدراسة فتحدثت عن مكانة المرأة فى المجتمع الغرناطى فى عصر المرابطين والموحدين وعن مشاركتها الواضحة فى المجتمع وتعرضت بالدراسة أيضاً للمرأة المرابطية ثم الموحدية ومدى تمتعها بالحرية فى ظل دولة المرابطين ومكانتها العلمية فى ظل الدولة الموحدية، ثم تحدثت عن الحياة الخاصة لطبقة المترفين والأغنياء معتمدة فى ذلك على كتب الأدب، فأدب هذه الطبقة كان يصور حياتهم الاجتماعية المترفة تصويراً دقيقاً، فهم يقضون أوقات سهرهم فى لهو وفى مجالس الأنس

وشرب الخمر والخروج إلى الصيد، وقد صورت الرسائل الأدبية وخاصة المراسلات الإخوانية جانباً مهماً من العلاقات الاجتماعية التي كانت تربط هؤلاء الخاصة بعضهم ببعض، ثم تحدثت بعد ذلك عن الحياة الاجتماعية لطبقة العامة من أهل غرناطة، فتحدثت عن عاداتهم وتقاليدهم وموقف المحتسبين من بعض العادات السيئة التي انتشرت في المجتمع الغرناطي هذا ولكي تكون تلك الدراسة مكتملة عرضت للحياة الاجتماعية الخاصة في غرناطة فتحدثت عن حياة طبقة الخاصة والعامة معاً وهي الزواج وحياة الأسرة الغرناطية ثم تحدثت عن المجتمع الغرناطي، ولم أكتف بذلك فقط بل تحدثت عن آراء الطوائف الأخرى التي عاشت مع أهل غرناطة في مجتمع واحد وأقصد أهل الذمة من اليهود والنصارى، ثم آراء البربر من المرابطين والموحدين ثم ملابس الجنود، ثم تحدثت عن آراء النساء وما اتصفت به من أناقة ونفاسة وإسراف، وإلى جانب الملابس وأشكالها وأنواعها تحدثت عن الطعام والشراب في إقليم غرناطة فعرضت لأنواع الطعام المختلفة سواء ما يتناوله الأمراء والسادة والأغنياء أو طعام العامة من الناس مع أنواع التوابل المختلفة، التي استخدمها الناس في طعامهم وما صاحب هذه الأطعمة من الترف والإسراف، ثم ذكرت أنواع بعض الأطعمة الخاصة بعناصر المجتمع فهناك أطعمة خاصة باليهود وأخرى خاصة بالبربر.

وتحدثت عن عادات الناس في طريقة تناولهم للطعام وتقاليدهم تلك الأطعمة في التقديم، أما الشراب فقد كان الناس يتناولون أنواعاً عدة من المشروبات أهمها الخمر التي انتشرت بين أفراد المجتمع تناولها الغنى والفقير على حد سواء، أما المواسم والأعياد فقد أفردت لها جزءاً كبيراً من هذه الدراسة فتعرضت للأعياد الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى مع احتفال المسلمين ببعض المناسبات الدينية مثل حلول شهر رمضان وليلة المولد النبوي ويوم عاشوراء ومشاركة المسلمين لإخوانهم النصارى في الاحتفال بأعيادهم ثم الأعياد الخاصة بأهل غرناطة مثل عيد العصير الذي كان يقام عند جنى محصول العنب وعصيره، كذلك تحدثت عن وسائل اللهو والطرب، فقد جرت العادة أن يحتفل الغرناطيون بأعيادهم بوسائل مختلفة أهمها الاحتفالات الدينية وألعاب الفروسية ومصارعة الوحوش وحفلات الغناء والموسيقى والرقص.

نقد المصادر

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها في بحثي عن إقليم غرناطة مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب ومن أهمها كتابه: الإحاطة في أخبار غرناطة.

وابن الخطيب في هذا الكتاب اتبع طريقة الأندلسيين في التقديم للتاريخ بالجغرافية فقد أورد في مقدمة الإحاطة وصفاً دقيقاً شاملاً لمنطقة مملكة غرناطة، وهذه المقدمة الجغرافية تعتبر عنصراً فريداً في الكتابة التاريخية الجغرافية للمرة الأولى نجد وصفاً جغرافياً دقيقاً لإقليم صغير هو إقليم غرناطة وهو يشبه ما اتبعه بعض المشارقة مثل وصف مكة للأزرقي والمدينة للسهمودي وخطط بغداد لأبي الطاهر طيفور، وقد سبق ابن الخطيب في ذلك من الأندلسيين أبو جعفر ابن خاتمة وهو معاصر لابن الخطيب في كتابه وصف المرية المسمى مزية المرية.

فلقد تحدث ابن الخطيب في مقدمته عن العرب ودخولهم غرناطة وعن حملة ابن رزمير وموقف النصاري المعاهدين من المسلمين وهي كلها مواصفات على غاية من الأهمية التاريخية والجغرافية معاً.

وفي مقدمة الإحاطة أيضاً يبدأ ابن الخطيب بتحقيق ودراسة لفظ اسم غرناطة فيتحدث عن البيرة وهي أصل غرناطة ويتحدث عن مجدها الغابر ثم يشير إلى تاريخ المدينة الذي جمعه من شتى أنواع المراجع بالإضافة إلى خبرته العلمية عن غرناطة فقد نشأ بها ودرس فيها وتقلب في وظائفها الإدارية حتى ملك زمام الوزارتين.

فمقدمته تلك غنية بمادة وفيرة عن جغرافية غرناطة بدأها بالحديث عن أصل غرناطة والبيرة، ثم مكان الأندلس من الأقاليم، فطالع غرناطة وموقعها بالنسبة لخطوط الطول والعرض، كما تحدث عن تحديد المسافات بين غرناطة وقرطبة، وموقع غرناطة من جبال سيرانيفادا ثم تحدث عن أثر هذا الموقع الفريد لغرناطة على النشاط الاقتصادي للإقليم فتحدث عن وفرة المياه والمزروعات وكثرة النباتات الطبية في جبل شلير التي تشرف عليه غرناطة ثم تحدث عن المعادن في غرناطة مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص والتوتيا

والمرقشيتا واللازورد، ثم هو يتحدث عما يحيط بغرناطة من الجنات والمدارج والغابات وما يقع خارج أسوار مدينة غرناطة من قرى وضياع ويختم الحديث فى تلك الفقرة بما يرتفع إلى خزانة الدولة من ضرائب هذه الأراضى الزراعية ثم يختم ابن الخطيب هذه المقدمة الجغرافية بالحديث عن السكان وهو شديد الإعجاب بأهل بلده غرناطة، فتحدث عن ملامحهم وحياتهم وعن عاداتهم وتقاليدهم وعن طعامهم وعن النقود المستعملة لديهم ويخصص فقرة رائعة للحديث عن المرأة الغرناطية وهو بذلك يعطى للدارس فى الحياة الاجتماعية لأهل غرناطة مادة رائعة تصور الحياة الاجتماعية فى ذلك القطر الأندلسى ولا يؤخذ على ابن الخطيب فى هذه الفقرة سوى أنه شديد الإعجاب بأهل وطنه غرناطة فأغفل الحديث عن عيوبهم وما لهم وما عليهم.

ويعتبر كتاب اللوحة البدوية فى الدولة النصرىة لابن الخطيب من أكثر الكتب إفادة فعلى الرغم من أنه ألف فى تاريخ أسرة بنى نصر حكام غرناطة إلا أنه ينفرد فى مقدمته بمعلومات جغرافية هامة فهو من أحسن ما كتب فى أوصاف المدن وخاصة وصف المواضع الصغيرة وعلى سبيل المثال فحص غرناطة الذى كان يعرف بالبقاع ويستعمل ابن الخطيب هذا الوصف الدقيق لغرناطة يتقسيماتها الإدارية، هذا بالإضافة إلى ما كتبه لسان الدين بن الخطيب فى كتاب نشرته جامعة الإسكندرية، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى باسم «مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس» وهو عنوان أطلقه المحقق على مجموعة من رسائل ابن الخطيب وهى:

١- خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف.

٢- مفاخرات مالقة وسلا.

٣- معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار.

٤- رحلة ابن الخطيب فى بلاد المغرب من كتاب نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب.

وقد أفادنى هذا الكتاب فى تحديد مواقع مدن إقليم غرناطة وأهم مميزاتها، فى جمع مادة جغرافية عظيمة لإقليم غرناطة أخذت منها فى هذا البحث ولا يفوتنى أن أذكر كتاب نزهة المشتاق للإدريسى فقد كان خير معين لى، فى توضيح معلومات على غاية الأهمية فى

كتاب تاريخ الحياة الاقتصادية لإقليم غرناطة فقد تعرض فى كتابه للزراعة والصناعة والتجارة وطرق التجارة خاصة بعد قيام دولة المرابطين والموحدين وامتداد سلطانهم السياسى على البلاد الأندلسية.

وإتماماً لهذه القائمة من المصادر الجغرافية كان لا بد من الرجوع إلى كتاب الروض المعطار لعبد المنعم الحميرى «توفى فى القرن الثامن» وكتاب الجغرافية لابن سعيد بالإضافة إلى كتاب الجغرافية المنسوب إلى أبى عبد الله محمد الزهرى «توفى فى حدود سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م» وقد جمعت من هذه المصادر مادة جغرافية طيبة أفادتنى فى إكمال كتابة هذا البحث أما ابن فضل الله العمرى فقد أفدت من كتابه مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار وما زالت أجزاء كثيرة منه مخطوطة.

وكان اعتمادى الأكبر فى المعلومات التى وردت فى الجزء الخاص بالأندلس الذى قام بنشره حسن حسنى عبد الوهاب إذ يورد المؤلف معلومات كثيرة عن غرناطة العاصمة ووصف أرباضها وأبوابها وأسوارها وأسواقها بالإضافة إلى مسجدتها الجامع ووصف جوامع مدن المرية ومالقة مع ذكر معلومات عما تتميز به هذه المساجد عن غيرها من المساجد الأخرى كما يورد معلومات هامة عن الدولة الموحدية وعن الصناع.

أما المقرئ فى نفحه فقد أورد معلومات كثيرة عن الزراعة والصناعة والتجارة إلى جانب معلومات متناثرة هنا وهناك أفادتنى فى التعرف على بعض العادات والتقاليد التى تفيد فى بحث الحياة الاجتماعية إلى جانب ما أورده من شعر ومراسلات أدبية فى ذكره لشعراء وأدباء الأندلس ساعدنى على توضيح بعض ملامح الحياة الاجتماعية لطبقة الخاصة.

ومن المصادر التى أفدت منها فى دراسة فترة حكم المرابطين والموحدين وأثرهم على الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الأندلس، كتاب التبيان للأمير عبد الله بن زيرى آخر ملوك بنى زيرى فى غرناطة سنة ٤٨٣هـ والذخيرة لابن بسام الششتري ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م.

ومن أهم المصادر التى أرخت لتاريخ الدولتين المرابطية والموحدية كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء لابن الكردبوس وفى هذا الكتاب يركز المؤرخ على الأحداث التى جرت فى

البلاد الأندلسية إلى أن يصل إلى أيام المرابطين متعرضاً للحروب التي جرت بين المسلمين ونصارى أسبانيا.

أما ابن القطان المتوفى في سنة ٦٥٨هـ وكتابه نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان فهو موسوعة كبرى في تاريخ المغرب من بدء الفتح الإسلامى حتى قبيل سقوط الدولة الموحدية ٦٦٧هـ.

والجزء الذى وصل إلينا هو السفر الثالث عشر من الكتاب وقد اشتراه معهد الدراسات الإسلامية بمديرية وقام بتحقيقه الأستاذ الدكتور محمود على مكى، وهذا الجزء على صغره يضم أحداثاً كثيرة خاصة أخبار المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن على وهو أيضاً يحتوى على رسائل هامة أوردها الخلفاء الموحدين تلقى الضوء على نظم الحكم عند الموحدين ويعاب على هذا الكتاب شدة التعصب للخلفاء الموحدين وإغفال حق الدولة المرابطية.

أما كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة «توفى أواخر القرن السادس الهجرى» فقد قام بتحقيق السفر الثانى من الكتاب الأستاذ عبد الهادى التازى أما السفر الأول والثالث فلم يصل إلينا حتى الآن.

والسفر الثانى من الكتاب يبدأ بأحداث ٥٥٤هـ وينتهى بحوادث ٥٦٨هـ، وهى فترة قصيرة من الناحية الزمنية ولكنها حافلة بالأحداث، وهى أحداث كان ابن صاحب الصلاة قد شاهدها بنفسه بالإضافة إلى معلومات هامة عن الآثار المعمارية والحضارية فيتحدث عن أجهزة الدولة المختلفة وعن نظمها كنظام ولاية العهد ووصف التشريعات الخاصة بالأعياد وتنصيب العمال والحفلات وخروج الخليفة للغزو، كما أنه يورد معلومات كثيرة عن الزراعة والإدارة المالية والرواتب والأسعار بالإضافة إلى الرسائل الرسمية التى أورد منها قدراً كبيراً.

وتجدر الإشارة هنا إلى عدة مصادر أخرى على جانب من الأهمية فى تاريخ المرابطين والموحدين ومن أهمها المعجب لعبد الواحد المراكشى والحلل الموشية لمؤلف مجهول وروض القرطاس لابن أبى زرع الفاسى، والبيان المغرب لابن عذارى وهذه المصادر تتناول كما ذكرت عصر المرابطين والموحدين وهى لمؤلفين عاشوا فى عصر الموحدين أو قريباً

منه وقد أفدت من هذه المصادر خاصة ما أورده ابن أبي زرع (توفى ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) من معلومات عن تاريخ الدولتين المرابطية والموحدية وما ذكره عن المعمار المرابطي والموحدي والأسعار وأخبار عن السكان.

أما البيان المغرب لابن عذارى المراكشي فقد أرخ لبلاد المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي إلى سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٩م وقد نقل هذا المؤرخ من ابن صاحب الصلاة فقرات.

أما عبد الواحد المراكشي فقد أورد في معجبه معلومات وفيرة عن الدولتين المرابطية والموحدية وجاءت معلوماته عن الإدارة المالية والخراج والطرق التجارية والمعادن في بلاد المغرب والأندلس في غاية الأهمية لمن يؤرخ لهذه الفترة من تاريخ المغرب والأندلس.

وإلى جانب هذه المصادر اعتمدت أيضاً على ابن خلدون (توفى ٨٠٨هـ / ١٤٠١م) فقد أورد معلومات كثيرة عن القبائل المغربية بإشارات أفادتني في كتابة الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

ثم كتب التراجم والحسبة والنوازل الفقهية التي كانت خير معين لى على استكمال الدراسة فقد عالجت تلك الكتب بعض التباينات الاجتماعية للطبقات وخاصة طبقة الفقهاء والعلماء.

كما أفدت من الكتب الفقهية فى دراسة ملكية الأراضى الزراعية، وكانت المشاكل الاقتصادية التى أثارتهأ تلك الكتب خير معين لى فى استنباط بعض المعلومات عن الحياة الاقتصادية لبلاد المغرب والأندلس.

أما كتب الحسبة فقد أفدت منها كثيراً خاصة رسالة ابن عبدون والسقطى وغيرهم.

أما الكتب التى صنفت فى موضوع صناعة معينة فقد أفادتني فى إتمام هذا البحث وإخراجه على تلك الصورة، ومن هذه المصادر كتاب الطببخ فى المغرب والأندلس لمؤلف مجهول، والفلاحة لابن بصال (توفى أول القرن السادس) الذى اعتمدت عليه فى طريقة الزراعة أما الدوحة المشتبكة فقد أفادتني فى معلومات عن عملة المرابطين والموحدين.

الباب الأول

غزاة وخطتها في عصر
المزبطين والموحدين

التحديد الجغرافى لإقليم غرناطة

يقع إقليم غرناطة فى الجزء الجنوبي الشرقى من شبه الجزيرة الأيبيرية فى واد عميق يمتد من المنحدر الشمالى الغربى لجب ال سيرانيافادا^(١) «المعروفة باسم جبل شلير»^(٢) وهى فى معمور الإقليم الخامس^(٣)، تحيط بها المرتفعات من الجنوب والشرق، ويحد إقليم غرناطة من جهة الجنوب نهر شنيل^(٤)، وهو أحد فروع الوادى الكبير، كما يحدها شمالاً ولايات جيان وقرطبة وأشبيلية^(٥)، ومن الشرق ولاية المرية ومن الغرب ولاية

(١) ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار (وصف إفريقية والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة) نشر حسن حسنى عبد الوهاب: تونس ص ٣٤: ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة ج ١ ص ٩٦، ص ٩٨ حققه ووضع حواشيه ومقدمته محمد عبد الله عنان: الطبعة الثانية، الناشر مكتبة الخانكي ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م، ابن الخطيب: اللوحة البدرية فى أخبار الدولة النصرى ص ٢٢.

(٢) «ويسمى جبل الثلج» وعن وصف جبل شلير، انظر، الإدريسي: محمد بن عبد العزيز الشريف الفاورى الإدريسي «وصف المغرب والأندلس»: من كتاب نزهة المشتاق: فى اختراق الآفاق، تحقيق دورى، ودى خويه ليدن ١٨٦٦ م ص ٢٠٣، ابن سعيد: كتاب الجغرافية تحقيق إسماعيل بيروت ص، ص، طبعة الجزائر سنة ١٩٨٢، ص ١٦٧، الطبعة الثانية، ابن الكردبوس: (أبي مروان عبد الملك) تحقيق أحمد مختار العبادى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م مجلد ١٣ ص ١٤٥، القاهرة طبعة سنة ١٩٦٣، القلقشندي: (أبو العباس أحمد بن على) صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٤، الحميرى: الروض المعطار فى خبر الاقطار تحقيق ليفى بروفنسال ص ٢٣، ص ١١٢ سنة ١٩٦٣ م.

(٣) انظر تحديد الإقليم الخامس فى معجم البلدان (لياقوت) الحموى ج ٥ مادة غرناطة.

(٤) شنيل وهو النهر الذى تقع عليه مدينة غرناطة وهو أحد فروع نهر الوادى الكبير وقد كان أيام الدولة الإسلامية غاصاً بالحدائق، انظر ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١١٨ هامش رقم ١، اللوحة البدرية فى الدولة النصرى ص ٢٣، عن نهر شنيل انظر أيضاً ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب تحقيق شوقى ضيف ١٩٥٥ ج ١ ص ١٠٣، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية ص ١٦١، لنفس المؤلف: نهاية الأندلس: ص ٥٥ انظر أيضاً عن شنيل العمرى: مسالك الأبصار (وصف إفريقية) ص ٣٥.

(٥) «تبعد غرناطة عن قرطبة تسعين ميلاً، والميل عند العرب ثلاثة آلاف ذراع والمسافة بين غرناطة وقرطبة وفق التقدير الحديث نحو مائة وخمسين كيلو متراً، انظر ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٤ هامش رقم ٥، محمد عبد الله عنان نهاية الأندلس ص ٥٥.

قادس وأرض الفرنتيرة أو إنتقيرة^(١) وكانت غرناطة تشتمل على ثلاث ولايات كبيرة هي: غرناطة^(٢) العاصمة وهي في وسط الإقليم وأهم مدنها في العصر الذي نحن بصدد دراسته، المنكب^(٣): تقع على بعد أربعين ميلاً من غرناطة^(٤)، وادي آش^(٥): وتقع تلك المدينة بالقرب من غرناطة، بسطة^(٦): وتقع في شمال شرق غرناطة بالقرب من وادي

(١) الفرنتيرة أو (أنقيرة وبالأسبانية Antaquera) مدينة أندلسية حصينة تقع شمال غرب مالقة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٣٨٥ هامش رقم (٦) انظر عنها أيضاً ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: تحقيق أحمد مختار العبادي طبعة سنة ١٩٨٣.

(٢) يذكر المؤرخ الغرناطي الأندلسي ابن الخطيب: في كتابه الإحاطة «غرناطة» أو «أغرناطة» وكلاهما أعجمي، وقد اختلفت آراء الباحثين في أصل هذه التسمية، فيرى البعض أن اسم غرناطة يرجع إلى عهد الرومان وأنه مشتق من الكلمة اللاتينية «Granata»، ومعناها الرمانة وسميت كذلك لجمالها وكثرة حدائق الرمان بها: انظر كلمة غرناطة "Granada", of Islam وهذا ما يقرره الجغرافيون العرب إذ يقولون إن معنى غرناطة «الرمانة» بلسان عجم الأندلس، سمي البلد بذلك لحسنه، راجع ياقوت معجم البلدان ج ٥ مادة غرناطة، ابن الخطيب، الإحاطة ج ١ ص ٩١، ويروى المستشرق الأسباني Simonet في ذلك رأياً آخر، إذ يقول المرجع إن الاسم يعود إلى عهد القوط وأنه مزيج من كلمة «ناطة» وهو اسم قرية قديمة تقع على مقربة من البيرة «وغار» وهو المقطع الذي أضافه المسلمون، فصارت غرناطة، أو سماها البربر كذلك عند نزولهم بها وهو اسم لإحدى قبائلهم. Descripcion del Reino del Granada

(٣) «ويدو أنه اسم عربي بمعنى «الحصن» المرتفع وهو مرفأً ساحلي مرتفع في جنوب شرق الأندلس بمقاطعة غرناطة «ابن الخطيب» مشاهدات ص ٧٩ هامش رقم ٢، عن المنكب، انظر العمري (وصف إفريقية) ص ٤٧، ابن الخطيب، اللوحة البدرية ص ٢٩، الإدريسي: نزهة المشتاق: (ط د) ص ١٩٩ ليدن سنة ١٨٩٤، البغدادي: مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٦٤ القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٨، الحميري: الروض المعطار: ص ١٨٦، ياقوت، معجم البلدان ج ٥ ص ٢١٦.

(٤) الحميري: المصدر السابق ص ١٨٦ ياقوت، المصدر السابق ج ٥ ص ٢١٦.

(٥) «مدينة وادي آش أو وادي إيش وتقع هذه المدينة على نهر فردوس عظيم على مسافة ٥٣ كيلو متراً شمال شرق غرناطة، راجع الإدريسي: المصدر السابق ص ٢٠٢، العمري (وصف إفريقية) ص ٣٧ القلقشندي: نفس المصدر ج ٥ ص ٢٢١، ابن الخطيب: اللوحة البدرية ص ٢٩، الحميري: الروض المعطار ص ١٩٢، المقرئ: نفع الطيب: عن غصن الأندلس الرطيب ج ١ ص ١٤٢

نشر محيي الدين عبد الحميد طبعة سنة ١٩٤٩. Seybold: Ency of Islam, 11. p, 189.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٠٩ «وبسطة وهي مدينة قديمة تعرف اليوم باسم Baza وتقع =

آش^(١)، حصن اللور ولوشة^(٢): وتقع على نهر شنيل وتبعد عن مدينة غرناطة بنحو خمسين كيلو متراً من ناحية الجنوب الغربي^(٣)

شلوبانية:

وهي من الثغور الصغيرة الواقعة جنوبي ولاية غرناطة على البحر المتوسط، كما أنها تقع شرقي المنكب^(٤) وتحيط بها الجبال من الشمال والغرب^(٥)

أشكر:

وتقع في إقليم غرناطة شمالي بسطة^(٦)

مدينة مالقة:

وتقع على الساحل الجنوبي الشرقي لبلاد الأندلس في شرق غرناطة وهي من أشهر مراسي البحر المتوسط^(٧) وأهم مدن ثغر مالقة، مدينة بليش مالقة وتقع شرقي

= في شمال غرناطة بنحو ١٢٣ كيلو متراً ويروي صاحب الروض المعطار أن هذه المدينة كانت مشهورة بمنتجاتها الزراعية ولا سيما الزيتون وبمنسوجاتها الحريرية، وينسب إليها الوطاء البسطي من الديباج الذي لا يعلم له نظير انظر الحميري: المصدر السابق: ص ٤٤ - ص ٤٥، ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: ص ٣٦ هامش رقم ٩ عن بسطة، انظر الإدريسي: نزهة المشتاق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات المصدر السابق، نفس الصفحة، الحميري: المصدر السابق ص ٤٤ - ص ٤٥.

(١) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٠٩، الحميري: المصدر السابق ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) يشير ابن الخطيب: إلى أن هذه البلدة موطنه وعاش والد ابن الخطيب بها، انظر ابن الخطيب:

مشاهدات ص ٩٣ هامش رقم ٦

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب: ج ٢ ص ١٥٧، ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٩

ابن الخطيب مشاهدات: ص ٩٣.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٨٠ هامش رقم ٥.

(٥) ابن الخطيب: نفس المصدر ٨٠، عن شلوبانية: العمري: مسالك الأبصار (وصف أفريقيا) ص

٤٦، ابن سعيد: المغرب، ج ٢ ص ١٢٩ الحميري: الروض المعطار ص ١١١، عنان: الآثار

الأندلسية الباقية ص ٢٦٢

(٦) «بلدة في ولاية غرناطة وتقع في شمال بسطة» ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٧ هامش رقم ٣

Simonet: Op Cit, 63.

(٧) «مالقة مدينة ساحلية معروفة في جنوب شرقي الأندلس أسسها الفينيقيون عام ١٢ ق م =

مدينة مالقة^(١): على بعد ثلاثين كيلو متراً منها، كما تبعد عن البحر حوالى خمسة كيلو مترات^(٢).

مربلة:

أو ماربلة وهى ثغر أندلسي صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط جنوب غربي مالقة^(٣) على بعد ستين كيلو متراً منها^(٤).

قمارش:

وتقع بالقرب من مدينة غرناطة^(٥).

= وأعطوها اسم «Malaca»، ومعناه المملح وذلك نسبة إلى مستودعات الأسماك المملحة التى كانت تعمل وتحفظ فيها واشتهرت مالقة إلى جانب ذلك بزراعة الفواكه الممتازة ولا سيما التين المالحى والرمان، كما اشتهرت بصناعة الفخار «ابن الخطيب: مشاهدات ص ٧٦، ص ٧٧ هامش رقم ٢ عن مالقة انظر Ency Of Islam: art malaga الإدريسي: نزهة المشتاق ص ٢٠٠ - ص ٢٠٤، ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٤٣٢ والاصطخرى: (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخرى المعروف بالكرخي» ابن حزم: الرد على ابن النغريلة: ص ١٧٥، ص ١٧٧، المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٤٢٢، ٢٤٣، ابن بطوطة: (أبو عبد الله محمد الطنجي اللواتي) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، نشر وترجمة Defremery et sanguine (باريس ١٩٢٢) ص ١٨٧ ج ٢، ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٨ هامش رقم ٦، العمرى: وصف أفريقيا ص ٤٧ هامش رقم ٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٧٧، ص ١٧٨، ابن سعيد: الجغرافيا تحقيق إسماعيل العربى ص ١٤٠، المقرئ: نفح الطيب ج ٣ ط بيروت تحقيق إحسان عباس سنة ١٩٦٧، ص ٢١٩، ازدهار الرياض فى أخبار القاضى عياض ج ٥ ص ٤١، عنان الآثار الأندلسية، ص ٢٥٤ Scott: Hist Of The Moorish Empire V III الاصطخرى: المسالك والممالك نشر دى خوية ليدن سنة ١٨٦٧.

- (١) ابن سعيد: المصدر السابق ج ١ ص ٤٤٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٧٨ حاشية ٦، ابن بطوطة: الرحلة، ج ٢ ص ١١١ - ٩٣ p. Descripcion del reno se Granada Simonet.
- (٢) انظر ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٧٨ حاشية، ابن سعيد: المصدر السابق ج ١ ص ٤٤٢، ابن بطوطة: المصدر السابق: ج ٢ نفس الصفحة.
- (٣) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٩٧، هامش رقم ٤، مشاهدات ص ٧٥ هامش رقم ٤، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٠.

(٤) ابن الخطيب: مشاهدات نفس الصفحة، العمرى: وصف أفريقيا ص ٤٩.

- (٥) وهى وافة الماء والزرع من كروم وزيت، وجوب» ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٩ حاشية ١، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ص ٥٨٣ ص عدد سنة ١٩٦٧ م.

رُنْدَة:

وتقع غربي مالقة^(١).

أُنْتَقِرَة:

وتبعد عن مالقة ٥٩ كيلو متراً^(٢).

أَرَشْدُونَة:

من أعمال مالقة^(٣) أيضا وتقع في بطن واد عميق سحيق تحيط به الجبال من كل ناحية^(٤).

المرية^(٥):

وتقع على الساحل الشرقي للأندلس^(٦) بين إمارتي مالقة ومرية^(٧)، ومن أهم مدن مدينة المرية أندرش^(٨) وهي من أعمالها.

(١) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب: ج ١ ص ٣٣٤، ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢ ص ٣٠، مشاهدات ت ٥٩ هامش رقم ٤ ص ٩٦، القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥، ص ٢٢٠، ابن بطوطة، الرحلة ج ٢ ص ١٨٥، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٣٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٣٨٥، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٩٤ حاشية ٦.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٢٨٦ هامش ٦، مشاهدات ص ٩٤ هامش ٤، ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ١٩٢.

(٤) العمري: مسالك الأبصار، (وصف أفريقية) ص ٤٩ Ency of Islam ٨٣، p 83, Simonet: op cit, Art Archidana.

(٥) الحميري: الروض المعطار: ص ١٨٣ - ص ١٨٤، الإدريسي: نزهة المشتاق: (وصف المغرب) ط د ص ١٩٧، القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٧، ابن الخطيب: اللوحة البدرية ص ٢٩.

(١) Ency of Islam I.P.317, R.B. Sarent: Islamic textiles material for a history up. to the Mongol conquest. p. 169.

(٦) الإدريسي: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) القلقشندي: نفس المصدر: ج ٥ نفس الصفحة: العمري: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص ٤٠.

(٨) «أندرش: بلد من أعمال المرية غير موجودة الآن ولكن لا يزال اسم أندرش يطلق على نهر هناك ينبع من جبل شليير وينحدر شرقا وجنوبا ثم يصب مياهه في البحر المتوسط عند المرية» انظر ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٨ هامش رقم ١ عن أندرش انظر الحميري: الروض المعطار ص ٣١.

برشانة:

وهى بلد صغيرة تقع شمال المرية فى واد آش^(١) ، على بعد ثمانية عشر ميلا من المرية^(٢) .

برجة:

وهى من أعمال المرية أيضاً وتقع غربى ثغر المرية^(٣)

دلالية:

قرية فى الأندلس من أعمال المرية^(٤) تقع على بعد ٩ كيلو مترات فى جنوب شرق برجة^(٥)

شنس:

وهو حصن على مرحلة من المرية^(٦) .

دوجر: وهى من أعمال المرية أيضاً وتقع على وادىها المسمى بوادى المرية وبينها وبين المرية اثنتا عشرة مرحلة وهى فى الغرب منها^(٧) .

بيرة:

وهى بلدة حصينة تشرف على ساحل البحر المتوسط فى شمال شرق غرناطة^(٨) .

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٩ هامش ٥ ، اللوحة البدرية ص ٢٩ ، الإحاطة مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص ٥٦٧ .

(٢) ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ٢٢٣ ، عن برشانة انظر ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣٦ .

(٣) ابن سعيد: المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٨ ، ابن الخطيب الإحاطة ج ١ ص ١٤٥ هامش ٦ ، مشاهدات ص ٨١ هامش رقم ٢ .

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق: ص ٨١ هامش رقم ٢ ، الإحاطة ج ١ ص ٩٨ .

(٥) ابن الخطيب: اللوحة البدرية: ص ٢٩ ، الحميرى: الروض المعطار: ص ٧٧ ، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: ص ٥٦٧ ، ص ٥٨٤ .

(٦) ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ٢٢٥

(٧) ابن سعيد: المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٢٧

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٠٩ هامش رقم ٥ .

الحامة:

وتقع الحامة بالقرب من مدينة بجانة^(١) وهى من أعمال المرية.

المنصورة:

وتقع شمال شرق المرية^(٢).

نشأة غرناطة:

كانت غرناطة - حين افتتح العرب بلاد الأندلس - مدينة صغيرة من أعمال ولاية البيرة قاعدة الولاية^(٣)، التى تبعد عن غرناطة حوالى ستة أميال^(٤)، وقد سقطت غرناطة فى أيدى العرب عقب انتصارهم على القوط بقيادة طارق بن زياد^(٥) فى موقعة شريش فى رمضان سنة ٩٢هـ/ يوليو ٧١١م^(٦).

(١) «وهى بلد صغيرة على قمة جبل بالقرب من مدينة بجانة من أعمال المرية وقد أطلق العرب عليها اسم الحمة نسبة إلى العين الحارة التى تفجرت بها، ويروى الكتاب المسلمون أن مياه هذه العين كانت كبريتية ويقصدها أهل الأسقام والعاهات من جميع النواحي، فلا يكاد يخطئهم نفعها» انظر الحميرى: الروض المعطار ص ٣٩.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٠٩ هامش ٥.

(٣) ابن غالب: (محمد بن أيوب الأندلسى) قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق لطفى عبد البديع: مجلة معهد المخطوطات العربية مجلة ١ ج ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٥ ص ٢٨٣، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ٩٠، ابن الخطيب: أعمال الاعلام ج ١ ص ٩١، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٩، الحميرى: المصدر السابق ص ٢٣.

(٥) اختلف مؤرخو العرب فى أصله فيذهب بعضهم إلى أنه كان فارسيا همدانيا (انظر مجهول: أخبار مجموعة فى الأندلس، نشر دون لافونتي Lafunote مدريد سنة ١٨٦٧ ص ٦، المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: نشر وتحقيق محبى الدين عبد الحميد: القاهرة سنة ١٩٤٩م ج ١ ص ٢٣٨) والبعض يذكر أنه كان بربريا من نفزة انظر ابن عذارى: البيان ج ١ ص ٧، الحميرى: الروض المعطار ص ٩ والبعض الآخر يذكر أنه عربيا من صدف انظر، مجهول: المصدر السابق ص ٢٦، الحميرى: الروض المعطار ص ٩ المقرئ: المصدر السابق ج ١ ص ٢٣٨.

(٦) اختلفت الآراء حول تاريخ افتتاح غرناطة، يذكر ابن الخطيب: فى كتابه الإحاطة ج ١ ص ٩٠، اللوحة البدرية ص ٢٩ أن افتتاح غرناطة كان عام ٩٣ هـ وكذلك النوبرى: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٤٨، بينما يذهب ابن عذارى إلى أن افتتاح غرناطة ومالقا وما والاها كان عام ٩٢ هـ.

ويذهب الدكتور حسين مؤنس إلى أن المسلمين لم يفتحوا غرناطة ومالقة وتدمير إلا في ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٣هـ^(١) / ٧١٢م ولا يستبعد أن يكون طارق ابن زياد قد بعث سرايا صغيرة إلى تلك المدينة وغيرها لمجرد الاستطلاع^(٢)، وحين اشتد الخلاف بين القبائل واشتد التنافس على الإمارة بين الشاميين من ناحية والعرب من ناحية أخرى^(٣) رأى أمير الأندلس^(٤) أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي^(٥) أن يعمل على تهدئة الفتنة بتمزيق عصبية الشاميين ففرقهم في أنحاء الأندلس، فأنزل أهل دمشق البيرة وأهل الأردن رية وأهل فلسطين شذونة وأهل حمص أشبيلية وأهل قنسرين جيان وأهل مصر باجة وبعضهم بتدمير^(٦).

(١) النوبري: نهاية الأرب: نفس الجزء والصفحة، ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٠١، حسين مؤنس فجر الأندلس ص ٧٧.

(٢) النوبري: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة، ابن الخطيب: نفس الجزء والصفحة.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٢ ص ٣٣: مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس طبعة مجريط ١٨٦٧. ص ٥٩، ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٥، ص ٢٩٦، ص ٢٩٧، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس: ص ١٤٠، ص ١٤١، ١٩٠٦، الضبي: (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ص ١٠، ضمن المكتبة الأندلسية مصر سنة ١٩٦٧، الحميري: (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدى) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ضمن المكتبة الأندلسية ص ٥ سنة ١٩٦٦.

(٤) كانت الأندلس عقب الفتح تعتبر ولاية تابعة لإفريقية من الناحية الإدارية وكان والى إفريقية هو الذى يختار حاكمها واستمر ذلك معظم عصر الولاية، انظر ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ هامش رقم ٥.

(٥) «عندما نشبت الفتنة بين الشاميين والعرب (البلديين) واقترب أهل الأندلس، أمر الخليفة هشام بن عبد الملك - (توفي فى ربيع سنة ١٢٥ هـ) واليه على إفريقية حنظلة بن صفوان بأن يوالى أبا الخطار ليضع حداً للفتنة القائمة، فقدم إلى الأندلس ١٢٥ هـ - ٧١٣م مكث فى الولاية مستتين وتسعة أشهر ثم قتل سنة ١٢٨ هـ» انظر ابن عذارى: البيان المغرب ج ٢ ص ٣٦ - ص ٣٧ عن أبى الخطار انظر الحميري: الجذوة ص ٥، الضبي: البغية ص ١٠.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٣، لللمحة البدرية هـ ١ ص ٢٦، ابن عذارى: المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣ تدمير هـ إحدى ولايات الأندلس الشرقية سميت باسم أميرها والمدافع عنها تيودمير ثم غدت بعد ذلك ولاية مرية، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠١ هامش رقم ٦.

وقد ازدهرت مدينة البيرة في عهد الخلافة الأموية وأصبحت عاصمة الولاية^(١)، واستمرت كذلك حتى أواخر القرن الرابع حينما انهارت الخلافة الأموية وظهر البربر سليمان بن عبد الرحمن الناصر وخربوا مدينة قرطبة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١١ م) واستولى زعمائهم على معظم قواعد الأندلس الجنوبية، حيثئذ خربوا مدينة البيرة ولجأوا إلى مدينة غرناطة التي نمت شيئاً فشيئاً حتى غدت قاعدة الولاية^(٢) بأسرها، واتخذها بنو زيري عاصمة لهم وذلك لتوسطها وحصانيتها^(٣)، وبدأ منذ ذلك الحين اسم غرناطة يغلب ويختفى اسم البيرة رويداً رويداً، كقاعدة من قواعد الأندلس ويحل محله اسم غرناطة^(٤).

ثم حدث بعد ذلك أن تدهورت الأحوال السياسية منذ عهد ملوك الطوائف^(٥) وبدأت الجبهة النصرانية توجه الصراع ضد المسلمين في دور جديد وعجز ملوك الطوائف عن صد عدوان النصارى فسقطت طليطلة إحدى قواعد الأندلس الكبيرة في يد ألفونسو السادس وذلك في شهر صفر (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م)^(٦) وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ المسلمين في

(١) الحميري: الروض المعطار ص ٢٣، ص ٢٩.

(٢) الأمير عبد الله بن بلقين: (آخر ملوك بني زيري في غرناطة) مذكرات الأمير عبد الله (التيان) ص ٢٢ نشر وتحقيق ليفي بروفنسال دار المعارف، ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٣.

(٣) عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٣، اللوحة البيرية ص ٣١، الحميري: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٩.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٣، اللوحة البيرية ص ٣١، الحميري: الروض المعطار ص ٢٣، ص ٢٤.

(٥) «طوائف الأندلس، هم زعماء الطوائف الذين اقتسموا ولايات الأندلس وقواعدها عقب انهيار الخلافة وثورة البربر وأسسوا لأنفسهم في ولايات الأندلس وقواعدها إمارات وممالك صغيرة وعرف أولئك الزعماء بملوك الطوائف، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٤٠ هامش رقم ٣.

(٦) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ص ٢٥ تحقيق عبد القادر زمامة، عن سقوط طليطلة انظر، ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، المجلد الأول قسم ٤، ص ١٦٢ ص ١٦٣، وما بعدها، المقرئ: نفح الطيب ج ٤ ص ٢٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٥٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٨٦، ابن عذاري: البيان ج ٣ ص ٢٨٢ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢٥٤، عنان: دولة الإسلام في الأندلس (عصر الطوائف) ص ١١٠، الحجى التاريخ الأندلسي ص ٣٣٧ ج ١ سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ p. 207 the cid and spain London 1934 (M) pidal (4) ومنذ ذلك الحين سما قدر ألفونسو في نظر معاصريه مما جعله يتخذ لقب إمبراطور، انظر pidal (M) op. cit

هذه البلاد وكان للنكبة التي حلت بطليطلة أثر كبير على المسلمين في الأندلس، وشعر ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد بخطر الوضغ فلدجأوا إلى الاستعانة بالمرايطين وذلك منذ سنة (٤٦٧هـ / ١٠٧٤م)^(١) فاستجاب يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين وعبر إلى الأندلس ثم ما لبث أن انتصر على جيوش النصارى الأسبان بقيادة ألفونسو في معركة الزلاقة في شهر رجب سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) ومنذ ذلك الوقت بدأ

(١) ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) الحلة السيرة ج ٢ ص ٥٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢، ابن أبي رزع: الأنيس المطرب بروض القرطاس وتاريخ مدينة فاس ج ١ أوبسالة، طبعة دار المنصور ص ١٤٢، يذكر صاحب كتاب الحلل الموشية أنه «وعد على مراكش جماعة من أهل الأندلس شارحين ليوسف بن تاشفين أحوال الأندلس طالبين منه التدخل لنجدة الإسلام والمسلمين فوعدهم بتحقيق مطلبهم» مجهول: الحلل الموشية: ص ٣٣: عن استدعاء ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد، انظر ابن الكردبوس: الاكتفاء بأخبار الخلفاء «مخطوط» نشر أحمد مختار العبادي: معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١ ص ٨٩ - ص ٩٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٧ ص ١١٣، ص ١١٥ النوبري: نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٢٤ تحقيق حسين نصار ١٤٠٣ - ١٩٨٣، الحميري: الروض المعطار: ص ٨٦ ص ٢٦٧ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠ طبعة صادر بيروت ص ١٥١، ص ١٥٢ القاضي عياض: (أبو الفضل عياض بن موسى) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لمعرفة علماء مذهب مالك تحقيق أحمد بكير محمود منشورات دار الحياة بيروت ج ٣ - ٤ ص ٨٠٨.

(٢) ابن أبي رزع: الأنيس المطرب ج ١ أوبسالة ج ٢ ص ٥٢، طبعة دار المنصور ص ١٤٩، ابن بسم: الذخيرة: قسم ٢ مجلد رقم ١ ص ٢٤١ تحقيق إحسان عباس: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١ دار صادر بيروت سنة ١٩٦٧ ج ١ ص ١٥٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٧ ص ١١٧، مجهول: الحلل الموشية ص ٥٩، مذكرات الأمير عبد الله (التبيان) ص ١٠٤، المراكشي: المعجب ص ١٣٢ القاهرة سنة ١٩٤٩ ابن الخطيب: أعمال الأعلام: القسم الثالث ص ٢٤٢ - ص ٢٤٣ ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ص ١٠٨، المكتبة العتيقة تونس طبعة ٣ سنة ١٩٦٧، «يختلف ابن خلدون: والمراكشي: وابن أبي دينار في تحديد معركة الزلاقة فيجعلونها سنة ٤٨١ هـ انظر ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ١٨٦ ج ١ بيروت سنة ١٩٧١، ابن الكردبوس: الاكتفاء ص ٩٥ عن الزلاقة أيضا انظر يوسف أشباح: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة عبد الله عنان القاهرة سنة ١٩٥٨ ص ٨٠ - ص ٨٣ راجع تفصيلات الزلاقة في كتاب حسن أحمد محمود قيام دولة المرابطين ص ٢٧٣ - ص ٢٨٨.

المرابطون يتطلعون للاستيلاء على الأندلس خاصة بعد أن وقفوا على أحواله وعلى مدى ضعف ملوك الطوائف وتفككهم، فاستبدت بـيوسف بن تاشفين فكرة الاستيلاء على البلاد الأندلسية ووضع حد لأطماع النصارى هناك ويذكر الأمير عبد الله بن بلقين^(١) آخر ملوك غرناطة في مذكراته كيف اكتشف يوسف بن تاشفين حجم الخلافات بين ملوك الطوائف في أعقاب معركة الزلاقة حيث يقول: «وأخذ أمير المسلمين في الانصراف إلى بلاده وقد أطلع عياناً وسماعاً من اختلاف كلمتنا ما لم يروجها لبقائنا في الجزيرة»^(٢).

ومما ساعد يوسف بن تاشفين على الاستيلاء على الأندلس أن أغلب أهل الأندلس كان يتشوق للخلاص من حكم ملوك الطوائف بعد أن أثقلت المغارم والضرائب كاهلهم^(٣)، وكذلك شجع فقهاء المغرب والأندلس^(٤) والمشرق أيضاً يوسف بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف، يقول الحميري «وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تغد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين الله والإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته، فيستمع، إليهم ويصغى لقولهم وترق نفسه لهم»^(٥) فخرج يوسف بن

(١) هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري الملك الثالث والأمير لمملكة غرناطة (٤٤٧ هـ / ١٠٥٦ م) ثم اعتلى عرش غرناطة سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٧ م وكان عهد الأمير عبد الله: سلسلة من المنازعات والاضطرابات الداخلية والنزاع المسلح مع جيرانه المسلمين والمتواطئين مع الفونسو السادس ملك قشتالة وانتهت مملكته سنة ٤٨٣ هـ وهي التي عزله فيها المرابطون ونفوه إلى أغمات وفيها كتب مذكراته هذه، انظر بروفنسال مقدمة الأمير عبد الله ص ٧.

(٢) مذكرات الأمير عبد الله (التيان) ص ١٠٧.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٠، ابن حزم: الرد على ابن النغرية ص ١٧٦.

(٤) ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ١٨٨ طبعة بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ١٥١ ص ١٥٢.

(٥) الحميري: الروض المعطار: ص ٨٦ عن استدعاء الأندلسيين ليوسف بن تاشفين انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٧ ص ١١٣ - ١١٦، ابن الأبار: الحلة السيرة ج ٢ ص ٩٨، ص ٩٩ تحقيق حسين مؤنس: جزاءان القاهرة سنة ١٩٦٣ م، ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ١١٢ - ١١٥، المقرئ: نفح الطيب ج ٤ ص ٣٥٩، ص ٣٦٠ طبعة ١٩٦٨ م / ١٣٣٨ هـ تحقيق إحسان عباس، محمد بن محمد بن عبد الله: مجموعة اليواقيت العصرية طبع مصر ١٣٤٩ هـ، الحميري ص ٨٦.

تاشفين غازيا لبلادهم وتمكن من الاستيلاء على مالقة وغرناطة ثم على باقى البلاد الأندلسية^(١)، وعزل جميع ملوك الطوائف ما عدا بنى هود^(٢).

ومنذ ذلك الحين أصبحت غرناطة شأنها شأن الولايات الأندلسية تابعة للحكومة المركزية فى مراكش وازداد تدفق البربر على إقليمها خاصة كما يذكر الدكتور حسين مؤنس لأنها أقرب إلى بر العدو وأوفق لهم من ناحية ولأن معظم أهلها من بربر أفريقية^(٣) من ناحية أخرى، ويؤكد ابن الخطيب أهمية غرناطة بالنسبة للمرابطين حيث يقول «وهى دار منعة وكرسى ملك ومقام حصانة، وكان ابن غانية^(٤) يقول للمرابطين فى مرض موته، وقد عول عليها للامثال بدعوتهم: الأندلس درقة وغرناطة قبضتها فإذا أجشتمتم يا معشر المرابطين القبضة، لم تخرج الدركة من أيديكم»^(٥).

ولقد أمضى المرابطون أغلب فترة حكمهم للأندلس فى جهاد مستمر ضد القوى النصرانية ولكن لما بدأ الضعف يسرى فى جسم الدولة المرابطية وظهر الموحدون فى المغرب وتنكر الأندلسيون لهم واشتد ضغط النصارى على الأندلس منتهزين فرصة انشغال

(١) ابن أبى ريع: روض القرطاس ص ١٥٢، ص ١٥٣ - ص ١٥٥ الرباط سنة ١٩٧٢، التوبرى: نهاية الأرب: ج ٤ ص ٢٦٧ مخطوط ج ٢٢ ورقة ١٨٣ عن استيلاء المرابطين على غرناطة انظر مذكرات الأمير عبد الله: التبيان ص ١٠٧ - ص ١٢٢، مجهول: الحلل الموشية ص ٧١ - ص ٧٣، مجهول: نبذة تاريخية جامعة فى أخبار البربر فى القرون الوسطى، ألف سنة ٧١٢ هـ نشرها ليفى برفنسال: الرباط سنة ١٩٣٤.

(٢) مجهول: الحلل الموشية، ص ٧٣.

(٣) حسين مؤنس: الشجر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين والموحدين، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) مجلد ١١ ج ٢ ص ٩٧ سنة ١٩٤٩ م.

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن غانية كبير قواد المرابطين فى الأندلس حين اضطرب سلطانهم فيها، وخرج عليهم معظم الزعماء الأندلسيين فى نفس الوقت الذى عبر فيه خصومهم الموحدون البحر إلى الأندلس يريدون افتتاحها (٥٤٠ هـ) وبذل ابن غانية جهدا كبيرا فى الدفاع عن سلطان المرابطين، ولكن القواعد الأندلسية خرجت من قبضته تباعاً واضطر فى النهاية أن يمتنع بغرناطة التى طوقها الموحدون وسقط ابن غانية قتيلاً فى الموقعة التى تلت بين المرابطين والموحدين ودفعته بغرناطة سنة ٥٤٣ هـ انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٧٩ هامش رقم ٢.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق: نفس المصدر: الجزء والصفحة.

الدولة بالاضطرابات الداخلية^(١)، فقامت بهجمات متتالية على ممتلكات المسلمين، وتوالت على الجيوش المرابطية الهزائم المتتالية^(٢)، فقدوا ثقة الناس وتحرج موقفهم وكانت هزائمهم في الأندلس ممهدة فعلاً لأمر الموحدين بالمغرب^(٣) الذين كانوا سبباً مباشراً في سقوط دولة المرابطين.

(١) عن سقوط دولة المرابطين: وأسبابها انظر الثورات في الأندلس ضد الحكم المرابطي، مجهول: الحلل الموشية ص ٨٦، ص ٨٧، ابن الخطيب أعمال الأعلام «تاريخ أسبانيا الإسلامية» بيروت دار الكشف الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ تحقيق ليفي بروفنسال، ص ٢٤٩، ص ٢٥٠، ص ٢٥١، ص ٢٥٢، ص ٢٥٣، ص ٢٥٤، ص ٢٥٥، ص ٢٥٦، ص ٢٥٧، ص ٢٥٨، ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٢٥٨، طبعة دار صادر بيروت، ابن الأبار، الحلة السيرة ج ٢ ص ٢١١، ص ٢١٣، ص ٢١٤، ٢١٨ وعن أثر الفقهاء في القضاء على الدولة المرابطية، انظر المراكشي: (عبد الواحد) ص ٢٣٥ طبعة سنة ١٩٦٣ م - ١٣٨٣ هـ تحقيق محمد سعيد العريان ونفس المصدر والمحقق: ١٩٤٩، ص ١٧٠، ص ١٧٧، الفتح بن خاقان قلائد، العقيان في محاسن الأعيان ص ٣٤٣، مصورة من طبعة باريس نشر المكتبة العتيقة تونس، محمد عبد الله دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين ص ٣٠٥، ص ٣١٨ عبد الله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب، القاهرة سنة ١٩٦٤ ص ١٧، ص ١٨، ربيع نونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته ص ٢٤٠، الجزائر سنة ١٩٦٨ م.

(٢) عن ضعف جيوش المرابطين وأثرها في انهيار دولة المرابطين انظر ابن القاض: جذوة الاقتباس (أحمد بن القاضى: المكناسي) فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، القسم الثاني ص ١٧١ دار المنصور للطباعة والوراقة سنة ١٩٧٤ م «حيث يذكر هذا المؤلف مدى ضعف جيش المرابطين في المعركة التي دارت بين تاشفين وعبد المؤمن بن علي والتي هزم فيها المرابطون واستولى الموحدون على وهران سنة ٥٣٩ هـ ١١٤٤ م انظر المصدر والصفحة.

(٣) ابن القطان: (أبو علي حسين بن علي بن القطان) جزء من كتاب نظم الجمان، تحقيق محمود علي مكى تطوان، المغرب، المطبعة المهدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط ص ١١١، عن ظهور الموحدين وقيام دولتهم في المغرب وامتدادها إلى الأندلس انظر المراكشي: (عبد الواحد) المعجب: ص ٢٤٦، ص ٢٥٥، ص ٢٥٩، ابن تومرت: (محمد بن عبد الله) أعز ما يطلب، مشتمل على تعاليق الإمام محمد بن تومرت مما أملاه أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، ص ٢٥٨ - ص ٢٦٦ الجزائر سنة ١٩٠٣ م / ١٣٣١ هـ البيهقي. (أبو بكر بن علي الصنهاجي) أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ص ٣٥، مجهول. الحلل الموشية ص ١١٠، ابن أبي ررع: الأنيس المطرب يروض القرطاس ص ١٨٧، ص ١٩١ (أحمد خالد الناصر السلاوي أبو العباس) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، المغرب سنة ١٩٥٤، ١٣٧٣ الجزء الثاني ص ٩٧، ص ٩٨، ص ١٠٤، ص ١٠٥، ص ١٠٦.

وقد كانت هذه الحركة على قدر كبير من الإحكام والتنظيم مما كفل لها الاستمرار إلى أن سقطت الدولة المرابطية وقامت على أنقاضها، وأول شيء فعلته هذه الحركة هو رفع لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه هي المرحلة الأولى للدعوة الموحدية، فقد قامت هذه الدعوة على يد ابن تومرت^(١) الذي قام بالدعوة ضد المرابطين الذين وصفهم بالكفر ودعا إلى قتالهم^(٢)، وأخذ في بداية الأمر بتدريس العلم من غير أن يظهر أى أمر سياسى فآلف في العقيدة بلسان المصامدة، أهل السوس كما بدأ باستمالة رؤساء القبائل وأكثر من الحديث عن المهدي المنتظر وتشويق الناس إليه، وأخيراً ادعى أنه هو المهدي المنتظر^(٣)، وقال بعصمته فبايعه الناس على ذلك^(٤) ومن هنا بدأ في تنظيم صفوفه بعد أن أعلن غايته وأهدافه المتمثلة في إسقاط دولة المرابطين.

ولقد دخل محمد بن تومرت في صراع مع الدولة المرابطية، يبدو فيه إصرار ابن تومرت على تحقيق هدفه وإحساسه بقرب نهاية الدولة المرابطة وشن ابن تومرت تسع حملات عسكرية ضد المرابطين والقبائل المجاورة ولم ينهزم إلا في موقعة البحيرة التي توفي في أعقابها^(٥).

(١) هو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدي: المؤسس الأول للدولة الموحدية في المغرب وهو من جبل السوس الأقصى ببلاد المغرب: حيث نشأ هناك ثم رحل إلى المشرق طالباً للعلم فزار هناك العراق كما حج بيت الله الحرام وأقام بمكة وقتاً من الزمن ودرس فيها الحديث وأصول الفقه والدين، بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة ثم رحل عنها إلى مصر فطرد منها وتوجه إلى المهديّة فوصلها سنة ٥٠٥ هـ ومن المهديّة انتقل إلى بجاية وهناك التقى بعبد المؤمن بن علي، ومنها خرج مع بعض أصحابه إلى مراكش وفي مراكش جرت له مع فقهاء مناظرات فقهية لم تسفر عن شيء سوى هروب ابن تومرت من مراكش إلى أغمات ومنها إلى تينمل من بلاد السوس ومن هذه البلدة بدأت حركته تأخذ طابعاً عسكرياً، ومن هذا البلد نزل بعساكره محاصراً مراكش وتوفي سنة ٥٢٤ هـ ودفن في تينمل: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٤٥٦ وما بعدها.

(٢) ابن تومرت: أعز ما يطلب «مشتغل على جميع تعاليق الإمام محمد بن تومرت مما أملاه على أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ص ٢٥٨.

(٣) المراكشي: المعجب ص ١٧٨ وما بعدها طبعة سنة ١٩٤٩.

(٤) المراكشي: المصدر السابق: ص ٢٥٥ طبعة سنة ١٩٦٣ م انظر: النوبري نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٢٧٧، ص ٢٨٦ حسين نصار، Budget: the Moorish Empire, P. 165.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر، البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت الرباط سنة ١٩٧١ ص ٣٥ وطبعة =

خلف ابن تومرت عبد المؤمن بن علي^(١)، فواصل تضيق الخناق على الدولة المرابطية، وتمكن من فتح وهران وتلمسان عام ٥٣٩هـ / ١١٤٤م وسقطت مدينة فاس في أيدي الموحدين^(٢) عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م وبعد سقوط فاس أخذت القبائل تتوافد عليه كما أن عدداً من المدن بعثت إليه بولاتها كمدينة سبتة^(٣) بعد ذلك ضيق الموحدون الحصار على مراكش الذي استمر تسعة أشهر وكان أمير المرابطين المعاصر لهذه الأحداث هو إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين، ولما أرقهم الحصار برزوا لمداغة الموحدين فانهمز المرابطون فتبعهم الموحدون واقتحموا عليهم المدينة واعتصم إسحاق وأعيان قومه في القسبة ونزلوا على حكم الموحدين الذين حكموا على إسحاق بالموت^(٤) وبذا

= ليفي بفرنسال ١٩٢٨ وباديس ص ٧٤، ص ٨٣، ابن القطان: نظم الجمان: ص ١١٨، ص ١١٩، ص ١٢٠، ص ١٢٢، ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ ص ٨٦ تحقيق إحسان عباس، النوبري: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٢٨٧، ص ٢٨٨، المراكشي: المعجب ص ١٩٢، ص ١٩٣، ص ١٩٤، طبعة سنة ١٩٤٩، ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص ٢٧٠، مجهول: الحلل الموشية: ص ١١٠ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس: عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول ص ١٩٠ طبعة سنة ١٩٦٤، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٧٩، عبد الله غلام: الدعوة الموحدية: ص ٢٠٤.

(١) هو الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي (٥٢٤ هـ - ٥٥٨ هـ) والكومي نسبة إلى كومية أو كومة قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان، وأمه حرة كومية أيضاً، وكان والد عبد المؤمن صانعاً في عمل الطين يعمل منه الأواني والجرار فيبيعها، وذلك كل مرتزقة، ثم كان من أمر ابنه عبد المؤمن ما كان، انظر المراكشي المعجب: ص ٢٦٥، ص ٢٦٩، هامش (١) هامش (٢) لمزيد من التفاصيل: انظر البيذق أخبار المهدي ص ٢١، ص ٢٢ ط ٢، ١٩٢٨ باريس، المراكشي المعجب ط ١ سنة ١٩٤٩، ص ١٩٦، ١٩٧ النوبري: نهاية الأرب ج ٢٢ مخطوط مجلد ٢ ص ٨٤، المنشور ج ٢٤ - ص ٢٨٩، ابن أبي زرع: الأئیس المطرب بروض القرطاس: ص ١٨٧ وما بعدها طبعة دار المنصور.

(٢) ابن أبي زرع: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الناصري (السلوي): الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ج ٢ ص ٩٧ الدار البيضاء، سنة ١٩٥٤ سنة ١٣٧٤.

(٤) السلوي: الاستقصا ج ٢ ص ٩٧، ص ٩٨، ابن عذاري: البيان المغرب: ج ٤، ص ١٠٨، ابن دحية: عمر بن الشيخ الإمام أبي علي (٦٢٣ هـ) المطرب في أشعار أهل المغرب ط ١ الخرطوم سنة ١٩٥٤ ص ٣١ يذكر النوبري أن الحصار دام أحد عشر شهراً، النوبري: المصدر السابق ج ٢٤ ص ٢٩٦، البيذق: أخبار المهدي: ص ٨٤ وما بعدها.

تكون دولة المرابطين قد سقطت نهائياً في المغرب ولكنها ظلت باقية بعض الوقت في الأندلس.

فعلى الرغم من أن أرض المغرب قد زلزلت تحت أقدامهم إلا أنها لم تسقط بصورة حاسمة، فيحیی بن غانية عامل الأندلس من قبل المرابطين حاول استرجاع المغرب رغم اشتعال الأندلس بالثورات التي كان عليه مواجهتها^(١).

وكان السبب الظاهري لدخول الموحدين الأندلس هو مساعدة ابن قسى^(٢) الثائر على المرابطين، ولكنهم في الحقيقة كانت لهم أهداف أخرى وهي القضاء على الكيان المرابطي المتمثل في يحيى بن غانية حيث كان يشكل خطراً على الموحدين في المغرب، وذلك لتأييده للثورات التي أخذت تنشب ضد الموحدين هناك^(٣)، هذا بالإضافة إلى أن نصارى أسبانيا أخذوا يوجهون ضرباتهم نحو المدن الأندلسية ويستولون عليها تبعاً، يقول النويري «وورد عليه - أي عبد المؤمن بن علي - جماعة من أعيان الأندلس منهم أبو جعفر ابن أحمد محمد بن حمدين^(٤) ومعهم مكتوب يتضمن بيعة أهل الأندلس لعبد المؤمن ودخولهم

(١) عنان: دولة الإسلام في الأندلس: ص ٢٧٣.

(٢) «وهي ثاني ثورة اشتعلت في الأندلس ضد المرابطين بعد ثورة قرطبة سنة ٥١٥ هـ وكان يتزعمها شيخ من كبار الصوفية لذا تسمى أحياناً «ثورة المريدين» وزعيم هذه الثورة يدعى أبا القاسم أحمد ابن الحسن بن قسى، وكان ابن قسى هذا يحظى بمكانة مرموقة بين الصوفية وكثر أتباعه بغرب الأندلس والذين عرضوا بالمرية وله مؤلفات منها كتاب «خلع النعلين» وكثر أتباعه بمنطقة غرب الأندلس لا سيما شلب ولبله ومرتلة، وكانوا يعقدون الحلقات يتدارسون فيها كتب: التصوف وموضوعات الغلاة من الباطنية، كما كلفوا برسائل أخوان الصفا وما شابه ذلك من المباحث» ابن الخطيب: أعمال الأعلام، تاريخ أسبانيا الإسلامية، بيروت، دار الكشوف، الطبعة الثانية ١٩٥٦، تحقيق بروفنسال: ص ٢٤٩.

(٣) ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٢٣٣ طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ ص ٢٣٣ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين ص ٢٧٣.

(٤) «وهو أحمد بن محمد بن أحمد التغلبي، دخل جدهم الأندلس ونزل باغة، ولى ابن حمدين قضاء قرطبة بعد أخيه سنة ٥٢٩ / ١١٣٤ م وظل يمارس القضاء حتى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م وفي سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م عصفت في قرطبة رياح الثورة، إذ ثار العامة ضد والي المرابطي أبي عمر اللمتوني، وبايعوا ابن حمدين: أميراً مستقلاً عليهم وتمت البيعتان الخاصة والعامة بالمسجد الجامع بقرطبة في الخامس من شهر رمضان ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م أعلن ابن حمدين عن قيام حكومة في قرطبة مستقلة عن أي سلطة وذلك عندما نزل قصر الخلافة وتلقب أمير المسلمين وناصر الدين» انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص ٢٥٢ - ص ٢٥٣.

فى زمرة أصحابه الموحدين والتزامهم لطاعته، وإقامتهم لأمره فى بلادهم وجميع أسماء القوم الذين بايعوه مثبتة فى المكتوب، فقبل عبد المؤمن طاعتهم، وشكر هجرتهم وطيب قلوبهم، فطلبوا منه النصرة على الفرنج فإن الفرنج كانوا قد ملكوا بلاد المسلمين^(١) هذا ولم يسارع عبد المؤمن بن على إلى إرسال الجيوش الموحدية إلى الأندلس فور اندلاع الثورة هناك (٥٣٩هـ / ١١٤٤م) بل آثر تصفية حكم المرابطين نهائياً فى المغرب، وكان وهو يراقب الثورات الأندلسية يتأهب للتدخل فى الأندلس ومن بين استعداداته لذلك الاستيلاء على سبتة وطنجة^(٢)، لفتح الطريق أمام جيوشه إلى الأندلس، فجهز عبد المؤمن جيشاً كبيراً وجعل على مقدمته أبا عمر صالح من أية الخمسين^(٣).

وقيل تدفق الجيوش الموحدية على الأندلس، انضم إلى الجيش الموحدى أسطول المرابطين بقيادة «على بن عيسى بن ميمون»^(٤) فعبروا إلى الأندلس ودخل الأسطول مدينة أشيلية عن طريق البحر وحاصروها^(٥) ولم يطل أمد الحصار إذ سقطت المدينة وفر من بها من المرابطين إلى قرمونة وذلك فى شعبان سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م^(٦).

(١) النوبرى: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٠٠.

(٢) عبد الله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب، القاهرة سنة ١٩٦٨ نشر دار المعارف بمصر، «عن استسلام سبتة وطنجة لعبد المؤمن بن على» انظر البيدق: أخبار المهدي ابن تومرت: ص ١٠٧، ص ١٠٨، نشر بروفسال سنة ١٩٢٨ م ابن أبى زرع: الأتيس المطرب: طبع أوبسالة ١٩٤٣ م.

(٣) النوبرى: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٠٠ «امتاز نظام الموحدين منذ ظهور المهدي، بارتكازه على (وحدات) معينة، تأخذ كل منها ترتيباً خاصاً، والظاهر أن هذه الطبقات تزايدت وتنوعت بحسب الحاجة والزمن، وقد تعرضت جل مصادر التاريخ الموحدى لهذه الأصناف بما فى ذلك كتاب البيدق، المعجب للمراكشى والقرطاس ونظم الجمان، وكتاب العبر والحلل الموشية ورقم المحلل إلى آخر، إلا أن هذه المصادر تختلف قليلاً حول الترتيب المعروف لهذه الفئات وعددها ونوعها: فالبيدق مثلاً يكتفى بذكر (أهل الدار): دار المهدي، وأهل الخمسين الذين هم فى عداد صحابته الأولين من أهل القبائل التى سارعت إلى الاستجابة لدعوته هرغة وتيممل وهتاتة، كما يذكر عبيد المخزن والحفاظ وأهل الحرب، بينما تولى المراكشى: الحديث عن (العشرة) الذين يسمون بأهل الجماعة ثم طبقة أهل الخمسين الذين يسميهم ابن خلدون أيت الخمسين، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادى التارى: طبعة سنة ١٩٧٩ م الجمهورية العراقية ص ١١٢ - ص ١١٣ هامش رقم ٥.

(٤) النوبرى: المصدر السابق: ج ٢٤ نفس الصفحة.

(٥) النوبرى: نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٦) السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٠٥، النوبرى نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٠١.

هذا ويلاحظ أنه لم يحدث حتى ذلك الوقت صدام عسكري مباشر بين الموحدين وقوات المرابطين، فقد تمكن الموحدون من التوسع في غرب الأندلس بينما انسحب يحيى ابن غانية من الميدان الغربي بعد وصول الموحدين إلى أشبيلية واندلاع ثورة ابن حمدين في قرطبة^(١) فرحل إلى قرطبة لاستعادتها من ابن حمدين، ودخل في صراع مرير مع الثائر ابن حمدين انتهى بانتصار ابن غانية واستيلائه على قرطبة وذلك بعد أن تخلى النصارى عن مؤازرة ابن حمدين، وذلك لأنهم لما رأوا تقدم الجيوش الموحدية في غرب الأندلس بدءوا بملاطفة يحيى بن غانية ومهادنته ليكون حاجزا بينهم وبين الموحدين، واستمر ابن غانية يصانع النصارى، ولكن ملك قشتالة اشتط في مطالبه، فلم يكتف بتنازل ابن غانية عن بياسة وآبذة، بل طالبه بالتخلي عن جيان، أو مضاعفة الجزية، وقد شعر ابن غانية بالمهانة من ضغوط النصارى فعقد العزم على تسليم قرطبة وقرمونة للموحدين، واتصل براز بن محمد المسوفى وعرض عليه تسليم قرطبة وقرمونة فقبل ذلك وجاءه كتاب الأمان من عبد المؤمن بن علي ثم رحل ابن غانية إلى غرناطة (٥٤٣هـ / ١١٤٨م)^(٢).

ورحل يحيى بن غانية إلى غرناطة وهي آخر ما بقى للمرابطين من القواعد في الأندلس وكان واليها هو ميمون بن بدر اللمتوني وقد قصده جماعة من قادة المرابطين، ويذكر ابن أبي رزع أن يحيى بن غانية بعد أن سلم قرطبة وقرمونة للموحدين كان يرمى إلى

(١) «هو أحمد بن محمد بن أحمد التغلبي» دخل جدهم الأندلس ونزل باغة ولى أحمد بن حمدين قضاء قرطبة بعد أخيه سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م وظل يمارس القضاء وحتى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م عصفت في قرطبة رياح الثورة إذ ثار العامة ضد الوالى المرابطى أبى عمر اللمتونى، وبايعوا ابن حمدين أميراً مستقلاً عليهم وتمت البيعتان، الخاصة والعامة بالمسجد الجامع بقرطبة فى الخامس من شهر رمضان سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م وأعلن ابن حمدين عن قيام حكومة فى قرطبة مستقلة عن أى سلطة وذلك عندما نزل قصر الخلافة وتلقب أمير المسلمين وناصر الدين «انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام: قسم ٣ ص ٢٥٢ - ص ٢٥٤، عن ثورة ابن حمدين بقرطبة وصراعه مع ابن غانية انظر ابن الخطيب: الإحاطة فى ترجمة لابن غانية (مخطوط الاسكوريال لوحة ١٣٩٢، ابن الخطيب: أعمال ص ٢٥٤، الضبى: بغية الملتمس ص ٢٦١ F. Codera,

Decadenciay Disparicion de los Aimoravides P. 61,

(٢) ابن أبي رزع: الأنيس المطرب: ص ١٩١ الرباط سنة ١٩٧٢، الناصرى السلاوى: الاستقصا: ج

٢ ص - ١٠٥، ص ١٠٦.

تسليم غرناطة أيضاً^(١)، ومعنى ذلك أنه دخل في طاعة الموحدين وانضوى تحت لوائهم، وهذا ابن الخطيب يؤكد ثبات يحيى بن غانية على ولائه للمرابطين بل ونصحه قومه بالمحافظة على غرناطة، ويضيف أن يحيى بن غانية كان يقول في مرض موته «الأندلس درقة وغرناطة قبضتها، فإذا جشمتكم يا معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم»^(٢) وعلى كل سواء أبقى يحيى بن غانية على ولائه للمرابطين أم أنه أعلن ولاءه للموحدين، فقد مات بعد شهرين من دخوله غرناطة، وذلك في الرابع والعشرين من شعبان سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م^(٣)، ولم يبق للمرابطين سوى غرناطة وقد ظل قائد المرابطين يدافع عنها نحو سبع سنوات، لكن لما رأى الاستمرار في حكم المدينة وجموع الموحدين تحيط به من كل ناحية وأن عناده قد يعرض المرابطين بها للفناء بعث إلى عبد المؤمن بن علي يعرض عليه تسليم المدينة مقابل الأمان لنفسه وقومه^(٤)، فاستجاب عبد المؤمن بن علي وبعث ابنه أبا سعيد حاكم سبتة والجزيرة الخضراء لتسليم المدينة^(٥)، يقول النويري «وفي سنة اثنين وخمسين وخمسمائة، كاتب ميمون بن بدر صاحب غرناطة أبا سعيد بن عبد المؤمن صاحب مالقة والجزيرة الخضراء وسبتة أن يسلم إليه غرناطة، فتسلمها منه وسار إلى مالقة بأهله وولده، فسيره أبو سعيد إلى مراكش، فأقبل عليه عبد المؤمن وأكرمه»^(٦).

وتلا استيلاء الموحدين على غرناطة، استيلاؤهم على المرية^(٧)، وكان النصاري قد

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩١، ابن خلدون: ج ٦ ص ١٩٠، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٣٤٦.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ٩٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: مخطوط الاسكوريال لوحة ٣٩٢.

(٤) النويري: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٠٩.

(٥) عنان: دولة الإسلام: في الأنندلس (عصر المرابطين القسم الأول) ص ٣٤٥.

(٦) النويري: نهاية الأرب: ج ٢٤ ص ٣٠٩.

(٧) منذ الزلافة كانت المرية: مركز التجارة الأساسي في الأنندلس وبلغت فنادقها أيام المرابطين ٩٧٠ فندقاً وقد ساعد على هذا الازدهار التجاري أنها كانت مركزاً للأسطول المرابطي، ومنذ خربها الروم في فترة الانتقال قلت أهميتها في أوائل العصر الموحدى عن تجارتها وازدهارها انظر الإدريسي: نزهة المشتاق: (ط ٥) ص ١٩٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤، المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٦٣، ج ٣ ص ٢٢٠، ص ٥٧١ طبعة بيروت، وعن تخريب الروم =

انتهزوا فرصة الاضطراب الشامل الذى ساد الأندلس، عقب انهيار سلطان المرابطين، وجهزوا حملة صليبية برية وبحرية، اشتركت فيها ممالك أسبانيا النصرانية قشتالة ونافار (نبرة) وأراجون وقطلونية، ومعها مطوعة من جنوة وبيزة وبعض حشود من وراء البرانس للاستيلاء على ثغر المرية، وحاصروا المرية براً وبحراً نحو ثلاثة أشهر، استولوا عليها فى شهر أكتوبر سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م^(١) وكان الموحدون قد عبروا إلى الأندلس واستقروا فى قرطبة يتوقون إلى استرداد هذا الثغر الإسلامى العظيم، لأن وجود النصارى فيه يهدد مواصلاتهم البحرية شرق بحر الزقاق^(٢)، فلما تم استيلاؤهم على غرناطة شعروا بأن الفرصة قد سنحت لتحقيق هذا المشروع، يقول النويرى «ولما ملك أبو سعيد أغرناطة جمع الجيوش وسلم إليه مدينة المرية وهى بيد الفرنج، وكانوا قد أخذوها فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة - فنازلها وحاصرها براً وبحراً ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها، وبنى سورها على الجبل إلى البحر وعمل عليها خندقاً، فصارت المدينة والحصن الذى فيه الفرنج محصورين بهذا السور والجبل لا يمكن أن يصل إليها من يجندها، وجمع ملك الفرنج بالأندلس الجيوش وجاء إليها فلم يتمكن منها ورجع ومات قبل وصوله إلى طليطلة، وتمادى الحصار على المرية ثلاثة أشهر، فقلت الاقوات عن الفرنج، فطلبوا الأمان، فأمنهم أبو سعيد وتسلم الحصن ورحلوا فى البحر عائدين إلى بلادهم.

وكانت مدة ملكهم المرية عشر سنين^(٣) وباستيلاء المرابطين ومن بعدهم الموحدون

= لها انظر، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٢٢٣ طبعة دار صادر بيروت، المراكشى: المعجب: ص ٢١٠، ص ٢١١ طبعة سنة ١٩٤٩ م ابن خلكان وفيات الأعيان: ج ٣ ص ١٠٧، تحقيق إحسان عباس بيروت دار الثقافة سنة ١٩٧٠، سنة ١٩٧٢، المقرئ: المصدر السابق: ج ٤ ص ٤٦١ طبعة بيروت، وابن عذارى: البيان المغرب: ج ٢ (القسم الموحدى) تحقيق هوىي ميران، ومحمد بن تاويت، إبراهيم الكتانى، معهد مولاي الحسن ١٩٦٠ ص ٣٣، الإدريسي: المصدر السابق: ص ١٩٨.

(١) ابن الأثير: الكامل ج ١١ ص ٢٢٣، المراكشى: المعجب، ص ٢١٠، ص ٢١١، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٣، ص ١٠٧، ابن عذارى: البيان المغرب: قسم ٣ ص ٣٣، ص ٣٤.

(٢) عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين، ص ٣٤٦.

(٣) النويرى: نهاية الأرب ص ٣٠٩ - ص ٣١٠ «تذكر الرواية النصرانية أنه نشبت خلال ذلك بين الموحدون والنصارى موقعة عنيفة، فقد فيها الموحدون كثيراً من جندهم» انظر.

على بلاد الأندلس كما سبق أن ذكرنا أصبحت بلاد الأندلس ولاية مرابطية ثم موحدية تتبع حكومة المرابطين ومن بعدهم الموحدين في بلاد المغرب، إذ بادر المرابطون وخلفاؤهم بإرسال نائب عنهم بها كما أرسلوا عمالاً لأقاليم الأندلس المختلفة، ومن ثم شهدت بلاد الأندلس تقسيماً إدارياً مختلفاً استمر طوال حكم المرابطين ثم الموحدين من بعدهم، فكان ينوب عن أمير المسلمين في حكم الأندلس أمير من الأسرة الحاكمة أو من لمتونة عامة^(١)، ومن هؤلاء النواب على بن يوسف وتاشفين بن علي وإبراهيم بن تاشفين وسير بن أبي بكر وأبو الطاهر تميم بن يوسف وعبد الله ابن فاطمة وعبد الله بن مزدلي^(٢).

ويبدو أن الوظيفة الأساسية للنائب العام في الأندلس هي قيادة الجيوش الإسلامية لأنها رأينا سير ابن أبي بكر الذي أنابه يوسف بن تاشفين هو الذي استنزل ملوك الطوائف^(٣)، وكذلك بالنسبة لتميم بن يوسف الذي كان قائداً للجيوش الإسلامية من سنة ٥١٥هـ - ٥٢١هـ - (١١٢١م - ١١٢٦م) الذي انتصر في معركة أقلش وكانت غرناطة قاعدة لغزواته^(٤)، وكذلك تاشفين بن علي الذي تولى حكم الأندلس من سنة ٥٢٠هـ - ٥٣٢هـ^(٥) (١١٢٦م - ١١٣٧م) لم تكد تمر عليه سنة من غير شن غزوة أو رد غارة فهو في جهاد متواصل مع الممالك النصرانية^(٦).

أما عن علاقة النائب العام بعمال الأقاليم فلا تذكر المصادر التاريخية شيئاً يكفي لمعرفة طبيعة هذه العلاقة، ويبدو أن عمال الإقليم كانوا يتصلون بأمر المسلمين مباشرة في أكثر الأحيان، فإذا كانت هناك غزوة مهمة أو كل أمير المسلمين أمرها إلى أحد هؤلاء العمال، فيصبح بمثابة نائب عام أو قائداً للجيش ثم يتصل أمير المسلمين بعمال الأقاليم ويأمرهم

(١) يذكر ابن خلدون أن يوسف بن تاشفين قسم المغرب على بنيه وقومه وذويه « ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ١٨٥، ص ١٨٦ عن ذلك انظر أيضاً مجهول: الحلل الموشية: ص ٣٣.

(٢) عن هؤلاء النواب انظر ابن عذارى: البيان المغرب: ص ٥٥، ص ٥٧، ص ٥٨، ص ٥٩، ص ٦١، ص ٦٤، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٢.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٥٤ الرباط سنة ١٩٧٢ م.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤، ص ٤٩، ص ٥٠.

(٥) ابن أبي زرع: المصدر السابق: ص ١٦٤.

(٦) السلاوى: الاستقصا: ج ٢ ص ٦١.

بالانضواء تحت لواء قائد الجيش^(١) إلا أن هناك فترات ذكرت بعض المصادر أنه ولى الأندلس نائب عام عن أمير المسلمين، فهذه الفترة الممتدة من ٥١٥هـ - ٥٢٠هـ تولى تميم بن يوسف، والفترة من سنة ٥٢٠هـ - سنة ٥٣٢هـ^(٢) تولى فيها تاشفين بن على وكانت سلطة النائب العام سياسية عسكرية تكاد تكون مطلقة، تتضح هذه السلطة من وثيقة عبارة عن رسالة من أمير المسلمين على بن يوسف إلى رعيته الأندلسيين، فهي تلقى مزيداً من الضوء على نظام الحكم في الأندلس في عهد المرابطين وتشير إلى أنه يميل كثيراً إلى اللامركزية، فأمر المسلمين يقول عن واليه «وهو النائب عنا في تدبيركم وإقامة أموركم وسياسة صغيركم وكبيركم، ليس لأحد معه في شيء من ذلك يد... قد فوضنا في ذلك كله... وهو بلساننا متكلم وعمّا في ضميرنا مترجم وفي قالب رأينا مفرع... ما أمضاه أمضيته وما وقفه وقفناه»^(٣)... ورسالة أخرى بعث بها على بن يوسف إلى بعض رعاياه الأندلسيين فيها وصايا للشعب، وتعطى صورة واضحة للسلطات الممنوحة للنائب العام وعباراتها قريبة من الرسالة السابقة: «وهو النائب عنا في تدبيركم وإقامة أموركم وسياسة صغيركم وكبيركم، وليس لأحد معه في ذلك يد ولا مصدر ولا مورد ولا مقام ولا مقعد، قد فوضنا في ذلك كله وأفردناه النظر، في دقة وجلّة وكثرة وقلة وحكمتنا في جميعكم... ولا نرى في أحد منكم إلا ما يراه، ولا نتولاه - كائنا من كان - إلا أن يتولاه»^(٤).

وهكذا نرى أن المرابطين قد منحوا نائبهم على الأندلس سلطة واسعة ليست لها حدود، وقد قارب الحقيقة حسن أحمد محمود حين قال: لقد درج المرابطون على نوع

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٣.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٤.

(٣) محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة في عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، المجلد السابع، العدد: ١ - ٢، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ص ١٩٧٥، انظر نص الرسالة بالكامل في قسم الملاحق، لم تحدد هذه الوثيقة - السنة التي كتب فيها ولا الوالى المذكور ولكن يمكن تحديد تاريخ الوثيقة حيث تولى على بن يوسف وبين تاريخ وفاة كاتب الرسالة، ابن القصيرة ٥٠٥ هـ - ٥٠٨ هـ.

(٤) محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة ص ١٧٦، انظر نص الوثيقة بالكامل في ملاحق الرسالة.

من الحكم الإقطاعي حيث يتولى أمير من الأمراء على إقليم يكون له مطلق التصرف فيه على أن لا ينازع صاحب السيادة حقه وأن يلتزم بالخضوع والتبعية للحكومة المركزية في المغرب^(١).

وكان النائب العام يتخذ من قرطبة أو أشبيلية أو غرناطة مقراً له^(٢) ويعمل الدكتور حسين مؤنس ذلك بقوله «بالنسبة لقرطبة فإنها كانت عاصمة الأندلس وواسطة عقد البلاد أما غرناطة فهي أوفق للمرابطين لأن معظم أهلها من بربر أفريقية، ثم أنها أقرب إلى شرق الأندلس وإلى أفريقية مركز الإمداد والتموين»^(٣).

وكانت الأندلس أيام المرابطين تضم ست مقاطعات: هي أشبيلية^(٤) وغرناطة^(٥) وقرطبة^(٦) وبلنسية^(٧) وسرقسطة^(٨) ومرسية^(٩) وقد تولى على قرطبة أبو عبد الله محمد بن الحاج إلى سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م وأبو عبد الله محمد بن أبي زنفى، وأبو محمد تاشفين ابن سليمان وأبو محمد مزدلى بن سلكان، من سنة ٥٠٥هـ (١١١١م) إلى ٥٠٨ (١١١٤) ومحمد بن مزدلى ٥٠٨هـ (١١١٤م) إلى ٥٠٩هـ (١١١٥م) وأبو عبد الله بن نونان وأبو زكريا يحيى بن تاشفين من سنة ٥٠٩هـ / (١١١٥م) وأبو عبد الله المعروف بابن عواد وأبو محمد عبد الله بن جنونة^(١٠).

- (١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢٨٧.
- (٢) ابن عذاري: البيان المغرب: ج ٤، ص ٤٨، ص ٤٩، وما بعدها.
- (٣) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلس في عصر المرابطين مجلة كلية الآداب - جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة) مجلد ١١ ج ٢ سنة ١٩٤٩ م ص ٣٥١.
- (٤) ابن عذاري: البيان المغرب: ج ٤ ص ٤٨، ص ٦١، ص ٨١، ص ١٠٥، ابن القطان: نظم الجمان ص ٨، ص ٩، ص ١٢، ص ٢٢، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٠، ص ١٦٣، امبروسيو هويسى ميراندا: على بن يوسف وأعماله في الأندلس ص ١٦٧.
- (٥) مجهول: نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من كتاب مفاخر البربر تحقيق ليفى بروفنسال المطبعة الجديدة رباط الفتح سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م ص ٨١، ص ٢٨ ابن عذاري: المصدر السابق ج ٤، ص ٤٨ وما بعدها، مجهول: المصدر السابق: ص ٨١.
- (٦) مجهول: نفس المصدر: ص ٨٢.
- (٧) مجهول نفس المصدر ص ٨٢.
- (٨) مجهول: نفس المصدر والصفحة: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٢.
- (٩) مجهول: نفس المصدر: ص ٨٢.
- (١٠) مجهول: نبذة تاريخية (مفاخر البربر) ص ٨١.

أما غرناطة فقد تولى عليها أبو محمد عبد العزيز بن يلىمان ويحيى بن واسينو والأمير
مزدلى بن سلنكان من ٥٠٥هـ^(١) (١١١١م) إلى ٥٠٨هـ (١١١٤م)^(٢) وأبو بكر على بن
يوسف، وتاشفين بن على بن يوسف^(٣) والوزير بن عمر وسيرين الحاج^(٤)، أما المرية،
فقد تولها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين، وإبراهيم بن عائشة وأبو بكر بن
تيفوليت وأبو عبد الله بن ينىتان بن على وأبو عبد الله بدر بن ورقاء وإبراهيم تاعيشت،
وأبو زكريا يحيى بن غانية^(٥) من (٥١١هـ / ١١١٧م إلى ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) أما سرقسطة فقد
تولها أبو عبد الله محمد بن الحاج من (٥٠٢هـ / ١١٠٨م إلى ٥٠٩هـ / ١١١٥م) وأبو بكر
بن إبراهيم بن تيفوليت^(٦) وعبد الله بن مزدلى^(٧) من ٥١١هـ / ١١١٧م إلى ٥١٢هـ /
١١١٨م) أما بلنسية فقد تولى عليها مزدلى بن سلنكان إلى (٤٩٧هـ / ١١٠٣م) وعبد الله
ابن فاطمة من (٤٩٧هـ / ١١٠٣م إلى ٥٠٣هـ / ١١٠٩م)^(٨) وعبد بن الحاج من
(٥٠٣هـ / ١١٠٩م)^(٩) وأبو بكر بن تيفوليت وأبو الطاهر تميم بن يوسف وإبراهيم بن
تاعشيت وأبو زكريا يحيى بن تاسورة وبدر بن ورقاء، وأبو يعقوب بن يثنان بن على من
(٥٢٤هـ / ١١٢٩م) وأبو زكريا يحيى بن على^(١٠) من (٥٢٤هـ / ١١٢٩م / ٥٣٨هـ /
١١٤٣م) أما أشبيلية فقد وليها سير بن أبى بكر من (٤٨٤هـ / ١١١٣م إلى ٥٠٨هـ /
١١١٣م)^(١٢) ويحيى بن سير بن أبى بكر من (٥٠٧هـ / ١١١٣م إلى ٥٠٨هـ / ١١١٤م)

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٥٦.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٦٠ كان أبو محمد مزدلى بن سلنكان من أكابر
المرابطين وهو ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وله جهود كبيرة فى الدور الأول من
التاريخ المرابطى، انظر ابن عذارى: المصدر السابق ج ٤ ص ٦٠ هامش رقم ١.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٧٩.

(٤) مجهول: المصدر السابق: ص ٨٢.

(٥) مجهول: نبذة تاريخية (مفاخر الرب) ص ٨٢.

(٦) مجهول: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) ابن أبى ررع: الأنيس المطرب: ص ١٦٢.

(٨) ابن عذارى: البيان المغرب: ص ٤٢، ص ٥٤.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق ص ٢٨.

(١٠) مجهول: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(١١) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٥٦.

(١٢) مجهول: الحلل الموشية: من ص ٧٣ - ص ٧٥.

وعبد الله ابن فاطمة من (٥٠٩هـ / ١١١٥م إلى ٥١١هـ / ١١١٤م) وعبد الله ابن فاطمة من ٥٠٩هـ / ١١١٥م إلى ٥١١هـ / ١١١٧م^(١) وإبراهيم بن يوسف من ٥١١هـ / ١١١٧م إلى ٥١٦هـ / ١١٢٢م) ثم وليها الأمير تميم بن يوسف^(٢) من ٥١٦هـ / ١١٢٢م إلى ٥١٧هـ / ١١٢٣م) ثم الأمير أبو بكر علي بن يوسف (٥١٨هـ / ١١٢٤م إلى ٥٢٢هـ / ١٨٢٨م)^(٣) ثم وليها علي التتالي عمر بن سير من (٥٢٢هـ / ١١٢٨م) من شعبان إلى ذي الحجة ثم ابن مقور (٥٢٣هـ / ١١٢٨م إلى ٥٢٤هـ / ١١٢٩م إلى ٥٢٦هـ / ١١٣١م) ثم وليها عبد الله بن أبي بكر بن تاشفين (٥٢٦هـ / ١١٣١م إلى ٥٢٧هـ / ١١٣٢م) ثم يتنان بن علي (٥٢٧هـ / ١١٣٢م إلى ٥٢٩هـ / ١١٣٤م) ثم أبو زكريا يحيى بن إسحاق (٥٢٩هـ / ١١٣٤م إلى ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) وأخيراً أبو زكريا بن مزدلي (٥٣٩هـ / ١١١٤م إلى ٥٤١هـ / ١١٤٦م) وهى السنة التى سقطت فيها المدينة فى أيدي الموحدين^(٤).

هذا ويلاحظ على ولاية وعمال المرابطين فى الأندلس عدم بقائهم فى مراكزهم فترات طويلة، فقد شملتهم السياسة المرابطية المتبعة لدى أمراء المسلمين، وهى نقل أو عزل الولاية على فترات متقاربة، أما سياسة نقل الوالى من إقليم إلى آخر فهى تلاحظ بكثرة ووضوح فى جميع أقاليم الدولة، ولعل هذه السياسة توحى بخوف أمراء المسلمين من استبداد الولاية بأقاليمهم والانفصال عن الحكومة المركزية فها هو الأمير أبو محمد مزدلي ابن سلنكان ترجون ابن عم يوسف بن تاشفين وأحد كبار قواده يتقلب فى مختلف مناصب القيادة والولاية فى الأندلس مثل ولايات غرناطة وقرطبة والمرية^(٥) وكذلك أبو محمد عبد الله ابن فاطمة يتولى ولاية بلنسية سنة ٤٩٧هـ (١١٠٤م) وفى سنة ٥٠٣هـ (١١١٠م) نقل إلى غرناطة ولم يمكث فى غرناطة أكثر من عام نقل بعدها عاملاً على فاس بالمغرب سنة

(١) ابن عذارى: المصدر السابق ج ٤ ص ٢٦.

(٢) ابن عذارى: نفس المصدر ج ٤ ص ٦٧.

(٣) ابن عذارى: نفس المصدر ج ٤ ص ٦٧.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ١٠٥ «حاولت أن أحدد بداية ونهاية فترة كل والٍ من ولاية الأندلس، ولكن المصادر التاريخية لم تسعنى إلا بالنذر القليل عثرت عليه فى ابن عذارى: المصدر السابق ج ٤ ص ٤٢، ص ٤٨، ص ٤٩، ص ٥٤، ص ٥٦، ص ٦٠، ص ٦٢، ص ٦٧، ص ٧٩، ص ١٠٥.

(٥) ابن الكردبوس: الاكتفاء فى أخبار الخلفاء: تحقيق أحمد مختار العبادى ص ١٠٩ تعليق ٤ معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٧١ م.

٥٠٤ هـ (١١١٠ م) ثم عاد إلى الأندلس عاملاً على أشبيلية^(١) وذلك فى سنة ٥٠٩ هـ (١١١٥ م) واستمر فى حكمها حتى توفى سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م)^(٢) أما الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين فقد تولى حكم غرناطة سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) من بعد ثلاث سنوات (٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م) نقل إلى تلمسان بالمغرب الأوسط ثم عاد إلى الأندلس والياً على غرناطة (٥١٥ هـ / ١١١٦ م) وفى عام ٥١٦ هـ (١٠٢٢ م) نقل إلى أشبيلية فاستمر فى حكمها سنة وبضعة أشهر ثم نقل عاملاً على قرطبة وغرناطة^(٣)، هذا وقد كانت البلاد الأندلسية تعتبر خلال العصر الموحدى، مثلما كانت عليه فى العهد المرابطى قطراً من أقطار الدولة الموحدية، وكانت تنقسم إلى عدة ولايات أو عمالات: هى ولاية الغرب (شلبى وأحوازها)^(٤) بالإضافة إلى شتتين وأشبيلية وأحوازها^(٥) وقرطبة وأحوازها^(٦) وجيان^(٧) وأحوازها وغرناطة وأحوازها وتشتمل على وادى آش وبسطة والمنكب، والمرية وأحوازها^(٨) وبلنسية والجزيرة^(٩) والجزائر الشرقية قبل أن يستقل بها بنو غانية^(١٠) ومرسية وأعمالها^(١١).

(١) ابن الكردبوس: المصدر السابق ص ١١٢ تعليق ٢.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ٨ تعليق ٢.

(٣) ابن الكردبوس: المصدر السابق: ص ١١٤ تعليق ١ ابن القطان: نظم الجمان ص ٩ تعليق (١).

(٤) ابن أبى زرغ: الأنيس المطرب: طبعة أوبسالة ص ١٩٥، ص ١٩٨، ص ٢١٤، انظر عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين قسم ٢ ص ٦٤١.

(٥) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة: ص ٣٠١، ص ٣٠٤، تحقيق عبد الهادى التارى الجمهورية العراقية (سلسلة كتب التراث) سنة ١٩٧٩، النوبرى: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٠١، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٣١ وكان فتح أشبيلية وأحوازها وقرطبة وغرناطة على يد الشيخ أبى حفص عمر من أهل جماعة (الخمسين) انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٦٢، ص ٢٨٢، ص ٢٩٣.

(٦) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ٣٠٣، ابن أبى زرغ: الأنيس المطرب: ص ١٩١، المراكشى: المعجب: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) النوبرى: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٠٠، تحقيق حسين نصار.

(٨) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٣٠٤ (عن غرناطة وأعمالها انظر ص ١٤ من الرسالة، الاستقصا ج ٢ ص ١١١ طبعة سنة ١٩٥٢، المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣ ابن أبى زرغ: الأنيس المطرب: ص ١٩٦.

(٩) النوبرى: المصدر السابق ص ٣٠٩ (كانت مالقة أحياناً تضم إلى الجزيرة الخضراء) انظر المصدر السابق نفس الصفحة.

(١٠) النوبرى: المصدر السابق: ص ٣٠٩.

(١١) المراكشى: المصدر السابق: ص ٣٢١، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٣٨.

وقد سار الموحدون على نفس الخط الذى اتبعه أسلافهم المرابطون فى تولية أبناء الخلفاء وأقاربهم فى حكم أقاليم الدولة، غير أن هذا الإجراء سبقه تدبير من جانب الخليفة، فقد استعان الخليفة عبد المؤمن بن على فى بداية الأمر بأشياخ الموحدين من أصحاب المهدي والذين ينتمون إلى طبقات الموحدين فى ولاية أقاليم الدولة^(١) وفى ذلك يذكر النوبرى «ولقد سلك عبد المؤمن فى استعمالهم (أى أبنائه) من حسن السياسة وجميل التدبير طريقاً عجيباً يستدل به على جودة رأيه، ونوصله إلى المشهورين من أصحاب المهدي، فكان يتعذر عليه أن يعزلهم»^(٢)، فأنشأ مدرسة فى عاصمة مراکش ألحق فيها أبناءه وجمع فيها ثلاثة آلاف من قبائل المصامدة وغيرها من القبائل وزودهم بمختلف العلوم مع تعليمهم إدارة شئون البلاد وتدريبهم على فنون الحرب والقتال^(٣)، حتى إذا أتم هؤلاء الطلبة الحفاظ دراساتهم المتنوعة، بدأ عبد المؤمن الخطوة التالية فى إحلال هؤلاء الطلبة فى أماكن شيوخ الموحدين فى تولى السلطة على أقاليم الدولة^(٤)، مستنداً فى ذلك إلى كفاءة هؤلاء الطلبة فى حمل مسئولية إدارة الأقاليم قائلاً لأشياخ الموحدين «إنى أريد أن تكونوا عندى أستعين بكم على ما أنا بصده وتكون أولادكم فى أعمالكم»^(٥).

وقد قابل أشياخ الموحدين هذا الإجراء بالموافقة وذلك لأن أبناءهم كانوا ضمن هؤلاء الطلبة^(٦)، ثم اتخذ بعد ذلك الخطوة التى كان يرمى إليها وهى تولية أبنائه أقاليم الدولة وذلك حين دس بين أشياخ الموحدين من يلومهم على استمرار أبنائهم فى رئاسة ولايات الدولة وبقاء أبناء الخليفة بعيدين عنها، وما فى ذلك من أثر سيئ فى نفس الخليفة^(٧)،

(١) النوبرى: نهاية الأرب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٣، مخطوط، النوبرى: المصدر السابق ص ٣٠٨.

(٢) النوبرى: المصدر السابق ج ٢٤ ص ٣٠٨.

(٣) النوبرى: نفس المصدر: ج ٢٢ ص ٩٣ مخطوط، النوبرى: نفس المصدر ج ٢٤ ورقة ٣٠٨.

(2) J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim, p. 107

انظر أيضاً، الجيلالى: تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٢٩٥، أشياخ: تاريخ الأندلس ج ٢ ص ٥١، ص ٥٢.

(٤) النوبرى: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٠٨، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس: (عصر المرابطين والموحدين) القسم الأول: ص ٤٠٣.

(٥) النوبرى: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.

(٦) النوبرى: نفس المصدر: والجزء والصفحة، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ٥١.

(٧) النوبرى: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٠٨.

«فاستعمل أولادهم ثم وضع عليهم من يعتمد عليه منهم فقال لهم: إني أرى أمراً عظيماً قد فعلتموه فارقم فيه الحزم والأدب» فقالوا ما هو؟ قال: أولادكم في الأعمال وأولاد أمير المسلمين ليس إليهم شيء منها مع ما هم فيه من العلم وحسن السياسة^(١)، ومن ثم أسرع الأشياخ والحواء على عبد المؤمن في تعيين أبنائه وهو يتظاهر بالرفض، حتى أذعن في نهاية الأمر لمطالبهم وعين أبناء مكنانهم^(٢).

وهكذا استطاع عبد المؤمن بذكائه وحسن تدبيره تولية أبنائه وأقاربه أقاليم دولته المترامية الأطراف فولّى غرناطة وأعمالها ابنه عثمان بن عبد المؤمن ويكنى بأبي سعيد وكان من نبهاء أولاده ونجبائهم^(٣) كما ولّى مدينة أشبيلية وأعمالها ابنه يوسف بن عبد المؤمن^(٤).

وكانت مدينة أشبيلية مركز الحكومة الموحدية بالأندلس كما كان لكل ولاية أندلسية حكومتها المحلية، تضم إلى جانب الوالي الموحدى الوزير والكاتب وصاحب العمل والمشرف على الجباية هذا بالإضافة إلى المناصب الدينية من القضاء والشورى والخطبة والشرطة والحسبة التي كانت غالباً تسند إلى أهل الأندلس وكان بعض السادة من أبناء الخليفة أو إخوته يستخدمون في حكوماتهم المحلية أكابر كتاب الأندلس، فترى مثلاً السيد أبا سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن، حين تولى إقليم غرناطة يستخدم للكتابة الكاتب والشاعر الكبير أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى^(٥)، وكان هؤلاء العمال أو الولاة يسيرون وفق السياسة التي يرسمها لهم الخليفة الموحدى ويستدل على ذلك من الرسالة الصادرة من الخليفة عبد المؤمن بن على والموجهة لولاة أقاليم الأندلس لتكون دستوراً لهم ولغيرهم من ولاة الأقاليم وقد صدرت هذه الرسالة من تينمل أثناء زيارة الخليفة الموحدى عبد المؤمن ابن على قبر المهدى فى سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨) (٦).

(١) النوبرى: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٥١.

(٢) النوبرى: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٠٩، ابن الأثير: الكامل: ج ٩ ص ٥١.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣.

(٤) المراكشى: المصدر السابق، نفس الصفحة «وهو الذى ولى الأمور بعد أبيه» المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٢٢٤ ط ١٩٥٦، ط ١٩٧٣، ص ٢١٧.

(٦) ابن القطان: نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى: ص ١٥٠ - ص ١٦٧ انظر نص الرسالة فى ملاحق الرسالة.

وقد تضمنت تلك الرسالة الأسس التي يجب أن يسير عليها ولاية الأقاليم في حكم أقاليمهم وهذه الأسس هي، وجوب التزام الدقة في تطبيق الأحكام الشرعية والكف عن اقتضاء أية مغارم أو مكوس لا تبيحها الشريعة^(١) «وقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغيرها ما رأيناه أنه أعظم الكبائر جرماً وإفكاً وأدناها إلى من تولاهما دماراً وهلكاً»^(٢) وكان لا يجوز تنفيذ حكم الامتثال قبل الرجوع إلى الخليفة ليصدر هو قراره في هذا الشأن^(٣).

وأنه يجب تحريم الخمر ومطاردتها في سائر أسحاء الدولة^(٤)، كذلك يجب حماية الأموال وخاصة أموال الدولة وصونها وعدم التصرف فيها^(٥).

وقد جرى الخلفاء الموحدون على سنة أسلافهم الأمراء المرابطين من نقل الولاية إما خوفاً من استبداد هؤلاء العمال واستقلالهم بمناطقهم، أو بسبب تغير القيادة العليا في البلاد وذلك بالوفاة وتولى آخر، وهذا ما حدث في الدولة الموحدية، فقد عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى تغيير الولاية في مدن الأندلس فأجرى بعض التعديلات كان بموجبها أن تولى أبناؤه الأربعة أقاليم الأندلس^(٦)، يقول ابن عذارى: «وفي يوم الجمعة الحادى والعشرين من شعبان سنة ٥٧٩هـ ولى أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بنيه الأربعين على قواعد بلاد الأندلس، صرف أبا إسحاق إلى أشيلية^(٧) واليا عليها كما كان أولاً، وولى أبا يحيى قرطبة برغبة أبي الوليد بن رشد وولى أبا الحرضاني غرناطة وولى أبا عبد الله مدينة^(٨) مرسية».

وهكذا كانت أقاليم الأندلس خاضعة للحكومة المرابطية ثم الموحدية وفق سياسة

(١) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٦.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٦.

(٣) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٩.

(٤) ابن القطان: نفس المصدر: ١٦١.

(٥) نفس المصدر: ١٦٧.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٥٥ تطوان القسم الموحدى.

(٧) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٣٠١، ص ٣٠٢، ص ٣٠٣.

(٨) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٥٥ طبعة تطوان.

منظمة، ومنذ عهد المرابطين وخلال عصر الموحدين ازدهر إقليم غرناطة كثيراً ونما نمواً سريعاً ولهذا له أهمية كبيرة بين أقاليم الأندلس وبرزت سماتة الخاصة وسوف يتضح لك في الصفحات التالية.

المدينة الرئيسية: غرناطة:

الأرياض:

غرناطة مدينة مستديرة الشكل تقع على سفح جبل شلير^(١)، وتمتد على ضفتي وادي شنيل ويشقها وادي حدره وهو فرع من شنيل^(٢)، ويذكر المؤرخ توروس بلباس غرناطة بأنها امتارت - شأنها شأن باقى المدن الأسبانية الإسلامية - بشوارعها الضيقة وميادينها القليلة الصغيرة^(٣)، واحتوت على أربعة أرياض كبرى هى: ريبض الفخارين وربض الأجل^(٤) وهو كثير القصور والبساتين^(٥) ويقع هذان الرضان على نهر شنيل^(٦) وربض الرملة^(٧) وهو فى جنوب المدينة وربض البيازين^(٨) وهو أكبر أرياض غرناطة ويقع فى شرق

(١) العمرى: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص ٣٤ القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٥
ابن الخطيب: اللوحة البدرية: فى الدولة النصرية: ص ٢٣، الإحاطة ج ١ ص ٩٦ سبق الإشارة إلى جبل شلير.

(٢) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ج ٢ ص ١٠٣، ص ١٠٥، العمرى: المصدر السابق نفس الصفحة، القلقشندي: المصدر السابق: ج ٥، نفس الصفحة، ابن الخطيب: اللوحة البدرية ص ٢٣، الإحاطة ج ١ ص ٩٦.

(٣) توروس بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية مجلة معهد الدراسات الإسلامية: مدريد، العدد الأول، السنة الأولى ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣، ص ٩٧.

(٤) العمرى: المصدر السابق: ص ٤١، القلقشندي: نفس المصدر: ج ٥ ص ٢١٤.

(٥) العمرى: نفس المصدر: ص ٤١، القلقشندي: نفس المصدر ج ٥ ص ٢١٤.

(٦) العمرى (وصف أفريقية) ص ٤١.

(٧) العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة، «يقع هذا الرض بحوار باب الرملة فى جنوب المدينة: انظر المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٨) العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة، القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٤، ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٣٨٧ «كان ريبض البياذين أهم أحياء غرناطة الإسلامية وما زال يقوم بها إلى الآن وهو يقع فى شمالها الشرقى فى مواجهة هضبة الحمراء، ابن الخطيب: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة هامش ١.

المدينة وفي هذا الرّبط ثلاثة أبواب ما زالت قائمة إلى الآن وهى: باب البيازين وباب نحص اللوز وباب الزيادة^(١)، وفي ربط البيازين هذا كان يوجد مسجد غرناطة الجامع ومسجد المرابطين وهو من أقدم مساجد غرناطة^(٢) وتميز هذا الرّبط بشوارعه الضيقة المتقاطعة وكثرة عمائه إذ يذكر العمرى أن هذا الرّبط كان كثير العمارة، مستقل بقضائه وحكامه^(٣).

وضمت غرناطة بالإضافة إلى هذه الأرباض أرباضاً أخرى أصغر مثل: ربط اليهود^(٤)، الذى هو أصل غرناطة^(٥) ويذكر عنان أن هذا الرّبط يقع بجوار الفخارين فى شرق المدينة^(٦)، وربط المظفر فى قصبة^(٧) غرناطة القديمة، أما ربط باديس وربط المرابطين فيقعان داخل قصبة غرناطة الجديدة، كما يوجد داخل ربط البيازين ثلاثة أرباض وهى ربط البيضاء، وربط الشارع وربط آسف، أما ربط زناتة فيقع بالقرب من باب سيدة أو الأسد^(٨).

الأسوار والأبواب:

وأول ما تلاحظه فى غرناطة الأسوار التى كانت تحيط بالمدينة وقد أشار ابن الخطيب إلى تلك الأسوار فى وصفه لغرناطة بقوله «ويحف بسور هذه المدينة المعصومة بدفاع الله

(١) انظر خريطة المستشرق: سيكودى لوثينا: عن غرناطة فى ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٥، انظر عنان الآثار الأندلسية الباقية ص ١٦٨.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٣٧، ص ١٧٢، ص ٤٦٥، ص ٥٦٦، انظر عنان: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، عنان: الآثار الأندلسية الباقية ص ١٦٨.

(٥) الحميرى: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٦) عنان: الآثار الأندلسية: ص ١٦٨، انظر موقع هذه الأرباض فى خريطة سيكودى لوثينا: عن غرناطة الإسلامية ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ٩٥.

(٧) القصبة أى القلعة: وهو استعمال أندلسى ذائع، وكانت القصبة الأندلسية تضم فى معظم الأحيان قصرًا للحاكم ومسجدًا للصلاة وثكنات للجند ويوجد حتى اليوم كثير من أطلال القصبات الأندلسية القديمة.

(٨) انظر مواقع هذه الأرباض فى خريطة سيكودى لوثينا: فى ملاحق الرسالة.

تعالى، البساتين العريضة المستخلصة، والأرواح المتلفة فيصير سورها من خلف ذلك كأنه سيد دون سياج كثيفة...»^(١).

ومنذ دخلت غرناطة فى طاعة المرابطين ومن بعدهم الموحديين، حرصوا على بناء الأسوار حول المدن الهامة فنالت غرناطة والمرية اهتمامهم فى هذه الناحية، وكذلك بعض المدن الأخرى^(٢) وقد شيدت هذه الأسوار بملاط^(٣) من مواد شديدة الصلابة، ويذكر مورينو أن أبراج هذه الأسوار قد دعمت بأبراج حصينة مربعة الشكل أو مستديرة الشكل، موزعة على مسافات غير متساوية وكانت قليلة البروز وما زالت محتفظة ببعض شرفاتها ومنافذ السهام^(٤).

الأبواب:

وكان للمدينة ثلاثة عشر باباً^(٥) هما باب البيرة وهو أضخم أبواب غرناطة ويقع فى

(١) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١١٥، اللوحة البديرة ص ٢٤.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٧٤ «فرض المرابطون على أهل الأندلس ضريبة سميت بالتعتيب وذلك لبناء أسوار المدن الأندلسية وتجديدها، وكانت غرناطة ضمن المدن التى اهتم المرابطون بتجديد أسوارها حيث» عمد واليها من قبل الأمير على بن يوسف بن تاشفين إلى تعتيب غرناطة وفرض المعتب أتاوة الدار على سائر أهلها واشتد فى تحصيل المال فأصلحت الأسوار فى أقرب وقت انظر ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤ ص ٧٧، ص ٨٥، كما تولى إصلاح أسوار المرية رجل من أهلها يسمى ابن العجمى: ولكنه استعمل الحزم والرافة والرفق معاً فأبدى الناس إقبالاً على أداء الأتاوة انظر ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ نفس الصفحات، عن اهتمام المرابطين ببناء الأسوار انظر ابن القطان: نظم ابن القطان: نظم الجمال ص ١٩١ سيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور ص ١٣٥.

(٣) «مزيج من الجير والرمل وقطع الحجارة الصغيرة (الدبيسة) وقد ذكر هذا الملاط فى كتاب ابن القوطية تحت اسم الأشة ماشة وهى تسمية لاتينية وورد ذكره فى بعض كتب التاريخ الأندلسى باسم طابية، ويعرف هذا الملاط فى العصر الحديث باسم المونة، انظر شرح الاصطلاح فى الفن الإسلامى فى أسبانيا لمورينو ص ٤٩٠، تميزت أسوار المرابطين بأنها كثيرة الزوايا الداخلية والخارجية حيث يتخذ السور شكلاً متعرجاً يساعد المدافعين على الفتك بأعدائهم، سيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور.

(٤) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا، ص ٣٠٢، ص ٣٠٥ ترجمة لطفى عبد البديع وعبد العزيز سالم لجنة - التأليف والترجمة.

(٥) العمري: وصف أفريقيا: ص ٤٠.

الجهة الشمالية من المدينة^(١) وقد بقي هيكله كاملاً ويرتفع هذا الباب نحو اثني عشر متراً، وليست عليه أية كتابة أو نقوش عربية^(٢)، وكان هذا الباب يخرج إلى مدينة البيرة وبها اشتهر^(٣) هذا بالإضافة إلى باب الكحل والرخاء وباب المرضى وباب المصرع^(٤) وباب الرملة وهو من أشهر أبواب غرناطة^(٥) وباب الدباغين وباب الطوابين^(٦) وباب الفخارين^(٧) وباب الخندق وباب الدفاف وباب البنود^(٨)، وهو باب ضخم ذو عقد مزدوج على شكل حدوة الفرس أحدهما خلف الآخر يتحرك بينهما مصراعاً البابين الخشبيين^(٩)، ويوجد هذا الباب بربض البيازين^(١٠) أما الباب الثالث عشر فهو باب الأسدر^(١١) أو باب البنيدة^(١٢) ويرجع هذا الباب إلى القرن الحادي عشر ويذكر مريو أن هذا الباب على صغر حجمه كان كبير الأهمية لتعذر دخول العدو منه في حالة الهجوم على المدينة^(١٣).

الدور والقصور:

دور العامة:

امتازت غرناطة - شأنها شأن باقي المدن الأندلسية - بشوارعها الضيقة الملتوية وأزقتها

-
- (١) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٠، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٤.
 (٢) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٠٧ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤ ص ٧٤، الحميري: الروض المعطار: ص ٢٣.
 (٣) العمرى: وصف إفريقية: ص ٤٠ هامش رقم ٢.
 (٤) العمرى: المصدر السابق: نفس الصفحة، القلقشندي: نفس المصدر، ج ٥ نفس الصفحة.
 (٥) العمرى: المصدر السابق: نفس الصفحة، القلقشندي: نفس المصدر، ج ٥ نفس الصفحة (ص ٢١٤).
 (٦) العمرى: نفس المصدر والصفحة، القلقشندي: نفس المصدر ج ٥ ص ٢١٤.
 (٧) وكان موقعه تجاه القرية المسماة بالفخار وهي من أطراف غرناطة الشمالية وتسمى اليوم.
 Al Facar ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٩٤ هامش رقم ٢.
 (٨) العمرى: نفس المصدر والصفحة: القلقشندي: نفس المصدر والصفحة.
 (٩) مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا ص ٣٠٥.
 (١٠) العمرى: نفس المصدر والصفحة.
 (١١) القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٤.
 (١٢) العمرى: (وصف إفريقية) ص ٤١.
 (١٣) مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا ص ٣٠٥.

المغلقة وميادينها القليلة^(١) ولا بد أنها خلت من الأبنية الكبيرة الفخمة^(٢) على اختلاف أنواعها بما فى ذلك المساجد الكبيرة والأضرحة الواسعة، ولا بد وأن ارتفاع مبانيها لم يتعد متراً ونصف المتر^(٣)، ويعلل المؤرخ توروس بلباس هذه الظاهرة بأنه كان يراعى فى بناء تلك الدور الناحية العملية فقط^(٤) ويتفق هذا رأى مع ما ذكره ابن عبدون فى كتاب الحسبة من أن المنازل ما هى إلا أردية تحمى النفس والروح والجسد وتحفظ المتاع^(٥) فمنازل مالقة برغم صغر حجمها كانت منعشة ذات رسوم بديعة^(٦)، ولم يكن بجدران المنازل سوى الأبواب والمداخل وكانت هذه الأبواب صغيرة وخالية تماماً من الزخرفة، كما كانت نوافذ المنازل قليلة ذات شيش خشبي^(٧)، كما كانت أبواب منازل غرناطة تقفل بضلفتين ومزلاج خشبي^(٨).

أما عن نظام المنزل وطابعه العام، فإنه لم يختلف عن نظام المنزل الإسلامى ذى الطراز المميز، فقد جرت العادة على أن يؤدى بابه إلى دهليز يتناسب عادة مع حجم المنزل ويفضى هذا الدهليز إلى صحن المنزل الذى تلتف حوله الغرف، وكان صحن المنزل يمثل جزءاً هاماً فى كل منزل باستثناء المنازل التى كانت تقع خارج المدن أو فى أماكن منعزلة

(١) توروس بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد، العدد الأول السنة الأولى سنة ١٩٥٣ م / ١٣٧٣ هـ ص ٩٧ ترجمة عليّة إبراهيم، «تعددت أنواع المنازل بأسبانيا الإسلامية وتنوعت وذلك بحسب الأحوال التى كانت تنفق عليها، وبحسب الأغراض التى بنيت من أجلها، هذا كما أدخلت عليها تعديلات كثيرة خلال القرون الثمانية للحكم الإسلامى» انظر المرجع السابق ص ١٢٢.

(٢) بخلاف القصور التى كانت تبنى للأمراء والحكام فقد نالها الاهتمام أكثر من دور العامة فقد امتازت مباني المرابطين بالفخامة والقوة والانتساع مع الإقلال من الزخرفة انظر حسين مؤنس: تطور العمارة الإسلامية فى الأندلس ص ٢١٦، جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥٦.

(٣) توروس بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ٩٧ يذكر بلباس أنه يوجد فى قصبة غرناطة أسس لتسعة منازل وكل واحدة منها لا يشغل أكثر من خمسين متراً انظر المرجع السابق ص ١٢٣.

(٤) بلباس: المرجع السابق: ص ٩٧.

(٥) ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية نشر لطفى بروفنسال سنة ١٩٥٥ ص ٣٤.

(٦) بلباس: نفس المرجع: ص ١٢٣.

(٧) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١٢٤.

(٨) بلباس المرجع السابق: ص ١٢٧.

عنها، وتكمن أهمية هذا الصحن فى أنه المكان الذى تقوم فيه المرأة بأعمالها المنزلية ويقضى فيه سكان المنزل جانباً كبيراً من أوقاتهم ويمارسون فيه حياتهم العائلية كما أنه كان مراحاً للأطفال^(١)، وبدأ ظهور الصحن فى منازل الأندلس عامة منذ عصر المرابطين حتى غدا طابعاً عاماً فى كل منازل الأندلس، وكان الصحن يتخذ على شكل المستطيل الذى تقع حوله غرف المنزل أى أن هذا الصحن يفضى إلى كل غرف المنزل^(٢)، ويتوسط صحن المنزل فى كل البيوت بركة ماء^(٣) - حتى تلك المنازل قليلة المياه - والغرض من هذه البركة هو تلطيف جو المنزل وإضفاء مسحة من الجمال على المنزل كله، فضلاً عن أنها كانت وعاءاً كبيراً لحفظ الماء اللازم للحياة المنزلية^(٤)، وكانت المنازل ذات الطابقين تحتوى على سلالم خشبية ضيقة ذات درجات غاية فى الارتفاع، وكان سقف الطابق العلوى منخفضاً بعض الشيء، ويضم هذا الطابق الغرف المخصصة للنساء والحياة الخاصة وينفذ إليها الضوء والهواء عن طريق منافذ تطل على الصحن حيث لا تصل أعين الفضوليين من الجيران^(٥)، وكانت السلالم من الخشب وتثبت بمسامير^(٦).

ولقد خضعت الدور لرقابة المحتسب طوال فترة بنائها كما خضع العمال والبناءون لرقابة المحتسب^(٧) وكانت المواد المستخدمة فى البناء هى كتل الآجر^(٨) وكان يجرى الاهتمام بتوفير الأعداد المناسبة فيها بما يتناسب وسمك الحائط المراد بناؤها^(٩)، كذلك استخدم الرخام فى بناء الدور حيث توفرت مقاطعه فى غرناطة^(١٠)، وقد استخدمه

(١) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١٢٧.

(٢) بلباس: المرجع السابق: ص ١٢٨.

(٣) عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب جزءان الدار البيضاء ج ١ ص ١٣.

(٤) بلباس: المرجع السابق: ص ١٢٧.

(٥) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية ص ١٢٧.

(٦) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٣٦.

(٧) ابن عبدون: المصدر السابق، ص ٤٤، ص ٣٦.

(٨) وهى قوالب من الطوب كانت تستعمل للبناء ولتسقيف الهيكل المسمن للبناء، مورينو: الفن

الإسلامى: فى أسبانيا ص ٤٩٦.

(٩) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٣٤.

(١٠) ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣.

الغرناطيون فى كثير من أعمالهم التجميلية فى بناء الدور وإن كان قطعه ونقله يكلف الكثير (١).

وتفاوتت تبعاً لذلك أسعار الدور بحسب موقعها وحجمها وطريقة بنائها، فكان كراء الدار فى المرية ثلاثة دنانير شهرياً (٢) ونسبت الدور أحياناً إلى مالكيها كما هى الحال فى الدار المنسوبة إلى خلف والدار المنسوبة لابن جزى (٣).

القصور: قصور الخاصة:

وإلى جانب الدور والمنازل التى سكنتها العامة كانت توجد القصور الفخمة والعمائر العظيمة التى حفلت بها غرناطة، ومن أهم هذه القصور: قصر بنى زبرى: وهى دار ضخمة بناها بنو زبرى الصنهاجيون عند امتلاك غرناطة أواسط القرن الخامس للهجرة (٤)، (الحادى عشر الميلادى) وتشرف هذه الدار على المنظر العام لسهل غرناطة (٥) وقد بنى فى هذه الدار برج متوج بشكل برونزى على نحو دوائر للهواء تصور ديكاً يمتطيه محارب يحمل رمحه ودرقته ويدور مع الريح (٦) وهو يرمز إلى أن من يحكم البلاد فعليه أن يكون حذراً كالديك ويقبل بوجهه ولا يوليه ظهره وكان يسمى فى القرن السادس عشر ببيت الديك (٧) أو دار الديك.

وقد شيدت هذه الدار من ملاط شديد الصلابة (٨)، يدل على ذلك بعض القطع الحجرية المتبقية فى القصر.

- (١) المقرئ: نفح الطيب: ج ٢ ص ٩٢، ط ١ سنة ١٩٤٩ م.
- (٢) المقرئ: المصدر السابق: ج ١ ص ٢٠٠، ص ٢٠١، ط دار صادر بيروت سنة ١٩٦٨ م.
- (٣) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٢٥.
- (٤) العمرى: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص ٤٠ انظر المقرئ: نفح الطيب: ج ١: ص ١٩٦.
- (٥) انظر العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٠ عن وصف القصر انظر مورينو: المرجع السابق: ص ٣٠٦، ص ٣٠٧ «ولم يكتشف باقى القصور إلى الآن وتقام الآن بعض الحفريات للعثور على بقايا القصر» انظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ص ٣١١ هامش رقم ١ تحقيق عبد الهادى التازى العراق سنة ١٩٧٩.
- (٦) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٠ هامش رقم ١.
- (٧) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٠ هامش رقم ١.
- (٨) مورينو: المرجع السابق: ص ٣٠٦، ص ٣٠٧.

قصر شنيل:

ويسمى قصر السيد ويقع خارج غرناطة على الضفة اليسرى لنهر شنيل^(١) ويرجع تاريخ بنائه إلى الأمير الموحدى أبى إسحاق ابن الخليفة أبى يعقوب يوسف (٦١٥هـ سنة ١٢١٨م)^(٢) وهو عبارة عن بناء يشتمل على باب عربى ذى عقود^(٣) رائعة وبكل جانب منه عقدان ويؤدى الباب بالداخل إلى فناء مربع الشكل به أربعة عقود رائعة بكل جانب عقدان وللقرص قبة يبلغ ارتفاعها اثني عشر متراً^(٤) تكسوها المقرنصات^(٥) الرائعة، هذا ولم يتبق من القصر الآن سوى البقايا التى بها النقوش والزخارف المذكورة، كما يوجد فى غرناطة قصران آخران من عصر الموحدين، هما قصر نجد والدار البيضاء، وينسب هذا القصران إلى الخليفة أبى مالك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن^(٦).

المتنزهات:

كما انتشرت فى غرناطة وأقاليمها المتنزهات والحدائق التى اتخذها الناس مكاناً للترفيه والترويح عن النفس ومن أشهر متنزهات غرناطة فحصها^(٧) المعروف بمرج غرناطة، وهو

-
- (١) ما زال هذا القصر باقياً إلى الآن كأحد آثار غرناطة الهامة.
- (٢) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١١٩ هامش ٣، ص ١٢٧، ص ٣١٦، ص ٥٢٣، مجهول: الحلل الموشية ص ١٢٦ تحقيق عبد القادر زمامة طبعة تونس.
- (٣) العقود: جمع عقد وهو عبارة عن قوس من البناء مؤلف من قطع حجرية ملتصقة فيما بينها على أشكال مختلفة، انظر شرح الاصطلاح فى مورينو المرجع السابق (شرح الاصطلاح) ص ٤٨٩.
- (٤) عن قصر شنيل: انظر محمد كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة ص ١٨٣، ص ١٨٤، ج ١ سنة ١٩٦٩ م، انظر أيضاً حسين مؤنس: الآثار الإسلامية فى غرناطة ص ٨٢ مجلة ٨٢ العرب العدد ٨٩ أبريل سنة ١٩٦٢ م، عنان: الآثار الأندلسية: ص ١٧٦.
- (٥) المقرنصات: نوع من الزخارف تشبه عش النمل بين جوفاتها الصغيرة دلايات منشورية الشكل انظر مورينو: المرجع السابق: ص ٤٨٨.
- (٦) مجهول: الحلل الموشية: ص ١٦٢، تحقيق عبد القادر زمامة.
- (٧) قال «يقولون يوجد من أرض الأندلس، مواضع تسمى الفحص وسألت بعض أهل الأندلس ما يعنون به؟ فقال كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع نسميه فحص ثم صار عتماً لعدة مواضع» ابن الخطيب: اللوحة البدرية: ص ٢٨، هامش رقم ١.

بساط أخضر تشرف عليه المدينة من الجنوب الشرقى ، وكان من أنضر وأبدع بقاع الأندلس الخضراء بمزارعه اليانعة وحدائقه الغناء ولذا صار متنزها للناس لا سيما فى ليالى الصيف^(١).

عين الدمع:

وهى بقعة من ضواحي غرناطة كانت أيام المسلمين متنزها بديعا تغطيها المروج والحدائق الغناء ويبدو من وصف ابن الخطيب لها أنها كانت قريبة من سفح جبل الفخار وكانت تسمى عندئذ بعين الدمعة ، ويشغل موقعها سطح تلال البيازين^(٢) ، كذلك كان من بين متنزهات غرناطة المشهورة حوز مؤمل^(٣) واللشنة والزاوية والمشايخ^(٤).

متنزهات نهر شنيل:

وهو النهر الذى تقع عليه غرناطة ويسمى أيضا عند الأندلسيين بنهر سنجيل ، وشنيل هو أحد فروع نهر الوادى الكبير وكان لأهل غرناطة شغف وولع بالجلوس على ضفافه ، حيث يقضون الأمسيات فى أنس وسمر وخاصة فى فصل الربيع والصيف وبلغ من حبهم لهذا أن فضلوه على النيل ولهذا فقد أضافوا حرف الشين إلى حروف النيل فأصبحت تعنى ألف نيل (شنيل) فكانهم قدروه: بألف نيل^(٥).

ولم تكن مدينة غرناطة تضم فقط الحدائق والمنتزهات بل حفلت بعض مدنها وأعمالها أيضا بالمنتزهات البديعة والحدائق الغناء ، فكان يوجد بمدينة المرية بعض المتنزهات والمنى الخضراء ومن أجمل هذه المتنزهات منى عبدوس ، ومنى غسان ، والنجاد وبركة الصفر ، وعينو النطية^(٦).

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٩ هامش (١)، المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٦٤ ، سنة ١٩٤٩.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٢١ هامش رقم ٤ انظر

Simonet, Description de p.69.

Gayngos: The History of the Mohammedan dynasties in Spain I.p. 351Note 86

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢١٤ ، ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١١٧ .

(٤) ابن سعيد: المغرب، ج ٢ ص ١٠٣ ، عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، نفس الصفحة .

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١١٨ ، ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ١٠٣ .

(٦) ابن سعيد المغرب: ج ٢ ص ١٩٤ .

وإلى جانب المتنزعات العامة وجدت أيضاً المتنزعات الخاصة وهى الحدائق والبساتين الخاصة ببعض الأفراد والتي كانت ملجأ ومرتعاً لأصحابها يتنزهون فيها ويمرحون فيها، ومن هذه المتنزعات جنة^(١) فدان عصام^(٢) والجنة المنسوبة إلى قداح بن سحنون^(٣) والجنة المنسوبة لابن المؤذن^(٤) والجنة المنسوبة لابن كامل^(٥) وجنة ابن عمران^(٦).

المساجد:

يعتبر المسجد من أهم العمائر فى المدن الإسلامية عامة، خاصة وأن دولة المرابطين ودولة الموحيدين قد قامت على أساس دعوتين دينيتين، دعوة ابن ياسين ودعوة ابن تومرت، ولهذا فقد أبدوا اهتماماً كبيراً ببناء المساجد وتجديدها وتعميرها باعتبارها مراكز الإشعاع الفكرى والدينى للدعوتين المرابطية والموحدية، ولذا فقد أصبح بحكم أهميته الدينية والتعليمية^(٧) وإسهامه فى إثراء الحياة الفكرية من أهم المعالم الإسلامية.

وتفاوتت سعته بحسب عدد سكان المنطقة^(٨) أو المدينة التى أقيم فيها، فمسجد غرناطة الأكبر كان يحتوى على أحد عشر رواقاً شيده بنو زيرى وأبدوا اهتماماً كبيراً بعمارته^(٩)، أما مسجد البيازين فكان به تسع أروقة كذلك كان مسجد المرية يضم سبعة

(١) الجنة هنا بمعنى الحديقة أو البستان وهو اصطلاح ذائع فى اللغة الغرناطية انظر هامش الإحاطة ج ١ ص ١١٦ هامش ٣.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١١٦.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١١٦.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ نفس الصفحة.

(٦) ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ نفس الصفحة.

(٧) كان المسجد فى البلاد الأندلسية يمثل أيضاً مركزاً للعلوم والمعارف يتلقى فيه الطلبة دروسهم على أيدى العلماء، إذ لم تكن هناك مدارس مخصصة لتلقى العلم فأصبحت المساجد بمثابة مدارس يتلقى فيها الطلاب الدروس من أساتذتهم، وكان يجرى فيها قراءة العلوم والمعارف على الطلاب نظير أجر معلوم يدفعه الطلاب لأساتذتهم انظر المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ٢٠٥ ط سنة ١٩٦٧، تحقيق إحسان عباس.

(٨) بلباس: الأبنية الأسبانية ص ٩٩.

(٩) ابن خلدون: العبر ج ١٨٦.

أروقة وذلك بعد توسيعه وزيادة مساحته، أما مسجد مالقة الجامع فكان يضم خمسة أروقة^(١).

ويعتبر مسجد مدينة البيرة من أقدم المساجد في إقليم غرناطة فقد شيده التابعي حنش ابن عبد الله الصنعاني الذي توفي سنة (١٠٠هـ / ٧١٨م - ٧١٩م)^(٢)، والذي لم يكمل بناؤه نظراً لقلّة عدد المسلمين الذين كانت تضمهم المدينة حينئذ^(٣)، حتى إذا كانت سنة (٢٥٠هـ / ٨٦٤م) أي بعد نحو قرن ونصف من الزمان أتم بناء الأمير محمد بن عبد الله^(٤)، كذلك شيد الفقيه المحدث معاوية بن صالح الحمصي مسجداً في قصبة مالقة^(٥) ثم ما لبث المرابطون أن أدخلوا في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي تجديدًا هامًا في بناء المساجد الأندلسية وهو استخدام أكتاف من الطوب الأحمر لتركز عليها العقود بدلاً من الأعمدة الحجرية أو الرخامية التي كانت تستخدم في ذلك الوقت^(٦)، ومع هذا فقد اشتهر الغرناطيون بكثرة استخدام الرخام في بناء المساجد كما هو واضح في مسجد البيارين^(٧).

ويصف الفلقشندي مسجد غرناطة الجامع بقوله «وجامعها من أبدع الجوامع وأحسنها

(١) الحميري: الروض المعطار: ص ١٧٨، بلباس: نفس المرجع ص ١٠٣، عن المساجد الإسلامية في المغرب والأندلس: انظر: Elie Lambert: les Mosques de Type andalou en Espagne et en Afrique du Nord (Al Andalus, Xiv 1999 p.p 73 286)

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٢، الحميري: الروض المعطار: ص ٢٩ «وهو حنش بن عبد الله الصنعاني أحد التابعين الداخلين إلى الأندلس، روى عن علي بن أبي طالب وقضالة بن عبيد» انظر المراكشي، المعجب: ص ٣٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٢، بلباس: ص ٩٩.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٢ ص ٤٨ «التعبير هنا عن أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم توفي سنة ٢٧٣ هـ وأمّه أم ولد اسمها تهتر فاتصلت ولايته إلى أن توفي في العام المذكور وكان مولده سنة ٢٠٧ هـ» انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٢، المراكشي:

المعجب: ص ٤٩ Levi - Provençal, La Peninsula Iberique au moyen age.

(٥) الحميري: المصدر السابق: ص ١٧٨: كان الأمير عبد الرحمن الأول قد عينه قاضياً ثم توفي بالأندلس سنة ١٥٨ هـ - ٧٧٤ م / ٧٧٥ م انظر ابن عذارى البيان المغرب: ج ٢ ص ٤٨.

(٦) بلباس: المرجع السابق: ص ١٠١.

(٧) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١١٠.

منظراً وهو محكم البناء لا يلاصقه بناء، تحف به دكاكين الشهود والعطارين، وقد قام سقفه على أعمدة حسان والماء يجرى داخله»^(١).

وانفردت صحنون المساجد الأندلسية بمسحة من الجمال فى عمارتها بالجنان وحدائق الفاكهة، فيذكر العمرى فى كتابه مسالك الأبصار: أن صحن المسجد الأكبر بمالقة كانت به أشجار برتقال ونخيل^(٢).

كذلك كان مسجد المرية الجامع له حديقة كبيرة مربعة الشكل بها أشجار وأنواع أخرى من الأشجار ورصفت أرضيتها بقطع رخامية وتتوسطها نافورة، كما كان فى وسط صحن مسجد وادى آش حديقة جميلة ونافورة استخدمت للوضوء، وكان مسجد البيازين الأكبر ذا حديقة بديعة بها أشجار الليمون^(٣).

ولقد أدرك النصارى دور المسجد وأهميته بالنسبة للمسلمين، فعندما كانت المدن الأندلسية تسقط فى أيديهم كانوا يعمدون إلى الدخول إلى المسجد ويحلون قبلته^(٤) ويجعلون مثذنته برجاً لكنيسة، ويذكر بلباس أنه ما زالت بعض المآذن باقية فى أسبانيا بسبب تحويلها إلى أبراج للكنائس^(٥).

مثل المثذنة الغرناطية التى صارت برجاً لأجراس كنيسة سان خوسية^(٦)، كذلك كانت مثذنة مسجد المرابطين فى حى البيازين^(٧) وكان هذا المسجد من أقدم مساجد غرناطة.

أما مسجد غرناطة الجامع فقد تحول هو أيضاً إلى كنيسة سان سلفادور وما زالت بعض

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٤.

(٢) العمرى: مسالك الأبصار (وصف إفريقية) ص ٤٧، ص ٤٨.

(٣) العمرى: مسالك الأبصار: وصف إفريقية ص ٤٧.

(٤) عنان: الآثار الأندلسية ص ١٦٨.

(٥) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١٠٥.

(٦) عنان: الآثار الأندلسية ص ١٦٨، بلباس: نفس المرجع: ص ١٠٥ ويذكر بلباس أنه أزاح بنفسه -

منذ ٢٢ سنة من تأليفه كتابه الأبنية الإسلامية الأسبانية - الغطاء الذى كان يغطى جدران المثذنة

الحجرية والذى كان يخفى عمارتها الموحدية ولذا بعد مرور قرون عديدة من أن تسترجع طابعها

الأول انظر المرجع السابق ص ١٠٦.

(٧) عنان: المرجع السابق: نفس الصفحة.

أسواره باقية وكذلك عدد من بوائكه وجزء من صحنه^(١)، ويقع هذا المسجد أيضاً بربض البيازين، كذلك حول النصارى مسجداً آخر يقع فى نفس الربض إلى كنيسة خوان دى لوس رس وهو من العصر الموحدى^(٢)، هذا وقد خضعت المساجد لرقابة المحتسب فكان عليه أن يتفقد أفنية المساجد حتى يتأكد من طهارتها ونظافتها^(٣)، ومن الذين تولوا القضاء فى مسجد غرناطة الأكبر الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربى من أهل غرناطة، برع فى علوم القرآن والسنة وتولى القضاء بغرناطة والمرية، كان مولده سنة ٤١٨ هـ وتوفى سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧^(٤).

الحمامات:

كان للحمام أهمية كبرى فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس فقد كانت عادة الاستحمام متأصلة فى نفوس الأندلسيين، فكانوا يبالغون فى العناية بنظافة أبدانهم وثيابهم ويكثر من الاستحمام، وفيهم من لا يكون عنده قوت يومه، فيطويه صائماً ويتنازع صابوناً يغسل به ثيابه^(٥).

وإن كان المؤلف أن يستعمل الجنسان نفس الحمامات^(٦) وفى هذه الحالة أوصى ابن عبدون بأن لا يجلس متقبل الحمام للنساء فإن الحمام موضع عورة^(٧)، ولهذا يجب أن تكون متقبلة الحمام امرأة وذلك فى المواعيد المخصصة للنساء^(٨).

هذا وقد خضعت الحمامات لرقابة المحتسب فيرى ابن عبدون أنه يجب أن تكون

(١) عنان: المرجع السابق: ص ١٦٨.

(٢) عنان: المرجع السابق: ص ١٦٩.

(٣) الجرسقى: ثلاث رسائل أندلسية ص ١٢١.

(٤) الضبى: بغية الملتمس: ترجمة ١١٠٣ المكتبة الأندلسية، ابن بشكوال الصلة رقم ٨٢٩،

المغرب: فى أشعار أهل المغرب، لابن دحية: ص ٩١.

(٥) المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ٢٠٨ ط القاهرة تحقيق محيى الدين عبد الحميد سنة ١٩٤٩ م.

(٦) بلباس: نفس المرجع: ص ١١٥.

(٧) ابن عبدون: رسالة فى أدب الحسبة والمحتسب، ص ٤٨.

(٨) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤٨.

صهاريج الحمامات مغطاة، منعاً للتلوث لأنها لو كانت مكشوفة لم تؤمن نجاستها، فهو موضع طهارة^(١).

وحرصاً على نظافة الحمام كان المحتسب يأمر أصحاب الخدمة بالحمامات بأن يبيتوا محاكمهم التي يحكون بها أرجل الناس في الملح والماء كل ليلة لثلاثا تكتسب الروائح ويفسلون مثازرهم كل عشية بالصابون^(٢) كذلك أوصى الجرسفى بالحرص على نظافة الحمام وستر العورة فيه^(٣) كما أوصى ابن عبدون بأنه لا يجب أن يحك جسم مسلم نصرانياً أو يهودياً^(٤)، وأوصى ابن عبدون بالألا يمشى الطيبان ولا الحكاك ولا الحجام في الحمام إلا بالتبان والسراويلات^(٥)، وكثرت الحمامات في غرناطة كما سبق أن ذكرنا ومن أشهرها حمام التاج الواقع بالقرب من نهر حدره وحمام فحص اللور أو حمام عشار ويسمى أيضاً الحمام الصغير وهذا الحمام من الأبنية الهامة في القرن الحادى عشر الميلادى وهو يقع فى جادة نهر حدره وهو سليم إلى حد كبير لأنه يتفق مع ذلك النوع من الأبنية التي تقوم على خصائص معمارية خاصة بذلك القرن^(٦).

ويتقدم الحمام بهو تتوسطه بركة وبعض الممرات وربما مرحاض فى؟ وبابان عليهما عقد أقل من نصف دائرة، أحدهما للصعود إلى السطوح والآخر يفضى إلى الغرفة الأولى لخلع الملابس والتي كانت تسمى بيت المسلح تتلوها غرفة أخرى يطلق عليها اسم «البارد» وتقابل كلمة (Tepidarium) وفي الحمامات الرومانية وهي مستطيلة وفي طرفيها حاجزان من البناء يؤلفهما عقدان على شكل حدوة الفرس فوق أعمدة لم يحفظ منها شيء يلى ذلك «البيت الأوسط» ويقابل البارد ثلاث ممرات فيها عقود على شكل حدوة الفرس وبهذه الممرات قبوات نصف اسطوانية فيها طاقات تجلب الضوء، وتؤدي هذه الممرات إلى البيت الساخن^(٧).

(١) ابن عبدون: المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٢) السقطى: فى آداب الحسبة ص ٦٧.

(٣) الجرسفى: رسالة فى الحسبة ص ١٢١.

(٤) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤٨.

(٥) ابن عبدون: نفس المصدر والصفحة.

(٦) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا: ص ٣٠٩.

(٧) مورينو: الفن الإسلامى: فى أسبانيا ص ٣٠٩.

كذلك توجد غرفتان صغيرتان بهما أحواض الاستحمام المغطس^(١)، وهذه الحجرات لها أسقف على هيئة قبة نصف اسطوانى وفيها فتحت فتحات صغيرة ينفذ منها الضوء^(٢).

وجدران هذا الحمام مبنية من ملاط شديد الصلابة، أما الحواجز والعقود والقباب فمن الآجر مع ملاط من الجير^(٣).

حمام اليهود فى بسطة:

كذلك كانت توجد حمامات خاصة بالنصارى واليهود وكانت فى مدينة بسطة إحدى مدن إقليم غرناطة حمام يشبه الحمام الموجود فى غرناطة ولكنه أقدم منه عهداً، ويحتفظ هذا الحمام ببيوته الثلاثة: بيت الماء البارد وبيت الماء الفاتر وبيت الماء الساخن، وعقود هذا الحمام على شكل حدوة الفرس^(٤)، كما يوجد حمام ثالث فى قصبة المرية وهو مؤلف من خمس غرف فى صف واحد فى اثنتين منها حواجز جانبية من البناء وبالعنفة الأخيرة أنابيب التسخين والمداخن المعروفة الممتدة فى الجدران، وعقود هذا الحمام من الآجر أيضاً^(٥).

المقابر:

أما المقابر فكانت تقع خارج المدينة بجوار باب البيرة^(٦) وتسمى جبانة باب البيرة. كما وجدت عدة مقابر أخرى فى غرناطة منها مقابر بجوار باب الفخارين^(٧) فى أطراف غرناطة الشمالية، وكذلك مقبرة تسمى مقبرة النخيل وتقع خارج المدينة ويبدو أنها كانت

(١) مورينو: المرجع السابق: ص ٣١٠ عن نظام الحمام انظر زكى محمد حسن: فنون الإسلام ١٢٠.

(٢) زكى محمد حسن: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) مورينو: نفس المرجع والصفحة.

(٤) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا ص ٣١٦.

(٥) مورينو: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٦) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة ج ١ ص ٩٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ابن الخطيب: الإحاطة.

(٧) ابن الخطيب: المصدر السابق، ج ١ ص ١٩٤، باب الفخارين أحد أبواب غرناطة وقد سبق التعريف به انظر ص.

مخصصة لدفن الفقهاء والعلماء^(١) كذلك وجدت بغرناطة مقبرة أخرى تسمى مقبرة السيكة^(٢).

أما مدينة المرية فقد حوت أيضاً عدداً من المقابر التي اتخذت خارج أبواب المدينة ومن أشهر هذه المقابر مقبرة باب بجانة^(٣) كذلك مالقة كان يوجد بها عدد من المقابر منها باب قبالة وهي تقع خارج الباب على مقربة من رابعة بنى عمار^(٤).

وغلبيت البساطة والاعتدال على مآتم الاندلسيين بعد تشييع موتاهم إلى مشواهم الأخير، ولكن ذلك لم يمنع الناس من الحزن على أحبائهم وذوهم خاصة إذا كان المتوفى له مكانة اجتماعية كالعلماء والفقهاء والناهبين، فيروى ابن الخطيب ما أصاب الناس من حزن على الفقيه أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن المعروف بابن القصب حين توفي بغرناطة «وكانت جنازته بالغلة أقصى آيات الاحتفال ففر لها الناس من كل صوب واحتمل طلبة العلم نعشه على رؤوسهم... وتبعه ثناء جميل وجزع كبير»^(٥).

وجرت العادة على حفر القبر الذى يوارى الميت فيه بحيث يعمق فى الأرض حتى لا تفوح رائحة الموتى ولا تتمكن السباع والكلاب من نبشهم^(٦)، وكانت المقابر تحفر عادة فى الأماكن المتماسكة من الأرض حتى لا تنهار^(٧)، وكان الناس يفضلون دفن موتاهم فى مقابر بعيدة عن سكنهم، ولذلك كانت المقابر تقع خارج المدن وفى بعض الأحيان خصصت مقابر لبعض العائلات ونسبت إليها: مثل مقبرة الشيخ الزاهد أبى العباس بن مكنون^(٨)، كذلك كان بعض الناس يكتبون على مقابرهم اسم المتوفى وتاريخ وفاته مع بعض الآيات القرآنية وتحفر على لوح من الرخام يوضع على المقبرة^(٩)، وكانت شواهد

(١) ابن الأبار: التكملة ج ٢ ص ٥١٠.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٥٥٤.

(٣) ابن الأبار: نفس المصدر: ج ١ ص ٨٤.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٦٦.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٩٢، ص ١٩٣.

(٦) السقطي: فى آداب الحسبة ص ٦٨.

(٧) الطرطوشى: الحوادث والبدع: تحقيق محمد الطالبي، تونس ١٩٥٩ م ص ١٥٧.

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة: المصدر السابق: ج ١ ص ٢٠٣.

(٩) ابن الأبار: التكملة: ج ١ ص ٨٣، ص ٨٤، ابن بشكوال: الصلة: ص ٥٢٧، ص ٥٢٨.

القبور آثاراً هامة على مر العصور، وجرى بناء المقابر فى الأندلس من الحجارة أحياناً إذ كان بعض الناس يبنون مقاماً صغيراً فوق اللحد، وكانوا يبنون فى بعض الأحيان دوراً فى هذه المقابر للمبيت فيها، ولذلك يرى ابن عبدون أن هدم دور المقبرة أولى الأشياء بالأعتاب^(١).

ومن كان يموت بعيداً عن غرناطة كان جسده يحمل ليدفن بها وذلك لجمع الموتى من الأسرة الواحدة فى مقبرة واحدة، ومن أمثلة ذلك الفقيه محمد بن عبد الرحيم بن محمد ابن الفرج من أهل غرناطة وتوفى بأشبيلية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م وحمل جسده إلى غرناطة ليدفن بها^(٢).

هذا وقد اشتغل بعض الفقهاء بتغسيل الموتى^(٣) ولم يجدوا غضاضة فى ذلك، ولقد خضعت المقابر أيضاً لرقابة المحتسب، وكانت هناك تقاليد وآداب للمقابر فطالب المحتسبون الناس بالتزام قواعد وآداب المقابر لما لها من حرمة وقُدسية، فقد حرص ابن عبدون على التشدد فى مراقبة المقابر والطرق المؤدية إليها ومنع الباعة المتجولين والشبان من التعرض للنساء فى الطريق^(٤)، وكذلك كان إخلاء المقابر من الباعة لأنهم كانوا يكشفون النساء^(٥)، ولذا كان يمنع الرجال من الجلوس فى أفنية المقابر خشية تعرضهم للنساء^(٦)، ويروى السقطى: أنه لا يجب أن يكون القارئ على الموتى شاباً عزباً بل تقرأ النساء للنساء فى المآتم وأن يقرأ عميان الرجال على حدة ومن وراء حجاب والنساء من حيث يسمعن^(٧)، ولقد حافظ المحتسبون على نظافة القبور فمنعوا بسط الأقدار فى أفنياتها مثل جلود الدباغين والرقاقين^(٨).

(١) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢٧، ص ٤٨.

(٢) ابن الأبار: التكملة ترجمة رقم ٧٥٠ ص ٢٢٩.

(٣) ابن أبى زيد: القيروانى: الرسالة، طبعة الجزائر سنة ١٩٦٨ م ص ١٠٤ - ص ١٠٨، فصل فى غسل الموتى وتكفينهم وتحيطهم.

(٤) ابن عبدون: ص ٢٧.

(٥) ابن عبدون: نفس المصدر والصفحة.

(٦) ابن عبدون: نفس المصدر والصفحة.

(٧) السقطى: فى أدب الحسبة ص ٦٨.

(٨) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢٧.

ويدعو السقطي إلى منع نواح النساء على المتوفى «يمنع النوائح أن يكن حاسرات كاشفات الوجوه» كذلك أوصى ابن يحيى بن عمر باتباع السنة النبوية في امتناع الناس عن البكاء والصراخ العالي على الميت^(١)، كما شدد على منع النساء في الخروج إلى المقابر للترحم على الأزواج والأولاد^(٢)، ويتشدد الجرسفى في منع النساء من اتباع الجنائز وزيارة القبور إلا مع زوج أو ذى محرم^(٣)، أما الطرطوشى فقد سمح بخروج النساء للجنائز إن كان الميت زوجاً أو أحد الأبوين^(٤) أو الأخوة، كذلك شدد ابن عبد الرؤوف في منع الضحك والتلهى عند الجنائز^(٥) ويكره المبيت في المقبرة والاجتماع في الأيام التالية للوفاة وفي مناسبات الشهر والسنة وإن ما يوقد فيها من الشموع والبخور فتبذير وإسراف^(٦) ويرى أن لا بأس من إرسال الطعام إلى أهل الميت وقد أمر بذلك النبي ﷺ^(٧) كنوع من الألفة بين الناس وبعضهم البعض.

ثم إن عامة أهل الأندلس كانوا يلبسون الملابس البيضاء حداداً على الميت ومظهراً من مظاهر الحزن^(٨).

القناطر:

أقام أهل غرناطة عدة قناطر على الأنهار الموجودة في غرناطة مثل نهر شليل ونهر حدرة وغيرها من الأنهار، ويوجد بغرناطة خمس قناطر، فيذكر العمرى في كتابه مسالك الأبصار ما نصه «وأما حدرة فينحدر من جبل بناحية وادى آش» شرقى شليل فيمر بين بساتين ومزارع وكرمات إلى أن ينتهى إلى غرناطة، فيدخلها على باب بشرقيها، يشق المدينة

(١) يحيى بن عمر: أحكام السوق ص ١٤٣.

(٢) يحيى بن عمر: نفسه ص ١٢٥.

(٣) الجرسفى: ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة - ص ١٢١.

(٤) الطرطوشى: الحوادث والبدع ص ١٦٣.

(٥) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل ص ٧٦.

(٦) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ٢٦٢.

(٧) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق: ص ٧٧.

(٨) المقرئ: نفح الطيب: ص ٤٠٤ ج ١ محيى الدين عبد الحميد ١٩٤٩.

نصفين، تطحن الأرحاء بداخلها وعليه بداخلها خمس: قنطرة ابن رشيق، وقنطرة القاضي، وقنطرة حمام جاش، والقنطرة الجديدة، وقنطرة العود^(١).

قنطرة القاضي:

وما زالت بعض آثارها باقية إلى اليوم وهي تقع على نهر حدرة أحد فروع نهر شنيل حيث تجمع بين القصبتين الحمراء^(٢) والقديمة^(٣)، وقد شيدت قنطرة القاضي هذه حوالي سنة (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م - ١٠٥٦م) وأن القاض الذي تنسب إليه هو علي بن ثوبة الذي تولى القضاء لباديس بن حبوس والذي على يديه عمل منبر جامعها^(٤) وتسمى أيضا قنطرة القاضي بعقد حدرة وهو ضخمة مشيد من الملاط وهو متقن الزخرفة^(٥).

قنطرة شنيل:

أما قنطرة شنيل فتقع بالقرب من التقاء نهر شنيل بنهر حدرة وتتألف القنطرة من خمس عقود نصف دائرية وهذه العقود بواطنها من الآجر أما بقية أجزائها فمشيدة من الحجر الرملي وهذه القنطرة من خصائص الفن الغرناطي وقد بنيت عام (٦٠٧هـ / ١٢١٠م)^(٦).

(١) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٣٧، ص ٣٨، يذكر القلقشندي: أن عليها سواق ومبان محكمة، القلقشندي: المصدر السابق ج ٥ ص ٢١٥.

(٢) الحمراء تقع في العدو الشرقية من غرناطة يفصلها عن القصة القديمة نهر حدارة ولا تتوافر معلومات حول تاريخ قصة الحمراء وكل ما يعرف عنها أنه ورد ذكرها في سنة ٢٧٧ هـ في عهد عبد الله الأموي، وقد بنيت بعد بناء القصة القديمة: ابن صاحب الصلاة تاريخ المن بالإمامة ص ١٨٤ هامش رقم ١، ذكرها ابن الأثير فيما يتحدث عن ابن همشك الناصر بغرناطة: انظر ابن

الأثير: الكامل ج ٩ طبعة ١٣٤٨ هـ ص ٧٨. Dozy: Recherches. Page 385.

(٣) وتقع هذه القصة في العدو الغربية من غرناطة، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٤.

(٤) ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر ص ١٨٥ هامش رقم ١، ويذكر ابن الخطيب: القصة معناها القلعة وهو استعمال ذائع وكانت القصة تضم في معظم الأحيان قصرًا للحاكم ومسجدًا للصلاة وثكنات للجند، انظر ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٠١.

(٥) مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا ص ٣١٠، أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب: والأندلس ص ٢٢٥.

(٦) مورينو: المرجع السابق ص ٣١٢.

الباب الثاني

الحياة الاقتصادية في إقليم غرناطة
في عصر المرابطين والموحدين

۶. واجبات و مستحب و غیر واجب از احکام شرعی

(١) ابن المؤقت: محمد بن أحمد بن عبد الله النخعي الأديني في التعريف بمفاتيح الحضرة المراكشية: جزان - طبع حجر - مراكش، ١٣٣٥ هـ - ج (٣) ص ٨٩: ابن القاضي أحمد بن محمد: جذوة الاقباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس: طبعة حجر، سنة ١٢٠٩ هـ، ص ٣٤٨، السلاوي: الاستقصا في اخبار دول المغرب الأقصى: ج ٢ ص ٤٨، يذكر ابن خلدون في مقدمته أن بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين كانت متشعبة وجباياتة موفورة ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨١، ص ٣٦٧، التويري: نهاية الأرب: ج ٢٢ مخطوط مجلد ٢ ص ١٠٢ S.P Scott, History of Moorish Empire, p. 239 ٧٨١
(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٧.
(٣) المراكشي: المعجب: ص ٣٣٠، طبعة ١٩٦٣.

(٤) عن طبيعة إقليم غرناطة وثوراته الطبيعية سواء الزراعية أو المعدنية أنظر الإدريسي: نزهة المشتاق: طبعة (د) ص ٢٠١، ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب: ص ١٠٢، ١٠٣، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨، ص ٩٩، وما بعدها، الملحة البدوية: ص ٢٢، الحميري: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٩، ص ١١٢، ص ١٩٢، ياقوت: معجم البلدان: ج ٥ مادة غرناطة، المقرئ: نفح الطيب: ج ٢ ص ١٤٨، ص ١٤٩، ص ١٧٧.

سياسية طرأت على الإقليم بدخوله في حكم المرابطين ومن بعدهم الموحيدين^(١) بسياساتهم الجادة في تشجيع النشاط الاقتصادي والاهتمام بالزراعة والصناعة والتجارة.

العوامل الطبيعية:

شهد إقليم غرناطة تقدماً كبيراً في النشاط الاقتصادي بسبب طبيعة الإقليم ذاته وما تميز به من خصوبة أراضيه وكثرة أنهاره التي ساعدت على قيام زراعة ناجحة في قرى ومدن الإقليم، بالإضافة إلى وفرة المادة الخام فقامت صناعات كثيرة وازدهرت، هذا إلى جانب شبكة الطرق البرية والبحرية التي ربطت قرى إقليم غرناطة ومدنه بعضها ببعض كما ربطت الإقليم بسائر أقاليم الأندلس إلى جانب الطرق التي ربطت بين إقليم غرناطة والعالم الخارجي.

ففي مجال الزراعة، تمتع إقليم غرناطة كما سبق أن ذكرت بسطح متميز وتربة خصبة وأنهار متعددة ساعدت على ازدهار الزراعة ويؤيد ذلك وصف الحميري لإقليم غرناطة إذ قال: «وفحص البيرة»^(٢) - وهي أصل غرناطة - أريد من مسافة يوم في مثله يصرفون فيه مياه الأنهار كيف شاءوا كل أوان من جميع الأزمان وهو أطيب البقاع وأكرم الأرضين تربة ولا يعدل به مكان غير غوطة دمشق وشارحة الفيوم، لا تعلم شجرة تستعمل وتستغل إلا وهي أنجب شيء في هذا الفحص»^(٣).

ولعل خصوبة إقليم غرناطة ووفرة مزروعاته^(٤)، وثراء سكانه كانت من الأسباب التي

(١) عن دخول إقليم غرناطة تحت حكم المرابطين ثم الموحيدين انظر الباب الأول ص ٢٠، ص ٣٣.

(٢) الفحص هو البسيط الأخضر وقد سبق التعريف به عن فحص غرناطة، انظر ابن الخطيب:

الإحاطة: ج ١ ص ٩٩ هامش ١، ٢، ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة: ص ١٨٧ هامش ٣، طبعة ١٩٧٩، العراق.

(٣) الحميري: الروض المعطار: ص ٢٣.

(٤) عن خصوبة إقليم غرناطة انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨، ص ٩٩، اللوحة البدرية،

ص ٢٥، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٣٥ ليدن سنة ١٩٠٩ م، ابن

سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢ ص ١٠٢، ص ١٠٣، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص

٢٨، ياقوت: معجم البلدان: ج ٥ مادة غرناطة، المقرئ: نفح الطيب، ج ١ ص ١٤٨، ص

١٤٩، ص ١٧٧.

دعت نصارى غرناطة^(١) إلى استدعاء ابن رذمير (ألفونس الأول ملك أراغون) لغزو غرناطة وتملكها إذ أطمعوه فيها لما لها من «الفضائل على سائر البلاد وكثرة فوائدها من القمح والشعير والكتان وكثرة المرافق»^(٢).

كما يضيف ابن الخطيب «ومن كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة ورعى بعد رعى طوال العام»^(٣) ويصفها العمرى في كتابه مسالك الأبصار بقوله وهي - أى غرناطة - «كثيرة المطر والأنهار والبساتين والشجر والفواكه ولها نهران شليل وحدر»^(٤).

وهكذا وُصِف إقليم غرناطة بأنه تربة خصبة وأودية طويلة تخترقها الأنهار وترويه الأمطار وساعد ذلك كله على تعاقب الزراعة في هذا الإقليم طوال العام، ومن أهم هذه الأنهار نهر شليل الذى ينبع من جبل شليل ويتدفق عندما تذوب الثلوج فيغذى الأودية^(٥) ويرى البقاع، وكان جبل شليل مصدراً هاماً للمياه عندما تذوب الثلوج التي تغطيه طوال العام فيتفرع منه أنهار وجداول صغيرة^(٦)، بالإضافة إلى نهري حدر^(٧) والمنصورة^(٨)،

(١) يسميهم ابن الخطيب بالمعاهدة، ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ١٠٩ - ص ١٤٤، عن حملة ابن رذمير واستدعاء نصارى غرناطة له، انظر ابن عذاري: البيان المغرب: ج ٤ ص ٦٩، ص ٧٠ وما بعدها، مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: تحقيق عبد القادر زمامة ص ٩١.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ٩٨، اللوحة البدرية: ص ٢٢.

(٤) العمرى: مسالك الأبصار: وصف أفريقية والأندلس ص ٣٤، ص ٣٥ عن شليل وحدر، انظر: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٩٠ هامش ٤، ص ١٩١ هامش ٣، شبيب أرسلان: الحلل السندسية: ص ١٢٩.

(٥) محمد بن علي الشباط: صلة السمط المعروف باسم تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، استخرج الجزء الخاص بالأندلس أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد ١٤ طبعة سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨، ص ١١٣، ص ١١٤، طبعة سنة ١٩٧١ ص ١٤٠، ص ١٤١، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١١٧، ص ١١٨ الحميري: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ١٢٢.

(٦) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١٤٠، ص ١٤١، تحقيق إسماعيل العربي، طبعة الجزائر، سنة ١٩٨٢ م، ابن الشباط صلة السمط المعروف باسم الاكتفاء، ص ١٤٥، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٣٤، ص ٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٢١٤، ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ٩٦، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٣، الإدريسي: نزهة المشتاق: (ط. د) ص ٢٠٣.

(٧) العمرى: المصدر السابق: ص ٣٧، القلقشندي: نفس المصدر ج ٥ ص ٢١٥، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٩٠ هامش رقم ٤.

(٨) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: ص ٣٤، حاشية رقم ٨.

وشهد إقليم غرناطة أنها لدة موسمية مثل وادي المربة^(١) الذي يفيض شتاءً ووادي مالقة الذي يفيض في الربيع^(٢)، وبالإضافة إلى الأنهار والأودية التي ذكرت وجدت في إقليم غرناطة العيون أيضا^(٣) وأسهمت هذه العيون والأنهار والأودية وكذلك الأمطار في جعل إقليم غرناطة إقليماً خصباً صالحاً للزراعة طوال العام^(٤).

وقد توفرت لإقليم غرناطة أيضاً المادة الخام التي ساعدت على ازدهار الصناعة في

عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين.

فقامت عدة صناعات أهمها صناعة النسيج^(٥) وصناعة السفن^(٦) وصناعة بعض الأدوات من النحاس والحديد^(٧)، بالإضافة إلى عدة صناعات أخرى سنذكرها فيما بعد.

ولقد اشتهر إقليم غرناطة بإنتاجه الوفير من المعادن مثل الذهب والفضة والحديد

(١) العمري: المصدر السابق: ص ٤٦، القلقشندي: نفس المصدر: ج ٥، ص ٢١٧.

(٢) ابن سعيد: المغرب في خلي المغرب ج ١، ص ٤٢٣.

(٣) العمري: نفس المصدر: ص ٣٥، القلقشندي: نفس المصدر: ج ٥، ص ٢١٥، الحميري: نفس

المصدر: ص ٢٣، ص ٤٥.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٩٨، اللوحة البدوية، ص ٢٢.

(٥) ابن تغلب: الفروحية الأنفس، ص ٢٨٣، الإدريسي: جزية المشتاق، (ط ١)، ص ١٩٧، ياقوت:

معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٩، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ص

١٤٠، الطبعة الثانية، الجزائر، سنة ١٩٨٢، ابن سعيد: المغرب في خلي المغرب، ص ٤٢٤.

العمري: (وصف إفريقية)، ص ٤٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٥، ص ٢١٧.

ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٣١، ص ٨٢، هامش رقم ٢، ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص

٩٥، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٤، ص ١٨٤، المقرئ: نقح الطيب: ج ١، ص ١٧٨،

ص ١٨٧، ج ٤، ص ٢٠٦، طبعة سنة ١٩٤٩، ج ٣، طبعة بيروت ص ٢١٩، ص ٢٢١.

(٦) القلقشندي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٧، ص ٢١٨، العمري: المصدر السابق ص ٤٥، ص

٤٧، الجغري: المصدر السابق، ص ١٨٦، ابن صياح الصلاة، المن بالإمامة ص ١٩٦،

هامش رقم ٢، طبعة ١٩٧٩، العراق، ص ٢٢، ص ٢٤.

(٧) ابن تغلب: الجغرافيا، ص ١٤٠، الإدريسي: جزية المشتاق، (نسخة المغرب) ص ١٩٧، ص

١٠٢، العمري: وصف إفريقية، ص ٤٨، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٩،

الحميري: الروض المعطار، ص ٢٤، ص ١٨٤.

والرصاص والنحاس^(١) بالإضافة إلى معدن المرقشيتا^(٢) واللازورد^(٣) والملح^(٤) والياقوت الأحمر^(٥) وذلك فضلاً عن مقاطع الرخام التي تستخرج من البيرة^(٦).

وإلى جانب العوامل الطبيعية السابقة التي تمتع بها إقليم غرناطة وساعدت على ازدهار كل من الزراعة والصناعة كان للطرق التجارية أثر في إنعاش حركة التجارة الداخلية والخارجية، فقد تمتع إقليم غرناطة بشبكة من الطرق البرية ربطت بين مدن الإقليم داخلياً وخارجياً^(٧) بالإضافة إلى الطرق البحرية^(٨) وكثرة موانئ الإقليم كالمرية والمنكب ومالقة^(٩) التي كانت تخرج منها الأساطيل التجارية محملة بالبضائع آتية إليها بما تحتاجه البلاد فانتعشت التجارة الداخلية والخارجية.

وهكذا كان للعوامل الطبيعية أكبر الأثر في إنعاش الاقتصاد وتقدمه في إقليم غرناطة.

-
- (١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨، اللوحة البدرية، ص ٢٢، الحميري: المصدر السابق، ص ٢٤، على بن يوسف الحكيم (أبو الحسن) الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقق حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠، ص ٨٥.
- (٢) «المرقشيتا أو المرقشيطه»: هو حجر ذو خواص طبية يغلب على الظن أنه اليزموت وذكر ابن سينا أنه يوجد على أنواع مختلفة ذهبى وفضى ونحاسى وحديدى كل صنف يشبه الجوهر الذى إليه فى لونه» راجع أبى الحسن على بن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمadrid، ١٩٦٠ م، ص ٢٦، حاشية ٩، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٦٧، ص ٥٦٠ حاشية رقم ١.
- (٣) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٨٣، ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ٩٨.
- (٤) ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٨٢، هامش ١.
- (٥) المقرئ: نفع الطيب: ج ١ ص ١٥٨، طبعة سنة ١٩٤٩.

Scott: Hist. of the Moorish Empire, Vol. 111, P. 628.

- (٦) ابن غالب: المصدر السابق: نفس الصفحة.
- (٧) عن الطرق البرية (الداخلية والخارجية) انظر ص.
- (٨) عن الطرق البحرية انظر ص ١٥١.
- (٩) عن موانئ إقليم غرناطة انظر الإدريسي: نزهة المشتاق (صفة المغرب والأندلس) ص ١٩٧، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١٤٠، ص ١٤١ طبعة سنة ١٩٨٢ م، العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ٨٦، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ج ١ ص ٤٢٢، ص ٤٢٣، ج ٢ ص ١٨٩ - ص ١٩٢، ابن الخطيب: اللوحة البدرية، ص ٢٩، العمري (وصف إفريقية والأندلس) ص ٤٥ إلى ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٢١٧.

العوامل السياسية:

أما العوامل السياسية فقد لعبت هي الأخرى دوراً هاماً في ازدهار الاقتصاد في بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة خاصة، فقد أثرت سياسة أمراء المرابطين وخلفائهم الموحدون في ازدهار النشاط الاقتصادي سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة، فأسهموا في رفع مستوى الإنتاج في البلاد سواء في المغرب أو الأندلس، وفوفروا الأمن والطمأنينة للسكان وقضوا على الفتن والحروب^(١) ونقلوا الصراع إلى أرض نصارى أسبانيا، ووفروا لرعاياهم قدراً كبيراً من الأمان^(٢)، وبالأمن والاستقرار الذي أشاعه المرابطون استطاع السكان استثمار الأرض^(٣) ومضاعفة الإنتاج الزراعي، إذ أن شعور المزارع بالأمن والاستقرار دفعه إلى زيادة الإنتاج لشعوره أن ثمرة جهده لن تضيع عبثاً فعمل على تنمية الإنتاج ومضاعفته^(٤).

وكان المزارعون هم أكثر الناس تضرراً بالاضطرابات والحروب الداخلية المستمرة قبل عهد المرابطين، فإذا نشبت حرب بين أميرين فإن من الوسائل المتبعة ضد الطرف الآخر

(١) كانت الحروب بين مسلمي الأندلس ونصارى أسبانيا منذ أيام المنصور بن أبي عامر قائمة على انتساف الزروع في مواسمها واشتد ذلك في أيام ملوك الطوائف، انظر ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٦٤، ص ٦٥، ص ٧٨، عبد الله بن بلقين: التبيان، ص ١٠١، محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص ١٣٩، ص ١٤٠ - المجلدان السابع والثامن طبعة سنة ١٩٥٩ - سنة ١٩٦٠ الحميري: الروض المعطار، ص ٩٢.

(٢) عن المعارك بين المرابطين ونصارى أسبانيا انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤٦، ص ١٤٨، ص ١٥٦، ص ١٥٧، ص ١٥٩، ص ١٦٠، ص ١٦١، ص ١٦٤، طبعة دار المنصور، ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثالث، المجلد الأول، ص ١٠١، ابن القطان: نظم الجمان، ص ٥، ص ٦، ص ١٠، ص ١٣، ص ١٤، ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤ ص ٥٠، ص ٨٠، ص ٨١، ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص ١١٤، السلاوى: الاستقصا، ج ٢ ص ٦١، مكى: وثائق تاريخية، ص ١٥٧.

(٣) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٠٢، ص ٤٠٤.

(٤) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٤٠٤.

حرق المزارع وتخريب البساتين التي تقع خارج أسوار المدن^(١) وكذلك كان نصارى أسبانيا إذا أغاروا على البلاد الإسلامية لا يترددون في إحراق البساتين وإتلاف الزروع^(٢).

وما حدث للزراعة، حدث للتجارة، فقد استطاعت دولة المرابطين بعد أن نجحت في التوحيد بين أقاليم المغرب والأندلس أن تقرر الأمن والسكينة في ربوعه كما سبق أن ذكرنا^(٣)، ففي العصر المرابطي الأول قبل معركة أڤليش^(٤) (١٠٥٠ هـ / ١١٠٨ م)^(٥) استطاع

(١) ابن بسلام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: القسم الثاني، المجلد الأول، ص ٣٥، تحقيق إحسان عباس، سنة ١٩٧٨.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٨٠، ص ٨١، ص ٨٤ وما بعدها، ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٩٧، ص ٢٠٠، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٠، ص ١٦١، ص ١٦٢، ص ١٦٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ١٠ ص ٥٨٦، عن حملة ابن رزمير على غرناطة وإحراقه الزروع انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٦ - ص ١٤، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٧١ وما بعدها، أمبروسي هويش ميراندا: على بن يوسف وأعماله في الأندلس، مجلة تطوان، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد ٣ - ٤، ١٩٥٨ م - ١٩٥٩ م، ص ١٧٢.

(٣) كانت الأندلس في عهد ملوك الطوائف يقطعون السبل في البلاد الأندلسية، عن ذلك انظر عبد الله ابن بلقين: التبيان: ص ٩٥ وما بعدها.

(٤) «مدينة لها حصن في ثغر الأندلس، وهي قاعدة كور شنتيبريه، وهي... مربعة منحوتة مستوية الأطراف» انظر الحميري: الروض المعطار: ص ٢٨.

(٥) يذكر عز الدين موسى في كتابه النشاط الاقتصادي «أنه يمكن التمييز بين دورين في تاريخ المرابطين، انتهى الدور الأول في عصر المرابطين عقب معركة أڤليش Ucles ١٠٥١ هـ - ١٠٥٢ هـ، (١١٠٨ - ١١٠٩ م) ثم تلاه دور آخر عجز فيه المرابطون عن حماية الزراعة واختل الأمن فعمجزوا عن رد غارات نصارى أسبانيا، عز الدين موسى: المرجع السابق: ص ١٥٨، عن معركة أڤليش انظر: ابن القطان: نظم الجمان: ص ٥، ص ٦، ص ٧، ص ٨، ص ٩، ص ١٠، انظر نص الرسالة التي وجهها تميم بن يوسف إلى أخيه، انظر عن ذلك حسين مؤنس: الشجر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في أيدي النصاري سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م مع أربع وثائق جديدة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الحادي عشر، الجزء الثاني، ديسمبر سنة ١٩٤٩ م ص ٩١ - ص ١٤٣ وهي الموقعة التي نشبت بين المرابطين والنصارى وانتهت بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة ومصرع ابنه الأمير شانجة، عن ذلك انظر أيضا أمبرسيو هويش ميراندا «عن المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحية» =

المرابطون أن يحفظوا الأمن وأن يقرروا السكينة فسهروا على حماية الطرق وتأمين مسالكها^(١) وضبط الثغور^(٢) وذلك بتقل الصراع إلى مناطق نصارى أسبانيا^(٣) وبناء القلاع والحصون والأسوار^(٤) حول المدن مثل المرية^(٥) وغرناطة^(٦)، وتشديد الرباطات والمحارس الساحلية في غرناطة وغيرها من المدن الساحلية سواء في بلاد المغرب أو الأندلس وذلك لحمايتها من الغارات البحرية التي كان يقوم بها الأعداء^(٧)، وكانت هذه الرباطات مزودة بمنائر عرفت باسم الطلائع^(٨).

= حيث يخص معركة أقلش ببحث مفصل، وقد ترجم هذا البحث إلى العربية ونشر تحت عنوان «واقعة أقلش ومصرع الأمير شانجة» مجلة تطوان، العدد الثاني، سنة ١٩٥٧، ص ١١٥، ص ١٣٠، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٩، ص ١٦٠، ص ١٦١، طبعة دار المنصور، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس: ص ١١٤، ص ١١٥، طبعة سنة ١٩٧١، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد.

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٠٠، طبعة أوبسالة ١٨٤٣ م، وطبعة دار المنصور، ص ١٦٧.

(٢) ابن أبي زرع: المصدر السابق: ص ١٥٩، طبعة دار المنصور.

المراكشي: المعجب: ص ٢٢٦، طبعة ١٩٦٣.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٤، محمود علي مكي: «وثائق جديدة» ص ١٥٧، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠، ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤ ص ٥٢، ص ٥٧، ص ٦٢، ص ٦٤.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤ ص ٧٣، ص ٧٤، ص ٧٥، ص ٧٦.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق: يذكر ابن عذارى ما نصه: وتولى النظر في أسوار المرية رجل منهم يعرف بابن العجمي، من أصحاب ابن ميمون، فأخذ بالحزم واستكثر بالسياسة والعزم، ولم ينفق شيئاً من المال إلا في موضعه، ولا استعان إلا بمن جد في نصحه، ورأى الناس ذلك فتساهلوا في الأداء وتواصلوا حمل الأعباء، فأكمل السور على واجبة من «التحصين والتحسين» ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٧٤.

(٦) ابن عذارى: المصدر السابق، نفس الصفحة (ص ٧٣، ص ٧٤).

(٧) ففي هذا يقول الصوفي الغرناطي: ابن أبي زمين «رأيت أهل العلم يستحيون التكبير في العساكر والثغور والرباطات عند صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيراً عالياً ثلاث تكبيرات، ولم يزل ذلك من شأن الناس قديماً» انظر ابن أبي زمين كتاب قدوى الغازي، ورقة ٢٩، مخطوط رقم ٥٧٥، المكتبة الوطنية بمرسيد.

فأمن المرابطون بأسطولهم البحري حركة النقل التجارية في البحر^(١) وألغى المرابطون جميع أنواع الضرائب التي فرضها ملوك الطوائف^(٢) من قبل واقتصروا على الزكاة والعشر^(٣)، ثم تبدل هذا الوضع تدريجياً بعد معركة أڤليش (١٠٥٠ هـ / ١١٠٨ م) أي في الفترة الثانية من حكم المرابطين حينما تحول الجيش المرابطي في الأندلس من الهجوم إلى الدفاع، وبلغت إغارات نصارى أسبانيا مداها بقيام حملة ابن رزمير على غرناطة^(٤) وما تلا ذلك من اندلاع الثورة الموحدية^(٥) وضعف المرابطين في مواجهتها فانعدم

(١) عن قوة الاسطول المرابطي انظر: الإدريسي: نزعة المشتاق (ط. د) ص ٥٥، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٧١ م، ص ١٢٣، ص ١٢٤، ونفس الصفحات طبعة ١٩٦٥، ١٩٦٦ م، ابن خلدون: العبر المقدمة: ص ٢٥٥، طبعة بيروت، الحميري: الروض المعطار: ص ١٩٧، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤٠١، سيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٢٣٨ وما بعدها، بيروت، سنة ١٩٦٨،

Torres Balbas: Atarazanas Hispano Musulmans, "Al - Andalus", 1946, Vol. XI, Fasc. 1, P 184.

أشباح: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة عبد الله عنان، ج ٢ ص ٢٣٧.
Aly Mohamed Fahamy: Muslim Sea - Power in the Eastern Mediterranean, P. 128

(٢) كان ملوك الطوائف يفرضون قبالات على كل ما يباع في الأسواق: ابن الغزيلة ص ١٧٦، ص ١٧٧.

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان، ص ١١٩، ص ١٢٠، ص ٣٤٠، ص ٣٤١، المقرئ: نفع الطيب: ج ١ ص ١٠٨، سنة ١٩٤٩ م، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٧، طبعة دار المنصور، السلاوي: الاستقصا، ج ٢ ص ٥٤، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤٠٣، ص ٤٠٤، ص ٤٠٨، عن الضرائب انظر النظم المالية: ص؟

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ١٠٦ ص ١١٤، مجهول: الحلل الموشية، ص ٩١، ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤ ص ٦٩ وما بعدها، عن ضعف المرابطين أمام الخطر النصراني انظر ابن القطان: نظم الجمان، ص ١١١ وما بعدها، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٨٧ وما بعدها، السلاوي: الاستقصا، ج ٢ ص ٩٧، سيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، العصر الإسلامي، ص ٧٤٠.

(٥) عن ظهور الموحدين وأثره على دولة المرابطين انظر المراكشي: المعجب: ص ٢٤٦، ص ٢٥٥، ص ٢٥٩، ابن تومرت: أعز ما يطلب: مشتمل على جميع تعاليق الإمام محمد بن تومرت مما أملاه أمير المؤمنين ابن عبد المؤمن على الجزائر، سنة ١٩٠٣ م ١٣٢١ هـ، ص ٢٥٨ - ص =

الامن^(١) على النفس والمال في البر والبحر، ولم يستطع الناس حماية مزروعاتهم^(٢)، كما كثرت حوادث قطع الطرق على المسافرين من التجار^(٣) وعجز الاسطول المرابطى عن حماية السواحل المغربية والاندلسية وأصبحت الموانئ الاندلسية عرضة لهجمات أساطيل المدن التي تحالفت مع نصارى أسبانيا، فضرِب مركز التجارة المرابطية البحرى الرئيسى فى المرية سنة ٥٤٢هـ^(٤)، يقول صاحب المعجب «وأما أهل المرية فأخرجوا من كان عندهم

= ٢٦٦، البيذق: أخبار المهدي ابن تومرت، الرباط، ١٩٧١، ص ٣٥، مجهول: الحلل الموشية، ص ١١٠، ابن أبى زرع: الانيس المطرب: ص ١٨٧ - ص ١٩١، طبعة دار المنصور، السلاوى: الاستقصا: ج ٢ ص ٦٦ وما بعدها، ص ٩٧، ص ٩٨، عنان: دولة الإسلام فى الاندلس: عصر المرابطين، ص ٢٧٣، عبد الله علام: الدعوة المغربية بالمغرب، القاهرة ١٩٧٨ نشر دار المعارف ص ١٨٠ ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٧، ص ٣٤٦.

(١) ومما يدل على اختلال الامن فى العصر الثانى من حكم المرابطين ما يذكره المراكشى فى كتابه المعجب حيث يقول «واعتلت حال أمير المؤمنين بعد الخمسمائة، اختلالاً شديداً فظهرت فى بلاده مناكر كثيرة وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد... واستولى النساء على الأموال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور» من هذا النص يتضح أنه كثرت حوادث قطع الطرق بسبب ظهور قطاع الطرق الذين هددوا أمن وسلامة التجار، وهو ما يذكره أيضاً ابن عذارى فى البيان، عن ذلك انظر ابن عذارى: البيان ج ٤ ص ٩١، ويذكر ابن بشكوال فى كتابه الصلة، أن ابن عبد الله الصقلى ويكنى أبا عبد الله دخل غرناطة وسلب فى طريقها، وأخذ الناس عنه وبها توفى سنة ثمان وخمسمائة بغرناطة، انظر ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ٢ ص ٦٠٥، عن ذلك أيضاً انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام، طبعة بروكسفال: ص ٢٤٩.

(٢) هويش ميراندا: على بن يوسف وأعماله فى الاندلس: مجلة تطوان، سنة ١٩٥٨، ١٩٥٩.

(٣) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت: ص ٧٣، طبعة دار المنصور، الرباط، ١٩٧١، ابن بشكوال: المصدر السابق: ج ٢ ص ٦٠٥، ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٩١.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق: طبعة دورى، ص ١٩٨ - ص ٢٢٠، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤، المقرئ: نفع الطيب، ج ١ ص ١٦٣، ج ٣ ص ٢٢٠، ص ٥٧١، ج ٤ ص ٤٦١، تحقيق إحسان عباس، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ قسم ٣ الموحدى، ص ٣٣، المراكشى: المعجب، ص ٢٧٩، ص ٢٨٠، طبعة سنة ١٩٦٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣ ص ١٠٧، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، سنة ١٩٧٠ - ١٩٧٢، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ١١ ص ٢٢٣، طبعة دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٧، التوبرى: نهاية الأرب، ج ٢٤ ص ٣٠٩، ص ٣١٠ سيد عبد العزيز سالم، وأحد مختار العبادى: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والاندلس، ص ٢٤٩، أشباح: تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ج ١ ص ٢٣٤.

أيضاً من المرابطين، واختلفوا فيمن يقدمونه على أنفسهم، فندبوا إليها أبا عبد الله بن ميمون، ولم يكن منهم، وإنما هو من أهل مدينة دانية^(١)، فأبى عليهم وقال: إنما أنا رجل منكم، ووظيفتي البحر وبه عرفت، فكل عدو جاءكم من جهته فأنا به، فقدموا على أنفسهم رجلاً منهم اسمه عبد الله بن محمد يعرف بابن الرميحي^(٢)، فلم يزل عليها إلى أن دخلها عليه النصاري من البر والبحر، فقتلوا أهلها وسبوا نساءهم وبنينهم وانتهبوا أموالهم في خبر يطول ذكره^(٣).

ولما قامت الدولة الموحدية أولى الموحدون النشاط الاقتصادي عناية خاصة وحاولوا توفير الأمن والاستقرار لأهل البلاد فنقلوا الصراع كذلك إلى مناطق نصارى^(٤) أسبانيا وبذلوا جهوداً كبيرة في إقامة الحصون حماية «للبيسائط»^(٥) وإرسال الجيوش حماية (١) مدينة بشرقي الأندلس «على البحر عامرة حسنة لها ربح عامر وعليها سور حصين... والسفن واردة إليها صادرة عنها، ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو» الحميري: المصدر السابق: ص ٧٦.

(٢) يكنى أبا يحيى، وكان أديباً ظريفاً طيب النفس، وبنو الرميحي سلالة من بنى أمية ملوك الأندلس، ينتسبون إلى رمحة: قرية من أعمال قرطبة وكان يتولى المربة قبله عامل من قبل الموحدين اسمه ابن مخلوف، فخلع أهل المربة طاعة الموحدين وقتلوا عاملهم إذ ذاك ولوا عليها أبا يحيى بن الرميحي دخل النصاري المربة، وفعلوا بها ما فعلوا، فر ابن الرميحي إلى فاس، وعاش بها ضائعاً خاملاً يسكن في غرفة مفردة ويعيش من نسخ الكتب، انظر المراكشي: المعجب: ص ٢٧٩.

(٣) المراكشي: المصدر السابق: ص ٢٧٩ - ص ٢٨٠.

(٤) عن محاولات الموحدين نقل الصراع إلى مناطق أسبانيا النصرانية ونسف زروعهم انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: طبعة أوبسالة ص ١٣٨، ص ١٤٠، ص ١٤٤، ص ١٥١، وطبعة دار المنصور، ص ٢٠٠، ص ٢٠١، ص ٢٠٢، ص ٢١٠، ص ٢١١، ص ٢١٢، وفي ذلك يذكر ابن أبي زرع «وفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة تحرك أبو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على إلى الأندلس برسم غزو بلاد غربها، وهي أول غزواته للروم، فجاز إليها من قصر المجار إلى الجزيرة الخضراء وذلك يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين وخمسمائة المذكورة، فارتحل عن الجزيرة الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة الأشبونة وأنحائها، فقطع الثمار وقتل وسب وأضرمت النيران في القرى وحرق الزرع وبالغ في النكاية» ابن أبي زرع: المصدر السابق: ص ٢١٨، المراكشي: المعجب، ص ٣٣١، النويري: نهاية الأرب، ج ٢٤ ص ٣٣٤، تحقيق حسين نصار.

(٥) ابن عذاري: البيان: ج ٣ القسم الموحدى، ص ١٠٣، تحقيق هويش ميراندا ومحمد إبراهيم الكتاني سلسلة معهد مولاى الحسن، سنة ١٩٦٠ م.

لغرناطة، يقول ابن صاحب الصلاة: «إن أبا سعيد وأبا عبد الله خرجوا من أشبيلية بالعسكر الميمون إلى مدينة غرناطة لدفع المحاربين الأشقياء عن جهاتها وحماية صيفيتها فعند خروجهم من قرطبة إلى جهاتها التقوا على غير ميعاد ولا معرفة بعسكر مجتمع معد من عسكر ابن مردنيش بحصن لك^(١) فكانت بينهم مدافعات عميمة، وكرات في معركة من الحرب عظيمة، ظهر فيها من إقدام أبي عبد الله بن يوسف ومن أعيان العرب وسائر العسكر ومن صبرهم ودفاعهم وقراعهم ما لم يظهر مثله إلا في زمان الأبرار المجاهدين الأخيار^(٢)».

ومع كل جهود الموحدين هذه في حماية الأندلس بما فيها إقليم غرناطة ظل نصارى أسبانيا يوجهون اعتداءات مستمرة إلى كل بلاد الأندلس^(٣)، ولذلك حرص الموحدون على عقد الصلح مع نصارى أسبانيا رغبة في تحسين النشاط الاقتصادي^(٤)، وتحقيق الأمن للسكان حتى يستطيعوا ممارسة أنشطتهم الاقتصادية المختلفة دون خوف من سلب أو نهب أو حرق لزروع ونسف لبساتين فازدهرت الزراعة في المناطق الجنوبية مثل غرناطة ومالقة والمرية^(٥)

(١) حصن لك يقع جنوب غرناطة على مقربة منها، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٢٧٦، هامش رقم ١.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٢٧٦.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٥١٢ - ص ٥٢٢، طبعة سنة ١٩٦٤، ص ٣٩٥ - ص ٤٠٥ طبعة سنة ١٩٧٩، المراكشي: المعجب: ص ٣٢١، ص ٣٢٤، ص ٣٥٦، السلاوي: الاستقصا، ج ٢ ص ١٣٢ - ص ١٣٦، ص ١٣٨ - ص ١٤٠، ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤ القسم الموحدى، ص ١٠٠، ص ١٠٣، ص ١٠٧ - ص ١٠٨، ص ١١٠، ص ١١٣، ص ١١٨ - ص ١١٩، المقرئ: نفع الطيب، ج ١ ص ٤٤٣، طبعة بيروت.

(٤) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٢٠٩ - ص ٢١١، ص ٢٧٤ - ص ٢٩٠.

(٥) عن الزراعة في غرناطة ومالقة والمرية وازدهارها في تلك الفترة انظر الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج ٢ ص ٩١، ص ١٤٨، ص ٤٣٢، ابن سعيد: الجغرافية، ص ١٤٠، ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ٩٨، ص ١٢٠، ص ١٣٠، مجهول: الحلل الموشية، ص ٩٠، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٢١٧، ص ٢١٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤، ص ٢٩، ص ٤٥، ص ١١١، ص ١١٢، ص ١٤٣، ص ١٩٢، المقرئ: المصدر السابق: ج ١ ص ١٤٩.

واشييلية^(١) وجبل طارق فاهتموا بالغراسة^(٢) وتسريب الماء وبناء الخزانات^(٣)، كما شجعوا المزارعين على استغلال الأرض^(٤)، كذلك اهتموا اهتماماً عظيماً بالأساطيل، فلقد وجه عبد المؤمن بن علي عنايته نحو إنشاء وتعمير المراسى ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية، فاستطاع أن ينشئ أقوى أسطول في البحر المتوسط^(٥)، يقول ابن أبي زرع «ودخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وفيها أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل بلاده وعزم على غزو بلاد الروم في البر والبحر فأنشأ منها أربعمائة قطعة، منها في سلا والمعمورة مائة وعشرون قطعة وفي مراسى سبتة وطنجة وبادمس ومراسى الريف مائة قطعة، وفي مراسى وهران هُنين وتونس مائة قطعة، وفي مراسى الأندلس ثمانين قطعة»^(٦).

(١) الإدريسي: المصدر السابق: ص ٢٠٦، الحميري: المصدر السابق، ص ١٩، ص ٢٠، ص ١٠٢، ص ١٦٩، ابن الشباط: الاكتفاء، ص ١١٧، ابن سعيد: المغرب، ج ١ ص ١٩٩، ص ٣٠١.

(٢) يذكر ابن صاحب الصلاة أنهم (أي الموحدون) «جلبوا من أنواع الزيتون المختارة من الألوان نحواً من عشرة آلاف شجرة، غرست على نسق عام بعد عام» انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ٥٤، هامش رقم ١، طبعة سنة ١٩٧٩، يذكر النوبري: صاحب كتاب نهاية الأرب مدى اهتمام الخلفاء الموحدين بالغراسة للمحافظة على المزروعات، يقول: «فلما كان في صفر سنة أربع وخمسين وخمسمائة سار (أي عبد المؤمن بن علي) يريد أفريقية ومعه من العساكر مائة ألف مقاتل ومن السوقه والأتباع أمثالهم وبالغ في حفظ العساكر حتى كانوا يسرون بين الزروع فلا تنادى لهم سنبلة واحدة» النوبري: نهاية الأرب: ج ٢٢ مخطوط مجلد ٢ ص ٩٤، المطبوع ج ٢٤ ص ٣١١، (عن اهتمام الموحدين بالزراعة في بلاد المغرب والأندلس انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب): ص ٢١٧ - ص ٢١٨، ص ٢٢٩.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، نفس الصفحة، الحميري: الروض المعطار، ص ٦٧، ص ١٢١ «اهتم الموحدون وخاصة الخليفة المنصور الموحدى بتوفير المياه اللازمة للرى».

Brelvi: Islam in Africa, P. 137.

(4) Julien: Histoire de l'Afrique, P. 122, Julien, Op. Cit. P. 124.

(٥) يذكر ابن صاحب الصلاة «أن الموحديون كانوا مضطرين للاتصال كل لحظة وحين لربط الصلة بين أفريقية والأندلس ونقل المئات من الجند بين الفترة والأخرى» انظر ابن صاحب الصلاة:

المن بالإمامة: ص ٥٤، السلاوى: الاستقصا: ج ٢ ص ١٢٨، ص ١٢٩.

(٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ٢٠٠، ص ٢٠١، طبعة دار المنصور.

ويعطينا ابن خلدون وصفًا يدل على مدى القوة والكفاية التي كانت لأسطول الموحدين في تلك الفترة حيث يقول: «ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد»^(١).

هذا ولم تقتصر مهمة الأسطول الموحدى منذ عصر عبد المؤمن على جهاد نصارى أسبانيا، بل أخذ على عاتقه أيضاً مهمة قمع حركة القرصنة التى كانت منتشرة بين المسيحيين والمسلمين على السواء^(٢)، يقول عبد العزيز بن عبد الله: إن سياسة الموحدين البحرية كانت تقوم على مبدأ احترام نوااميس التجارة الدولية وضمان السلام والطمانينة فى البحار^(٣)، فقد قام الخليفة أبو يوسف بشن غارة بحرية على حصن طيبرية^(٤)، وفى ذلك يقول ابن صاحب الصلاة «وفى هذه السنة (٥٦٣هـ) لازم الموحدون أعزهم الله حصن طيبرية بالحصار، وللغادر الشائر فيها عبد الله بن عبيد الله بالضيقة عليها والإسار برآ وبحراً وسكنوا فى حصن قسطله^(٥) بعسكرهم المؤيد يضربون عليها نهاراً وليلاً، وينالون من أعدائهم كل ساعة نيلاً منهم عليها فى دفع ضررها، ورفع شرها الذى استشرى فيها، من أول عام ستة وأربعين وخمسة مائة إلى آخر عام ثلاثة وستين وخمسة مائة باجتماع الفسقة فى داخلها من أصناف الدائرين من أهل الترف والسرف بالفسق والعصيان وإذابة المسلمين

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٥٥، أمارى (ميشيل) المكتبة العربية الصقلية، ليسك، ١٩٧٥ م.

(٢) سيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادى: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص

٢٦٣، عن ذلك انظر أيضاً: Ander Julien: Histore de l'Afrique du Nord: P. 123.

(٣) عبد العزيز بن عبد الله: البحرية المغربية والقرصنة - مجلة تطوان، العددان ٣ - ٤، سنة ١٩٥٨ -

١٩٥٩، عن ذلك أيضاً: Ander Julien: Historere de l'Afrique du Nord: P. 123.

(٤) يقع هذا الحصن على شاطئ البحر المتوسط فى الجنوب الشرقى لمدينة شلب، انظر ابن صاحب

الصلاة: المن بالإمامة: ص ٣٨٨، طبعة سنة ١٩٧٩، هامش رقم ١، الحميرى: الروض

المعطار: ص ١٢٣ - ص ١٢٧ - ص ١٢٨.

(٥) تقع فى غرب الأندلس فى الشمال الشرقى من طيبرية على مقربة منها على شاطئ المحيط

الأطلسى، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٣٨٨، هامش ٣، الحميرى: الروض

المعطار: ص ١٦٠، شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ص ٨٦، ديوان ابن دراج القسطلى: نشر

محمود على مكى ص ٣٠، ص ٣١، ص ٣٢.

فى البر والبحر من كل البلدان، فكانت شجى على أهل العدو والأندلس فى نهب أموال المسافرين والتجار فى البرارى والبحار»^(١).

وإلى جانب إنشاء الأساطيل البحرية التى خدمت التجارة الملاحية، وجه الموحدون اهتمامهم إلى تنشيط التجارة الداخلية والخارجية وذلك بتشجيع التجار على المعجى إلى البلاد^(٢)، فأكد الخليفة عبد المؤمن بن على فى «رسالة العدل» على حماية التجار وتأمين طرق التجارة^(٣) وذلك بقتل من يخالف هذا الأمر^(٤) حيث يقول: «وأما ما ذكرتموه - أكرمكم الله - من أمر أولئك التجار الذين يحملون المرافق إلى مالقة وأمثالها فلتنظروا نظراً أكيداً فى قطعهم وردعهم»^(٥)...

وبعد ضم إقليم غرناطة إلى الدولة الموحدية عام ٥٥٧هـ^(٦) قام الخليفة عبد المؤمن ابن على بتنشيط حركة التجارة فى إقليم غرناطة، يقول ابن صاحب الصلاة: «واتصل فى أثر هذا الفتح العظيم نظر الخليفة أمير المؤمنين ﷺ لمدينة غرناطة وقصبتها سنام الأندلس، فملاً مخازنها فى القصة بها بالقمح والشعير... بما أبهت الناظرين، وقصر عن وصف الواصفين، وأوصل أمره العزيز ذلك كله إليها من العدو فى المراكب فى البحر إلى «حصن المنكب» وانتقل جميع ذلك من المنكب إلى غرناطة وتحصل فى قصبتها مخزونات، فحيث بعد موتها بهذا النظر الجميل والحزم الموصول والنيل المبذول»^(٧) وقد سار خلفاؤه من بعده على نهجه^(٨) فى الاهتمام بالنشاط الاقتصادى وضبط الثغور وتأمين الطرق.

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٣٨٧، ص ٣٨٨.

(2) Budgett: The Moorish Empire, p. 54

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٦٧.

(٤) مجهول: رسائل موحدية: الرسالة الخامسة والسادسة، ص ١٠، ص ١١، ص ١٢، ص ١٣.

(٥) مجهول: المصدر السابق: الرسالة السادسة، ص ١٣.

(٦) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ١٩٣، ابن أبى زرع: الأئیس المطرب: ص ١٩٦.

(٧) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٩٦.

(٨) ابن أبى زرع: الأئیس المطرب: ص ٢٠٦، ص ٢١١، ص ٢١٧، ص ٢١٨، ص ٢٢٣، «يذكر الحميرى فى كتابه الروض المعطار أن الخليفة الناصر الموحدى قد نهض لإصلاح الطرق وضبط الثغور» انظر الحميرى: المصدر السابق: ص ٦٧، ابن أبى زرع: نفس المصدر: ص ٢٢٣، طبعة دار المنصور.

كذلك قطع الخليفة عبد المؤمن جميع المغارم والقبالات والمكوس التى فرضها المرابطون من قبل^(١)، يقول ابن القطان: «وقد ذكر لنا فى أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسى وغير ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرماً وإفكاً»^(٢).

وكان بعض الخلفاء يقومون بتنشيط حركة التجارة بمناسبة تولى الخلافة أو تجديد البيعة مثلما فعل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فى سنة ٥٦٣هـ / ١١٦٣م يقول ابن صاحب الصلاة: «وأمنهم من المخاوف فيما تقيد عليهم فى الدواوين فزاد الانبساط، والنشاط عند الناس بفضلهم وصفحه وعدله، وزادت المخازن إثر ذلك وفوراً ونمت الأرزاق وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرباحة ودرت على الناس الخيرات دروراً واغبط العالم به وبيعته، وكثر المال فى الأيدى من توالى سمحه وبركته، . . . واتصل فضله على من ذكرته فى جميع العدة والأندلس»^(٣).

وقد توفرت فى العصرين المرابطى والموحدى سبل الإقامة للتجار وذلك بإنشاء الفنادق، وكانت هذه الفنادق تقوم كما يذكر سيد عبد العزيز سالم بمهمة مزدوجة فوظيفتها الأولى خزن المتاجر والسلع لتوزيعها بعد ذلك بالجملة، والثانية إيواء التزلاء من التجار الوافدين، وكلما كانت المدينة عامرة بالمتاجر كلما ازداد عدد فنادقها^(٤)، فمدينة المرية كانت مزدحمة الفنادق لكثرة ورود التجار الأجانب^(٥) عليها فقد كان بها «ألف فندق إلا ثلاثين فندقاً»^(٦) كذلك ازدهمت مدينة مالقة بالفنادق الفخمة والحمامات الحسنة والأسواق الجامعة الكثيرة^(٧)، كذلك كانت الدولة الموحدية تساعد التجار وتعوضهم عن خسائرهم فيذكر ابن القطان «ومنها أنه رحمته (يقصد الخليفة عبد المؤمن بن على) أنه أحس بضعف

(١) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٦.

(٢) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٦، عن القبالات والمكوس انظر الضرائب: ص ١٦٠ وما بعدها.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٣٦٤.

(٤) سيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية: ص ١٦٩، ج ١ سنة ١٩٦٩ م، دار النهضة.

(٥) ياقوت: معجم البلدان: ج ٥ ص ١١٩، انظر: العذرى: من كتاب ترصيع الأخبار ص ٨٦.

(٦) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤.

(٧) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٨٧.

طلبة أهل مجلسه المكرم من طلبة الحضرة ومنهم أبو محمد المالقي^(١) وغيره فقال للأشياخ الموحدين أعزهم الله تعالى: هؤلاء طلبة غرباء والأقوال عليهم ظاهر، فنرى أنه ندفع إليهم مالا نقارضهم فيه، ويتجرون به ويردون السلف لنا، فقالوا نعم، فأسلفهم من مال المخزن ألف دينار لكل واحد منهم، فاكتمسبوا منها، وكانت أصل غناهم، ولم يأخذها منهم أبداً^(٢).

كذلك اهتم الخلفاء الموحدون بالتجار والصناع وأمناء الأسواق فالخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن «كان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم»^(٣). وهكذا تضافرت هذه العوامل مجتمعة على ازدهار الحياة الاقتصادية في إقليم غرناطة، وريادة الإنتاج سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة، ومن خلال دراسة الحياة الاقتصادية لإقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين سيتضح إلى أى مدى أثرت هذه العوامل على النشاط الاقتصادي لسكان الإقليم.

(١) هو أبو عبد الله بن عبد الرحمن المالقي، وهو من مالقة، إحدى مدن غرناطة وهو الذى ولى القضاء لعبد المؤمن بعد وفاة أبى محمد عبد الله بن جبل الوهراني، وظل على هذا المنصب طوال حكم عبد المؤمن ثم صدر من خلافة ابنه يوسف أبى يعقوب، انظر ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٣٧، هامش ٦.

(٢) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٣٧، ص ١٣٨.

(٣) المراكشي: المعجب: ص ٣٦٢، طبعة سنة ١٩٦٣.

الزراعة

كان إقليم غرناطة إقليمًا زراعيًا^(١) وكان سكانه يعتمدون اعتمادًا كبيرًا على الزراعة^(٢)، وسوف أعالج في هذا الفصل الزراعة من خلال نظام الملكية العقارية للأرض الزراعية، واستخلاص نظام الزراعة سواء طرق الري أو زراعة الأرض وفلاحتها.

الملكية العقارية:

تأثرت الملكية العقارية في البلاد الأندلسية تأثيرًا شديدًا عقب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس وقيام فتن البربر وانقسام البلاد إلى ممالك مجزأة وطوائف متعددة^(٣)، يقول المراكشي: «وأما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بني أمية فإن أهلها تفرقوا فرقًا وتغلب في كل جهة منها متغلب وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه وتقسّموا ألقاب الخلافة»^(٤).

ثم يضيف في موضع آخر «فهؤلاء (يقصد ملوك الطوائف) الرؤساء الذين ذكرنا أسماءهم هم الذين ملكوا الأندلس بعد الفتنة وضبطوا نواحيها، واستبد كل رئيس منهم بتدبير ما تغلب عليه من الجهات»^(٥) كما يذكر ابن حزم «فاقتسم ملوك الطوائف الأراضي الزراعية فيما بينهم حتى لم يبق منها إلا القليل»^(٦).

وقد شهدت الأندلس ثورتين متعاقبتين على مدى نحو نصف قرن من الزمان هما ثورة

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ص ٢٣٥، ليدن طبعة بريل سنة ١٩٠٩، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب: ج ٢ ص ١٠٢، ص ١٠٣، ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٣، العمرى: مسالك الأبصار (وصف إفريقية): ص ٣٤، ص ٣٥، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨، ص ٩٩، ص ١٢٥، ص ١٣٣، اللوحة البدرية: ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٩، المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٤٧ - ص ١٥٠، ص ١٧٥، ص ١٧٧.

(٢) يذكر ابن الخطيب «وفى هذه القرى الجمل الضخمة من الرجال والفحول من الحيوانات الحارث لآثار الأرض وعلاج الفلاحة» انظر ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٢٥، ص ١٢٦.

(٣) ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١٤٠.

(٤) المراكشي: المعجب: ص ١٢٣، طبعة ١٩٦٣.

(٥) المراكشي: المصدر السابق: ص ١٤٦، انظر أيضا السلاوى الاستقصا: ج ٢ ص ٣٠، ص ٣١.

(٦) ابن حزم: الرد على ابن النغيلة: ص ١٧٦.

لمرابطين وثورة الموحيدين وانضوت الأندلس تحت حكم هاتين الدولتين^(١) فكان لا بد أن تؤثر هذه الأحداث على نظام تقسيم الأراضي وملكيتهما سواء الملكيات العامة أو الملكيات الخاصة.

الملكية العامة^(٢):

اتجه المرابطون منذ بداية حكمهم إلى جعل الدولة تمتلك الكثير من الأراضي سواء في البلاد المغربية أو الأندلسية، فقد حكم المرابطون على من ناوهم وامتنع عن الدخول في طاعتهم بالكفر فوجب قتالهم واعتبر مالهم غنيمة^(٣) وفيثًا، فاستولى المرابطون على سجلماسة ودرعة وطبقوا هذا المبدأ، يقول ابن أبي زرع: «فأخذ عبد الله بن ياسين أموالهم ودوابهم وأسلحتهم مع الإبل التي أخذها في درعة فأخرج منه الخمس جميعه ففرقه في فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهم وقسم الباقي على المرابطين»^(٤).

(١) عن دخول الأندلس وخاصة إقليم غرناطة في حكم المرابطين انظر عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التبيان): ص ١٠٣ - ص ١٠٧، المراكشي: المعجب: ص ١٤٧، طبعة سنة ١٩٦٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج ٧ تحقيق إحسان عباس، ص ١٢٢ وما بعدها، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، ص ١٥٦، طبعة دار المنصور، سنة ١٩٧٢، مجهول: الحلل الموشية: ص ٧١ - ص ٧٥، تحقيق عبد القادر زمامة، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٤٠، النويري: نهاية الأرب: ج ٢٤ ص ٢٦٧ - ص ٢٧٠، وعن دخول الأندلس وخاصة غرناطة في حكم الدولة الموحدية انظر المراكشي: المصدر السابق: ص ٢٨٣، ص ٢٩٣، ص ٣٢١ - ص ٣٢٤، ابن أبي زرع: المصدر السابق: ص ١٨٨، ص ١٨٩، ص ١٩١، ص ١٩٣، ص ١٩٤، ص ١٩٥، ١٩٦، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٤١، النويري: نهاية الأرب: ج ٢٤ ص ٣٠٠، ص ٣٠١، ص ٣٠٨، ص ٣٠٩، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: طبعة بغداد، سنة ١٩٧٩، ص ١٣٨ وما بعدها، ص ١٨٧، ص ١٨٨، ص ١٩٦ - ص ٢٠٩، السلاوي: الاستقصا: ج ٢ ص ١٠٤، ص ١٠٥، ص ١٠٦، ص ١٠٩، وانظر أيضا العمري: مسالك الأبصار مخطوط رقم ٤٣٧٦، دار الكتب المصرية ج ١٦ قسم ٢، ٣٢٣، مراجع عقيلة الغنامي: قيام دولة الموحيدين، رسالة دكتوراة.

(٢) عن الملكية العامة ونظمها في عصر المرابطين والموحيدين ورأى الفقهاء فيها انظر ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب: ص ١٩٩، القاهرة، مطبعة السعادة، سنة ١٣٥١ هـ، الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس: ص ٣، تلمسان، سنة ١٩٢٢، الونشريشي (أبي العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب: ١٢ جزءًا، مطبعة الشافعية، بدون تاريخ، فاس ج ٦ ص ٩٦ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ٢٧٦ - ص ٢٧٨، فجر الأندلس: ص ٦١٤، إحسان عباس: الأدب الأندلسي في عصر سيادة قرطبة، ص ١٢، ص ١٤.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ٧٩، طبعة أوبسالة، ١٨٤٦ م، ص ١٢٨، ص ١٢٩، طبعة دار المنصور.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ١٢٨، طبعة دار المنصور.

أما قبائل المصامدة، فقد أقرهم المرابطون على أراضيهم مكافأة لهم بسبب تحالفهم معهم أيام الفتح الأول^(١).

أما أرض زناتة^(٢) وبرغوة^(٣) وغمارة فقد آلت إلى أملاك الدولة المرابطية^(٤)، وأصبح هذا المبدأ مطبقاً في كل حروب المرابطين^(٥).

ثم فتحت صفحة جديدة من المعارك في الأندلس أحرز فيها المرابطون انتصارات عظيمة على الفرنج وعلى رأس تلك المعارك معركة الزلاقة^(٦)، ثم بدأ المرابطون في توجيه

(١) ابن أبي زرع: المصدر السابق: طبعة دار المنصور، ص ١٢٦، ص ١٢٧ «وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده (يقصد عبد الله بن ياسين) من الزكاة والأعشار والأخماس إلى طلبة بلاد المصامدة وقضاها، واشتهر أمرهم في جميع بلاد الصحراء... وكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويشرفهم ويقدمهم على قبائل صنهاجة» انظر المصدر السابق، نفس الصفحات.

(٢) يذكر القلقشندي في كتابه صبح الأعشى «واستفحل ملك وانودين، واستضاف سجالماصة، بعض أعمال المغرب، ومات، فقام بالأمر من بعده ابنه (مسعود بن وانودين) إلى أن خرج (عبد الله بن ياسين) شيخ المرابطين... ثم ملك سجالماصة... ودخلت في ملك المرابطين لأول أمرهم وانقرضت دولة بني خزررون منها» القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٦٨، ص ١٨٧، ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣ ص ٢٤٣، ص ٢٦٤، ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ١٨٤.

(٣) ابن أبي زرع: المصدر السابق: ص ١٣٠، ص ١٣١، طبعة دار المنصور، ابن خلدون: العبر، ج ٦ ص ١٨٥.

(٤) ابن أبي زرع: المصدر السابق: ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص ١٣٠، ص ١٣١.

J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim: P. 29.

(٥) يذكر ابن أبي زرع عن استيلاء يوسف بن تاشفين على غرناطة حيث يقول «فلما وصل يوسف إلى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن بلقين وأغلق الأبواب في وجهه، فحاصره أمير المسلمين شهرين، فلما رآه تمدة بالحصار؟ عليه فبعث إليه يطلب الأمان فأمنه بعد إسلامه، فملك يوسف غرناطة وأحوازاها وجميع ما كان بيد عبد الله بن بلقين من الأعمال والبلاد، وبعث بعبد الله بن بلقين صاحب غرناطة وأخيه تميم صاحب مالقة إلى مراکش مع حريمهما وأولادهما، فأقاما بها وأجرى عليهما الاتفاق إلى أن ماتا بها» ابن أبي زرع: نفس المصدر: ص ١٥٤.

(٦) عن الزلاقة انظر ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في تاريخ أفريقية وتونس، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٧، ص ١٠٨، ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: قسم ٢ مجلد ١ ص ٢٤١، المراكشي: المعجب: ص ١٩٣، طبعة ١٩٦٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج ٧ ص ١١٦، ص ١١٧، طبعة دار بيروت، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠ ص ١٥٤، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٤٦ - ص ١٤٩، ابن خلدون: العبر، ج ٦ ص ١٨٦، مجهول: الحلل الموشية، ص ٤٣، ص ٥٠، ص ٥١، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس: (الاكتفاء) ص ٩٥، الناصري، السلاوي: الاستقصا، ج ٢ ص ٣٢، ص ٣٧، العيني، (أبو =

نشاطهم الحربى لضم الأندلس إلى دولة المرابطين والقضاء على ملوك الطوائف^(١)، فضم المرابطون أراضي ملوك الطوائف^(٢)، ومن ارتبط بهم من شخصيات ذات نفوذ^(٣)، فقام يوسف بن تاشفين بمصادرة أملاك مؤمل أحد خدام الدولة البادسية فى غرناطة^(٤)، فانسعت بذلك ملكية الدولة بالإضافة لوراثه الدولة لمن لا وارث له^(٥)، ثم بدأت الدولة المرابطية بتوزيع أراضي كثيرة على الجند والفقهاء، فتنازلت عن مساحات كثيرة من الأراضي التى تملكها^(٦) ولكنها عادت وحاولت استرجاع أجزاء من الأراضي التى فقدتها، إذ حاول الأمير على بن يوسف زيادة أراضي الدولة بوسائل متعددة منها مصادرة أملاك الأمراء المرابطين المغضوب عليهم^(٧) أو العمال الخونة^(٨)، كذلك ضم أملاك أحباس الكنائس وبيع أرض المعاهدين الذين فروا إلى أرض العدو أو أجلوا إلى البلاد الغربية وهى أراضي واسعة^(٩)، وأكثرها فى إقليم غرناطة^(١٠).

= محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان مخطوط: ج ١، دار الكتب المصرية رقم ١٥٤٨، ص ٢٥٩، شوقى أبو خليل: الزلافة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٩، ص ٤٢، محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٢ م، ص ٢٨٤ - ص ٢٨٦، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٢٧٦ - ص ٢٨٩.

- (١) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢٠٩، ص ٢١٠، تحقيق ليفى بروفنسال، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، المراكشي: المعجب، ص ١٩٦، ابن خلدون: العبر، ج ٦ ص ١٨٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٣٥، تحقيق ليفى بروفنسال، سنة ١٩٥٦.
- (٢) عبد الله بن بلقين: ص ١٤٧ وما بعدها، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، ص ١٥٦، المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٠٠، ص ٢٠١ وما بعدها، المقرئ: نفح الطيب، ج ٤ ص ٢١٦، طبعة بيروت.
- (٣) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١١٧.
- (٤) ابن الخطيب: المصدر السابق: نفس الصفحة.
- (٥) الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب: ج ٩ ص ١٦٥، ج ١٠ ص ١٥.
- (٦) مجهول: الحلل الموشية: ص ٨٢، المراكشي: المعجب: ص ٢٣٥ - ٢٣٧.
- (٧) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٧٥، انظر مثال على ذلك الأمير ينالة المرابطى الوالى على غرناطة، من سنة ٥٢٠ هـ سنة ٥٢٢ هـ، الذى ظلم واستبد بالناس والعمال والفقهاء أيضا، عن ذلك انظر ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٧٥.
- (٨) انظر محاسبة الأمير على بن يوسف لعامل الجبابة فى غرناطة عيسى بن الوكيل واستصفاء أمواله، ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٧٧، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٩٧.
- (٩) الونشريشى: المعيار المغرب: ج ٨ ص ٣٩ - ص ٤٥.
- (١٠) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ١٠٩ - ص ١٦٦، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص ٩١.

لكن معظم هذه الأراضى كانت ملكاً للفقهاء الذين حظوا بمنزلة رفيعة فى دولة المرابطين^(١)، وينزل المراكشى: «لم يزل الفقهاء عل ذلك، وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم، طول مدته (يقصد على بن يوسف) فعظم أمر الفقهاء كما ذكرنا، وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثر لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم»^(٢).

وقد اتبع الموحدون سياسة مختلفة بالنسبة لتملك الدولة للأراضى الزراعية، فقد كفر ابن تومرت كل من لم يؤمن بأفكاره^(٣) «وأما ما غالط به المهدي رحمه الله من أن المرابطين مجسمة، وأن جهادهم أوجب من جهاد الكفار»^(٤) فأحل دمه وماله واسترقاق نسائه وأطفاله^(٥)، يقول المراكشى: «ولما كانت سنة ٥١٧ هـ جهز (يقصد المهدي بن تومرت) جيشاً عظيماً من المصامدة جلهم من أهل تينمل، مع من انضاف إليهم من أهل السوس، وقال لهم: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر، وإحياء المعروف، وإزالة البدع، والإقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجاوبكم فهم إخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم»^(٦) ويتضح من النص السابق أن الموحدين كفروا الأمراء المرابطين والفقهاء المالكية المتعاونين معهم^(٧)، فوزع ابن تومرت أموال هؤلاء المخالفين أو المنكرين بعد تخميسها على الموحدين، يقول ابن القطان فى حرب الموحدين ضد

(١) المراكشى: المعجب، ص ٢٣٥.

(٢) المراكشى: المصدر السابق، ص ٢٣٥ - ص ٢٣٧ «يتضح من النص السابق أن أكبر الملاك فى العصر المرابطى كانوا من الفقهاء ولهذا سيكونون أحرص من غيرهم على عدم المساس بالأموال الخاصة».

(٣) السلاوى: الاستقصا: ج ٢ ص ١٠٣، ابن أبى رزع: المصدر السابق: ص ١٧٣ - ص ١٧٥.

(٤) السلاوى: المصدر السابق: ج ٢ ص ١٠٣.

(٥) ابن أبى رزع: المصدر السابق، ص ١٧٨ - ١٧٩، المراكشى: المعجب، ص ٢٦٠، السلاوى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٨٤.

(٦) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٦٠.

(٧) الإدريسي: نزهة المشتاق (ط. د.): ص ٦٨، ابن القطان: نظم الجمان، ص ٤٢، ص ٤٨، ص ٨٥، ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤ ص ٦٨.

المرابطين ومن معهم من المخالفين «فقتل منهم فى ذلك اليوم نحو خمسة عشر ألفاً... وقاتل من ذلك القبيل كل من حضر فى ذلك اليوم بتينمل وسبى حريمهم وغنمت أموالهم فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه وأصفى ديارها جوائز، جوائز لكل جائزة قبيلة»^(١) وسار الخليفة عبد المؤمن على نفس السياسة خاصة فى البلاد المغربية^(٢).

ويذكر عز الدين موسى أن بعض القبائل المغربية ثارت بسبب تخميس أموالها وأراضيها وهم مسلمون^(٣)، ففى عام ٥٤٢هـ / ١١٤٧م قامت ثورة ضد الدولة الموحدية الوليدة يتزعمها رجل يدعى الماسى، يقول ابن أبى زرع: «ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، فيها خرج على أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على الماسى وتسمى بالهادى، واسمه محمد بن هود بن عبد الله، وكان قصاراً بمدينة سلا... فخرج على عبد المؤمن بعد أن حضر معه فتح مراکش... فغلب على بلاد تامسنا وأكثر بلاد المصامدة، فبايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت عبد المؤمن إلا مراکش»^(٤).

وأعقبت تلك الثورة ثورة دكالة وبرغواطة يساندهم الفقهاء، المالكية أمثال بنى غانية والقاضى عياض، يقول ابن أبى زرع «ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، فيها ارتحل عبد المؤمن إلى سجلماسة فدخلها وأمن أهلها، ثم رجع إلى مراکش فأقام بها أياماً وخرج إلى غزو برغواطة فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة هزم فيها عبد المؤمن، ثم كانت الكرة عليهم، فأجال فيهم السيف، ولم يبق منهم إلا من لم يبلغ الحلم، وفى خلال هذه (كذا) الأيام قام أهل سبتة على الموحدين بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة، وكان قيامهم عليهم برأى قاضيتهم عياض بن موسا (كذا) فقتلوا من بها من الموحدين وعمالهم وأحرقوهم بالنار وركب عياض البحر إلى ابن غانية بالبيعة وطلب منه واليا، فأرسل معه الصحراوى فدخلها وأقام بها أياماً، فلما سمع برغواطة بخروج عبد المؤمن إليهم كتبوا إلى الصحراوى وإلى سبتة يستنصرون به، فأتاهم فبايعوه واجتمعوا عليه وقاتلوا عبد المؤمن وهزموه ثم كانت الكرة عليهم وهزمهم وقتلهم وسباهم، فهرب الصحراوى وراسل عبد

(١) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٩٤.

(٢) ابن أبى زرع: الانيس المطرب: ص ١٨٦، ص ١٨٧.

(٣) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس ص ١٣٥.

(٤) ابن أبى زرع: الانيس المطرب: ص ١٩٠.

المؤمن يطلب منه الأمان، فأمنه وأتاه وبايعه... فلما رأوا (كذا) ذلك (كذا) أهل سبسة سقط في أيديهم وندموا على صنعهم وكتبوا ببيعتهم إلى عبد المؤمن... فعفا عنهم وعن القاضي عياض^(١).

وبعد هذه الثورات التي قامت في وجه الدولة الموحدية عدل الخليفة عبد المؤمن بن علي عن هذه السياسة وبدأ يتبجح سياسة توحيد القبائل في دولة واحدة، فأكد على احترام الملكية الخاصة وعدم التعرض لها لأنها مخالفة لأحكام الشرع^(٢) «وقد اتصل بنا - وفقكم الله تعالى - أن من لا يتقى الله تعالى ولا يخشاه، ولا يراقبه في كبيرة يغشاها وتغشاها، ولا يؤمن بيوم الحساب فيما أذاعه من المنكر وأفشاه، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار ويتشرون بالقتل بأعراض الناس أقبح الانتشار، يستحلون حرمت المسلمين من غير حلها، ويسارعون إلى نقض عقد الشرع وحلها، ويصفون الشدة والغلظة بطرا ورياء في غير محلها، ويتدعون، من وجوه المظالم ما تضعف شواهد الجبال عن حملها... فضلاً عن استباحة أموالهم وأعراضهم بتليسات ينشئونها ومزورات يضيفونها إليهم وينسبونها وينظرون إلى إهضام حق الله تعالى»^(٣).

فسمح لتلك القبائل النائرة بالعودة إلى أراضيها وفلاحتها^(٤) «وأن من رأى الذميمة والسعي المنقوم، ما ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها»^(٥).

أما في البلاد الأندلسية فقد سار الخلفاء الموحدون على النهج ذاته من توحيد القبائل النائرة تحت راية الدولة الموحدية^(٦)، فيذكر البيهقي أن السيد أبا حفص الموحدى خرج

(١) ابن أبي زرع: المصدر السابق: ص ١٩٠، ص ١٩١.

(٢) البيهقي: أخبار المهدي بن تومرت، طبعة دار المنصور، ص ٥٦، سنة ١٩٧١، ص ١٠٦، طبعة ليفي بروفنسال، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ قسم ٣ القسم الموحدى، تحقيق هويشى ميراند، ص ١٨، ص ٢٥، ص ٢٦.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٣، ص ١٥٤ - ص ١٥٧.

(٤) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٧.

(٥) ابن القطان: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٦) مجهول: رسائل موحدية: ص ٤٤، ص ١٥٢.

لملاقاة الثائر ابن ملجان بوادى آش وبسطة من أعمال غرناطة فوحد له^(١)، واحتفظت هذه القبائل بأراضيها واعتبرت هذه الأراضي أرضاً خراجية يؤدي عنها الخراج للدولة^(٢).

يقول ابن أبى زرع «وفى هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب وكسرها من بلاد أفريقية من برقة إرلى بلاد نول من السوس الأقصا (كذا) بالفراسخ والأميال طولاً وعرضاً فأسقط من التكسير الثلث فى الجبال والشعراء والأنهار والسبخ والطرق والحزون، وما بقى قسط عليه الخراج وئزّم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب»^(٣).

أما الشوار الذين كانوا يخرجون على الدولة من وقت لآخر فقد تملك الموحدون أراضيهم تأديباً وعقاباً لهم^(٤) هذا فضلاً عما يرد من الأبواب المعتادة من استصفاء أموال المغضوب^(٥) عليهم ووراثه الدولة لأملاك من لا وراث له^(٦).

الإقطاع:

منذ أن اعتبر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز الأندلس ثغراً أعطى العرب الوافدين على الأندلس إقطاعات واسعة، يقول ابن الخطيب: «ولما استقرّ ملك الإسلام بجزيرة

(١) البيهقي: أخبار المهدي بن تومرت: ص ٨٨، طبعة دار المنصور، انظر عن تأمين الموحدين لاهل غرناطة: ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤ القسم الموحدي تحقيق هويشى ميراند، ص ٣٣، انظر أيضا ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ١٩٥، وعن توحيد الموحدين للثائر ابن همشك بغرناطة انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ٤١٢ - ص ٤١٦.

(٢) ابن أبى زرع: الانيس المطرب، ص ١٩٩، عن الخراج انظر النظام المالى: ص ١٥٨.

(٣) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٩٨ - ص ١٩٩، السلاوى: الاستقصا، ج ٢ ص ١٢٤.

(٤) عن الثوار الخارجين على الموحدين انظر النوبرى: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٠٩، ص ٣٢٢، ص ٣٢٣، ص ٣٢٥، ص ٣٢٨، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ٢٧٥، ص ٣١٢، يذكر ابن صاحب الصلاة عن ما أخذه الموحدون من ابن مردنيش فى الأندلس «وأن غنائم بسطة إحدى قرى إقليم غرناطة غنم فيها الموحدون الكثير» انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ٢٨٤، وعن غدر ابن همشك وثورته فى غرناطة انظر المصدر السابق، ص ١٨٠ - ٢٠٩، المراكشى: المعجب، ص ٣١٨، ص ٣٢٤، ص ٣٢٨.

(٥) انظر أمثلة فى ذلك فى ابن عذارى: البيان: ج ٤ القسم الموحدي ص ٢٣، تطوان، ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر: ص ١٨٢، ص ١٩٥، ص ١٩٨.

(٦) الوتريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب: ج ٩ ص ١٦٥.

الأندلس، ورمى إلى قصبتها الفتح وشرأب في عرصات الدين، ونزلت قرطبة وسواها العرب، فقبووا الأوطان وعمروا البلدان^(١) كما يضيف أن أبا الخطار والى الأندلس «أنزل جند دمشق كورة البيرة وجند الأردن كورة جيان وجند مصر كورة باجة وبعضهم بكورة تدمير: فهذه منازل العرب الشاميين، وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة، وبقي العرب البلديون والبربر وشركاؤهم، فلما رأوا بلدانا شبه بلدانهم بالشام نزلوا وسكنوا واغتبطوا وكبروا وتحولوا، إلا من قد نزل منهم... موضعاً رضيعاً»^(٢).

فلما كان عهد المنصور بن أبي عامر (٣٦٦هـ - ٣٩٢هـ) أبطل هذا النظام ورد الإقطاعات وجعل الحكومة هي المشرفة عليها بعد أن انتزع هذه الأرض من أصحابها العسكريين^(٣) وفرض على الأرض الجباية وقدم عليها جباة يجبونها فظلموا المزارعين مما حملهم على الهرب وترك الأرض^(٤)، يقول الطرطوشي: «فقلت الجبايات المرتفعة إلى السلطان وضعفت الأجناد»^(٥) وسار ملوك الطوائف على هذا النظام^(٦) الإقطاعي، فلما أصبحت الأندلس ولاية مرابطية عادوا إلى ما كان سائدا قبله من إقطاع الجند أرزاقهم^(٧)، يقول صاحب الحلل الموشية: «فمن ظهرت نجدته وشجاعته وإعائته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده»^(٨).

وكان الجند والفقهاء هم المنتفعون أساساً بهذه السياسة وحُرِّم الحكام السابقون إلا عبد الله بن بلقين وأخوه تميم^(٩) «وظهر أمر المرابطين بالمغرب واستفحل ملك يوسف بن

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٣.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٠٢، ص ١٠٣، عن إقطاع العرب إقطاعات في

الأندلس انظر حسين مؤنس: فجر الأندلس: ص ٦١٨، ص ٦٢١.

(٣) «عندما نزع المنصور بن أبي عامر الأرض من العسكريين أعطاهم رواتب مشاهرة» عن ذلك انظر

الطرطوشي: سراج الملوك: ص ١٢٣، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٠٥.

(٤) الطرطوشي: المرجع السابق: ص ٢٠٩، حسن أحمد محمود: المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٥) الطرطوشي: نفس المصدر: ص ١٢٣.

(٦) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التيان) ص ١٧.

(٧) الطرطوشي: المصدر السابق: نفس الصفحة، مجهول: الحلل الموشية: ص ٨٢، تحقيق عبد

القادر زمامة، ابن عذاري: البيان المغرب: ج ٤ ص ٧٣.

(٨) مجهول: المصدر السابق: ص ٨٢.

(٩) ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ١٨٠، ١٨١.

تاشفين فولى من بعده «يقصد باديس» حافده عبد الله بن بلقين بن باديس، وتغلب على المظفر وعقد لأخيه تميم على مالقة فاستقام أمرها إلى أن جاز يوسف بن تاشفين إلى العدو أجازته المعروفة كما نذكره فى أخباره، ونزل بغرناطة سنة ثلاث وثمانين فقبض على عبد الله بن بلقين واستصفى أمواله وذخيرته وألحق به أخاه تميما من مالقة واستصحبهما إلى العدو فأنزل عبد الله وتهيما بالسوس الأقصى وأقطع لهما إلى أن هلكوا فى أيالته»^(١).

وفى العصر الموحدى استمر نظام الإقطاع ولكنه اتخذ أشكالا تختلف عنها فى عصر المرابطين، فقد لجأ الموحدون إلى منح الإقطاعات لمن يخشون فتنه أو اتقاء شره فكانوا يقطعونه إقطاعا تسكيئا له وتجنباً لثورته^(٢)، فكانوا يقطعون هؤلاء الثوار المستسلمين إقطاعات تكون عادة بعيدة عن مناطق نفوذهم لئلا تحدثهم نفوسهم بالثورة على الدولة مرة أخرى وهو ما اتبعه الموحدون مع الثائر ابن همشك^(٣)، إذ يذكر ابن الخطيب أن الموحدين أقطعوه «سأما بها خطر»^(٤).

كذلك أقطع الموحدون أنفسهم الإقطاعات الواسعة مثلما فعل الخليفة أبو يوسف يعقوب الموحدى مع أعمامه لما تلكثوا عن بيعته ثم استجابوا، يذكر المراكشى «وبها تمت بيعته واستجاب له من كان تلكأ عليه من أعمامه من ولد عبد المؤمن، بعدما ملأ أيديهم أموالاً وأقطعهم الإقطاع الواسعة»^(٥) كذلك أقطع الموحدون كل من أسرع فى مبايعتهم من

(١) ابن خلدون: المصدر السابق: ج ٦ ص ١٨٠ - ص ١٨١، «عن إقطاع يوسف بن تاشفين إقطاعاً لعبد الله بن بلقين» انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٥٤، طبعة دار المنصور، السلاوى: الاستقصا: ج ٢ ص ٤٨.

(٢) مثل الثائر ابن همشك الثائر بغرناطة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٣٠٢.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ٣٠٢، وكذا يسميه المراكشى صاحب المعجب «وقد صفا ما بينه وبين الموحدين فى آخر أمره، فأقطعوه بمكناسة أملاكاً ذات خطر، وأقام بها إلى أن مات» المعجب: ص ٢٨٠، طبعة ١٩٦٣، عن ابن همشك والتوصية له بالإقطاع انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١ - ص ١٩٧، ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ٢٩٦ - ص ٣٠٣.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ٣٠٢ (يذكر ابن الخطيب أن هذا الإقطاع كان فى مكناسة) المصدر السابق: ص ٣٠٢، «السوام والسائمة أى الأبل الراعية» ابن الخطيب: نفس المصدر: ص ٣٠٢.

(٥) المراكشى: المعجب، ص ٣٤٠، ص ٣٤١، طبعة ١٩٦٣.

الأمراء والقبائل والأفراد، فقد أقطع الموحدون أهل شريش^(١) بالأندلس الإقطاعات وحررت أملاكهم وكانوا مقدمين عند الخليفة على سائر الوفود^(٢)، قال السلاوى «ولما أجازوا إلى الأندلس نزلوا بأبى الغمر بن غمرون، صاحب شريش، فكان أول بلد فتحوا من الأندلس بلد شريش، خرج إليهم صاحبها أبو الغمر فيمن معه من المرابطين وبايعهم لعبد المؤمن ودخل فى طاعته، فكان الموحدون يسمون أهل شريش بالسابقين الأولين، وحررت أملاكهم فلم تزل محررة سائر أيامهم»^(٣).

واتبعت الدولة الموحدية نظاماً آخر هو مشاركة الدولة للملك، فيذكر عز الدين موسى «أن الموحدين بهذا النظام عادوا إلى نظام الرقطاء العامرى مستعملين اصطلاحاً آخر وهو الإسهام^(٤)، وعلى هذا يكون للدولة حصة من دخل الأرض»^(٥).

وكان لأراضى الدولة ديوان خاص مسئول عن إدارتها عرف فى البلاد الأندلسية بديوان المستخلص^(٦).

وفى إمارة يوسف بن تاشفين يبدو أن مستخلص البلاد الأندلسية كلها كان فى ديوان واحد مركزه غرناطة^(٧).

(١) «من كور شذونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمس وعشرون ميلاً، وهى على مقربة من البحر، يجود زرعها ويكثر ريعها» الحميرى: الروض المعطار: ص ١٠٢

(٢) السلاوى: الاستقصا، ج ٢ ص ١٠٤.

(٣) السلاوى: المصدر السابق: ج ٢ نفس الصفحة.

(٤) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ١٤٧.

(٥) لا تعطى المصادر معلومات وافية عن مقدار هذا الإسهام الذى يقطع للفرد الواحد، فأحياناً يوصف بالسعة أو الخطر أو الولاية الكبيرة أو القرى الكثيرة، أو الضيعة الواحدة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ٣٠٢، ابن القطان: نظم الجمان، ص ١٣٧، ابن خلدون: العبر، ج ٦ ص ١٦٢.

(٦) المستخلص هو الأراضى الزراعية والعقارات التى تخص بيت المال حيث تشير المصادر إلى مال الدولة كأنه مال الأمير المرابطى أو الخليفة الموحدى لأنه رمز للدولة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١١٦، ص ١٢٦.

(٧) يذكر المؤرخ ابن سعيد أن أبا محمد عبد الرحمن بن مالك كان يدير المستخلص فى عهد يوسف ابن تاشفين فى غرناطة، انظر ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ١١٧، الفتح بن خاقان: قلائد العقيان: ص ١٧٠، الخريدة ج ١٢ ورقة ١٤٠.

وفى عهد ابنه على بن يوسف بن تاشفين تعددت الدواوين، فأنشئ فى كل قاعدة أندلسية ديوان^(١).

وفى العصر الموحدى كان صاحب المستخلص يعرف باسم أمين الضياع^(٢) وهو المشرف على أموال الخليفة والمحافظ عليها، يذكر البيذق «وفى ذلك العام أخذ الخليفة فى سهمه ثمانمائة ناقة وجعل عليها ابن وامانون يرهاها»^(٣) ويبدو أن بعضهم كان مطلق اليد كابن هدية «من أهل الدين والفضل والأمانة بالفسير والأعمال السلطانية وولى المستخلص بغرناطة فثقب وأجاد النظر وباشر جلال الأمور... وحمى المناصفين، ورفع المؤمن والكلف عنهم ووسع بسليف البذور عليهم... وخص أحباس جامع غرناطة بفضل مال كثير من غلقه»^(٤).

كذلك حظى أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن سعيد بمكانة خاصة لدى الخليفة عبد المؤمن بن على حيث ولاء مستخلص غرناطة وأشبيلية وسلا^(٥) «كان وزيراً جليلاً بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهمة كثير الأموال»^(٦).

الملكية الخاصة:

تعددت فى ذلك العصر سبل الملكية الخاصة، فلما أن تأتى الأملاك هبة من الدولة أو إقطاعاً^(٧) منها أو تأتى بطريق الإرث أو الشراء^(٨)، هذا وقد كثرت الإشارات إلى الأراضى

(١) كابن هدية الذى تولى المستخلص للأمير على بن يوسف فى غرناطة: ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ٤٢٩، وابن زهر الذى تولى المستخلص فى أشبيلية: ابن عذارى: البيان، ج ٤ ص ٦٥.

(٢) البيذق: أخبار المهدي، ص ٧٨، طبعة دار المنصور.

(٣) البيذق: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ٤٢٩، ص ٤٣٠.

(٥) ابن سعيد: المغرب، ج ٢ ص ١٦٢.

(٦) ابن سعيد: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٦٢، هامش رقم ١.

(٧) انظر ما سبق عن الهبات، انظر ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج ٢ ص ٤٠٠ - ص ٤٠٧، دار التوفيق، سنة ١٩٨٣.

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٢٦، ابن خلدون: المقدمة: ج ١ ص ٣٦٧.

الموروثة في العصرين المرابطي والموحدي وذلك يدل على كثرة الأملاك الموروثة وازدياد خطة الموارث^(١).

وكانت الملكيات الخاصة في البلاد الأندلسية خاصة المناطق الزراعية كغرناطة وأشبيلية أكثر من الملكيات الخاصة في البلاد المغربية فكان بعض الملاك يمتلكون قرية أو اثنتين. وقد أشار المؤرخ الغرناطي ابن الخطيب إلى حوالي ثلاثمائة قرية يمتلكها أفراد أو بشارك أكثر من شخص في امتلاك قرية واحدة^(٢).

وكان أكثر الملاك في عصر المرابطين وعصر الموحدين هم الفقهاء، وأهل العلم والمتصوفة^(٣)، فقد تحالف الفقهاء مع المرابطين ونالوا الحظوة عندهم واحتلوا المراكز الكبرى فازدادت ثرواتهم^(٤) «ولم يزل الفقهاء على ذلك، وأمور المسلمين واجعة إليهم، وأحكامهم صغیرها وكبیرها موقوفة عليهم، طوال مدته، فعظم أمر الفقهاء... وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثر لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم»^(٥).

وكان بنو أرسالية من أشهر أسر الفقهاء، وأكبر الملاك في إقليم غرناطة^(٦)، كذلك كان بنو سعيد أمراء قلعة يحصب^(٧) من أكبر الملاك، أما في مالقة فكان لبنى حسون^(٨) وبنى الحسن وهما من أسر الفقهاء أملاك واسعة أيضاً^(٩).

(١) عن الوراثة انظر الونشريشي: المعيار المغرب: ج ٦ ص ١٣٨ وما بعدها، ابن رشد: المصدر السابق: ج ٢ ص ٤١٦ - ص ٤٢٧، انظر أيضا ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ٢٨٦.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص ١٢٨.

(٣) التادلي (أبو يعقوب يوسف بن الزيات): التشوف إلى رجال التصوف: ص ١١١، ص ١٣٣ «كان بنو أرسالية من أشهر الأسر التي اشتغل أهلها بالعلم والفقه في إقليم غرناطة» ابن الأبار: التكملة: ج ٢ ص ٥٧٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام: طبعة ليفي بروفنسال ص ٢٥٥ وبنو حسون في مالقة، التكملة ج ١ ص ٤٢١، وبنو الحسن أيضا في مالقة، النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا: ص ١١٤، تحقيق ليفي بروفنسال القاهرة دار الكاتب المصري سنة ١٩٤٨.

(٤) المراكشي: المعجب: ص ٢٣٥.

(٥) المراكشي: المصدر السابق: ص ٢٣٥.

(٦) ابن الأبار: القضاى: التكملة لكتاب الصلة: ج ٢ ص ٥٧٧، تحقيق كوديرا، مدريد، سنة

١٨٨٨ م ١٨٨٩ م، ابن الخطيب: أعمال الأعلام: ج ٢ ص ٢٥٥، طبع وتحقيق ليفي بروفنسال.

(٧) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب: ج ٢ ص ١٦٠ - ص ١٨١.

(٨) ابن الأبار: المصدر السابق: ج ١ ص ٤٢١.

(٩) أبو الحسن النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا: تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، دار الكاتب المصري، سنة ١٩٤٨ م، ص ١١٤.

وهكذا كان فقهاء عصر المرابطين وعصر الموحدين من كبار الملاك للأراضي الزراعية ولهذا فقد قوى نفوذهم في البلاد.

أما في فترة الانتقال من عصر المرابطين إلى عصر الموحدين وما صاحب ذلك من ثورات واضطراب نجد أنه قد كثر استغلال أرض الآخرين ظلماً وتعدياً، فلجأ ضعفاء الناس إلى بيع أراضيهم بسعر زهيد، ويعلل ابن خلدون هذه الظاهرة «بأن العقارات والضياح ترخص في فترة الانتقال من دولة إلى أخرى حتى يستحوذ الفرد على أملاك الكثيرين» ويسمى ابن خلدون هذه الظاهرة «حوالة الأسواق»^(١).

وقد أثرت حوالة الأسواق هذه على الملكيات الخاصة، وكثرت هذه الظاهرة في فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، فتغلب القوى على الضعيف واستولى بعض الأفراد على أملاك الناس^(٢) وغدوا ملاكاً كباراً ولم يكونوا قبل ذلك شيئاً^(٣) «وهذا معنى الحوالة فيها يصبح مالکها من أغنى أهل المصر وليس بسعيه واكتسابه إذ قدرته تعجز عن مثل ذلك»^(٤) مثل ابن ملحان في وادي آش^(٥) ويسطه من أعمال غرناطة.

وكان النساء من بين الملاك أيضاً وملك بعضهن أراضي كثيرة إما بطريقة الوراثة^(٦) أو الشراء^(٧) أو الصداق^(٨).

وبذلك يتضح لنا أنه على الرغم من وجود الملكيات العامة للدولة وجدت إلى جانبها

(١) ابن خلدون: المقدمة: ج ١ ص ٣٦٧، انظر عن ذلك عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي ص ١٤٩.

(٢) المراكشي: المعجب: ص ٢٤١.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق: ج ١ ص ٣٦٧.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق: ج ١ ص ٣٦٧.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، طبعة ليفي بروفسال، ص ٢٦٤، البيذقي: أخبار المهدي: ص ٨٨، طبعة دار المنصور.

(٦) القاضي أبو الوليد بن رشد الحفيد ت ٥٩٥ هـ: بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج ٢ ص ٤١٨، تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم، دار التوفيق للطباعة، سنة ١٩٨٣ م - ١٤٠٣ هـ.

(٧) الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب: ج ٥ ص ٢١٣، ج ٦ ص ١٣٨.

(٨) القاضي أبو الوليد بن رشد الحفيد: المصدر السابق: ج ٢ ص ٣٠ - ٣٤، الونشريسي: المصدر السابق: ج ٣ ص ٢٩١ - ٢٩٧.

الملكيات الخاصة أيضاً والتي كثرت في هذين العصرين، فأسهمت تلك الملكييات في رفع مستوى الزراعة.

الرى والنظام الزراعى:

أوردت بعض المصادر بعض إشارات تدل على أن المرابطين اهتموا بمشاريع الرى في البلاد الأندلسية والمغربية فأولوه عناية خاصة، فقد دأب ابن هدية صاحب المستخلص في إقليم غرناطة على غرس الأشجار فى مناطق المياه لتخفيف تبخرها^(١)، وما أن استقر الأمر للموحدين حتى شرعوا فى إكمال ما بدأه المرابطون فى ذلك المجال محاولين الاستفادة من تجارب العهد الرومانى بالكشف عن آثار مشاريع الرى القديمة لتجديدها^(٢) للاستفادة من مياه الأنهار والعيون وجرها إلى البساتين بوسائل متعددة، منها تفريع الأنهار إلى جداول وشق الترع، وتتجلى جهودهم هذه فى إقليم غرناطة^(٣).

وفى مالقة استعملوا طريقة الرى بالأحواض^(٤)، على نسق ما كان يتبعه المصريون فى الرى، وكانت أكثر وسائل الرى انتشاراً هى الروافع من السواقي أو النواعير التى تديرها الدواب التى غالباً ما تكون من الثيران^(٥)، وأفادت تلك الوسائل فى زراعة ضفاف الأنهار

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٤٢٧، ص ٤٢٨.

(٢) كانت المناطق التى تسودها الحضارة الرومانية قديماً قد تقدمت فى وسائل الرى أكثر من غيرها، فتركت آثارها على سكان تلك المناطق، فظلت المياه تجلب إلى الهضاب حول غرناطة لرى تلك المناطق، انظر ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١١٧ - ص ١٢٠.

(٣) شكلت جداول الأنهار حول غرناطة دفاعاً طبيعياً عن المدينة من ابن همشك فى سنة ٥٥٦ هـ - ١١٦١ م وكيف حالت الأنهار دون ذلك: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨٨، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ القسم المحدث تحقيق هويش ميراند ص ٥١، ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ٣٠١، عن ذلك انظر أيضاً ابن الخطيب ج ١ ص ٩٦، المقرئ: نفح الطيب: ج ٣ ص ٢٦٧، ج ٤ ص ٢٨٩، طبعة دار صادر بيروت، القلقشندى: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٥، العمري: مسالك الأبصار (وصف إفريقية): ص ٣٥، ص ٣٦، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤.

(٤) ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ١٢٥.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٢٥ «وفى هذه القرى الجمل الضخمة من الرجال، والفحول من الحيوان الحارث» انظر المصدر السابق: نفس الصفحة.

والبساتن قرب العيون فى إقليم غرناطة مثل نهر شنيل^(١) وحدره فى غرناطة^(٢) ونهر وادى آش^(٣) ووادى بجانة الذى يسقى بساتين المرية^(٤) ووادى برجة قرب المرية^(٥) أيضاً، وإلى جانب جهود المرابطين والموحدين لتوفير مياه الرى، ظهرت جهود فردية يبذلها أصحاب الأراضى الزراعية أنفسهم كما فعل ابن ملحان فى وادى آش^(٦).

واعتمد أهل إقليم غرناطة على الأمطار أيضاً فى رى مزارعهم خاصة فى المناطق الجبلية حول المدينة^(٧)، فكانوا يحرصون على الاحتفاظ بمياه الأمطار وتخزينها فى صهاريج^(٨) ابتداء من شهر ديسمبر^(٩) واستعمالها وقت الحاجة، خاصة فى فترة الجفاف

(١) ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١٠٢، ص ١٠٣، ابن سعيد: كتاب الجغرافية، ص ١٦٧، تحقيق إسماعيل العرب الجزائر سنة ١٩٨٢، ابن الخطيب: المصدر السابق، ج ١ ص ١١٨، العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية): ص ٣٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ١١٢.

(٢) العمرى: المصدر السابق: ص ٣٧، القلقشندي: المصدر السابق، ج ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٣، ص ٢٤، ابن صاحب الصلاة: المن بالامامة، ص ١٩٠، هامش رقم ٤. (٣) الإدريسي: نزهة المشتاق (ط. د) ص ٢٠٢، القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢٢١، ابن الخطيب: اللحة البدرية ص ٢٩، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٩٢.

(٤) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٨٤، «ووادى بجانة يعمُّ بالسقى بساتين المرية» المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) ابن سعيد: ج ٢ ص ٢٢٨، المقرئ: النفع الطيب: ج ١ ص ١٤٣، طبعة سنة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٥٠ طبعة سنة ١٩٦٨ م.

(٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام: طبعة ليفى بروفنسال: ص ٢٦٤.

(٧) «يذكر ابن الخطيب أن هذه الجبال تتراكم عليها الثلوج شتاء وفى الصيف عندما تسطح الشمس تذوب هذه الثلوج وتنساب من الجبال حوالى ستة وثلاثين جدول ونهر صغير تسقى الأرض بها» انظر ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ٩٦، انظر ابن سعيد: الجغرافية: ص ١٦٧، الحميرى: الروض المعطار: ص ١١٢.

(٨) عن احتفاظ أهل غرناطة بمياه الأنهار فى صهاريج انظر المقرئ: نفع الطيب: ج ٣ ص ٤٩٧، طبعة دار صادر بيروت، العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية): ص ٣٩، «الصهرج بمعنى البركة» انظر القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ١٥٦، ويسمونها المغاربة المواجل: العمرى: المصدر السابق: ص ٦.

(٩) عريب بن سعد القرطبى: تقويم قرطبة: ص ١٨٥، طبعة دوزى، ليدن بريل، المطبعة الجديدة، سنة ١٩٦١ م.

وقلة الأمطار، كذلك قام أهل غرناطة ببناء عدة قناطر على نهر شنيل وحدة لنفس الغرض، ومن أهم هذه القناطر قنطرة ابن رشيق وقنطرة القاضي^(١) وقنطرة حمام جاشي والقنطرة الجديدة وقنطرة العود وقنطرة شنيل^(٢)، وحفروا الآبار وفرعوا النهرات جداول^(٣) لسقى مزرعاتهم.

طرق الزراعة:

كان العمل الزراعى فى إقليم غرناطة شأنه شأن باقى أقاليم الأندلس يقوم على الدورة الزراعية الثلاثية، فكانت الأرض بين بور وقلب ومعمور، فالبور لا تصلح إلا بالقلب والتزليل^(٤)، أما القلب أو التقلب فهو حرث الأرض مرتين إلى أربع مرات حسب نوع الأرض ونوع الزرع أو الغرس، وتقلب الأرض هذا يبدأ عادة فى شهر يناير ويستمر إلى يونيو لتترك الأرض لحرارة الشمس لأن بعض المحاصيل لا تجود إلا فى أرض التقلب كالقمح والعدس^(٥)، ولقد كان الغرناطيون كغيرهم من أهل الأندلس على دراية بطرق تجهيز الأرض قبل زراعتها، فكانت الأرض تحرث بواسطة الثور^(٦) «حرث زراعة»^(٧) ويتم تعديل الأرض الصغيرة بالمرجقيل (ميزان الماء)^(٨) أما الكبيرة فيتم تعديلها بالجاروف الذى تجره البقرة^(٩).

وكان إذا تم تعديل الأرض خططت للغرس خطوطاً مستقيمة مقابلة للريح من كل جهة حيث تتباعد الغروسات والأحواض حسب اختلاف أنواع الثمار^(١٠).

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨٥، هامش رقم ١،

Huici Mirinda: Historia, P. 200 - 201.

(٢) العمرى: وصف إفريقية: ص ٣٧، ص ٣٨.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١١٩.

(٤) ابن بصال: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال: كتاب الفلاحة: تحقيق بيكيروسا ومحمد عزيان، تطوان، منشورات معهد مولاي الحسن، سنة ١٩٥٥ م، ص ٥٧.

(٥) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٥٦، ص ٥٧.

(٦) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٢٥.

(٧) الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار: ج ٦ ص ٤١، ج ٨ ص ١٠٤.

(٨) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٢٣، Dozy: Supplement 11, P. 579.

(٩) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٥٥.

(١٠) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٥٦، ص ٦٠، ص ٦٢، ص ٦٧.

هذا واهتم فلاحو إقليم غرناطة اهتمامًا خاصًا بالتزليل فكانوا يستخدمون زبل الخيل والبغال والحمير والمخلفات الآدمية والغنم والحمم ورماد الحمامات ثم المولد من الحشيش والتراب^(١)، وكانوا يعرفون ما يوافق كل تربة من هذه الأنواع وهذه الأسمدة.

وكان أهل غرناطة على علم بطبائع الثمار وغراستها وزمن غرس كل نوع^(٢) من أنواع الثمار، وما يروى بالأنهار أو العيون أو مياه الأمطار أو الآبار^(٣) وكانوا أحيانًا يزرعون ثمارًا في غير أوقاتها كقصب السكر واللوز اللذان زرعًا في فحص البيرة^(٤) مع أنهما لا يزرعان في الأندلس إلا في المناطق الساحلية^(٥)، كذلك كانوا يقومون بزرع الياسمين والموز والخضر في غير أوقاتها ولهذا كانوا يغطونها حتى لا يضر الجليد بها^(٦)، كذلك قام أهل غرناطة بزراعة الزعفران - الذي اشتهرت به باغة^(٧) من أعمال غرناطة - بطريقة البستنة أى زراعته في بساتين على الرغم من أن هذا النبات لا ينمو إلا في الصحراء^(٨).

وبين ابن بصال صاحب كتاب الفلاحة في فصل من كتابه طريقة تطعيم النبات^(٩)، وكذلك طرق زراعة الجبوب مثل الحمص وكيفية إعداد الأرض لذلك وعدد مرات سقاية الأحواض^(١٠) وزراعة الفول وأنسب الأوقات لذلك وأحسن تربة لإنتاج محصول وافر^(١١)، وزراعة الأرز الذى لا يؤكل إلا بعد تقشير^(١٢)، كما عرف أهل غرناطة الوقت المناسب

(١) ابن بصال: الفلاحة، ص ٤٩.

(٢) ابن بصال: نفس المصدر: ص ٩١.

(٣) ابن بصال: المصدر السابق، ص ٣٩، ص ٤٠، ص ٤١.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨، ابن الخطيب: اللوحة البدرية: ص ٢٢، الحميرى:

الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٢١٨.

(٥) مثل المنكب وهى تابعة لإقليم غرناطة، العمرى: وصف أفريقية، ص ٤٧، القلقشندي: المصدر

السابق، ج ٥ ص ٢١٨، انظر المقرئ، ج ٣ ص ٢١٩، طبعة دار صادر.

(٦) عريب بن سعد: تقويم قرطبة، ص ١٧٣.

(٧) المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٤٩، طبعة دار صادر، بيروت، وص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩.

(٨) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١١٧.

(٩) ابن بصال: نفس المصدر: ص ١٠٥ - ١٠٨.

(١٠) ابن بصال: نفس المصدر: ص ١٠٩.

(١١) ابن بصال: الفلاحة، ص ١١٠، ص ١١١.

(١٢) ابن بصال: المصدر السابق، ص ١١٢.

لزراعة كل نوع^(١) من أنواع الثمار، فكان شهر يناير ميعاداً لغرس الكروم والزيتون والرمان^(٢) وكذلك التفاح واللوز والآجاص^(٣)، أما الفستق فكان يزرع في شهر فبراير^(٤) وفي نفس الشهر يتم استمرار غرس ثمار التفاح^(٥)، أما شهر مارس فكان ميعاداً لزراعة وغرس قصب السكر^(٦) وربما القمح والشعير^(٧)، وفي شهر مارس أيضاً كان يتوالد دود الحرير^(٨)، أما شهر إبريل فكان يجمع فيه بعض الأزهار مثل البنفسج^(٩) ويغرس فيه الياسمين^(١٠)، كما يتم فيه أيضاً زراعة اللوبيا والأرز على طريقة البستنة^(١١)، أما شهر مايو فكان يتم فيه زراعة الأرز والزعفران بستانيا^(١٢)، كذلك كان هذا الشهر ميعاداً لعمل غسل النحل^(١٣)، ويجمع فيه الحرير أيضاً^(١٤)، أما النصف الأخير من شهر يونيو فيحصد فيه القمح^(١٥).

-
- (١) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٩١.
 (٢) ابن سعيد القرطبي: تقويم قرطبة، ص ٢٩، ص ٣٧، ابن بصال: نفس المصدر، ص ٦٢.
 (٣) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٦٤، ص ٦٧، ص ٧١.
 (٤) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٨٣.
 (٥) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٦١.
 (٦) ابن بصال: نفس المصدر، ص ١١٤، ابن سعيد القرطبي: تقويم قرطبة، ص ٦٣، ابن البناء (أبو العباس): رسالة في الأنواء، نشر باعتناء ب. ج. رنو باريز لاروز، ص ٧.
 (٧) ابن البناء: المصدر السابق: ص ٧.
 (٨) ابن سعيد القرطبي: نفس المصدر: ص ٦٣، ابن العوام الأشبيلي: كتاب الفلاحة، ج ٢ ص ٣٤٩ باعتناء بانكورى، مدريد، ١٨٠٢ م.
 (٩) ابن سعيد القرطبي: تقويم قرطبة، ص ٧٦، ابن العوام: الفلاحة، ج ٢ ص ٤٤.
 (١٠) ابن سعيد: نفس المصدر: ص ٧٧، ابن البناء: نفس المصدر، ص ٨.
 (١١) المصدران السابقان: نفس الصفحات.
 (١٢) ابن بصال: الفلاحة: ص ١١٧، ابن البناء: نفس المصدر، ص ١٠.
 (١٣) ابن سعيد القرطبي: نفس المصدر، ص ٩٠، ابن البناء: المصدر السابق: ص ١٠.
 (١٤) ابن سعيد: تقويم قرطبة: ص ٩١.
 (١٥) ابن سعيد: تقويم قرطبة، ص ٩١، «كان يكثر في إقليم غرناطة وخاصة مدينة غرناطة نفسها» ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ١٠٩.

وجمع الأعشاب (التريقات)^(١) التي اشتهرت بكثرتها في إقليم غرناطة^(٢)، كما يبدأ أيضا في هذا الشهر ظهور بواكير تين السواحل^(٣) وبواكير العنب^(٤)، كما يستمر في شهر يوليو حصاد وجمع القمح^(٥) ونضج العنب^(٦) وتزيب التين في السهل^(٧) وكذلك جمع التفاح والكمثرى^(٨)، وفي شهر أغسطس يحصد الأرز^(٩) وتحرق أرض الكروم^(١٠) وتجمع بواكير التمر^(١١)، كما يبدأ في هذا الشهر نضوج^(١٢) الرمان والخوخ والكمثرى، أما شهر سبتمبر فيحصد فيه قصب السكر^(١٣)، ويجرى قطف الخوخ^(١٤) وجمع اللوز.

(١) ابن سعيد: نفس المصدر، ص ١٠١، «التريقات نوع من الأعشاب التي تنمو في جبل شلير ويستعمل في صناعة الأدوية» ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ٩٨، والترياق: دواء مركب يدفع السموم والترياق أيضا الخمر لأنها تذهب بالهمم، انظر سعيد الخوري الشرتوني: أقراب المورد في فصح العربية والشوارد المطبعة اليسوعية لبنان ١٨٨٩، ص ٧٦، باب التاء والراء.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨.

(٣) ابن سعيد القرطبي: تقويم قرطبة، ص ١٠٤، «الذي ينمو في مالقة إحدى مدن إقليم غرناطة» الإدريسي: نزهة المشتاق، طبعة (د) ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب، ج ١ ص ٤٢٢، ص ٤٣٢، المقرئ: نفح الطيب، ج ٣ ص ٢١٩، طبعة بيروت، تحقيق إحسان عباس، ج ١ ص ١٤٤، طبعة سنة ١٩٤٩.

(٤) ابن سعيد القرطبي: نفس المصدر: ص ١٠٤، عن عنب مالقة انظر المقرئ: نفح الطيب، ج ١ ص ١٥٢، طبعة دار صادر، بيروت، وج ١ ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩، المقرئ: أزهار الرياض في أخيار عياض، ج ١ ص ١٧٨.

(٥) ابن سعيد القرطبي: نفس المصدر، ص ١٠٣ ص ١٨٨، ابن البناء: رسالة في الأنواء، ص ١٣.

(٦) ابن سعيد القرطبي: المصدر السابق، ص ١١٨.

(٧) ابن سعيد القرطبي: نفس المصدر: ص ١١٩.

(٨) المصدر السابق: نفس الصفحة، ابن البناء: نفس المصدر، ص ١٢، ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ١٢٠.

(٩) ابن البناء: نفس المصدر، ص ١٣.

(١٠) ابن بصال: الفلاحة، ص ٥٩.

(١١) ابن سعيد القرطبي: نفس المصدر: ص ١٢٣.

(١٢) ابن سعيد: المصدر السابق: ص ١٣٢، ص ١٣٣.

(١٣) ابن سعيد: المصدر السابق، ص ١٤٥، «كانت مدينة المنكب أكثر مدن إقليم غرناطة إنتاجا

لقصب السكر» العمري (وصف أفريقية) ص ٤٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٢١٨،

كذلك مدينة شلويبينة، الحميري: الروض المعطار: ص ١١١.

(١٤) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١٨٨، ص ١٩٩.

والقسطل^(١) وزراعة الجوز واللوز وغرس التين^(٢) وفي شهر أكتوبر يستمر الناس في زراعة وغرس الزيتون والجوز واللوز والخوخ والتين والآجاص^(٣)، كما يستمر الحرث في المناطق الجبلية والسهلية استعداداً للزراعة^(٤) وفي شهر نوفمبر تغلب أرض الزرع^(٥) استعداداً لغرس الثمار وفي هذا الشهر يتم جمع وحصاد قصب السكر^(٦)، كما يجمع في هذا الشهر الزعفران^(٧) وتبدأ ظهور ثمار النرجس في البساتين والجبال^(٨).

وهكذا نستطيع القول بأن العمل الزراعي كان يستغرق وقت المزارعين طوال العام لأنه عمل دائم مستمر وكان لذلك أثره على أوضاع البلاد الاقتصادية وعلى الإنتاج الزراعي.

وإلى جانب العمل الزراعي من حرث وزرع وغرس وسقاية كان القطف أو الحصاد ويسميه الأندلسيون العصير^(٩).

وكان تخزين الطعام أمراً ضرورياً تحسباً لما يمكن أن يحدث من الفتن والمجاعات والحروب إلى جانب حب الناس في أكل أنواع الطعام والفاكهة في غير موسمها، فكان المخزن أو المظمورة جزءاً أساسياً في بيت المزارع أو المزرعة^(١٠) كذلك كان أهل غرناطة

(١) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١١٨، ص ١٩٩، «وهي أي غرناطة كثيرة الثمار ملتفة الأشجار أكثرها أدواح خوخ» ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨.

(٢) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٧١، ص ٧٢، ابن البناء: رسالة في الأنواء: ص ١٥.

(٣) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٥٩، ص ٦٠، ص ٦١، ص ٦٧، ص ٧٠، «وسائر الفواكه، من اللوز والآجاص والكمثرى، محدقة» ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٢٠.

(٤) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٧١.

(٥) ابن سعيد القرطبي: تقويم قرطبة، ص ١٧٣.

(٦) ابن سعيد القرطبي: نفس المصدر، ص ١٧٣.

(٧) ابن سعيد القرطبي: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٨) المصدر السابق: ص ١٨٦، ابن البناء، نفس المصدر، ص ١٧.

(٩) أبو يحيى الزجاجال: أمثال العوام، ج ١ ص ٢١٧، تحقيق محمد بن شريفة فاس، سنة ١٩٧١،

وهي أيام أعياد عند الفلاحين، انظر الأعياد في باب الحياة الاجتماعية ص ١٠.

(١٠) الإدريسي: نزهة المشتاق (ط ٥٠د): ص ٩٦.

على علم بطرائق حفظ الثمار مثل الجوز واللوز والقسطل والرمان والتفاح والزبيب والتين والعناب^(١)، فتؤكل في غير موسمها^(٢)، فكانوا يحفرون حفراً تحت الأرض وتفرش أرضيتها بالرمال وتوضع فيها هذه الثمار ثم تغطي بالرمال^(٣).

كذلك كان أهل غرناطة كغيرهم من أهل الأندلس على علم بزراعة الزهور^(٤) وحمايتها، وأشار ابن بصال في كتابه إلى طريقة زراعة الرياحين ذوات الزهور وسائر أنواعها^(٥)، وبدأ بالورد وبين طريقة جعله يزهر مرتين في العام في فصل الربيع وفصل الخريف وذلك بتركه دون سقى أيام الصيف فإذا دخل شهر أغسطس عادوا إلى سقيه بالماء فيزهر أزهاراً كثيرة في الخريف^(٦).

وقد اهتم أهل غرناطة بصفة خاصة بتحديد أرض البساتين وتشبيد الصرائم^(٧)، حتى

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٧.

(٢) «وفواكههم اليابسة عامة العام، متعددة، يدخرون العنب سليماً من الفساد إلى شطر العام إلى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز إلى غير ذلك مما لا ينفد، ولا ينقطع مدده إلا في الفصل الذي يزهد في استعماله» ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٧، ابن بصال: الفلاحة: ص ١٨٠.

(٣) ابن بصال: نفس المصدر والصفحة.

(٤) ابن بصال: نفس المصدر: ص ١٨١، «ففيها الدور العالية والمباني القصبية والرياحين النضيرة» ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٢١.

(٥) المصدر السابق: ص ١٧٢ (أوضح ابن بصال في هذا الفصل جميع طرق زراعة الأزهار ومعالجتها) انظر نفس المصدر: ص ١٦٢ - ص ١٧٣ وما بعدها.

(٦) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١٧٣، يتحدث ابن الخطيب في كتابه الإحاطة عن كثرة البساتين بغرناطة فهو يقول «وتعددت الجنات بها والبساتين» ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ٩٦ عن البساتين في غرناطة انظر المصدر السابق ص ٩٦، ص ١١٥، ص ١٢٢، يذكر المقرئ في حديثه عن نارجة التابعة لمالقة وهي من أعمال غرناطة «وهي قرية كبيرة تضاهي المدن، قد أهدت بها البساتين» المقرئ: نفع الطيب: ج ١ ص ١٦٦.

(٧) والصرائم كلمة بربرية وتعني الحواجز، انظر محمد القاسي: أصول الأعلام الجغرافية الأندلسية، مجلة البيئة، ص ٥٠ عدد يونيو سنة ١٩٦٢ م.

تستوى كل قطعة من الأرض منفصلة عن الأخرى كذلك كان لهم مهارة فائقة فى تشييد عرائس الكروم التى اشتهر بها إقليم غرناطة^(١) وتسوير البساتين^(٢).

المحاصيل الزراعية:

كانت الأراضي الزراعية بإقليم غرناطة مصدراً خصباً لإنتاج كثير من المحاصيل الزراعية المختلفة، حيث شهد الإقليم وفرة فى المزروعات فاشتهرت مدن وقرى الإقليم بزراعة عدة محاصيل تميز بها الإقليم عن غيره من أقاليم الأندلس، وقد أشارت المصادر إلى تمتع كثير من مدن وقرى إقليم غرناطة بوفرة المزروعات والحدائق^(٣) ووفرة المحاصيل من القمح والشعير^(٤)، واشتهرت مدينة مالقة بكثرة الفواكه^(٥)، وكذلك مدينة غرناطة فقد كثرت فيها الفواكه خاصة فى جبل شلير^(٦) «وفى هذا الجبل أصناف الفواكه العجيبة»^(٧).

(١) ابن الأبار القضاعى: المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى: تحقيق كوديرا وزدين مجربط روخس، ١٨٨٥ م، ص ١٤٥، اشتهرت غرناطة بكثرة عرائس الكروم بها نظراً لشهرتها فى إنتاج الكروم، انظر ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ١٢٠، «وهى مكللة الأعناب» ص ١٢٤، عن كثرة الأعناب فى إقليم غرناطة انظر العمري: (وصف أفريقية): ص ٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٥، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، يذكر المقرئ أنه «ليس بالأندلس أكثر عنباً... منها» المقرئ: أزهار الرياض: ج ١ ص ١٧٨، المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٥٢، طبعة دار صادر، ج ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥، طبعة سنة ١٩٤٩.

(٢) ويحف بسور هذه المدينة المعصومة بدفاع الله تعالى البساتين العريضة المستخلصة ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ١١٥.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٦، ص ٩٨، ص ١٢٠، ص ١٢١، العمري: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص ٣٤، ص ٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٥، الحميري: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤، ص ٤٥، ص ١١١، ص ١١٢، ص ١٤٣، ص ١٧٧ - ص ١٧٩، ص ١٨٣، ص ١٨٤، ص ١٨٦، ص ١٩٢.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق، ج ١ ص ٩٦، ص ١٠٩، اللوحة البدرية: ص ٢٢.

(٥) عن فواكه مالقة انظر ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ٤٢٢ - ص ٤٣٢، كتاب الجغرافيا: ص ١٤٠، المقرئ: نفح الطيب: ج ٣ ص ٢١٩، طبعة بيروت، ج ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥، طبعة ١٩٤٩، الإدريسي: نزهة المشتاق (ط.د.): ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٩، الحميري: الروض المعطار: ص ١٧٨.

(٦) ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ١٤٩، العمري: (وصف أفريقية): ص ٣٤، ص ٣٥، الحميري: الروض المعطار: ص ١١٢.

(٧) الحميري: المصدر السابق: ص ١١٢.

القمح والشعير:

وقد زرعت تلك المحاصيل في غرناطة فجادت زراعتها فيقول ابن الخطيب: إن فحص غرناطة «بحر من بحور الحنطة»^(١)، ويقول أيضاً إن كثرة قمحها وشعيرها «مما رغب به معاهدتها ابن رزمير كثرة قمحها وشعيرها»^(٢) ومما يدل على كثرة القمح في غرناطة كثرة الأرحاء بها^(٣) ويذكر ابن الخطيب ما نصه: «ويشعل سور غرناطة وما وراءه من الأرحاء الطاحنة بالماء على ما ينيف على مائة وثلاثين رحاء»^(٤).

القطن والكتان والحريز

أشار الحميري في كتابه الروض المعطار إلى انتشار زراعة القطن في وادي آش إحدى مدن إقليم غرناطة فيذكر أن «القطن بها كثير»^(٥) وإلى جانب القطن ررع الكتان بكميات وفيرة في وادي آش أيضاً^(٦) ويذكر الحميري: «أن كتان فحص غرناطة يربو على كتان النيل»^(٧) كذلك أشار ابن الخطيب في كتابه الإحاطة إلى وجود الكتان^(٨) في غرناطة، كذلك زرع الكتان^(٩) في مدينة أندرش من أعمال المرية، هذا وقد كثرت تربية دودة القز لإنتاج الحريز نظراً لتوافر شجر التوت في مدن إقليم غرناطة^(١٠)، مثل وادي

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٦، اللوحة البدرية: ص ٢٢.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١.

(٣) العمري: مسالك الأبحار (وصف أفريقية): ص ٣٧، الحميري: الروض المعطار: ص ٢٤.

(٤) ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١٣٣، اللوحة البدرية ص ٢٥.

(٥) الحميري: الروض المعطار: ص ١٩٢، ويذكر عثمان الكعاك في كتابه الحضارة العربية في

حوض البحر المتوسط أن العرب اهتموا اهتماماً خاصاً بإدخال زراعة القطن إلى المغرب ومنها

انتقلت إلى أسبانيا المرجع السابق، ص ٧٤.

(٦) الحميري: المصدر السابق: ص ١٩٢.

(٧) الحميري: المصدر السابق: ص ٢٤، ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ٩٢.

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١.

(٩) الحميري: نفس المصدر: ص ٣٢.

(١٠) ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠ «وهو ما ذكره معاهدتها ترغيباً لابن رزمير في احتلالها» انظر

مجهول: الحلل الموشية، ص ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ١٠٩، الحميري: الروض

المعطار، ص ١٤٣ ص ١٩٢.

آش^(١)، وفحص البيرة^(٢)، وفنيانة^(٣) ومالقة^(٤) والمرية^(٥) وبسطة^(٦)، ويصور الحميري مدى وفرة إنتاج الحرير في إقليم غرناطة فيذكر أن مدينة المرية كانت بها ثمانمائة دار لصناعة الحرير^(٧).

الزيتون

وهو من المحاصيل الوفيرة في إقليم غرناطة، فقد اهتم المرابطون والموحدون بزراعته، فكانت مدينة وادي آش^(٨) تنتج كميات وفيرة منه كذلك مدينة غرناطة^(٩) وفنيانة^(١٠) والمرية^(١١) وقمارش^(١٢) وبسطة^(١٣).

(١) الحميري: الروض المعطار: ص ١٩٢.

(٢) الحميري: المصدر السابق: ص ٢٤، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٩، الاصطخرى: المسالك والممالك: ص ٣٦، ياقوت: معجم البلدان: ج ١ ص ٢٤٤.

(٣) الحميري: الروض المعطار: ص ١٤٣.

(٤) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا: ص ١٤٠، طبعة سنة ١٩٨٢.

(٥) الإدريسي: طبعة ليدن: ص ١٩٧، الحميري: الروض المعطار: ص ١٨٤، صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٧.

(٦) الإدريسي: (صفة المغرب) (ط.د.): ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١، حاشية ٩ نشر أحمد مختار العبادي.

(٧) الحميري: الروض المعطار: ص ١٨٤.

(٨) الحميري: المصدر السابق: ص ١٩٢.

(٩) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٩، ص ١٢٠، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، تحقيق عبد القادر زمامة.

(١٠) الحميري: المصدر السابق: ص ١٤٣.

(١١) القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٧، العمري: وصف أفريقيا: ص ٤٦.

(١٢) ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٧٩، هامش ١.

(١٣) الإدريسي: صفة المغرب: ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١، هامش رقم ٩، الحميري: نفس المصدر: ص ٤٤.

قصب السكر

وقد كثرت زراعته بمدن متفرقة من إقليم غرناطة^(١) فقد زرع فى فحص غرناطة وشلوين^(٢) أما المنكب فقد كانت أعظمهما إنتاجاً لقصب السكر^(٣).

الفواكه

شهد إقليم غرناطة وفرة فى زراعة الفاكهة بأنواعها المختلفة وتشير المصادر^(٤) إلى كثرة وتنوع فاكهة إقليم غرناطة^(٥) فالعمري يشير إلى ذلك بقوله «وهى (غرناطة) كثيرة الأمطار والأنهار والبساتين والشجر والفواكه... خصوصاً التفاح والقرصيا البعلبكية التى لا تكاد

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨، القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٨، الحميري: نفس المصدر: ص ٢٤، ص ١١١ الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب: ج ١٠ ص ٢١٤، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد: ص ٢٠٥.

(٢) الحميري: ص ١١١، «قرية مسكونة على ضفة البحر بينها وبين المنكب عشرة أميال يوجد فيها الموز وقصب السكر»: المصدر السابق: نفس الصفحة، الإدريسي: صفة المغرب، ص ١٩٩.

(٣) العمري: (وصف أفريقية): ص ٤٧، القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٨، ياقوت: معجم البلدان: مادة المنكب، البغدادى: مرصد الاطلاع: ج ٣ ص ١٦٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب: نشر أحمد مختار العبادي: ص ١٠٩، هامش ١، ص ٣٠٠، هامش ٦، الحميري: المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٤) الإدريسي: صفة المغرب، ص ١٩٧، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ص ٢٠٢، ص ٢٠٤، ابن سعيد: الجغرافيا، ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب، ج ٢ ص ١٠٢، ص ١٥٤، ص ١٩٣ - ص ١٩٤، ج ١ ص ٤٢٣، ص ٤٤٢، ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ٩٨، ص ١٥٥، ص ١٢٠ وما بعدها، ابن الخطيب: اللوحة البدرية، ص ٢٩ وما بعدها، ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٩ هامش ١، ص ٨٠ هامش ٥، ص ٩٢ هامش ٢، ص ٩٣ هامش ٦، ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص ٢٨٦ هامش ٣، العمري: وصف أفريقية ص ٣٤، ص ٣٥، ص ٤٦، ص ٤٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٢١٥، ص ٢١٧، ص ٢١٨، ص ٢١٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٣، ص ٢٤، ص ٤٥، ص ١١١، ص ١١٢، ص ١٤٤، ص ١٧٨، ص ١٨٤، ص ١٨٦، ص ١٩٢.

(٥) عن فواكه غرناطة انظر فواكه جبل شيلر، الحميري: المصدر السابق، ص ١١١، المقرئ: نفح الطيب، ج ١ ص ١٤١، ص ١٤٢، ص ١٤٣، ص ١٤٥، ص ١٥٥، طبعة سنة ١٩٤٩.

توجد في الدنيا منظرًا حلاوة حتى أنها ليعصر منها العسل»^(١)، ويؤكد ذلك الحميري: بقوله «وما من فاكهة توصف وتستظرف إلا وما هناك من الفاكهة فوقها»^(٢) كما يؤكد ذلك ابن الخطيب بقوله «وأرضها سقى غزيرة الأنهار، كثيرة الثمار، ملتفة الأشجار، أكثرها أدواح الجوز، ويحسن فيها قصب السكر»^(٣) فإذا انتقلنا إلى مدن وقرى إقليم غرناطة فالحميري يصف بسطة «وسائر الثمار بها على مثل ذلك من الكثرة»^(٤) أما وادي آش فهي «حصينة كثيرة الفواكه والمزارع»^(٥) فإذا حاولنا التعرف على مناطق إنتاج الفاكهة في إقليم غرناطة وجدنا أن مدينة غرناطة كانت من أكثر مدن الإقليم إنتاجا لعدة أنواع من الفاكهة^(٦) منها التفاح والقرصيا البعلبكية^(٧).

كذلك اشتهرت جليانة من أعمال وادي آش بالتفاح الجلياني «الذي يضرب به المثل في الأندلس»^(٨) ويصف المقرئ تفاح جليانة بقوله «وبه التفاح الجلياني الذي خص الله به ذلك الموضوع، يجمع عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وزكاء الرائحة والنقاء»^(٩). أما العنب والتين، فقد اشتهر إقليم غرناطة بكثرة إنتاج كميات وفيرة منهما، فمدينة غرناطة كانت كثيرة التين والأعناب والخوخ^(١٠) والآجاص والكمثرى^(١١)، أما مالقة -

(١) العمري: وصف أفريقية: ص ٣٤، ص ٣٥.

(٢) الحميري: المصدر السابق: ص ٢٤.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨.

(٤) الحميري: نفس المصدر: ص ٤٤، ويؤكد نفس الوصف تقريبًا كل من الإدريسي: (صفة المغرب) (ط. د.): ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١، حاشية ٩.

(٥) الإدريسي: (صفة المغرب): ص ٢٠٢، الحميري: الروض المعطار، ص ١١٢.

(٦) الإدريسي: المصدر السابق، ص ١٩٧، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ص ٢٠٢، ص ٢٠٤، العمري: (وصف أفريقية): ص ٣٤، ص ٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٢١٥ - ص ٢١٩،

ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١ ص ٩٨، الحميري: المصدر السابق: ص ٢٣، ص ٢٤، ص ١١٢.

(٧) العمري: المصدر السابق: ص ٣٤، ص ٣٥، القلقشندي: نفس المصدر، ج ٥ ص ٢١٥.

(٨) ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١٤٨.

(٩) المقرئ: نفح الطيب، ج ١ ص ١٤٣، طبعة سنة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٤٩، طبعة بيروت.

(١٠) العمري: المصدر السابق، ص ٣٥، القلقشندي: نفس المصدر، ج ٥ ص ٢١٥، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموسوية، ص ٩١، المقرئ: نفح الطيب، ج ١ ص

١٦٤ طبعة سنة ١٩٤٩.

(١١) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٢٠.

إحدى مدن إقليم غرناطة - فقد اشتهرت أيضا بكثرة إنتاجها من العنب والتين إذ يذكر المقرئ أنها «كثيرة الفواكه، رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرتال بدرهم صغير»^(١) كذلك كانت بليش مالقة من أعمال مالقة «كثيرة اللوز والعنب والتين»^(٢) كما أن قمارش من أعمال مالقة أيضا، «وافرة الماء والزرع من كروم وزيتون وحبوب»^(٣) كذلك التين المالقي^(٤) الذي يصل إلى مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند^(٥)، كذلك أنتجت كل من بليش مالقة وقمارش أنواعا جيدة من التين^(٦) أضف إلى ذلك الرمان^(٧) أما الجوز واللوز والقسطل فقد أنتجت مدينة غرناطة كميات كبيرة منه^(٨)، كذلك كانت مدينة مالقة من أهم مدن الإقليم إنتاجا لثمار الجوز واللوز^(٩) والذي كان يصدر إلى داخل البلاد وخارجها^(١٠) أما الموز فقد زرع بكميات كبيرة في كل من شلويين^(١١) والمنكب^(١٢).

- (١) المقرئ: المصدر السابق، ج ١ ص ١٥٢، دار صادر بيروت، ج ١ ص ١٤٥، طبعة ١٩٤٩.
- (٢) ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٨ حاشية رقم ٢ ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٤٤٢.
- (٣) ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٩، حاشية ١.
- (٤) ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب، ج ١ ص ٤٢٢ إلى ص ٤٣٢ تَمَيَّزَ تين مالقة بالإضافة لحلاوة الطعم، عدم تسوسه واحتماله البقاء مدة طويلة دون أن يفسد، انظر ابن الوردي خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص ٣٠، العمرى، وصف أفريقية ص ٣٨.
- (٥) ابن سعيد: الجغرافيا نفس الصفحة، ابن سعيد: المغرب ج ١ نفس الصفحات، الإدريسي، نزهة المشتاق (ط.ر) ص ٢٠٠، ص ٢٠٤.
- (٦) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٧٨ حاشية ٦ ص ٧٩ حاشية رقم (١) ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٤٤٢ ابن بطوطة: الرحلة ج ٢ ص ١٨٧.
- (٧) الإدريسي: (صفة المغرب) (ط.د): ص ٢٠٠، ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٤٤٢، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٥ ط سنة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٥٢ طبعة دار صادر بيروت.
- (٨) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨، ص ١٠٩، ص ١٢٠، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٥، الحجري الروض المعطار ص ٢٤.
- (٩) ابن سعيد: المغرب، ج ١ ص ٤٢٢، ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠.
- (١٠) المقرئ: نفح الطيب، ج ١ ص ١٥٢ طبعة دار صادر بيروت ج ١ ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩.
- (١١) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩ الحميري نفس المصدر ص ٤٧.
- (١٢) العمرى: نفس المصدر ص ٤٦ «ويوجد فيها الموز» انظر الحميري: الروض المعطار ص ١١١.
- (١٢) العمرى: المصدر السابق ص ٤٦، القلقشندي، نفس المصدر ج ٥ ص ٢١٨ الحميري: السابق ص ١٨٦ «أما المنكب ففيها الموز الذي لا يوجد في بلد من البلاد الإسلامية» العمرى: نفس المصدر ص ٤٧.

أما قصب السكر فقد كان فى المنكب كميات وفيرة «ويزرع بها قصب السكر حيث يصدر إلى البلاد الأخرى وبها زبيب مشهور»^(١١).

ويضاف إلى هذه الثروة الزراعية من المحاصيل والفواكه تلك النباتات التى استعملت فى صناعة الأدوية، إذ يذكر ابن الخطيب أن جبل شلير كان مستودعاً للنباتات الترياقية^(١) أى ذات الخواص الطبية^(٢) وفيها السنبل فائق الطيب وبه الجنطيانة، يحمل إلى جميع الآفاق، وهو عقير رفيع ومكانه من الأدوية الترياقية مكانه وبه المرقشيتة^(٣) واللازورد وبفحصها ما يتصل به القرمز وبها من العقار والأدوية النباتية والمعدنية ما لا يتحمل ذكرها^(٤) هذا بالإضافة إلى زعفران باغة^(٥) وبسطة وعود المعطر فى ولاية^(٦).

(١) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٧ عن المنكب وما تنتجه من موز وقصب وسكر وزبيب، انظر الإدريسي (صفة المغرب) (و.د) ص ١٩٩ ياقوت معجم البلدان جـ مادة (منكب) البغدادي: مرآة الاطلاع جـ ٣ ص ١٦٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ١٠٩ حاشية ١، ص ٣٠٠ حاشية ٦، ابن الخطيب، القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١: اللوحة البدرية ص ٢٩ الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٦، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٨.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٦.

(٣) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص ٥٦٠، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٦٧م، ١٣٨٦هـ.

(٤) المرقشيتة أو المرقشيطه حجر ذو خواص طبية يغلب على الظن أنه البزموت وذكره ابن سينا أنه يوجد على أنواع مختلفة راجع عنه جامع المفردات فى كتاب (ضوابط دار السكة) لعلى بن يوسف الحكيم تحقيق حسين مؤنس: سنة ١٩٦٠ م وقد سبق التعريف به.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، اللوحة البدرية ص ٢٢، المقرئ: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٦، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٣٥.

(٦) المقرئ: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩ عن زعفران بسطة انظر: ابن الخطيب مشاهدات ص ١٣ حاشية ٩.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، ص ٩٩، طبعة سنة ١٩٤٩.

الثروة الحيوانية

الرعى وتربية الماشية

وقد صاحب كثرة الغرس والزراعات المختلفة أن حظى إقليم غرناطة بثروة حيوانية كبيرة^(١) إذ كانت الأرض الزراعية الخصبة بما شهدته من تنوع فى المزروعات وكذلك بعض أراضي المراعى أماكن هامة لتربية الماشية فاشتغل بعض السكان بحرفة الرعى وتربية الماشية، فيروى ابن الخطيب: (وأن أهالى قرى غرناطة عملوا بالرعى وتربية الحيوانات التى تساعد فى حرث الأرض)^(٢) كالبحر والجاموس وقد قام أهل مالقة أيضا بتربية الماشية والحيوانات الأخرى كالغنم والبقر والخيول والبغال التى كانت وسيلة المواصلات الرئيسية أما الماشية فكانت تربي للحصول على منتجات الألبان كالجبنة والزبد والسمن وللحصول على اللحوم والجلود كما كانت تربي أيضاً للاستثمار والعمل فى الحقول^(٣) كما انتشرت تربية الخنازير فى جميع بوايدى الأندلس بما فيها إقليم غرناطة^(٤).

تربية الطيور والدواجن

والى جانب الرعى وتربية الماشية قام أهل غرناطة بتربية الدواجن والطيور فعلى امتداد أربعين ميلاً فى فحص غرناطة كانت تنتشر أبراج الحمام^(٥) ويصف ابن الخطيب مدينة غرناطة فيقول «ذات بروج سامية وبيادير فسيحة ومصاب للحمايم والدواجن مائلة»^(٦).

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٢٦.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: ص ١٢٦.

(٣) ابن حزم: الرد على ابن النفريلة اليهودى ص ١٧٥ - ١٧٧ المقرئ: أزهار الرياض فى أخبار عياض فى ج ١ ص ١٢٩، ج ٢ ص ٢٦٩.

(٤) الونشريشى: المعيار المغرب ج ٨ ص ١٢٧، ص ١٦٨.

(٥) العمرى: (وصف أفريقيا) ص ٣٦، يؤكد هذا القول العمرى حيث يقول «ويمر شنيل غربى غرناطة إلى فحصها يشق منها أربعين ميلاً بساتين وقرى وضياح كثيرة البيوت والعلالى وأبراج الحمام وغير ذلك من المباني» العمرى (وصف أفريقيا) ص ٣٦.

(٦) ابن الخطيب - الإحاطة ج ١ ص ١٢٥، للمحة، البدرية ص ٢٤.

الثروة السمكية

كان لموقع إقليم غرناطة الساحلى مع كثرة الأنهار والوديان أثر كبير فى نزويد الإقليم بثروة سمكية كبيرة حيث مارست طائفة من السكان مهنة الصيد من شواطئ البحار والأنهار، فكان الصيادون يصطادون كميات كبيرة من الأسماك، فمدينة المنكب يكثر بها صيد الأسماك^(١) كذلك شلوبنية التى تقع على البحر المتوسط على بعد ستة عشر كيلو مترا شرقى المنكب^(٢) فهى وافة الأسماك^(٣)، كذلك كانت مالقة مركزاً كبيراً لصيد الأسماك^(٤) وكانت تملح وتحفظ فى مستودعات خاصة^(٥) أما مربلة فقد كانت أيضاً مركزاً هاماً لصيد السردين^(٦) كذلك اشتهرت بزيلانة - وهى قرية على ساحل البحر قريية من مالقة - بصيد أسماك الحوت^(٧) وتصديرها إلى الجهات المجاورة^(٨).

-
- (١) الإدريسي (صفة المغرب) ص ١٩٩ (طبعة دوزى) ياقوت، معجم البلدان ج ٨ مادة منكب، البغدادي: مرصد الاطلاع ج ٣ ص ١٦٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب، نشر العبادى ص ١٠٩ حاشية (١) ص ٣٠٠ حاشية رقم ٦، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٦.
- (٢) الحميرى: المصدر السابق ص ١١١.
- (٣) ابن الخطيب: مشاهدات: نشر أحمد مختار العبادى ص ٨٠ حاشية ٥.
- (٤) الإدريسي: نزهة المشتاق ص ٢٠٠، ابن بطوطة، الرحلة ج ٢ ص ١٨٦، ص ١٨٧، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٨ المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥، ص ١٨٦.
- (٥) ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣ أعطاه الفينيقيون منذ أن أسسوها سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد اسم Malaha أى المالحة نسبة إلى شهرتها فى إنتاج هذا النوع من الأسماك.
- (٦) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٧٥ حاشية ٤ عن مربلة انظرا الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٠.
- (٧) الحميرى: الروض المعطار ص ٤٤.
- (٨) الإدريسي: نزهة المشتاق (طبعة - دوزى) ص ٢٠٠.

الصناعة

لعبت الصناعة دورها فى ازدهار الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحيدين، ونعنى بالصناعة^(١) فى هذا الفصل تصنيع الإنتاج الزراعى وما يتصل به واستنباط المعادن وتصنيعها والاستفادة من ذلك كله فى سد احتياجات المواطنين من أهل الإقليم من المواد الاستهلاكية وغيرها والاستفادة من فائض هذه الصناعات فى تصديرها إلى خارج البلاد، وهو ما سنفصله فى فصل التجارة.

ولا تجيء دراسة الصناعة مكتملة بغير النظر فى عدة أمور: أهمها توفر المادة الخام التى تقوم عليها الصناعة مع وجود الخبرة الصناعية المتمثلة فى الأيدى العاملة والتى عليها قامت الصناعة وازدهرت.

وقد كان لتوفر المادة الخام فى إقليم غرناطة أثر فى أن قامت عدة صناعات أهمها صناعة النسيج^(٢) وصناعة السفن^(٣) وصناعة بعض الأدوات من النحاس والحديد بالإضافة إلى عدة صناعات أخرى سيجىء الحديث عنها تفصيلاً، فإلى أى مدى خدمت المادة الخام الصناعة؟.

توفر المادة الخام

توفرت المادة الخام اللازمة للصناعة فى إقليم غرناطة حيث وجدت بكميات كبيرة، وتنقسم المادة الخام إلى نوعين: معدنية وغير معدنية، فالمعدنية مثل الذهب والحديد والنحاس والتوتيا... إلخ، أما غير المعدنية فهى إما نباتية أو حيوانية بالإضافة إلى الأحجار الكريمة والرخام.

(١) يقسم ابن خلدون الصناعة إلى معينة مثل النجارة والحدادة والحيافة، وغير معينة مثل الرقاقة والكتابة والغناء والشعر وتعليم العلم (التدريس) انظر ابن خلدون: المقدمة ص ٤٠٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨ م - ١٣٩٨ هـ الطبعة الرابعة، محمد طرشونة: نظرية ابن خلدون فى الاقتصاد والعمران، مجلة الفكر (تونس) العدد ١٥ طبعة سنة ١٩٦٧ م.

(٢) عن صناعة النسيج فى إقليم غرناطة انظر الإدريسي: نزهة المشتاق (ط.د) ص ١٩٧، ص ١٩٨، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، ابن غالب، فرحة الأنفس ص ٢٨٣، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٥، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٤٢٤، الإدريسي: ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٨ هامش رقم ٢.

(٣) العمرى: (وصف أفريقية): ص ٤٥، ص ٤٧، ص ٤٨، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٨، ص ٢١٩.

وقد أمدنا الجغرافيون العرب بمادة وفيرة فى هذا الموضوع إلا أنهم لم يتحدثوا عن التفصيلات الفنية الدقيقة لاستخراج المعادن^(١) ولا ترد أى إشارات عن طرق استخراج المعادن سوى ما أورده الحميرى عن طريقة التعدين التى شاهدها فى حصن أبال بالقرب من قرطبة فقد ذكر أن عمق البئر أكثر من خمسين ومائتى قامة ويخدم المعدن أكثر من ألفى شخص تخصص كل مجموعة فى عمل مثل قطع الأحجار وصنع أوانى السبك والحرق ونقل^(٢) الحطب.

ولقد أشار الرحالة المسلمون المشاركة - منهم والمغاربة الذين رأوا الأندلس - إلى الثروات الطبيعية للبلاد وخاصة المناطق الجنوبية، وتحدثوا عن الذهب فى غرناطة^(٣) «وكان يلتقط سحالة الذهب الخالص^(٤)» ومن نهرها المعروف باسم حدره^(٥) كذلك استخرج من البيرة^(٦) وهى من أعمال غرناطة.

أما معدن الفضة فكان يستخرج من البيرة^(٧) ولوشة^(٨) وكان أهل غرناطة على علم بطرق استخراج هذه المعادن الثمينة من مناجمها^(٩).

واستخلاص الشوائب منها، وكان الذهب والفضة يستعملان فى السكة^(١٠) والزينة.

(1) L. Provençal, l'esp. Mau, x. s. p 176

(٢) الحميرى: الروض المعطار ص ١٠.

(٣) ابن غالب: فرحة الانفس منجلة معهد المخطوطات العربية، تحقيق لطفى عبد البديع ص ٢٨٣ ج ١ طبعة ١٩٥٥ تحقيق لطفى عبد البديع، ياقوت معجم البلدان ج ٥ مادة غرناطة، ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٨، نفس المؤلف: اللوحة البدرية ص ٢٢، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٦٧، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، ص ٢٤.

(٤) الحميرى: المصدر السابق ص ٢٣، ابن الحكيم الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة «حيث يذكر فى كتابه» أن الذهب كان بها قليلاً ولكنه جيد، المصدر السابق ص ٨٥.

(٥) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٩٠.

(٦) الحميرى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٧) الاصطخرى: المسالك والممالك ص ٣٦، ابن غالب، المصدر السابق ص ٢٨٣، ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٨، اللوحة البدرية: ص ٢٨، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤، ياقوت: معجم البلدان مادة غرناط تابع والبيرة، ابن يوسف الحكيم: ضوابط دار السكة ص ٨٥.

(٨) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، ابن الخطيب مشاهدات ص ٩٣ حاشية ٦ اللوحة البدرية ص ٢٨ Ency of Islam - art. loja «لوشة مدينة على بعد خمسة وخمسين ميلاً غرب غرناطة».

(٩) الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤، ابن يوسف الحكيم: ضوابط دار السكة ص ٨٥.

(١٠) على بن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ص ٨٥، ص ١٠٢.

أما معدن الحديد فكان يوجد في المرية^(١) في موضع يسمى بكارش^(٢) ودلاية^(٣) كذلك استخرج من البيرة^(٤) ووجد الحديد بكميات كبيرة في مدينة غرناطة^(٥) ومدينة مالقة^(٦) أما معدن النحاس فكان يوجد كذلك في غرناطة^(٧) وبعض أعمالها مثل البيرة^(٨) وكذلك المرية التي اشتهرت بالصناعات النحاسية^(٩)، أما معدن الرصاص فقد استخرج من غرناطة^(١٠) والبيرة^(١١) والمرية^(١٢) كما استخرج معدن التوتيا في قرية تسمى بطرنة من أعمال البيرة^(١٣) وكذلك استخرج معدن التوتيا أيضا من حصن شلوبنية من أعمال غرناطة^(١٤).

(١) يذكر المقرئ في وصفه لمدينة المرية «وتشتمل كورتها (أى المرية) على معدن الحديد» المقرئ المصدر السابق ص ١٥٣، ١٥٤ طبعة ١٩٤٩ م وص ١٦٢ طبعه ١٩٦٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤.

(٢) يذكر المراكشى في كتاب المعجب «وفى أعمال المرية وعلى يوم ونصف منها بموضع يسمى بكارش فيه معدن حديد أيضا» المراكشى المصدر السابق، ص ٤٤٨ طبعة ١٩٦٣.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٨، اللوحة البدرية ص ٢٢ «تقع دلاية غرب المرية في جنوب سفح جبل (غدر) Gadrf على مقربة من البحر المتوسط» انظر ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٨ هامش رقم ٢.

(٤) ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣، ياقوت: معجم البلدان مادة البيرة ج ١ ص ٢٢٤، ابن الخطيب: نفس المصدر ص ٩٨، اللوحة البدرية، ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(٥) ابن الخطيب الإحاطة ج ١: نفس الصفحة، واللوحة البدرية ص ٢٢.

(٦) الإدريسي: (نزهة المشتاق) ص ١٩٧.

(٧) ابن الخطيب: نفس المصدر ج ١، ص ٩٨، اللوحة البدرية ص ٢٢ الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(٨) ابن غالب: نفس المصدر ص ٢٨٣، الحميرى: المصدر السابق: نفس الصفحة، ياقوت: معجم البلدان، مادة البيرة ج ١، ابن الخطيب: نفس المصدر ج ١ ص ٩٨، اللوحة البدرية ص ٢٢.

(٩) الإدريسي: نزهة المشتاق (طبعة دوزى) ص ١٩٧ نفح الطيب ج ١ ص ١٥٤ طبعة سنة ١٩٤٩م، ص ١٦٣ ج ١ طبعة دار صادر ١٩٦٨.

(١٠) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٨، اللوحة البدرية ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(١١) الحميرى: المصدر السابق ص ٢٤.

(١٢) المراكشى: المعجب، ص ٤٤٨.

(١٣) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٨، اللوحة البدرية ص ٢٢ الحميرى نفس المصدر ص ٢٤، المقرئ:

نفح الطيب ج ١ ص ١٣٨ ١٩٤٩، ص ٢٠٢ طبعة ١٩٦٨ الإدريسي نزهة المشتاق: ص ١٩٨.

(١٤) ياقوت: معجم البلدان مادة شلوبنية التوتيا معدن يكتحل به، انظر سعيد الخورى الشرتونى أقرب المورد فى فصح العربية والشوارد ص ٨١ باب الثاء والواو.

هذه بالإضافة إلى معدن المرقشيتا^(١) واللازورد^(٢)، كذلك كان الملح^(٣) يستخرج من إحدى القرى التابعة للمرية، أما الياقوت الأحمر^(٤) فكان يستخرج من حصن منت ميور من كورة مالقة حيث استخدم فى صناعة الحلى.

أما مقاطع^(٥) الرخام فى إقليم غرناطة فكان يوجد فى البيرة مقطع للرخام^(٦) لين أبيض «يتصرف تصرف الكذان»^(٧) ليلنه ورطوبته، وتعمل منه الأقداح والأكواب والأطباق والأسطال وكل ما يخرط من الخشب يخرط منه^(٨)، كذلك وجد نوع من الرخام الجيد فى باغة من أعمال غرناطة موشاة فى حمرة وصفرة^(٩).

كذلك أنتجت مدينة المرية نوعاً من الحصى يشبهه المقرى بأنه «كالدرد فى رونقه وله ألوان عجيبة»^(١٠) وقد استخدم هذا النوع من الحصى فى تجميل وتزيين حوائط المنازل والقصور والمساجد.

الصناع وأرباب الحرف

وكما توفرت لإقليم غرناطة المادة الخام التى اعتمدت عليها الصناعة فى تصنيع منتجاتها المختلفة اعتمدت أيضاً على الأيدي العاملة المدربة والتى انتشرت فى أنحاء البلاد لتصنيع الصناعات المختلفة التى احتاجتها الدولة نتيجة للتقدم الحضارى والعمرانى الذى بدأت به دولة المرابطين وأكملته الدولة الموحدية والتى شجعت الصناعة نتيجة لازدياد حاجة

(١) معدن المرقشيتا سبق التعريف به انظر ص ٢٢٢.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٨، اللوحة البدرية، ص ٢٣.

(٣) ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٨٢ هامش ١.

(٤) المقرى: نفح الطيب ج ١ ص ١٥٨ طبعة سنة ١٩٤٩.

4) scott: hist of the Moorish Empire, Vol, 111 p. 628

(٥) مقاطع: جمع، وهو اسم مكان من القطع يريد الأماكن التى يقتطع منها الرخام، المقرى: نفح الطيب ج ١ ص ١٨٧ طبعة ١٩٤٩.

(٦) ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣.

(٧) المصدر السابق نفس الصفحة «الكذان» نوع من الحجارة الرخوة انظر لسان العرب مادة «كذن».

(٨) ابن غالب نفس المصدر والصفحة.

(٩) المقرى: المصدر السابق ج ١ ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩ م.

(١٠) المقرى: نفح الطيب ج ١ ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩، ص ٢٠١ طبعة ١٩٦٨.

الدولة للصناعات المختلفة واتساع نطاق العمارة وازدياد الطلب على أدوات الترف المختلفة، ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله: إن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته»^(١)

أطلق المغاربة والأندلسيون على العمال لفظ «الصناع»^(٢) أما الموحدون فقد أطلقوا عليهم اسم عبيد المخزن^(٣)، والعمال ثلاثة أصناف: الصانع الخاص^(٤)، وهو الذى يعمل عند صاحب العمل أو مالك الصنعة^(٥) والظاهر أن كثيرين من هؤلاء الملاك من الفقهاء أو ذوى النفوذ الإداري^(٦) ونادراً ما كان هذا المالك يقوم بالعمل والخدمة^(٧) بنفسه وإنما كان يستأجر عمالاً يشتغلون تحت إشرافه^(٨)، أما النوع الثانى من الصناع فهو الصانع المشترك وهو ليس بأجير عند رب العمل وإنما يجلس للعمل ويخدم كل من يقدم إليه حاجته^(٩) مثل الخراز^(١٠) والخياط^(١١) والصباغ والدباغ والنشار^(١٢) ثم هو الصناع المتجول مثل صناع الأوانى الحديدية أو الخشبية وينتقل من بلد إلى آخر حسب العرض والطلب^(١٣) هذا ولم

(١) ابن خلدون: المقدمة: ص ٤٠٠.

(٢) السقطي: رسالة فى الحسبة: ص ٦٢.

(٣) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ١٠.

(٤) أبو الحسن على بن رحال: كشف القناع عن مسائل الصناع، الخزانة العامة الرباط مجموعة رقم ١٠٧٩ د. ص ٣٩ و- ص ٤٠ ق.

(٥) تشير النوازل إلى الملكية فى المعادن والأرحاء والأفران والحمامات والملاحات والمعاصر ومصانع النسيج، عن تلك الملكيات انظر الونشريشى: المعيار ج ٩ ص ٤٠٨ وما بعدها، ابن الأبار: الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٦٠ تحقيق حسين مؤنس.

(٦) الونشريشى: المصدر السابق ج ٥ ص ٢٢٢، ابن الأبار: المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦.

(٧) الونشريشى: نفس المصدر ج ٥ ص ٢٢، ج ١٠ ص ٦٦.

(٨) ابن رحال: كشف القناع عن مسائل الصناع مخطوط الخزانة العامة الرباط مجموعة رقم ١٠٧٩ د. ورقة ٣٩، ٤٠.

(٩) ابن رحال: كشف القناع، مخطوط، ورقة ٣٩ ر- ٤٠ ر.

(١٠) الخراز هو محترف صناعة الجلد.

(١١) هو الذى يقوم بخياطة الثياب، السقطي، رسالة فى الحسبة ص ٦٢.

(١٢) الصباغ هو الذى يقوم بصبغة الثياب، والدباغ هو الذى يقوم بدباغة الجلود، والنشار هو الذى يقوم بالنجارة ونشر الخشب، انظر السقطي: المصدر السابق ص ٦٣ - ص ٦٥.

(١٣) ابن عبد الله المراكشى: الذيل والتكملة لكتاب الموصل والصلة تحقيق إحسان عباس بيروت دار الثقافة سنة ١٩٦٤، سنة ١٩٦٥ ص ٣٢١.

يكن الصناع رجالاً فحسب، بل كان بينهم عدد كبير من النساء وأغلبهن احترفن صناعة الغزل والنسيج^(١).

وكان كل نوع من أنواع الحرف يحتل شارعاً أو سوقاً باسمه^(٢) مثل ربض الفخارين^(٣) بغرناطة وسوق العطارين^(٤) والصباغين والوراقين والدباغين^(٥) والطوابين^(٦).

هذا وكان الحرفيون والصناع منتظمين في طوائف على رأس كل منها عريف أو أمين^(٧) ويكون تعيينه عادة من قبل القاضي أو المحتسب، وكانت له السلطة عليهم وهو مسئول عن كل ما يحدث مباشرة في جماعته طبقاً للقواعد الموضوعة والأعراف المستقرة التي يلم بها، فضلاً عن مراقبته لصنعتة فهو خير بالجد والردىء من حرفته^(٨) هذا وقد استفاد المرابطون من خبرات أهل الأندلس في الصناعة.

فيوسف بن تاشفين حين عمد إلى التوسع في البناء والتعمير استقدم كثيراً من صناع أهل الأندلس^(٩)، وقد قام الصناع في كل من المرية وغرناطة ببناء أسوارهما وتعتيها^(١٠)،

(١) ابن عبدون ثلاث رسائل أندلسية: ص ٥٥ «يجب أن لا يباع غزل القطن، ولا الكتان، مكبب» فهو موضع غش لأن النساء يدلسن فيه ليزيد لهن في الوزن انظر ابن عبدون: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٢) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٤٣.

(٣) العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٣.

(٤) المقرئ: نفح الطيب ج ٢ ص ٣٩٤ طبعة سنة ١٩٤٩، العمرى: وصف أفريقية ص ٤١.

(٥) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٠.

(٦) العمرى: نفس المصدر ص ٤١ عن هذه الأسواق انظر: نظم الجمان ص ١١٨، ابن عبدون المصدر السابق ص ٤٣.

(٧) السقطي: رسالة في الحسبة ص ٣٩، ص ٥٦، ابن عبدون المصدر السابق، ص ٥٣.

(٨) المجيلدى (أحمد سعيد): التيسير في أحكام التسعير، تحقيق موس أقبال الجزائر سنة ١٩٧٠ ص ٥٦، ابن عبدون، نفس المصدر ص ٢٤، ص ٥٧ الجرسفى رسالة في الحسبة ص ١٢٥، السقطي: نفس المصدر ص ٩.

(٩) الجزنائى: زهرة الآسى في بناء مدينة فاس ص ٣٢، ابن القاض: جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس - طبع حجر فاس سنة ١٢٠٩ ص ٢٧ هـ.

(١٠) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٧٣، ص ٧٤.

وجرى على نفس السياسة الخلفاء الموحدون من استقدام الصناع المهرة إلى مراكش وذلك للاستفادة بخبراتهم ومن أمثلة ذلك استقدام الخليفة عبد المؤمن بن علي من إقليم غرناطة الحاج يعيش المالكى الذى أمره بصناعة مقصورة هندسية ميكانيكية بالمسجد الجامع^(١) وقد وضعت المقصورة على حركات هندسية ترفع بها عند خروج الخليفة وتخفض لدخوله^(٢).

هذا وقد اضطرت الأزمة المالية على بن يوسف لفرض ضرائب باهظة ففرض على كل الصناعات قبالات^(٣)، وكانت من أشد ما أنكره ابن تومرت على المرابطين، حيث استخدم ذلك فى دعايته السياسية ضدهم^(٤).

وعندما قامت الدولة الموحدية حرص الخليفة عبد المؤمن على حماية الصناع «لأن الصناع هم الذين يتففع بهم»^(٥) كما أسقط جميع القبالات على الصناعات وفرضت تلك القبالات حسب دخل الصناع من صنعتهم وترك تقديرها وتحصيلها لأمين كل صنعة فى كل مدينة^(٦)، لذلك تركزت الصناعات المختلفة فى مناطق إقليم غرناطة وشهد الإقليم تطوراً كبيراً فى عدة صناعات مختلفة مثل الصناعات المعدنية والصناعات الزراعية والغذائية ثم بعض الصناعات المتنوعة والتقليدية.

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٣٩، مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ٩٧ تحقيق ليفى بروفنسال الرباط سنة ١٩٤١.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق: (طبعة د. د.) ص ٧٠ «القبالة هى فى الأصل الضريبة» التى تدفع لبيت المال وقد أطلق استعمال هذا اللفظ على الضرائب الزائدة عن الشرع وكانت هذه الكلمة تستخدم فى المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التى كان يؤديها أهل الحرف أو بائعو السلع الرئيسية» انظر ابن القطان: نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى تطوان سنة ١٩٥٦ ص ١٥٦
الونشريشى: المعيار ج ٨ ص ١٧٨ «سخط ابن عبدون على المتقلين وجعلهم شر أهل الأرض» انظر ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية ص ٣٠.

(٤) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: ج ١٠ ص ٥٨٤.

(٦) أبو العباس أحمد الغبريني: عنوان الدراية، فيمن عرف من علماء المائة السابعة فى بجاية ص ١١٥، الجزائر المطبعة الثعالبية سنة ١٣٢٨ هـ.

الصناعات المعدنية

اشتهر إقليم غرناطة بإنتاجه الوفير من المواد المعدنية مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص والتوتيا والنحاس^(١)، وكان لتوفر هذه المعادن في إقليم غرناطة أن اشتهرت عدة مدن بالصناعات المعدنية واشتهرت مدينة المرية بعدة صناعات معدنية مختلفة من أهمها آلات الحرب من التروس والرماح والسروج والدروع^(٢)، وكانت المرية وبسطة دارى «صناعة الأندلس» في العصر المرابطى^(٣).

وفى العصر الموحدى، تقدمت مألقة فى الصناعات المعدنية بعد أن انهارت صناعات المرية خلال فترة الانتقال^(٤)، فاخضعت مألقة بصناعة آلات الصفر والنحاس والحديد من سكاكين ومقصات ذهبية وجميع ما يحتاجه المنزل من أوان خاصة لمختلف الأغراض اليومية، كما صنعوا من الحديد أيضاً التروس والرماح والدروع والسيوف^(٥).

كما تقدمت صناعة السفن بسبب اهتمام المرابطين والموحدين بإنشاء السفن الحربية

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨، ابن الخطيب: اللوحة البدرية ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٤.

(٢) الإدريسى: نزهة المشتاق (صفة المغرب) (طبعة د) ص ١٩٧، الحميرى: الروض المعطار، ص ١٨٤، المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩ م.

(٣) الإدريسى: المصدر السابق (ط. د) ص ١٩٧ - ص ٢٠٢، الزهرى (أبو محمد بن أبى بكر الزهرى): كتاب الجغرافيا ص ١٠١ تحقيق محمد الحاج صادق المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية سنة ١٩٥٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤ وكانت أى «المرية» فيما تقدم يصنع بها صنوف آلات النحاس والحديد وما لا يحاد، انظر الحميرى: المصدر السابق ص ١٨٤، انظر المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩، ص ١٦٣ طبعة سنة ١٩٦٨

(٤) عن فترة الانتقال وضرب الروم لمدينة المرية واستيلائهم عليها حتى استردها الموحدون مرة أخرى انظر الباب الاول من الرسالة، كان فتح المرية وعودتها إلى الموحيدين بعد احتلال الروم لها بعشر سنوات ٥٥٢ هـ - ١١٥٧ م انظر العمرى: مسالك الأبصار ج ١٦ قسم ٤ مخطوط رقم ٤٣٧٦.

(٥) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقيا) ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩، المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ١٣٨ طبعة سنة ١٩٤٩ و ص ٢٠١ طبعة سنة ١٩٦٨، عن الصناعة المعدنية فى مألقة انظر رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٨٦ ص ١٨٧ باريس سنة ١٩٢٢ م.

والسفن التجارية، فاشتهرت مدينة المرية بصناعة السفن وكانت بها دار لصناعة السفن^(١)، أما مالقة فكانت من أهم ثغور إقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين، حيث أقيمت بها دار لصناعة السفن التجارية إلى جانب السفن الحربية وخاصة الحرايق^(٢)، أما مدينة المنكب فقد أقيمت بها أيضاً دار صناعة لإنشاء السفن^(٣) الحربية والتجارية أيضاً.

ومن الصناعات المعدنية صناعة الحلى

فقد عرف عن نساء غرناطة أنهن كن يتفنن فى اقتناء الجواهر والحلى^(٤) بها، وفى ذلك يقول المؤرخ الغرناطى ابن الخطيب: «وقد بلغن «أى نساء غرناطة» من التفنن فى الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنفيس بالذهبيات والدياجيات والتماجن فى أشكال الحلى، إلى غاية نساء الله أن يُغصَّ عنهنَّ فيها، عين الدهر»^(٥) فكانت نساء غرناطة يتقلدن الجواهر النفيسة لا سيما ما كان مرصعاً بالزمرد والياقوت الذى اشتهرت به مالقة^(٦) كالقلائد

(١) العمرى: مسالك الأبصار «وصف إفريقية والأندلس» ص ٤٦ القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٧، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٣، ص ١٨٤ عن ثغر المرية انظر ابن الخطيب: اللوحة البدرية ص ٢٩، الإدريسي: صفة المغرب ص ١٩٧ Ency. of Islam, Art Almeria by Seybold يذكر العذرى: فى كتابه نصوص عن الأندلس «أن دار صناعتها» أى المرية القديمة قد قسمت على قسمين، فالقسم الأول فيه المراكب الحربية والآلة والعدة، والقسم الثانى فيه القيسارية، قد رتب كل صناعة حسب ما يشكل لها، انظر العذرى: صفة مدينة المرية ص ٨٦.

(٢) العمرى: المصدر السابق ص ٤٨، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٨، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣، ابن بطوطة: الرحلة ج ٢ ص ١٨٦، ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٢٢ م، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ٤٢٣ Ency of Islam, Art malaga (٢) الحرايق وتسمى أيضاً الحراقات، ومفردها حراقة وهى نوع من السفن الحربية تستخدم لحمل الأسلحة: محمد ياسين الحموى تاريخ الأسطول العربى ص ٣٤.

(٣) ابن الخطيب: نفاضة الجراب نشر العبادى ص ١٠٩ حاشية (١) ص ٣٠٠ هامش رقم ٦ الإدريسي: صفة المغرب: ص ١٩٩، البغدادى مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٦٤، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٦.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٩، «محمد كمال شبانة يوسف الاول سلطان غرناطة، ص ١٩٧ طبعة سنة ١٩٦٩ ص ١٩٧.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٣٩.

(٦) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٥٨ طبعة سنة ١٩٤٩.

والأقراط والخواتم المصنوعة من الذهب والفضة^(١) وكانت مهارة الغرناطيين فى صناعة الحلى عظيمة^(٢).

الصناعات الزراعية وما يتصل بها

لم يقتصر ازدهار الصناعة فى إقليم غرناطة على الصناعات المعدنية فحسب، بل شملت أيضاً الصناعات الزراعية وما يتصل بها من منتجات، هذا وقد شهدت مدن وقرى إقليم غرناطة تطوراً كبيراً فى الصناعات الزراعية لم تعهده من قبل حيث تنوعت المحاصيل الزراعية^(٣) فى قرى ومدن الإقليم فقامت عدة صناعات هامة منها.

صناعة الملابس والمنسوجات

تقدمت صناعة الحرير فى إقليم غرناطة تقدماً كبيراً ولا سيما فى مدينة المرية حيث انتشرت صناعة الحرير^(٤) الموشى والديباج^(٥) فتفوقت على قرطبة وأجاد أهلها هذه الصناعة إجادة تامة^(٦).

(١) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٨، ابن الخطيب: اللوحة البدرية ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، ياقوت: معجم البلدان ج ٥ مادة غرناطة، ابن غالب فرحة الأنفس ص ٢٨٣ مجلد ١ ج ٢.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٣٨، ص ١٣٩، محمد كمال شبانة يوسف الأول سلطان غرناطة ص ١٩٨.

(٣) عن المحاصيل الزراعية وتنوعها فى إقليم غرناطة انظر «الزراعة».

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق (طبعة د) ص ١٩٧، ١٩٨، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ١٠٢.

R.b. Serjent: Islamic textiles material for a hisotry up to the Mongol Conquest p. 169.

(٥) ياقوت: معجم البلدان ج ٥ مادة المرية، ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٤.

Dozy: Dictionaire De 'Tailloe des Noms des vetements chez les Arabes Amesterdam 1845 P, 113, 436.

ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، العمرى: وصف أفريقيا ص ٤٥، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرئ نفح الطيب ج ١ ص ١٥٣ «الديباج هو قماش من الحرير وهو نوع من الأقمشة الحريرية» كذلك الديباج يدخل فى نسجه خيوط الذهب والفضة وهو المعروف باسم بروكار.

(٦) ياقوت: معجم البلدان ج ٥ ص ١١٩، القلقشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٧، العمرى: نفس المصدر ص ٤٥، الإدريسي: نزهة المشتاق ص ١٩٧ ص ١٩٨ المقرئ: المصدر السابق ص ١٤٥، الحميرى: نفس المصدر والصفحة، ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ١٩٣.

وكان بالمرية أعداد كثيرة من الطراز^(١) «فقد بلغت طراز الحرير فيها ثمانمائة طرز^(٢)»
ويصنع بها من أنواع الثياب الكثير مثل الدياج والسقلاطون^(٣) والأصبهاني^(٤) والجرجاني^(٥)
والستور المكللة والثياب المعينة^(٦) والعتابي^(٧) الفاخر والخمر^(٨).
هذا وكان الإنتاج كثيرا، فقد كان جل أهل المرية صناع نسيج وحياسة^(٩).

وكان الصناع يزبنون إنتاجهم بالصور والزخارف الهندسية فقد زينت قطعة من إنتاج
المرية في إمارة على بن يوسف (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) بدوائر بداخلها أسود تفترس وعولاً

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق ص ١٩٨، الحميري: أنروض المعطار ص ١٨٤، العمري: وصف
أفريقية، ص ٤٥، راجع شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ج ١ ص
١١٨، ص ١١٩ «لكلمة طراز معان كثيرة منها الكتابة الرسمية التي كانت تتوج أوراق الدولة أو
تطرز على الأقمشة التي تحتكرها الحكومة، وقد كشفت الأبحاث الأثرية عن وجود نوعين من دور
الطراز: طراز العامة وأغلب الظن أن المقصود به المصانع الأهلية للنسيج، وقد كانت تشرف عليها
الحكومة إشراقاً دقيقاً، وطراز الخاصة وكان ملحقاً بقصر السلطان وعلى رأسه موظف كبير
ويختص عادة بنسج ما يحتاج إليه السلطان وحاشيته، وليس من شك في أن صناعة النسيج كانت
تحتكرها الحكومة» انظر عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس ص ١٢٢
هامش رقم ٥ ولنفس المؤلف أنظر الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية - مطبوعات المتحف
الإسلامي بالقاهرة طبعة سنة ١٩٤٢ ص ١٥، ص ٢١، ص ٢٣، ص ٢٥ ويذكر نفس المؤلف أن
دور الطراز، دخلت الأندلس مع عبد الرحمن الداخل وأن عبد الرحمن الناصر قد عين مملوكه
خلف ناظراً للطراز عبد العزيز مرزوق: نفس المراجع ص ١٢٣.

(٢) الإدريسي: نفس المصدر والصفحة، الحميري: نفس المصدر والصفحة.

(٣) السقلاطون: نوع من المنسوجات الحريرية التي اشتهرت بها بلاد اليونان ومنها انتقل إلى البلاد
الإسلامية، انظر عبد العزيز مرزوق المرجع السابق ص ١٢٤ Dozy: Diction. op. cit P.P 436
113,

(٤ - ٥) الأصبهاني والجرجاني كلاهما منسوجات حريرية نسبة لأصبهان وجرجان بإيران انظر مرزوق
نفس الصفحة و Dozy: op. cit قد أجادت المرية صناعة هذه الأنواع من الأقمشة.

(٦) هي ما كانت تزدان بنقط صغيرة تشبه عيون الوحش أو تلك التي تزدان بزخرفة هندسية على هيئة
المعين انظر مرزوق نفس المرجع والصفحة.

(٧) نوع من القماش الحريري أيضا ينسب إلى حى عتاب في بغداد حيث توجد مصانعه

Dozy. opcit. p. 110

(٨) الخمر: متا تغطي به المرأة رأسها، مرزوق: نفس المرجع والصفحة هامش ٣.

(٩) الزهري: كتاب الجغرافيا ص ١٠٢.

صغيرة وحول هذه الدوائر مجموعة من الحيوانات الخرافية^(١) ولما ضرب الروم المرية في فترة الانتقال^(٢).

تفردت مألقة بصناعة الحرير^(٣) في العصر الموحدى «خاصة الموشاة بالذهب والتي كانت تصدر إلى المشرق والمغرب وتباع بأعلى الأسعار وربما تجاوز ثمن النحلة الواحدة الآلاف»^(٤).

أما دلالة^(٥) إحدى قرى إقليم غرناطة فقد اشتهرت بصناعة الحرير^(٦) وكان أهل غرناطة يلبسون نوعاً من الحرير كانت تتجه مدينتا غرناطة^(٧) وبسطة^(٨) يعرف «بالمبلد المختم ذو الألوان العجيبة»^(٩) ويذكر المؤرخ ليفي بروفنسال في كتابه محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها: أن نساء غرناطة قد بلغن شأناً بعيداً في التطريز بالخياط الذهبية والفضية^(١٠).

إلى جانب المنسوجات الحريرية اشتهرت غرناطة بصناعة المنسوجات الكتانية وكانت

(١) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا: انظر صورتها فى كتاب مورينو سالف الذكر ص ٤١٦ شكل ٤٠٧ ووصفها ص ٤١٩.

(٢) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤ «يذكر الحميرى ما نصه: وكان الروم قد ملكوها فغيروا محاسنها وسبوا أهلها وخربوا ديارها» انظر الحميرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٤٢٤، ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠، حسين مؤنس: الجغرافيا والجغرافيون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص ٥٨٤.

(٤) ابن سعيد: المصدر السابق ج ١ نفس الصفحة، الجغرافيا نفس الصفحة، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٨٧، ج ٤ ص ٢٠٦ طبعة سنة ١٩٤٩ وطبعة دار صادر ج ٣ ص ٢١٩ - ص ٢٢١، بيروت.

(٥) هى بلد صغيرة تقع غرب المرية فى جنوب سفح جبل غدر Gadr على مقربة من البحر المتوسط، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨ هامش ٢ قرية بالأندلس من أعمال المرية، انظر الحميرى: الروض المعطار: ص ٧٧.

(٦) ابن لخطيب: مشاهدات ص ٨٢.

(٧) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٨٧، طبعة سنة ١٩٤٩، ج ١ ص ٢٠١ طبعة ١٩٦٨.

(٨) الإدريسي: نزهة المشتاق ص ٢٠٢، ابن الخطيب مشاهدات ص ٣١ هامش ٩ الحميرى: الروض المعطار ص ٤٥.

(٩) المقرئ: المصدر السابق ج ١ ص ١٨٧، نوع من الحرير والقطن معاً انظر

Dozy. Diction op. cit P. 114

(١٠) ليفي بروفنسال: محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٩٢.

غرناطة من أهم المراكز التجارية إنتاجًا لـلكتان وتصديرًا له^(١) «فكتان هذا الفحص» أى «غرناطة» يربو على كتان النيل^(٢).

أما مدينة وادى آش فقد أنتجت أنواعًا جيدة من المنسوجات الحريرية والقطنية^(٣).

صناعة البسط

امتازت الدور العرية بالأبسطة التى لا يقتصر استعمالها على فرش أرض الحجرات وإنما يمتد أيضا إلى فرش المساجد وتزيين الحوائط، فكانت غرناطة وبسطة أهم مدينتين تنتجان هذه الأبسطة^(٤)، فينسب إلى مدينة بسطة «الوطاء البسطى من الديباج الذى لا يعلم له نظير»^(٥).

هذا وقد عرف الغرناطيون - شأنهم شأن أهل الأندلس - صباغة المنسوجات والصناعات الجلدية وغيرها فاستعمل أهل غرناطة فى صباغتهم النيلة والقرمز والزعفران الذى اشتهرت غرناطة بإنتاجها الوفير منه^(٦)، كذلك بسطة التى اقتصت بإنتاجها الجيد من الزعفران^(٧)، وكذلك مدينة باغة من أعمال غرناطة^(٨)، وكان الحرير عادة يصبغ فى موضع إنتاجه، فقد اشتهرت إحدى قرى مالقة وتدعى نارجة بصباغة الحرير وكان أهلها يقيمون الخيام قرب النهر ويعتبرون ذلك عيدًا، فيطلقون حناجرهم بالغناء أثناء العمل فى صبغ الحرير، وقد عرف المكان الذى كانوا يقومون فيه بصباغة الحرير بالطراز^(٩).

(١) الحميرى: المصدر السابق ص ٢٤.

(٢) ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٩١، الحميرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) الحميرى: نفس المصدر ص ١٩٢.

(٤) المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٨٧، طبعة ١٩٤٩، ج ١ ص ٢٠١ طبعة ١٩٦٨.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١ حاشية ٩، الحميرى: الروض المعطار: ص ٤٥.

(٦) المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٤٩، طبعة دار صادر بيروت، ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩.

(٧) الإدريسي: صفة المغرب: ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١ حاشية ٩، القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥ ص ٢٢١.

(٨) الحميرى: المصدر السابق: ص ٦٠، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٩ طبعة سنة ١٩٦٨ م.

(٩) المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٦٦ - ص ٦٧، طبعة سنة ١٩٤٩ القاهرة وطبعة دار صادر، بيروت ج ١ ص ١٧٨.

المطاحن

كانت الأقوات من القمح تطحن فى إقليم غرناطة بالأرحاء التى تديرها المياه أو الحيوانات أو الرياح وقد اتخذ الغرناطيون الأرحاء المائية لكثرة المياه فى إقليم غرناطة^(١)، حتى أن الأرحاء لتتخذ فى غرناطة فى المنازل أو عند مداخلها^(٢) فيذكر ابن الخطيب أن الأرحاء التى تدور فى غرناطة «لأن نظير لها استعداداً وإفادة»^(٣) «ففيها من الأرحاء الطاحنة بالماء على ما نيف على مائة وثلاثين رحي»^(٤).

صناعة الخمور

كانت الخمور تباع فى أسواق المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين^(٥)، على الرغم من محاولة المرابطين منع ذلك فى بداية أمرهم^(٦)، لكن شربها انتشر بين بعض أمراء المرابطين وخاصة سادتهم^(٧)، وكثير من عامتهم^(٨)، وفى ذلك يقول المراكشى:

- (١) الإدريسي: نزهة المشتاق: طبعة (دوزى) ص ٢٠٣، ابن الكردبوس: صلة السمط: ص ١٤٥، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا: ص ١٦٧، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٣، ص ٩٤، القلقشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٤، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣ - ص ٢٤.
(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٢٦، القلقشندى: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٣، ص ٢٤.
(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ١١٩.
(٤) ابن الخطيب: نفس المصدر، ص ١٣٣.
(٥) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٧٣، ص ١٧٤ طبعة دار المنصور، المراكشى: المعجب: ص ٢٢٦.

- (٦) المراكشى: المصدر السابق ص ٢٢٦، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٥٤، ص ٥٧.
(٧) ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ١٢٧، ابن دحية: المطرب فى أشعار المغرب تحقيق إبراهيم الايبارى القاهرة المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٤ م، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٥٤ يذكر ابن سعيد فى كتابه المغرب ج ٢ ص ١٢٧ «أن الشاعر أبا بكر محمد بن أحمد الأنصارى المشهور بالأبيض من قرية همدان إحدى القرى الكبيرة الداخلة فى نطاق غرناطة قام بهجاء الزبير المثلث أمير المرابطين على قرطبة حيث قال:

عكف الزبير على الضلالة جاهداً ووزيره المشهود كلب النار
ما زال يأخذ سجدة فى مسجد بين الكئوس ونغمة الأوتار
انظر ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١٢٧.

- (٨) المراكشى: المعجب: ص ٢٤١، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة، ص ٥٤، ص ٥٧.

«واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشريد وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور»^(١) ولم تبذل الدولة المرابطية جهوداً جدية لمنع الخمر إلا بعد أن تفاقمت الثورة الموحدية^(٢).

وفي عصر الموحدين أقبل الناس على شراب الرب^(٣) وكان من أكثر شراب المصامدة^(٤).

ويبدو أن الناس أسرفوا في تخميره حتى صار مفعوله مثل الخمر مما دفع الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى إصدار رسالة سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م يأمر فيها بالكف عن شراب الرب وصانعيه ومدى مطابقتها للشرع^(٥)، وقد جاء فيها «وأمر بالنظر في الربوب وتمييزها والهجوم على بائعيها ومدمني شربها ومستعملها فإراق مسكرها، ويقطع منكرها، وليعمد إلى من عمل المسكر الحرام عامداً، وشربه مدمناً عليه ومعاهداً ولم تردعه الحدود... فيمحي أثره، ويحذف خبره»^(٦).

ولكن الناس استمروا في شراب الرب وزيادة تخميره مما دفع المنصور الموحدي (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) إلى تحريمه نهائياً فأصدر رسالة تحرم الرب «فإن الناس تجاوزوا في أمر الرب تجاوزاً أغفلوا فيه الاجتهاد، ورتعوا حول حماه أوقعهم فيه أو كاد وتسامحوا فيه تسامحاً خرق المتعارف من المأزون فيه والمعتاد... ولما تقرر عندنا من الالتباس في ذلك

(١) المراكشي: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٢٢٣، حسين مؤنس «نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين ٥٢٠ هـ - ٥٤٠ هـ مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد سنة ١٩٥٥ المجلد الأول، العدد الثالث ص ٦١٣ عن ظهور الموحدين ومراحل ثورتهم على المرابطين، انظر الباب الأول ص ٢٤.

(٣) الرب هو الطيخ الخائر من عصير العنب، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٧١، ص ١٧٢ هامش ١ راجع أنواع الربوبيات رب السفرجل، رب الرمان، رب التوت، في كتاب الطيخ في المغرب والأندلس، لمؤلف مجهول ص ٢٥٥.

(٤) مجهول: الاستبصار ص ٢١١ «كان الرب منتشرًا بين المصامدة وكان يباع في مراكش في مكان خاص عرف باسم باب الرب» انظر المصدر السابق نفس الصفحة، السلاوي: الاستقصا ج ٢ ص ١٨٨.

(٥) مجهول: مجموعة رسائل موحدية: ص ١٣٣ الرسالة الثالثة والعشرون.

(٦) مجهول: الرسالة السابقة نفس الصفحة.

ما تقرر... رأينا والله المستعان أن نَقْطعه بالكلية أخلق بالاحتياط لدينهم وأجدر واشتدوا في ذلك اشتداداً لا يوسع وأخلوا الحوانيت التي كان يباع فيها منه وأفقروها وأصرفوها لغير ذلك من المباحات وصيروها، والديار المعروفة ببيعه أيضاً لا تركوها على ذلك ولا تقرروها، وأريقوا، ما تلقون من مشتبهِه وملتبسه، وعاقبوا من تجدونه عنده أشد العقوبة على دلسه، وتتبعوا في ذلك أبليغ تتبع وأشدّه، ومن وجدتم عنده رائحة منه كائناً من كان فأقيموا عليه ما رسمه الشرع في ذلك وحده^(١).

كذلك نهى ابن عبدون عن حمل السلاح قبل بداية الشراب في الأعراس^(٢) ويجب أن يؤخذ سلاح الشبان عند إقبالهم عند العرس قبل أن يشربوا وإذا ظفر بالمعريد كتّف وأهبط إلى صاحب المدينة^(٣).

وقد اختصت مالقة بخموز تصنع من التين والكروم^(٤) فكانت من أهم مراكز إقليم غرناطة إنتاجاً للخمور في غرناطة نفسها^(٥).

صناعة السكر وتجفيف الفاكهة

تقدمت صناعة السكر في إقليم غرناطة، فقد اشتهرت مدينة المنكب بزراعة قصب السكر وكان يصدر إلى البلاد الأخرى^(٦)، كما انتشرت أيضاً في فحص غرناطة^(٧).

(١) مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ١٦٤ - ص ١٦٧ الرسالة الثامنة والعشرون.

(٢) ابن عبدون: رسالة في الحسبة: ص ٥٥.

(٣) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٥٥.

(٤) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج ١ ص ٤٢٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص ٢٨٦ هامش ٣، القلقشندي: صبح ج ٥ ص ٢١٨ المقرئ: نفح الطيب، ج ٤ - ص ٢٠٥، ص ٢٠٦ طبعة سنة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٥١ طبعة ١٩٦٨.

(٥) ابن الخطيب: مخطوط الاسكوريال من الإحاطة لوحة ٢١ - ٢٥.

(٦) البغدادي: مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٦٤، العمري، وصف أفريقية ص ٤٦، الإدريسي: نزهة المشتاق (طبعة دورى) ص ١٩٩، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ١٠٩ حاشية ١، ص ٣٠٠ حاشية ٦، ياقوت: معجم البلدان ج ٨ مادة منكب، الحميري: الروض المعطار ص ١٨٦.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٨٦، ابن الخطيب: اللوحة البدرية: ص ٢٢، الحميري: الروض المعطار: ص ٢٤.

وشلوبين^(١)، كذلك تقدمت صناعة تجفيف الفاكهة فى غرناطة تقدماً ملحوظاً حيث كان فلاحو غرناطة يدخرون العنب سليماً من الفساد طول العام^(٢)، يقول ابن الخطيب «وفواكههم اليابسة عامة متعددة، يدخرون العنب سليماً من الفساد إلى شطر العام، إلى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز إلى غير ذلك مما لا ينفد ولا ينقطع مدده إلا فى الفصل الذى يزهد فى استعماله^(٣)».

صناعة العطور والأدوية

انتشرت صناعة الأدوية فى إقليم غرناطة بفضل الأعشاب الطبية التى كانت متوفرة فى جبل شلير^(٤)، يذكر ابن الخطيب «أن جبل شلير مستودع للأدوية والترياقية فهو أحد خزائن الأدوية فى إقليم غرناطة»^(٥) ويذكر العمرى: «أن بهذا الجبل عقاقير كعقاقير الهند وعشب تستعمل فى الأدوية يعرفها الشجارون لا توجد فى الهند ولا غيره»^(٦).

وازدهرت تلك الصناعة نتيجة لتقدم علم الكيمياء وازدهار الدراسات الطبية^(٧) ويذكر السقطى أن صناعة العقاقير قد بلغت «نحو الثلاثة ألف فى العدد والاختراعات لا تنقطع»^(٨) (١) الإدريسي: المصدر السابق: ص ١٩٩، العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٦، الحميرى: المصدر السابق: ص ١١١.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٧، ابن الخطيب: اللوحة البدرية: ص ٤٠.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ نفس الصفحة، ابن الخطيب: اللوحة البدرية: نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٦، ص ٩٨ اللوحة البدرية ص ٢٢، القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥، ص ٢١٥ - ص ٢١٦، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩ م، ج ١ ص ١٤٨ طبعة سنة ١٩٦٨.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) العمرى: وصف أفريقية ص ٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٥ - ص ٢١٦، ابن الخطيب، المصدر السابق: ج ١ ص ٩٨، اللوحة البدرية ص ٢٢ المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩ م، ص ١٤٨، طبعة سنة ١٩٦٨.

(٧) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ٥٢، ص ٥٣، محمد المنونى: العلوم والآب والفنون على عصر الموحدين ص ١٢١ تطوان المطبعة المهدية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.

(٨) السقطى المالقي: رسالة فى الحبة ص ٤١، الباب السادس: عن العقاقير والعطور المستعملة فى المغرب والاندلس انظر مختصر الأدوية مخطوط لمؤلف مجهول الخزانة الملكية الرباط مخطوط رقم ٢٤٣٠، ١٦ ق وما بعدها.

وكان العطارون والصيادلة يقومون بتجهيز تلك الأدوية بناء على تعليمات الأطباء^(١)، هذا وقد اتخذ هؤلاء العطارون والصيادلة دكاكين لهم في الشوارع والأسواق، وخضعت تلك الصناعة لرقابة المحتسب^(٢)، وشأن المحتسب في هذا أن يقدم عليهم في سوقهم من تعلم ثقته ودينه ومعرفته وبصره بالعقار وتميزه واعتناؤه بلقاء الشيوخ العارفين بذلك والأخذ عنهم فيه، وكذلك ثقات التجار المتجولين في البلاد والأطباء العارفين، ويكون قد بلغت به همته أن يطالع أقوال المتقدمين في اختبار ما يوجد من ذلك والكشف عنه إذ توجد لتلك الأشياء أشباه تماثلها في الصفة والنوع وتنافيها في الفعل والمنفعة سوى ما منها^(٣) فكان على المحتسب منع من ليس لديهم الخبرة في صناعة الأدوية من ممارسة هذا العمل^(٤) «هذا وقد نهى المحتسب العطارين والصيادلة من خلط العقار الطيب بالدون، والأشياء الهندية بالبلدية، وبيعها ممن لا يميزها ولا يفرق بينها... وكذلك ينهون عن خلط البذور الردية بالطيبة وبيعها على أنها طيبة، وأن لا يبيعوا شيئاً من العطور إلا مغربلاً»^(٥).

الصناعات الفخارية والخزفية

تركزت هذه الصناعات في إقليم غرناطة وتفوقت بعض مدن الإقليم في صناعة الخزف والأواني الفخارية كمالقة^(٦) واندرش^(٧) وبرجة^(٨)، فصنعوا أشكالاً جميلة من المنتجات الضرورية الهامة كأواني المطبخ التي كانت مستعملة في ذلك الوقت^(٩)، وقد اشتهرت مالقة

(١) السقطي: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) ابن عيود: رسالة في الحسية ص ٤٧، ابن عبد الرؤوف: رسالة في الحسية ص ٨٦، ص ٨٧ المجيلدي: ص ١١٧، ص ١١٨.

(٣) السقطي: رسالة في الحسية ص ٤١.

(٤) موس إقبال: الحسية المذهبية في بلاد المغرب ص ١١٠.

(٥) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص ٨٦.

(٦) ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٤٢٤، العمرى: مسالك الأبصار «وصف إفريقية» ص ٤٧، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩، المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٤٥ طبعة سنة ١٩٤٩، عبد العزيز مردوق: الفنون الخزفية في المغرب والاندلس ص ١٠٥، ص ١٠٦.

(٧) الحميري: الروض المعطار ص ٣١.

(٨) ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ٢٢٨.

(٩) محمد كمال شبانة: يوسف الأول: سلطان غرناطة ص ١٩٢.

بإنتاج نوع جيد من الفخار المذهب العجيب وكان يصدر إلى خارج البلاد^(١)، وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب فيها إلى أقاصى البلاد^(٢) وكانت مالقة تنتج أطباقاً من الخزف ذى البريق المعدنى قوام زخارفها مناطق فيها رسوم نباتية متنوعة^(٣).

وكانت المرية تنتج بعض الأوانى الزجاجية^(٤) الرائعة لكن بعد خراب المرية^(٥) انتقلت تلك الصناعة إلى مالقة^(٦) وكانوا ينتجون نوعاً من الزجاج يعرف بالفيسفساء ونوعاً آخر يعرف بالذليجي^(٧) حيث كانوا يستخدمونه فى زخرفة المنازل.

وعلى الرغم من وجود الرخام الذى يستخدم لنفس الغرض فى مالقة إلا أن الأنواع السابقة من الزجاج كانت أرخص منه ثمناً^(٨).

وقد خضعت تلك الصناعات لرقابة المحتسب^(٩) فكان يأمر الفخارين «بتسجيل ترابهم وتطبيبه وأن يقللوا منه فى الرمل»^(١٠) ويمنع الزجاجون عن جعل الأحطاب على مقربة من مكان النار خوفاً لئلا يتخذ النار فيها فتحترق، فتؤذى الناس والجيران^(١١) ولذلك اتخذ فى غرناطة مكان لصناعة الفخار سُمى بربض الفخارين^(١٢).

- (١) ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٤٢٤ العمرى: مسالك الأبصار (وصف إفريقية) ص ٤٧، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٥ طبعة سنة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٥٢ طبعة ١٩٦٨.
- (٢) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٧.
- (٣) زكى محمد حسن: فنون الإسلام ص ٣٣٣ - ص ٣٣٤.
- (٤) الإدريسي: نزهة المشتاق ص ١٩٧، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٥٤ سنة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٦٢ طبعة بيروت سنة ١٩٦٨.
- (٥) عن خراب المرية: فى فترة الانتقال واستيلاء الروم عليها انظر الباب الأول، انظر العمرى: مسالك الأبصار مخطوط ج ١٦ قسم ٢ ورقة ٣٢٣.
- (٦) ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٤٢٤، ابن بطوطة الرحلة ص ٦٧، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٢ طبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٧ و ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩ م.
- (٧) المقرئ: المصدر السابق ج ١ ص ١٨٧، ج ١ ص ٢٠٢ طبعة ١٩٦٨، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: ص ٢١٦.
- (٨) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٥، حسين مؤنس: المرجع السابق: نفس الصفحة.
- (٩) ابن عبد الرؤوف: رسالة فى الحسبة ص ١١٢.
- (١٠) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق: نفس الصفحة.
- (١١) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، نفس الصفحة.
- (١٢) العمرى: (وصف إفريقية) ص ٤١.

ولقد أوردت كتب الحسبة أوامر المحتسب للفخارين «بألا يضعوا حوائجهم فى الطرق خيفة أن تفسد عليهم لتضييقهم الطريق بها فتكون داعية للشر والخصومة»^(١)، وشاع استخدام الأدوات الفخارية حيث راد الطلب عليها فى صناعة الأوانى الخاصة بالأغذية والأطعمة المختلفة فصنعوا القدور وأقداح الوضوء والغلال^(٢).

الصناعات الجلدية

تقدمت صناعة الجلود فى إقليم غرناطة حيث أصبحت غرناطة مركز الدباغة الأساسى بدلاً عن باجة التى اضطرت بها الأمن خلال القرن السادس الهجرى.

وكانت المدايق عادة تقام خارج أسوار المدن^(٣) فكان يوجد بغرناطة مكان خاص بالدباغين عرف باسم باب الدباغين^(٤)، حيث كان الدباغون ينزلون أطراف المدينة على ضفاف الأنهار اتقاء لرائحة صناعتهم^(٥)، هذا وقد ازدهرت صناعة الجلود ولا سيما فى مالقة^(٦)، فصنعت نوعاً من الجلود يسمى السفن وهو خشن غليظ كجلود الماشية يستخدم فى الصناعات الجلدية، فكانوا يصنعون منه الأغشية والأحزمة والمدورات والحقائب والأحذية^(٧).

وقد خضعت هذه الصناعة أيضاً لرقابة المحتسب^(٨) «فلا يباح للدباغ بيع جلد إلا أن

(١) ابن عبد الرؤوف: رسالة فى الحسبة ص ١١١، الجرسفى: رسالة فى الحسبة ص ١٢٤.

(٢) السقطى الملقى: رسالة فى آداب الحسبة، ص ٦٧.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى: ج ٥ ص ١٤، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى: ص ٢٢٩ «وكانت كورة باجة من الكور الغربية التى كانت من أعمال أشيلية أيام بنى عباد متخصصة فى دباغة الأديم» المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٥١.

(٤) العمرى (وصف أفريقية) ص ٤٠.

(٥) بروفسال: محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٦٦.

(٦) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى: ج ٥ ص ٢١٩، ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: ص ١٥٩.

(٧) العمرى: (وصف أفريقية): ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩، الاصطخرى: المسالك والممالك، ص ٣٥، ابن الخطيب: مشاهدات ص ١٥٩ «حفلت مكتبة الاسكوريال بكثير من أغلفة الكتب المزركشة الجميلة» كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة ص ١٩٢.

(٨) السقطى: ص ٦٣.

يكون قد خرج ماؤه وتحققت في دباغته، ومتى يبس وطوى وتكسر فهو غير جيد الدباغ ويتقد في ذلك لدلالته ومن وجد بعد ذلك فعله أدب ونكل^(١) كما «منع المحتسب صانع النعال من تغليظ حواشي النعل قبل خرزته»^(٢).

وينهى المحتسب «عن خلط جلد العنز مع جلد الضان في فرق»^(٣) ولا جراب ومتى وجد ذلك قطع فإنه دلس لا خير فيه»^(٤).

كذلك كان «لا يسمح لصانع الأقراق في عمل فرق إلا أن تتصل حاشيتا جلده خرزاً واحداً في ظهره أو بوصل من الجلد صغير لا يبلغ سعة الظهر ويكون مجموعاً بالخرز لا بالتشبيك، ومتى وجد على غير ذلك فليس بشيء ولا شيء في الفرق إلا جلد على جلد وبينهما خرقة تغلظه وترقق جانبيه لا بما يدلس به المفسدون من كثرة الغراء والطين وكذلك يجعلون تحت الأطراف لتصلب وتقف وعند اللباس ينكسر ويظهر تدليسه وفساده ويمنع بالجملة بيع الأقراق وخرصتها إلا بعد التيبس العام»^(٥).

(١) السقطي: في أدب الحسبة، ص ٦٣.

(٢) ابن عبد الرؤوف: رسالة في الحسبة: ص ١٠٢.

(٣) الفرق: كانت تصنع منه الأخفاف، وسمى صانع الخف بالقراق، انظر السقطي: نفس المصدر: ص ٦٣، ص ٦٤.

(٤) السقطي: نفس المصدر: ص ٦٣.

(٥) السقطي: المصدر السابق: ص ٦٤.

التجارة

شاركت التجارة الداخلية والخارجية في ازدهار الحياة الاقتصادية في بلاد الأندلس والمغرب عامة وإقليم غرناطة بصفة خاصة منذ أن تأسست دولة المرابطين ومن جاء بعدهم من خلفاء الموحدين، وكان لامتداد السلطة السياسية لدولتي المرابطين وخلفائهم الموحدين من حدود طرابلس شرقاً وصحراء المرابطين جنوباً وبلاد الأندلس شمالاً^(١)، مما أعطى الحركة التجارية بين مدن المغرب ومدن الأندلس نشاطاً لم تعهده من قبل، فقد شجع هذا التجار الذين كانوا يخضعون في هذه المناطق لحكومة واحدة على تنشيط البيع والشراء وتبادل المنتجات والسلع المختلفة، فقد استطاعت دولة المرابطين بعد أن نجحت في التوحيد بين أقاليم المغرب والأندلس أن تقرر الأمن في ربوع البلاد^(٢)، وكذلك شجع الموحدون التجارة وخاصة التجارة الداخلية فنجحوا في إشاعة الأمن في جميع أرجاء بلاد المغرب والأندلس، كما عملوا على حماية التجار وتأمين الطرق وإصلاحها وتجهيزها بصهاريج مملوءة بالماء، كذلك قطعوا جميع المغارم والقبالات والمكوس التي فرضها المرابطون في عهدهم الثاني^(٣)، فشجعوا التجار على المجيء إلى البلاد^(٤).

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٦، ص ١٦٧، ص ١٦٩، ص ٢٠٤، ص ٢١٠، المراكشي: المعجب: ص ٢٢٦، ص ٢٣٤، ص ٢٧٠، ص ٢٨٢، البيهقي: أخبار المهدي ابن تومرت ص ٨٢ طبعة دار المنصور، السلاوي: الاستقصا ج ٢، ص ٥١، ص ٥٤، ص ٦٦، ص ١٢٤، ص ١٣١، ص ١٤١، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين ص ٢٦٦ عن امتداد السلطة السياسية لدولة المرابطين في المغرب والأندلس انظر محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين) القسم الأول ص ٣٦، ص ٥٧، قسم ٢ ص ٦١٧ وما بعدها، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢٨٥، وما بعدها، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي ج ٤ ص ١٢٥ ج ١ سنة ١٩٦٧.

Scott, History of Moonish Empire, Vol 2: 107.

(٢) انظر العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٢ وما بعدها.

(٣) عن ذلك انظر العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية من الرسالة، ابن القطان: نظم الجمان ص ١٦٧، مجهول: رسائل موحدية الرسالة الخامسة والسادسة طبعة سنة ١٩٤٩.

التجارة الداخلية وأهم مسالكها

هذا ولقد تأثرت الطرق التجارية الداخلية لإقليم غرناطة تأثيراً كبيراً بالتغيرات التي طرأت على مراكز الإنتاج الزراعى والصناعى وكثرة السكان أيضاً، والناظر فى الطرق البرية فى البلاد الأندلسية أو إقليم غرناطة خلال عصر المرابطين والموحدين لا يلمح تغييراً فى أوضاع الطرق قبل هذه الفترة أو فى أثنائها، ذلك لأن مدن الأندلس كانت طرقها ممهدة^(١) منذ فترة طويلة، فالمسافر فيها لا يحتاج إلى زاد لتوفره فى جميع المنازل المعروفة^(٢)، يقول ابن الشباط: «هذا طولها (أى الأندلس) إلى الجنوب أربعون يوماً من غلسية إلى المرية، لا يتزود أحدٌ فيها بماء حيث سلك، ولأية قصد لكثرة أنهارها، وعيونها وآبارها: وربما لقي المسافر فيها فى اليوم الواحد أربع مدين، ومن المعاول والقرى ما لا يحصى»^(٣).

وبالرغم من كثرة المرتفعات والأودية، فقد كانت الطرق تربط جميع أرجاء البلاد الأندلسية بعضها البعض^(٤) وأن التغيير الأساسى فى طرق البلاد الأندلسية خلال عصر المرابطين والموحدين إنما هو مقدار استعمال طريق دون آخر اعتماداً على حالة الأمن^(٥).

(١) ابن الشباط: صلة السمط صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص ١٠٠ المجلد الرابع عشر مدريد سنة ١٩٦٧ م - سنة ١٩٦٨.

(٢) ابن الشباط: وصف الأندلس من كتاب صلة السمط ص ١٠٠، الإدريسي: نزهة المشتاق (ط. د) ص ٢٠٨.

(٣) ابن الشباط: وصف الأندلس المصدر السابق، تحقيق أحمد مختار العبادى ص ١٠٠ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، المجلد الرابع عشر مدريد سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م، ابن الكردبوس تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط (نصان جديان) قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١ ص ١٢٨ «غلسية» † (Galicia) تقع فى شمال غرب الأندلس.

(٤) المصدران السابقان ص ١٠٠، ص ١٠١، ص ١٠٢ طبعة ٢ سنة ١٩٦٧ م، ١٩٦٨ م والمجلد الرابع عشر ص ١٢٨ طبعة ١٩٧١.

(٥) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ٣١٥.

ولهذا توفرت للبلاد شبكة من الطرق التجارية التى سهلت ربط المدن والمراكز التجارية مما كان له أكبر الأثر فى انتعاش التجارة داخل إقليم غرناطة والبلاد الأندلسية.

كانت قرطبة منذ زمن بعيد ملتقى شبكة مواصلات متشابكة^(١) فمن قرطبة كانت تخرج شبكة من الطرق التجارية عددها ستة^(٢) وهى على النحو التالى:

طريق من قرطبة إلى أشبيلية^(٣)، فقادس، فالجزيرة الخضراء ومن أشبيلية يتفرع طريق آخر يذهب إلى شلب^(٤).

أما الطريق الثانى فيخرج من قرطبة إلى طليطلة^(٥)، فسرقسطة فلاردة^(٦).

والطريق الثالث من قرطبة إلى غرناطة إلى مرسية فبلنسية^(٧)، فطرطوشة فلاردة.

والرابع من قرطبة إلى مالقة^(٨) ماراً بأستجة ثم إلى مرسية^(٩) ثم يلتقى بالسابق.

أما الطريق الخامس فيمضى من قرطبة فسلمنقة فسمورة^(١٠).

(١) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص ٢٨٧ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧٦ م - ١٣٨٦ هـ.

(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق ص ٢٨٨.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض ص ١١٠ (بين قرطبة وأشبيلية ثلاثة أيام للمسافر ومن الأميال ثمانون) انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٨.

(٤) ابن حوقل: المصدر السابق: نفس الصفحة، حسين مؤنس: نفس المرجع والصفحة.

(٥) ابن حوقل: المصدر السابق ص ١١١ (بين طليطلة وقرطبة تسع مراحل، انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٣٠، هذا الطريق لم يستطع التجار ارتياده لانعدام الأمن فيه بعد سقوط طليطلة فى أيدي نصارى أسبانيا) عن سقوط طليطلة انظر الباب الأول ص ٩.

(٦) حسين مؤنس: نفس المرجع ص ٢٨٨ تقع لاردة فى ثغر الأندلس الشرقى وهما فى شرق مدينة وشقة (انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٦٨).

(٧) يذكر ياقوت فى كتابه معجم البلدان: أن المسافة بين غرناطة وقرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخاً، انظر ياقوت: معجم البلدان مادة غرناطة، ابن حوقل: صورة الأرض ص ١١١ بين غرناطة وقرطبة على طريق بجسانة ستة عشر يوماً للمسافر انظر الحميرى: الروض المعطار ص ٤٧.

(٨) حسن مؤنس المرجع السابق ص ٢٨٨.

(٩) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١١١.

(١٠) حسين مؤنس: نفس المرجع ص ٢٨٩.

والطريق السادس من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء ماراً بأستجة ومورور وشذونة^(١) هذا بالإضافة إلى طريق يربط قرطبة بالمرية وهذا الطريق يسلكه المسافرين في سبعة أيام^(٢).

كذلك ربطت شبكة من الطرق التجارية الداخلية بين مدن إقليم غرناطة، فمدينة وادي آش ارتبطت بغرناطة بطريق تجارى و «هى قرية من غرناطة»^(٣) كذلك بسطة وهى قرية من وادي آش «فى شمال شرق غرناطة» وتبعد عنها حوالى ١٣٣ كيلو مترا^(٤)، أما لوشة من أعمال غرناطة أيضاً فكان الطريق بينهما حوالى ٥٥ كيلو متراً، ويذكر المقرئ أن بينهما مرحلة^(٥).

أما مدن إقليم غرناطة الساحلية فقد اتصلت بعدة طرق تربط بينها، فبين المنكب وشلوبانية ستة عشر كيلو مترات^(٦)، أما برشانة من أعمال المرية فقد كانت على بعد ثمانية ميلاً من المرية، وكذلك دلالية كانت تبعد بنحو تسع كيلو مترات^(٧) عن برجة كذلك انتقيرة كانت تبعد عن مالقة بنحو تسعة وخمسين كيلو متراً^(٨).

(١) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص عن مورود والمسافة بينهما وبين قرطبة انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٨.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض ص ١١١.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق (ط. د) ص ٢٠٢ ابن الخطيب: اللوحة البدرية ص ٢٩: القلقشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٢١، الحميرى: المصدر السابق ص ١٩٢، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، ص ١٤٩ ١٩٦٨ «تقع مدينة وادي آش على بعد ثلاثة وخمسين كيلو متراً شمال شرق غرناطة» المقرئ: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) الإدريسي: المصدر السابق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشية ٩، الحميرى: نفس المصدر ص ٤٤.

(٥) ابن الخطيب: اللوحة البدرية ص ٢٨، مشاهدات ص ٩٣ حاشية ٦، المقرئ: المصدر السابق ج ١ ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، ص ١٤٨ ١٩٦٨، الحميرى: نفس المصدر ص ١٧٣.

(٦) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٠ حاشية ٥، الحميرى: نفس المصدر ص ١٣٦ حيث أن بين المنكب وشلوبانية عشرة أميال، ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٣٦ حاشية ١، ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ٨١.

(٧) ابن الخطيب مشاهدات ص ٨٢ هامش ١.

(٨) ابن الخطيب: نفس المصدر ص ٩٤ حاشية ٦.

الأسواق

كانت الأسواق التجارية في إقليم غرناطة محورا للحياة الاقتصادية ولم تختلف أسواق إقليم غرناطة في نظمها عن أسواق البلدان الإسلامية الأخرى، فقد كانت هذه الأسواق ذات نظم وقوانين متشابهة، وأغلبها كان مرتباً ترتيباً حسناً، فمدينة مالقة ذات مبان فخمة وحمامات حسنة وأسواق جامعة كثيرة^(١)، وكذلك مدينة وادي آش^(٢) من أعمال غرناطة فهي بلدة «حسنة بديعة حصينة»^(٣) أما بسطة فهي بلدة كثيرة الزرع اختصت بالزعفران ذات أسواق وتجارات عامرة أهلة^(٤) «أما برجة من أعمال مالقة أيضا فكانت ذات أسواق وصناعات ويشغل أهلها بتجارة الحرير»^(٥) أما بليش مالقة فكانت «عامرة أهلة ضخمة الأسواق حولها ضياع كثيرة»^(٦) كذلك احتوت مدينة المنكب على أسواق^(٧) كبيرة كما يذكر المقرئ «أنه لم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهل المرية ولا أعظم متاجر وذخائر»^(٨).

كما امتلأت مدينة غرناطة بالأسواق الممتلئة بالسلع المختلفة، يذكر ابن الخطيب أن أسواق غرناطة «قد غصت الدكاكين بالخضر الناعمة، والفواكه الطيبة والثمر المدخرة»^(٩).

-
- (١) الحميري: الروض المعطار ص ١٨٧، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠.
 (٢) الحميري: المصدر السابق ص ١٩٢، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٩ طبعة ١٩٤٨ م.
 (٣) الإدريسي: صفة المغرب (نزعة المشتاق) ص ٢٠٢.
 (٤) الإدريسي: المصدر السابق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشية ٩، الحميري: نفس المصدر ص ٤٤.
 (٥) ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ٢٨٨، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٣ طبعة سنة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٥٠ طبعة ١٩٦٨.
 (٦) ابن سعيد: المصدر السابق ج ١ ص ٤٤٢، ابن بطوطة: الرحلة ج ٢ ص ١٨٧، ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٧٨ حاشية ٦.
 (٧) الحميري: نفس المصدر ص ١٨٦.
 (٨) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٥٣ طبعة ١٩٤٩ م، ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٨ م.
 (٩) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١١٥، ص ١١٦.

ويذكر عثمان الكعاك أن الأسواق الإسلامية في المغرب والأندلس شأنها شأن باقي الأسواق في العالم الإسلامي، فكل سوق من الأسواق يضم عدة متاجر تتاجر في سلعة واحدة^(١) كسوق العطارين وسوق الفاكهة وسوق النحاسين^(٢)، ومثل قيسارية^(٣) غرناطة وكانت تقع بجوار المسجد الجامع في غرناطة وكانت هذه السوق مخصصة لتجارة الأقمشة وأدوات الترف وكانت تسمى بالقيسارية^(٤) وكانت هذه السوق تقع بالقرب من باب الرملة^(٥)، وكذلك كان بغرناطة سوق خاصة بتجارة الرقيق^(٦).

وكانت لبعض هذه الأسواق أيام معينة يعرض فيها التجار بضائعهم فكان هناك أسواق أسبوعية أو نصف أسبوعية في القرى حيث تعرض في هذه الأسواق المنتجات الزراعية والصناعية، كذلك كان يوجد بها تجار المواد الغذائية من جزائرين وتجار السمك^(٧) والفاكهة والخضروات والشوائية والقلائية وباعة العجين المقلّى مع الجبن والأصناف الجيدة من الأمعاء المحشوة^(٨)، ثم دكاكين بائعي السمن والعسل^(٩) وبائعي اللبن^(١٠) والحناطون وهم بائعو الشعير والقمح والفل والعدس والحمص، وبائعو الملح والخل^(١١).

وكانت لهذه الأسواق آدابها العامة كأن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في أماكن البيع

(١) عثمان الكعاك: الحضارة العربية في البحر المتوسط ص ٦٦.

1) Levi - Provincia l'Esp. Musl. op. cit.p. 188

(٢) عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ص ٦٦.

(٣) قيسرية: والجمع قيسار - وهي السوق التجارية العامة انظر

Dozy: Supplement aux dictionnaires Arabes. 2 tomes (leiden - Paris 1987. 11, p. 432.

(٤) العمرى: وصف أفريقية ص ٣٨ انظر يروفتسال في أدب الأندلس وتاريخها ص ٦٧.

(٥) العمرى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٢٠٧، ٢١٢.

(٧) السقطي: رسالة في الحسبة ص ٣٢.

(٨) السقطي: المصدر السابق، ص ٣٢ - ص ٣٩.

(٩) ابن عبد الرؤوف: ص ١٠٥.

(١٠) السقطي: المصدر السابق ص ٦٩، ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص ٩٢.

(١١) ابن عبدون: رسالة في الحسبة ص ٤٣.

داخل الأسواق^(١) ومنع طرح الأزيال والقاذورات^(٢) وإيقاف الدواب بالخشب والحطب واجتيازها السوق بالشوك^(٣)، فكان يمنع دخول الدواب القيسارية والأسواق ويمنع توقيفها في الطرق الضيقة ومن إرسالها من غير ماسك لها^(٤)، وكان أهل المدينة مسئولين عن تنظيف أسواقهم من القاذورات والطين ونقل تلك الأوساخ إلى خارج البلد^(٥)، وكذلك كان ينهى عن الرش أمام الحوانيت حتى لا يتزلق أحد المارة^(٦).

الرقابة على الأسواق

اتخذت الحكومة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين نظامًا دقيقًا للإشراف على الأسواق والتجار وكان هذا النظام يتمثل في المحتسب.

فعرفت إدارة الأسواق باسم الحسبة^(٧).

وقد عرف المحتسب في بلاد الأندلس والمغرب باسم صاحب السوق^(٨). وصاحب الحسبة^(٩).

وقد استمر هذا الاستعمال في القرن السادس^(١٠) الهجري، ولعبت الحسبة دورًا عظيمًا

(١) الطرطوشي: الحوادث والبدع، تحقيق الطالب ص ٤١ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد مجلد ٤ سنة ١٩٥٦.

(٢) أحمد سعيد (المجيدى) التيسير في أحكام التفسير تحقيق موسى لقبال الجزائر سنة ١٩٧٠ ص ١٠٥، ابن عبد الرؤوف ص ١١٠: رسالة في الحسبة: ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٥٣.

(٣) المجيدى: المرجع السابق ص ١١٠.

(٤) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص ١١١.

(٥) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق: ص ١١٠.

(٦) ابن عبد الرؤوف: رسالة في الحسبة ص ١١١، يحيى بن عمرو: أحكام السوق ص ١٢٦، ص ١٢٧.

(٧) انظر عن استعمالها: ابن الفرضى: بغية الملتمس ص ٣٧٠ ابن الأبار: الحلة السيرة ج ٢ ص ٧٦، التكملة: ج ١ ص ٣٤٢، ابن سعيد المغرب ج ٢ ص ٣١٣.

(٨) يحيى بن عمر: أحكام السوق ص ١٠٨ تحقيق حسين مؤنس وكذلك في المشرق، انظر تاريخ خليفة بن خياط ج ١ ص ٦٢.

(٩) تاريخ قضاة الأندلس: ص ٥، ابن عبدون: رسالة في الحسبة ص ٢.

(١٠) ابن عبدون: رسالة في الحسبة ص ٢٠، وما بعدها.

بجانب وظيفتى القضاء والمظالم فى إقرار العدل بين الناس، «فالحسبة كانت من الوظائف الإسلامية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»^(١).

ومن هذا المفهوم شجع المرابطون والموحدون الحسبة بمعناها العام من أمر بمعروف ونهى عن منكر وجهاد فى سبيل الله^(٢).

وكان القاضى يولى محتسب السوق^(٣)، «فوظيفة المحتسب داخله فى عموم ولاية القاضى يولى باختياره»^(٤) وفى بعض الأحيان كان الوالى هو الذى يقوم بتعيين صاحب السوق^(٥)، ويقوم المحتسب بهذه الوظيفة، وليس من حقه أن يتشاغل عنها بغيرها، وهو ماجور عليها براتب يقبضه من بيت المال^(٦).

هذا وقد حدد العلماء الشروط الواجب توافرها فىمن يقوم بوظيفة المحتسب، فيجب أن يكون فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة حراً عادلاً ذا صرامة وخشونة فى الدين لا يميل ولا يرتشى^(٧).

ولما كانت وظيفة المحتسب ذات طابع دينى من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فكان عليه أن يدعو الناس إلى قمع الظلم والجور والسعى إلى العدل والتعلق به، فكان

(١) ابن خلدون: المقدمة: طبعة الكشاف بيروت ص ٢٢٥ ومطبعة الشعب ص ٢٠٢، ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام ص ٩، ابن بسام نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٠، الماوردى: الأحكام السلطانية ص ٢٢٧ - ٢٤٠ طبعة ١٩٦٠ مكتب الحلبي صبحى الصالح: النظم الإسلامية: ص ٢٢٨، ص ٢٢٩.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٢١، ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ قسم ٣ القسم الموحدى (تحقيق هوثى ميراندا ص ٣١).

(٣) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام (المعروف بالأحكام الكبرى): مخطوط ورقة (٢) النباهى: تاريخ قضاة الأندلس ص ٥، موسى لقبال: الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى نشأتها وتطورها ص ٢٧ الطبعة الأولى الجزائر ١٩٧١.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥.

(٥) ابن خلدون: المصدر السابق ص ٢٢٥، يحيى بن عمر: أحكام السوق ص ١٠٣، ص ١٠٤.

(٦) الماوردى: الأحكام السلطانية ص ٢٣١.

(٧) الشيزرى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ٦، تحقيق البار العربى، الماوردى: الأحكام السلطانية ص ٢٤١ سنة ١٩٦٧ مطبعة الحلبي، ابن عبدو: رسالة فى الحسبة ص ٢٠، عطية مشرفة: القضاء فى الإسلام ص ١٧٩.

عليه أن يأمر الناس بإقامة الصلوات الخمس وصلاة الجمعة^(١)، كما ينظر المحتسب في مراعاة الأحكام الشرعية، ويسهر على إقامة الحدود، تمتد سلطته إلى الإشراف على الأسواق^(٢) ومراقبة المعاملات التجارية داخل أسواق الأندلس والمغرب كمراقبة البيع والشراء ومراقبة الموازين والمكاييل، فكان عليه «التأكد من سلامة الوزن»^(٣) وذلك حماية للمستهلك^(٤) كما أن عليه منع الاحتكار^(٥)، كما كان من حقه تحديد أسعار المبيعات ومراقبة من يبيع مبيعات بسعر أعلى^(٦)، فيتفقد اللحوم ويجب على بائعي اللحوم وضع ورقة بسعر ما يبيعونه من اللحوم^(٧)، وعليه مراقبة التجار داخل الأسواق التجارية^(٨)، كما كان عليه أن يتفقد أمورهم وصنائعهم ويمنعهم من تعطيل الناس في حوائجهم^(٩).

وكان صاحب السوق، يعاقب المخالفين داخل الأسواق التجارية للمرة الأولى بالتوبيخ والزجر وفي المرة الثانية بالسجن والوعيد وفي الثالثة بالضرب والتشهير وإن عاد المخالف للمرة الرابعة فيعاقبه بالتكيل ورفعته عن سوق المسلمين^(١٠) «وأحياناً نفيه خارج الوطن»^(١١).

-
- (١) ابن تيمية: الحسبة في الإسلام ص ٩، ص ١٠، ص ١١ دمشق ١٩٦٧.
- (٢) المقدمة: ابن خلدون ص ٢٢٥، حسن إبراهيم: النظم الإسلامية ص ٢٧١، صبحي الصالح: النظم الإسلامية ص ٣٣٠، أحمد شلبي: السياسة والاقتصاد ص ١٧٠.
- (٣) السقطي: أدب الحسبة ص ٢١، ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٤٣.
- (٤) تدور رسائل كل من السقطي، وابن عبدون والجرسفي وابن عبد الرؤوف - كلها من العصر المرابطي والموحدي - حول واجبات المحتسب وسلطاته، انظر ابن عبدون: رسالة في الحسبة ص ٢٠، ص ٢١، ص ٤٣، السقطي ص ٢، ص ١٢.
- (٥) السقطي: ص ١١، ص ٣١، ص ٣٤، ابن عبدون ص ٤٢.
- (٦) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٣ - ص ٢٠٤ طبعة سنة ١٩٤٩، ص ٢١٨ ص ٢١٩ طبعة ١٩٦٨.
- (٧) المقرئ: المصدر السابق ص ٢٠٣، ص ٢١٨ طبعة ١٩٦٨.
- (٨) المقرئ: المصدر السابق نفس الصفحة، ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥.
- (٩) السقطي: أدب الحسبة ص ٦٢.
- (١٠) السقطي: في أدب الحسبة ص ٩.
- (١١) الشيزري: نهاية الرتبة ص ١٤.

كما كان من حق المحتسب (صاحب السوق) طرح الشيء المغشوش وإتلافه^(١) ويبدو أن ظاهرة الغش^(٢) فى الأسواق التشرت فى تلك الفترة وهو ما تؤكدته كتب الحسبة المعاصرة.

كذلك كان على المحتسب أن يشرف على تأمين حراسة الأسواق ونظافتها^(٣) نظافة المأكولات المعروضة ومنع أهل البلاد من بيع ما يؤكل أو يشرب^(٤) حماية بهم من الأمراض، ويضاف إلى هذه الاختصاصات حقه فى الإشراف على التجار والمعلمين واختيارهم ومنعهم من إيذاء المتعلمين^(٥).

حتى يؤدى صاحب السوق وظيفته كاملة كان يستعين بالأعوان والغلمان^(٦) لمساعدته فى عمله، فكان يختار رجالا يثق فيهم من أهل الأسواق ووجوه أرباب الصنائع ويستظهر بهم على الباقين حتى يطلعوه على ما خفى من أسرارهم وخبيث تصرفاتهم^(٧)، وما يجلب إلى سوقهم وما تستقر عليه من الأسعار وغير ذلك من الأسباب التى يلزم صاحب السوق معرفتها^(٨).

ولذلك كان الحرفيون والتجار منتظمين فى طوائف على رأس كل منها عريف أو

(١) السقطى: المصدر السابق ص ١. ص ١٢، ص ١٣، ص ١٤، ص ١٥، ص ١٦، ص ٢١، ص ٤١، وما بعدها، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤١، ص ٤٢، عبد المنعم ماجد: الحضارة الإسلامية ص ٥٦.

(٢) السقطى: أدب الحسبة، ص ١، ص ١٢، ص ١٣، ص ١٤، ص ١٥، ص ١٦، ص ٢١، ص ٤١ وما بعدها، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤١، ص ٤٢ عن الغش فى الأسواق انظر نوازى ابن رشد (مخطوط رقم ١٠٧٢) عربى (المكتبة الوطنية بباريس) ١٠١ ق، البرزلى (أبو القاسم أحمد البلوى) جامع مسائل الحكام مما نزل بالمفتين والحكام مخطوط رقم ٤٨٨٤ الخزانة الملكية الرباط ١٣٨ و ١٣٩ و ص ١٥١.

(٣) ابن عبد الرؤوف: رسالة فى الحسبة ص ١١١.

(٤) ابن عبدون: المصدر السابق ص ٥٠، ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص ٩٣، المجيلى: التسعير: ٦٥.

(٥) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥، المرير: الأبحاث السامية ج ٢ ص ١٢٢ تطوان سنة ١٩٥٢.

(٦) ابن بسم: نهاية الرتبة ص ١٠، ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥.

(٧) السقطى: نفس المصدر، ص ٩.

(٨) الشيزى: المصدر السابق ص ١١.

أمين^(١) له السلطة عليهم وهو مسئول عن كل ما يحدث مباشرة فى جماعته، فهو الخير بالجد والردىء من حرفته^(٢)، وكان هؤلاء العرفاء والأعوان بمثابة العيون التى توصل لصاحب السوق الأخبار مما يؤدى إلى بث الرعب والخوف فى قلوب العامة^(٣).

ويبدو أن بعض محتسبى الأسواق تركوا العمل لأعوانهم ولم يراقبهم ولذلك شدد السقطى المالقى على وجوب قيام المحتسب على عمله بنفسه وعدم ترك ذلك لأعوانه^(٤).

وقد استطاع الموحدون ضبط الأسواق وتنظيمها فعهدوا للأمناء بجمع ضرائب أسواقهم^(٥)، فكان المنصور الموحدى يحرص على الاجتماع بأمناء الأسواق مرتين كل شهر لتفقد سيرتهم فى أسواقهم^(٦).

أسعار السلع داخل الأسواق

أسعار السلع كانت غير ثابتة فهى تخضع للحالة الاقتصادية التى تمر بها البلاد عامة أو الأقاليم بصفة خاصة، وفى بعض الأحيان يكثر الإنتاج فيزيد عن الحاجة، فكان يصدر إلى خارج البلاد فتتخفض الأسعار نتيجة لذلك، وتتعرض الأحوال الاقتصادية^(٧).

فى أيام الشدة حين يقل الإنتاج ترتفع الأسعار، مثل ما حدث عندما قلت الأقوات وارتفعت الأسعار فى غرناطة ووادى آش فى حملة ابن ردمير على غرناطة ووادى آش^(٨) سنة ٥١٩ هـ^(٩).

(١) ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٥٣.

(٢) المجيلدى: التسعير ص ٥٦، ابن عبدون رسائل فى الحسبة ص ٢٤، ص ٥٧، السقطى: فى أدب الحسبة ص ٩، الجرسفى: رسالة الحسبة ص ١٢٥.

(٣) ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام ص ٩، ص ١٠، ص ١١ طبعة ١٩٦٧.

انظر عبد العزيز سالم: قرطبة فى عصر الخلافة ج ٢ ص ١٣١.

(٤) السقطى: نفس المصدر ص ٩، ص ١٠.

(٥) ابن عبدون: رساله فى الحسبة ص ٣٩، ص ٥٣، ص ٥٧، السقطى ص ٣٩، ص ٥٦.

(٦) عبد الواحد المراكشى: المعجب ص ٣٦٢ طبعة سنة ١٩٦٣.

(٧) انظر الصادرات والواردات.

(٨) عن هذه الحملة انظر ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤، ابن عذلى: البيان المغرب ج ٤ ص ٦٩، ص ٧٠، ص ٧١، ص ٧٢، مجهول: الحلل الموشية ص ٩٠ وما بعدها.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق ٦٩، مجهول الحلل الموشية تحقيق عبد القادر زمامة ص ٧٥ - ص ٨٠.

كما قلّت الأقوات في إقليم غرناطة في عصر الموحدين أثناء غدر ابن همشك^(١) على غرناطة سنة ٥٥٧ هـ ومحاولة استيلائه عليها من أيدي الموحدين^(٢)، ولكن تميزت الفترة التي نعرض لها برخص الأسعار بصفة عامة فمدينة مالقة كثيرة الفواكه رخيصة الأسعار، يقول المقرئ: «رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرتال بدرهم صغير»^(٣) وامتلات أسواقها التجارية بأنواع السلع من شعير وقمح وذرة وأصناف فاكهة^(٤)

كذلك اشتهرت مدينة غرناطة بإنتاجها الوفير من أنواع الفواكه المختلفة^(٥) «قد غصت الدكاكين بالخضر الناعمة والفواكه الطيبة والثمر المدخرة»^(٦) أما دلالة من أعمال المرية فكانت وافرة الخيرات^(٧) «وكان بالمرية من فواكه وادبها الكثير الرخيص»^(٨) هذا ولم ترتفع الأسعار في فترة حكم المرابطين وخلفائهم الموحدين في إقليم غرناطة إلا ما سبق أن ذكرناه، فمثلا كان سعر الجبن في مدينة مالقة ربع جبن بستة عشرة درهما^(٩)، ونصف ربع دقيق بستة دراهم^(١٠) أما كراء الدار فكان في المرية بثلاثة دنائير شهريا^(١١)، كذلك كان ثمن الدابة في غرناطة خمسين مثقالا^(١٢).

-
- (١) سبق التعريف به انظر الباب الأول ص ١٠٤، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨١، ص ١٩٦.
- (٢) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ١٨١، ص ١١٩٦ م.
- (٣) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٥٢ طبعة ١٩٦٨ م.
- (٤) ابن حزم: الرد على ابن النغيلة اليهودي ص ١٧٥، ص ١٧٧.
- (٥) العمري: وصف أفريقية ص ٣٦، ص ٣٧، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٥، الحميري: الروض المعطار ص ٢٤.
- (٦) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١١٥ - ص ١١٦.
- (٧) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٢ هامش ١.
- (٨) الحميري: الروض المعطار ص ١٨٤.
- (٩) السقطي: في أدب الحسبة ص ٣١.
- (١٠) السقطي: المصدر السابق، نفس الصفحة.
- (١١) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ٢٠ ص ١ ٢ طبعة دار صادر بيروت.
- (١٢) الونشريشي: المعيار المغرب ج ٩ ص ٤٤٩ - ٤٥٠.

تسعير السلع

ومن السماوات البارزة فى غرناطة تسعير السلع مثل القمح والشعير وغيرها من السلع الغذائية الهامة التى يعتمد عليها عامة الناس^(١).

وفى أغلب الأحيان كانت الحكومة سواء فى المغرب أو الأندلس تتدخل لتحديد أسعار السلع بطريقة مناسبة حتى لا يقع فيها ظلم سواء على المستهلك أو التاجر، فكان تسعير السلع الغذائية يتم بالتراضى بين المحتسب والتجار^(٢)، يقول ابن عبد الرؤوف «فإن أراد الإمام العدل أن يسعر شيئاً من ذلك فيجمع وجوه أهل السوق ذلك الشيء ويحضر غيرهم، استظهار على صدقهم فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون فإن رأى شططاً فى البيع، نازلهم على ما فيه لهم وللعمامة صلاح وسداد حتى يرتضوا به، ويتعاهد ذلك منهم بعد ذلك فى كل حين، فمن وجد منهم قد زاد فى الثمن، أمره أن يبيع كبيع أصحابه، وإلا أخرجه من السوق وأدبه، وإن أراد واحد منهم أو اثنان أن يبيعوا بأرخص من ذلك، لم يمنع من بيعه، فإن كثر هؤلاء، قيل لمن بقى من أهل السوق: «إما أن يبيعوا كبيع هؤلاء وإلا فارتفعوا» ولا يحل التسعير إلا عن تراض وعلى هذا أجازه، من أجازه ومن أكره الناس على التسعير فقد أخطأ^(٣).

وإذا اشترى رجل سلعة بأكثر من ثمنها ثم عرف الثمن الحقيقى فله الرجوع إلى البائع بما بقى له^(٤).

الفنادق

أدى ازدياد النشاط التجارى فى إقليم غرناطة فى عصر المرابطين والموحدين وكثرة عدد التجار الأجانب الواردين على تلك البلاد إلى بناء عدد من الفنادق داخل الأسواق

(١) أحمد سعيد المجيلدى: التسعير فى أحكام التسعير ص ٤٩ طبعة ١٩٧٠.

(٢) ابن عبد الرؤوف: رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب ص ٨٩.

(٣) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) المجيلدى: المصدر السابق ص ٥٥.

التجارية لمبيت التجار الأجانب وقد انتشرت هذه الفنادق في إقليم غرناطة خاصة في المدن التي اشتهرت بورود التجار الأجانب إليها مثل مدينة المرية^(١) التي ازدحمت بأعداد كثيرة من الفنادق، يقول الحميري: «وتحتوى مدينة المرية على ألف فندق إلا ثلاثين فندقاً»^(٢) وذلك لخدمة التجار الأجانب، يقول الحميري: «وكانت المرية تقصدها مراكب التجار من الأسكندرية والشام»^(٣) وقد جهزت هذه الفنادق لخدمة التجار الغرباء^(٤)، فكانت تقام بجوار الحمامات^(٥) «وغريبها - أى المرية - ربيض لها آخر يسمى ربيض الحوض ذو فنادق وحمامات»^(٦) وفي موضع آخر «كان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف»^(٧) وكان لبعض البلاد الأجنبية ذات الصلة التجارية بإقليم غرناطة منشآت تجارية بها مثل فندق الجنوين^(٨).

ولم تختلف نظم هذه الفنادق عن غيرها من فنادق المدن الإسلامية الأخرى سواء في المغرب أو الأندلس أو المشرق فيذكر جمال سرور أن هذه الفنادق قد رودت بكنيسة ليقيم فيها التجار شعائرهم الدينية وفرن لصناعة الخبز وكان يشرف على الفندق من يسمى بالفندقي.

وكان في هذه الفنادق مكان ليحفظ فيه التجار بضائعهم وتغلق بأقفال رومية الصنع^(٩)،

(١) الحميري: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٥٣، ص ١٥٤، ج ٤ ص ٢٠٦، ج ١ ص ١٦٢، ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٨.

(٢) الحميري: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الحميري: نفس المصدر: ص ١٨٤ «يقول المقرئ: والمرية كانت محط مراكب النصارى» المقرئ: ج ٤ ص ٢٠٦.

(٤) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٠٩ «مثل فندق الجنوين في غرناطة حيث كانت لهم منشآت تجارية بها» انظر:

4) Presscott: History of the reign of Ferdinand and Isabella p. 170 (London 1895).

(٥) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٥٤، ج ١ ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٨.

(٦) المقرئ: المصدر السابق ج ١ نفس الصفحة، ج ١ صفحة ١٩٦٣ طبعة ١٩٦٨.

(٧) المقرئ: نفس المصدر ج ١ ص ١٥٢.

8) Presscott. ibd. p. 170.

(9) Heyd, Historie, du commerce., Tom, 11 P.P 430

وقد انتشرت الفنادق في غرناطة فكان بها فندق الجنوبيين^(١)، والفندق الجديد وفندق زائدة وفندق السلطان^(٢).

القياسر

أما القياسر فهي عبارة عن مجموعة من المباني العامة تضم مخازن وحوائيت ومساكن لمبيت التجار وكانت تعرض في داخل القياسر أنواع السلع المختلفة، وقد اشتهرت قيسارية غرناطة ببيع أنواع الحرير وصنوف السلع الفاخرة^(٣)، كذلك كان بمدينة المرية قيسارية «قد رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل لها قد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد إليها الناس من أقطارهم»^(٤).

وقد ضمت هذه القياسر بعض المساجد، كما كان يعلوها رباح ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر^(٥)، ويذكر حسن حسنى عبد الوهاب أن الحكومة كانت تقوم ببناء تلك القياسر وتأجيرها لأرباب الحرف والمهن والصناع والتجار مقابل كراء متفق عليه^(٦).

التجارة الخارجية وأهم مسالكها

على الرغم من ازدهار التجارة الداخلية في البلاد الأندلسية والمغربية في عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين فإن التجارة الداخلية قد واجهت صعوبات كثيرة نتيجة لعلاقات المرابطين وخلفائهم الموحدين، فقد واجهت التجارة الخارجية مع بلاد البحر المتوسط صعاباً كثيرة لأن علاقة المرابطين ببلاد البحر المتوسط كانت متوترة بسبب الحروب الطاحنة مع نصارى أسبانيا^(٧).

(1) Presscott: Ibid. P 170.

(٢) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة ج ٢ ص ٥٧٦، ص ٥٧٧.

(٣) العمري: وصف أفريقية ص ٣٨.

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس: ص ٨٦ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥ م.

(٥) المقرئى: الخطط ج ٢ ص ٨٧، ص ٨٩، جمال سرور المرجع السابق ص ١٦٠.

(٦) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات من الحضارة العربية ص ٧٢، ص ٧٣ ج ٢ رقم ٢.

(٧) عن حروب المرابطين مع نصارى أسبانيا انظر ابن عذارى: البيان ج ٤ ص ٣٣، ص ٣٤، ص ٥٠، ص ٦١ ص ٦٩، ص ٧٩، ص ٨٠، ص ٨١، ص ٨٨، ص ٨٩، ص ٩٠، ص ٩١، ابن

بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة قسم ٣ المجلد الأول ص ٩٧، ص ١٠١، ابن أبى زرع: =

فكانت التجارة مع أوروبا برآ لا تزدهر إلا فى سنوات الهدنة التى كثيراً ما كانت

تقضى^(١).

أما مصر الفاطمية، فكانت هى الأخرى على علاقة سيئة بدولة المرابطين وذلك بسبب اعتراف المرابطين بالدولة العباسية^(٢).

وكانت العلاقات بين الأندلس والمغرب وبين صقلية ومدن إيطاليا تتأثر بالأحداث السياسية، وأصبح التنافس بينها على أشده خاصة بعد أن سيطرت المدن الإيطالية على تجارة البحر المتوسط فى أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)^(٣) فيبدو

= روض القرباس ص ١٥٢، ص ١٦٠، ص ١٦١، ص ١٦٢، ص ١٦٣، ص ١٦٤، ابن القطان: نظم الجمان ص ٦، ص ٩، ص ١٠، ص ١٣، ص ١٤، ص ١٩٧، ص ٢٠٠، ص ٢١٩، ص ٢٣٣ مجهول، الحلل الموشية ص ٧١، ص ٨٥ ص ٩١ ص ١٣٠، ابن الكردبوس: الاكتفاء ص ١١٠، ص ١١٤، ص ١٢١، السلاوى: الاستقصاء ج ٢ ص ٦١، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٣٠٧، ص ٣١٣، ص ٣١٤، ص ٣١٦، ص ٣١٩، عنان، دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م ص ٦٠، ص ٦٢، ص ٦٤، ص ٦٧، ص ٩٦، ص ١١٩، ص ١٣١، ص ١٣٤، ص ١٣٥، ص ١٤٢، ص ١٤٣، ص ١٤٩، ص ٤٠٦، ص ٥٢٢، ص ٥٢٦، الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح العربى حتى سقوط غرناطة طبعة ١٩٧٦ ص ٤٢٨، يوسف أشباح: تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، ص ٩، ص ٢٠، ص ٢٢، ص ٢٣، ج ٢ ص ١٠، ص ١١، ص ١٧، ص ١٦٢، ص ٢٣٦، ص ٢٣٧ وما بعدها، أمبرسيوهويس ميرانده، على بن يوسف وأعماله فى الأندلس، مجلة تطوان ص ١٧٢ وما بعدها عدد ٣ ١٩٥٨ - ١٩٠٩، حسين مؤنس: الشجر ص ١١٥، ص ١١٩، ص ١٤١.

(١) ابن عذارى: البيان ج ٤ ص ٩١، ص ٩٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: ج ١٠ ص ١١٤ مجهول: الحلل الموشية ص ٢٩، ابن القطان: نجم الجمان، ص ١٠٠، محمد الفتحي المراكشى: السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية القاهرة، مطبعة مصطفى البابى الحلبي طبعة ١٣٤١ هـ ص ١٥٣، ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٩، محمد ولد دادة: مفهوم الملك فى المغرب: بيروت دار الكتاب اللبنانى، القاهرة دار الكتاب المصرى المطبعة الأولى ١٩٧٧ ص ١١٣، أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، الأسكندرية الطبعة الأولى ١٩٦٨ ص ١٠٠، ص ١٠١، وما بعدها، راجع كذلك حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٣٥ - ص ٣٦٦، ص ٣٤٣.

(٣) عن قوة المدن الإيطالية وسيطرتها على غربى البحر المتوسط انظر أمارى: المكتبة العربية الصقلية ص ٢٨٢، ص ٢٨٣ - ص ٣٩٣، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٢٩ وما بعدها.

أن كلا من المرابطين والمدن الإيطالية كان يترصد للآخر ويتنهد كل منهم الفرصة للسيطرة على الجزء الغربي من البحر المتوسط. وقد وات المرابطين الفرصة حين استنجد بهم أبناء عمومتهم الزيرون الصنهاجيون فقام الأسطول المرابطي بغزو سواحل صقلية وإيطاليا^(١) وفي ذلك يقول ابن عذارى «وفي سنة ست عشرة وخمسائة أغزى أبو عبد الله محمد بن ميمون قائد أسطول على بن يوسف مدينة نوقطرة»^(٢) من عمل رجار صاحب صقلية ففتحها وسبى نساءها وأطفالها فيها وكان على ابنه يحيى صاحب المهدية كتب كتابا إلى رجار عندما وقع بينهما وحشة يضمن تهديده فيه بإدخال المثلثين والعرب إلى صقلية فلما كان من غزو أبي عبد الله ما كان لم يشك رجار صاحب صقلية أن السبب الباعث على ذلك والمحرك له صاحب المهدية، فاستنفر أهل بلاد الروم قاطبة (وأكثر) الاستنصار وأستجاش وحشد كأنما في ذلك كله لأمره، فمنع السفر إلى سواحل المسلمين والتأم له ما لم يعهد مثله^(٣).

وعلى الرغم من هذا العداء والتوتر في العلاقات بين المرابطين والمدن الإيطالية وصقلية فقد حاول المرابطون تشجيع التجارة الخارجية معهم، فعقدوا معاهدة تجارية مع المدن الإيطالية، خاصة بينزا وجنوة في ٥٣١ هـ - ٥٣٢ هـ، (١١٣٧ م - ١١٣٨ م) وتشجيعاً لهم على التجارة مع الدولة المرابطية لم يأخذ المرابطون سوى العشر^(٤) على تجارتهم، كذلك يذكر إبراهيم حركات في كتابه المغرب عبر التاريخ أن جنوه أنشأت مدرسة لتعليم اللغة العربية حتى يتمكن التجار الجنوبيون من التعامل التجاري مع المسلمين في بلاد المغرب والاندلس^(٥) ونتيجة لهذه العلاقات التجارية ازدهرت مدينة المرية وفي ذلك يقول

(١) أمارى: المكتبة الصقلية ص ٢٨٢ - ص ٢٨٣.

(٢) الصحيح بو فطرة انظر التصويب في أمارى: المكتبة الصقلية ص ٢٨٢.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٦٦، ص ٦٧، عن ذلك انظر أيضاً ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ١١٦، وانظر أيضاً أمارى، المكتبة الصقلية ص ٢٨٢، ص ٢٨٣، وانظر، أحمد مختار العبادى، وسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والاندلس طبعة ١٩٦٩ ص ٢٤٦، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٢٩ وما بعدها.

(4) Mas - Latrie, I., Traite de paix et de commerce et documents divers concerent les relations des chretiens avec les arabes de l'Afrique

Septentrionale au moyen - age, Paris 1965, P.P 37 - 49

(٥) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ص ٣١٦، انظر أيضاً حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس ص ٢٨٧.

المقرى: «وبها كان محط مراكب النصارى، ومجتمع ديوانهم، ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم، ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التى تصلح لهم، وقصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع فى أعشارهم، ولم يوجد لهذا الشأن مثلاً، لكونها متوسطة ومتسعة قائمة بالوارد والصادر»^(١).

ومع ضعف المرابطين واشتداد ثورة الموحدين، انتهز نصارى أسبانيا فى فترة الانتقال الفرصة وتحالفوا مع جنوه وبيزا وخربوا المرية^(٢).

وفى العصر الموحدى لم تكن علاقة الموحدين ببلاد المشرق بأحسن حالا من علاقة المرابطين بها، فقد كانت علاقات الموحدين متوترة مع الفاطميين ثم الأيوبيين^(٣) ولكن هذا لم يمنع التجار الأندلسيين والمغاربة من التجارة مع مصر وبلاد المشرق، فمصر - كما يذكر حسن على حسن - كانت فى طريق تداخل الحجاج المسافرة لتأدية فريضة الحج فى كل عام وكانت فى كثير من الأحيان تضم بعض أنواع المتاجر التى تحتاجها المدن الشرقية^(٤).

فكانت السفن التجارية تقوم بنقل المنتجات الأندلسية والمغربية التى تحتاجها بلدان المشرق، فكانت السفن تخرج من ميناء مالقة متجهة إلى مصر والشام والعراق محملة بالبضائع المختلفة كالتين المالحى^(٥)، والحلل الموشاة بالذهب^(٦) والملابس الكتانية

(١) المغرب: نفح الطيب: ج ٤ ص ٢٠٦ طبعة ١٩٤٩، ج ٣ ص ٢٢٠ طبعة ١٩٦٨.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق ص ١٩٨، المراكشى: المعجب ص ٢٨٠، ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ القسم الموحدى ص ٣٣، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٢٢٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان تحقيق إحسان عباس ج ٣ ص ١٠٧.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٣ ص ٦٨ تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة سنة ١٩٧٨ - سنة ١٩٧٢.

(٤) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس ص ٢٨٨، ص ٢٨٩، روجيه لوتورنو: فاس فى عصر بنى مرين - ترجمة نقولا زيادة بيروت سنة ١٩٦٧ ص ٥٠.

(٥) العمري: وصف إفريقية ص ٤٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٨، المقرى: نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٥ طبعة ١٩٤٩ ج ٣ ص ٢١٩ طبعة ١٩٦٨، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠.

(٦) ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠، المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ٤٢٣، العمري: (وصف إفريقية) ص ٤٨، المقرى: نفح الطيب ج ١ ص ٢٠١ طبعة دار صادر بيروت ج ١ ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩.

الرفيعة، وكذلك كانت مالقة تصدر الفخار المذهب العجيب الشكل واللون^(١) والبسط^(٢) من غرناطة وبسطة.

وعلى الرغم من قوة الأسطول الموحدى^(٣) فإنه لم يستطع السيطرة على غرب البحر المتوسط وكانت العلاقات مع المدن الإيطالية رهناً هي الأخرى بالعلاقات السياسية^(٤)، ففى فترة الهدنة أبرم الموحدون اتفاقيات تجارية مع جنوة وبيزا، فأبرمت معاهدة تجارية بين مدينة جنوة ودولة الموحدين سنة ٥٤٨ هـ، ١١٥٣ م ثم فى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ضمنت حرية التجارة لرعاية جنوة براً وبحراً، كما نصت الاتفاقية على تخفيض العشور على تجارة جنوة^(٥)، لكن الموحدين لم يسمحوا لتجار بيزا بالتجارة فى المراسى والموانى المحدية فى المغرب والأندلس إلا إذا جلب التاجر بضاعة بخمسمائة دينار^(٦) وذلك بسبب أعمال القرصنة التى كان يقوم بها أهل بيزا فى البحر^(٧)، كما عقد الموحدون فى سنة ٥٨٠ هـ / ١١٧٤ م مع بيزا معاهدة تجارية أخرى^(٨).

(١) العمرى: نفس المصدر ص ٤٧، ص ٤٨، الفلقشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٣، الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٨، المقرئ: نفح الطيب ج ٤ ص ١٤٥ طبعة ١٩٦٨.

(٢) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشية ٩ نشر أحمد مختار العبادى، الحميرى: الروض المعطار ص ٤٤، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ٢٠١ طبعة دار صادر بيروت، ج ١ ص ١٨٧ طبعة ١٩٤٩.

(5) A. Julien, Histoire de l'Afrique du Nord P. 124.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٥٥، أمارى: المكتبة العربية الصقلية، ص ٤٦١ - ص ٤٦٢.

(٤) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٣.

(5) Mas - Latrue, Traite du paix, P.P. 47 - 49, 89.

عن هذه الاتفاقيات انظر مبارك الميلى: تاريخ الجزائر العام فى القديم والحديث ج ٢ مطبعة الجزائر ١٣٥٠ هـ ص ٢٥٠، عبد الرحمن بن محمد الجيلانى: تاريخ الجزائر العام جزاء بيروت ١٩٦٥ ج ٢ ص ٣٢٠.

(6) Amario, M. I. Diplomi, arabi del archivio, V. I., Firenze, le Monnier, 1863, pp. 11 - 12.

(٧) عن أعمال القرصنة التى قام بها أهل بيزا وشكوى الموحدين من ذلك انظر:

Amario, Diplomi arabi, P.P 8 - 9 - 33 - 35, 41 - 47, 66 - 67.

(8) Mas - Latrue, op. cit, P. 50

وفى عهد المنصور الموحدى عقد الموحدون اتفاقاً تجارياً مع بيزا سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م أكدوا فيه على عدم نزول تجار بيزا ساحل المرية إلا للضرورة لإصلاح السفن مثلاً والتأكيد على منع القرصنة^(١).

وعلى الرغم من أن مواقف الموحدين السياسية مع أغلب الدول المعاصرة لهم كان يشوبها التوتر فإنهم كانوا يرون ضرورة تشجيع التجارة الخارجية وخاصة مع الدول الإسلامية، فلم يأخذوا من التجار المسلمين الغرباء أية عشور على التجارة^(٢).

وعلى الرغم من موقف دولتى المرابطين والموحدين من التجارة الخارجية عامة فإن هذا لم يمنع ازدهار تلك التجارة وامتلاء الأسواق المغربية والأندلسية عامة وأسواق إقليم غرناطة خاصة، بالبضائع المتنوعة من الشرق والغرب وازدهار الموانى والمدن الأندلسية كمالقة والمرية وغرناطة وغيرها بسبب التبادل التجارى مع معظم الدول الإسلامية فى المشرق والأوربية فى الغرب، فكان مرسى المرية «تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام»^(٣).

لذلك ازدحمت تلك المدينة بالفنادق لإيواء التجار الغرباء^(٤) فقد كان بها «ألف فندق إلا ثلاثين فندقاً»^(٥).

كذلك اكتسبت مدينة مالقة شهرة واسعة فى تصدير متجاتها إلى داخل البلاد وخارجها^(٦)، فكان يحمل منها التين واللوز إلى مصر والشام والعراق^(٧) «ربما وصل إلى

(١) عن نص هذه المعاهدة انظر: (3) Amario, op. cit, P.P 9 - 12, 22.

(٢) ابن جبير: رحلة ابن جبير، لأبى الحسين محمد بن أحمد، بيروت دار صادر ١٩٥٩ ص ٥٦.

(٣) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ١٥٤.

(٤) المقرئ: المصدر السابق ج ١ ص ١٥٤، ج ٤ ص ٢٠٦ ج ١ ص ١٦٣، ج ٣ ص ٢٢٠ طبعة ١٩٦٩.

(٥) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ١٥٤.

(٦) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ٤٢٣، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩، العمرى (وصف أفريقية) ص ٤٧، ص ٤٨.

(٧) المقرئ: أزهار الرياض فى أخبار عياض ج ١ ص ٤١، المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ١٤٥ ج ١ ص ١٥٢ طبعة ١٩٦٨، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣.

الهند»^(١) فاحتوت على أسواق جامعة كثيرة^(٢)، هذا وقد زادت ثروة مالقة بسبب المكوس المفروضة على تجارة الصادر والوارد وخاصة تجارة الرقيق من الخدم المجلوين من أرض الصقالية^(٣).

كذلك صدرت مالقة الفخار المذهب العجيب الذى كان يصدر خارج البلاد^(٤).

أما غرناطة فكانت من أهم المراكز التجارية إنتاجاً للكتان وتصديراً له^(٥).

أما مرسى المنكب فقد ازدهرت التجارة فيه، فكانت المدينة تضم عدداً كبيراً من الأسواق والأرباض مما جعلها مركزاً هاماً لتصدير عدة محاصيل أهمها قصب السكر والموز والزبيب^(٦)، وكذلك مدينة بسطة كانت «ذات أسواق وتجارات عامرة أهلة»^(٧) أما برجة من أعمال المرية ففيها أسواق وصناعات^(٨) أما بليش مالقة فهي عامرة أهلة ضخمة الأسواق^(٩).

الطرق البحرية

ربطت بين إقليم غرناطة والبلاد المغربية خطوط بحرية تجارية وكانت السفن التجارية تنتقل بصفة دائمة بين سواحل إقليم غرناطة إلى بلاد المشرق والمغرب عبر البحر المتوسط فقد اقتضت صعوبة الاتصال بين مدن الساحل فى البلاد الأندلسية برّاً^(١٠)، أن يكون طريق

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٨.

(٢) الحميرى: المصدر السابق ص ١٧٨.

(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٤٢٢، ص ٤٢٣.

(٤) العمرى: (وصف إفريقية) ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩، المقرئ: نفح الطيب ج ٣ ص ٢١٩.

(٥) الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(٦) العمرى: وصف إفريقية ص ٤٧، القلقشندى صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٨.

(٧) الإدريسي: صفة المغرب طبعة (دوزى) ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشية ٩.

الحميرى: الروض المعطار ص ٤٤.

(٨) ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ٢٢٨، المقرئ ج ٢ ص ١٥٠ طبعة سنة ١٩٦٨: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٣ طبعة ١٩٤٩.

(٩) ابن الخطيب مشاهدات ص ٧٨ حاشية ٦، ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٤٤٢.

(١٠) ابن سعيد: انظر كتاب الجغرافيا ص ١٦٧ فجبل شيلر نظراً لوعورة مسالكه كان لا يستعمل إلا فى الصيف حيث لا يفارقه الثلج شتاء، انظر ابن سعيد المصدر السابق ص ١٦٧.

البحر أهم وسيلة فى تجارة بلاد الأندلس عامة وإقليم غرناطة بصفة خاصة وذلك بفضل مجموعة من الموانى الهامة مثل المرية^(١) والمنكب^(٢) ومالقة^(٣) مما أكسب الإقليم أهمية تجارية خاصة، فكانت تلك المراسى تتصل بما يقابلها من مراسى البلاد المغربية ومنها إلى بلاد المشرق وأوروبا، فكانت السفن التجارية تنتقل بصفة دائمة بين سواحل المرية ومالقة والمنكب وبين تنس التى أنشأها بعض البحريين من الأندلسيين^(٤)، وكان هناك خط بحرى تسير فيه السفن من مالقة متجهة الى نكور فى بلاد المغرب^(٥).

ومن هذه الموانى تنطلق السفن الأندلسية متخذة الطريق البحرى من طرابلس إلى الإسكندرية وبلاد الشام وغيرها من بلدان المشرق^(٦) لا سيما وأن الطريق البرى كان محفوظاً بالمخاطر^(٧).

ولكن فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى كثر استعمال الطريق الذى يمر بالمدن الإيطالية وصقلية ومن صقلية يتفرع الطريق إما إلى الإسكندرية أو إلى عكا^(٨)،

(١) عن المرية انظر: الإدريسي: صفة المغرب (ط.د) ص ١٩٧، ص ١٩٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٣ - ص ١٨٥.

(٢) عن المنكب انظر: الإدريسي: المصدر السابق ص ٢٠٢، الحميرى: المصدر السابق ص ١٨٦.

(٣) عن مالقة انظر الإدريسي: نفس المصدر والصفحة، ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٤٢٣.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب ج ١ ص ١٥٤.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٢.

(٦) عن هذه الموانى واتصالها ببلاد المشرق عن طريق تصدير منتجاتها انظر الإدريسي: نزهة المشتاق (صفة المغرب) ص ١٩٧، ص ٢٠٠، ابن سعيد: ج ١ ص ٤٢٣، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣، الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٧ - ص ١٧٩، ص ١٨٣ - ص ١٨٤، ص ١٨٦، العمري: (وصف أفريقيا) ص ٤٧، ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٨، ص ٢١٩، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٥، ص ١٥٤، ص ٢٠٥، ص ٢٠٦، ج ١ ص ١٥٠، ص ١٦٢، ج ٣ ص ٢١٩، ص ٢٢١.

(٧) عن هذين الطريقين انظر الإدريسي: نزهة المشتاق (ط.د) ص ١٢٩، وما بعدها.

(٨) «لم تعد صعوبات البلاد الأندلسية والمغربية بعدما كانت فى النصف الأول من القرن السادس تجلب عن طريقها طرائف الهند والسند والعراق إلى البلاد المغربية والأندلسية» عن هذه الطرق انظر بعضاً عنها فى رحلة ابن جبير ص ٩، ص ٣١٠، ص ٣١٩، المقرئ: نفح الطيب ج ٢ ص ٣٨٥، ص ٣٨٨ طبعة دار صادر بيروت.

وربما كان السبب في ذلك أن تجار المغرب أو الأندلس أصبحوا يفضلون طريق عكا على مصر التي كانوا يلقون فيها ضيقًا وعنتًا^(١).

الصادرات والواردات

من خلال دراسة الصادرات والواردات لإقليم غرناطة نستطيع أن نقول إن الصادرات والواردات تمثل محاولة لسد حاجة البلاد بتصدير الفائض واستيراد الناقص وعلى هذا تنوعت صادرات إقليم غرناطة وتعددت، إذ صار الإقليم يصدر بعض حاصلاته الزراعية وما يصنع منها وبعض من ثرواته المعدنية المصنعة وغير المصنعة، وفي نفس الوقت استوردت البلاد بعض ما كان يلزمها من المواد الخام المصنعة وغير المصنعة، ومن أهم صادرات إقليم غرناطة:

المعادن

صدرت غرناطة إلى بلاد الأندلس والمغرب وغيرها من البلدان الذهب^(٢) والفضة والحديد والرصاص والنحاس والتوتيا^(٣)، ومن أشهر المدن الأندلسية استيراداً لمعدن الذهب والتوتيا^(٤) قرطبة حيث يصلها خاما ليصنع بها^(٥).

أما مالقة فقد صدرت الياقوت الأحمر من ناحية حصن منت ميور^(٦) كذلك صدرت مدينة المرية حصى ملون يشبه الدر في رونقه وله ألوان عجيبة، فكان يتخذ للزخرف والزينة^(٧)، وصدرت المرية إلى البلاد الأندلسية والمغربية ومعظم بلاد المشرق آلات

(١) عندما وصل ابن جبير إلى عيذاب اقتنع أن طريق عكا هو الأفضل انظر رحلة ابن جبير ص ٤٨.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ج ٤ مادة غرناطة، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٦٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٨، للمحة البدرية ص ٢٢، الحميري: الروض المعطار ص ٢٤.

(٤) ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٣.

(٥) ابن غالب: المصدر السابق ص ٢٨٣.

(٦) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٣٨ طبعة ١٩٤٩ استخدم هذا الياقوت في صناعة الحلوى من

الجواهر والذهب انظر Scott: Hist. of the Moorish Empire. Vol 111. p. 628.

(٧) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٣٨ طبعة ١٩٤٩ ص ٢٠٢ طبعة دار صادر - بيروت.

الحروب من التروس والرماح والسروج واللجم والدروع^(١)، بالإضافة إلى آلات الحديد من آلات العروس^(٢)، كذلك صدرت مدينة مالقة الآلات المصنوعة من الحديد مثل المقصات والسكاكين والآلات اللازمة لمختلف الأغراض اليومية وكذلك التروس والرماح والدروع والسيوف^(٣).

الفاكهة

واشتهرت مدن إقليم غرناطة بالإنتاج الوفير من أنواع الفاكهة المختلفة، فصدرت نوعاً من الكمثرى «ورن الحبة الواحدة رطل أندلسي ولها مذاق عجيب حيث كان يزرع في جبل شلير»^(٤) أما مالقة فصدرت الرمان المرسى والياقوتي وكذلك التين المالحى واللوز^(٥)، فكان يصدر إلى داخل البلاد وخارجها^(٦) فيحمل إلى مصر والشام والعراق^(٧) وإلى بلاد

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق طبعة (د) ص ١٩٧، المقرئ: نفس المصدر ج ١ ص ١٥٤ طبعة ١٩٤٩، ج ١ ص ٢٠٢ طبعة دار صادر بيروت.

(٢) الإدريسي: المصدر السابق نفس الصفحة، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية ص ١٧١.

(٣) العمري: (وصف أفريقية) ص ٤٨، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩، ابن الخطيب: نقاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق (طبعة د) ص ٢٠١ عن فاكهة جبل شلير في غرناطة انظر: ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٦٧، ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٩٨، وما بعدها، اللوحة البدرية ص ٢٢ وما بعدها، الحميري: الروض المعطار ص ١١٢.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق (طبعة د) ص ٢٠٠، العمري: (وصف أفريقية) ص ٤٨، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ج ١ ص ٤٢٣، ص ٤٢٤، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٨، ج ١ ص ١٥٠ - ص ١٥٥.

(٦) ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤، المغرب في حلى المغرب ج ١ ص ٤٢٣، الإدريسي: نزهة المشتاق (ط. د) ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٣، القلقشندي صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩ «يذكر ابن سعيد في كتابه الجغرافيا أن مالقة صدرت هذه الفواكه إلى الهند أيضاً، انظر المقرئ: المصدر السابق ج ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٥٠، ص ١٥٥ طبعة ١٩٦٨، العمري: وصف أفريقية ص ٤٧، ابن سعيد: نزهة الأنظار ص ١٤.

(٧) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، الحميري: الروض المعطار ص ١٧٨، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٥٠ - ص ١٥٥ طبعة ١٩٦٨.

الهند أيضاً^(١)، أما الزبيب والموز وقصب السكر فكان أهم صادرات ثغر المنكب^(٢)، كذلك صدرت البيرة من أعمال غرناطة الموز وقصب السكر^(٣) وكانت هذه الفاكهة تباع في أسواق بلاد المغرب^(٤).

المصنوعات الذهبية والجلدية

ومن الصناعات التي اشتهرت بها مدينة مالقة «صناعة الفخار المذهب العجيب وكان يصدر إلى خارج البلاد»^(٥) بالإضافة إلى المصنوعات الجلدية المصنوعة من نوع من الجلود يسمى السفن، وهو خشن كجلود الماشية، فكانوا يصنعون منه الأغشية والأحزمة والمدورات والحقائب والأحزمة^(٦).

المنسوجات الحريرية والكتانية

ومن أشهر صادرات إقليم غرناطة المنسوجات الحريرية والكتانية، إذ صدرت مدينة المرية المنسوجات^(٧) الحريرية من الدياج والسقلاطوني والأصيهاني والجرجاني والستور المكلفة والثياب المعينة والعتابي^(٨) الفاخر فكثرت الطرز بالمرية^(٩) فبلغت طرز الحرير فيها

(١) يذكر المقرئ أن مالقة صدرت هذه الفواكه إلى الهند أيضا انظر المقرئ: المصدر السابق ج ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥، ج ١ ص ١٥٠ - ص ١٥٥ طبعة سنة ١٩٦٨.

(٢) العمري: وصف أفريقية ص ٤٧، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٨، الحميري: الروض المعطار ص ١٨٦، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ١٠٩ حاشية ١، ص ٣٠ حاشية ٦، الإدريسي: نزهة المشتاق ص ١٩٩، ياقوت: معجم البلدان مادة منكب، البغدادي: مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٦٤.

(٣) القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٠٢، الحميري: الروض المعطار ص ٢٤.

(٤) ابن سعيد: نزهة الانظار ص ١٤، العمري: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٧، القلقشندي: نفس المصدر ج ٥ ص ٢١٩.

(٥) العمري: المصدر السابق ص ٤٧، القلقشندي نفس المصدر ج ٥ ص ٢١٩.

(٦) الاضطخري: المسالك والممالك ص ٣٥، العمري: نفس المصدر ص ٤٨، القلقشندي: نفس المصدر ج ٥ ص ٢١٩.

(٧) المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ١٨٦، ص ١٨٧ طبعة ١٩٤٩ وطبعة بيروت ج ١ ص ٢٠١، ج ٣ ص ٢١٩ - ص ٢٢١، الحميري: الروض المعطار ص ١٨٤، ابن سعيد كتاب الجغرافية ص ١٤٠.

(٨) عن هذه المنسوجات وتعريف أنواعها انظر فصل الصناعة ص؟ من الرسالة.

(٩) الإدريسي: نزهة المشتاق ص ١٩٧، ص ١٩٨، ابن غالب: فريدة الأنفس ص ٢٨٣، الحميري: الروض المعطار ص ١٨٤.

فى عصر المرابطين ثمانمائة طراز^(١)، كذلك صدرت مدينة مالقة المنسوجات المصنوعة من الحرير الموشاة بالذهب^(٢) والتي كانت تصدر إلى بلاد المشرق والمغرب وتباع بأعلى الأسعار «وربما تجاوز ثمن الحلة الواحدة الآلاف»^(٣) أما مدينة غرناطة فقد حازت شهرة واسعة فى تصدير نوع من الحرير كانت تنتجه المدينة يسمى بالملبد المختم ويمتاز بألوانه العجيبة حيث كان يصدر إلى خارج البلاد^(٤) «فيعم الآفاق»^(٥).

واشتهرت مدينة غرناطة أيضا بإنتاج الكتان وتصديره فكانت من أهم مراكز التجارة «إنتاجا للكتان وتصديرا له»^(٦) «فكتان غرناطة يربو على كتان النيل»^(٧).

أما الحرير الخام فقد صدرت غرناطة منه إلى مدينة فلورنسة فى إيطاليا كميات كبيرة^(٨)، كذلك اشتهرت مدينة برجة بإنتاج الحرير والاتجار فيه^(٩) كذلك صدرت قرية ولاية إحدى قرى ثغر المرية الحرير أيضا^(١٠).

(١) الحميرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ٤٢٤، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ١٨٦، ص ١٨٧ طبعة ١٩٤٩، ج ٤ ص ٢٠٦، ج ٣ ص ٢١٩ طبعة بيروت سنة ١٩٦٨.

(٣) المقرئ: النفع ج ٣، ص ٢١٩ طبعة سنة ١٩٤٩، ص ٢٠١ ج ١ طبعة بيروت سنة ١٩٦٨.

(٤) المقرئ: المصدر السابق ج ١ ص ١٨٧، الملبد نوع من الحرير كان يصنع فى غرناطة انظر Dozy, Diction. p. 114.

(٥) الحميرى: الروض المعطار ص ٤.

(٦) مجهول: الحلل الموشية ص ٩١ تحقيق عبد القادر زمامة، الحميرى: نفس المصدر ص ٢٤.

(٧) ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ٩٢، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٦ «حاشية ص ٢٤٩ الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(8) Prescott. op. cit p. 170.

(٩) ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ٢٢٨، المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ١٤٣ طبعة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٥٠ طبعة سنة ١٩٦٨.

(١٠) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٨٢ هامش (١).

الواردات

وكان من أهم الواردات التي تصل إلى إقليم غرناطة القمح إذ كان من أهم واردات مدينة المرية «إذ ترد الحنطة إلى المرية من بر العدو»^(١) أما مالقة فقد استوردت التمر المجلوب من بلاد المغرب وخاصة فاس وتنس^(٢)، أما الزيت فكان يأتي إقليم غرناطة عن طريق ميناء المرية ومالقة من سفاقس^(٣)، أما جلد النمر فكان يجلب إلى إقليم غرناطة من الجزيرة الخضراء عن طريق ميناء مالقة^(٤)، كذلك صدرت بلاد المغرب إلى غرناطة المنسوجات الصوفية^(٥) المرتفعة الأثمان.

هذا وقد زادت ثروة مالقة بسبب المكوس المفروضة على تجارة الصادر والوارد وخاصة تجارة الرقيق من الخدم المجلوبين من أرض الصقالية والسودان^(٦).

هذا وقد لعبت الظروف السياسية دوراً هاماً في منع التبادل التجاري بين بلاد المغرب وإقليم غرناطة وذلك عندما امتنعت مدينة مالقة عن الدخول في طاعة الدولة الموحدية،

(١) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٦، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٧ كذلك صدرت بلاد المغرب وخاصة سواحل تلمسان والسهول الغربية القمح إلى البلاد الأندلسية عبر ميناء المرية، انظر الإدريسي: نزهة المشتاق طبعة دوزي ص ٧١، ص ٧٣ - ص ٧٤، ص ٨٠، ص ٨٣، ص ١٠٠، الاستبصار: تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ص؟ التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يس بن عيسى): التشوف إلى رجال التصوف ص؟.

(٢) «حيث يذكر المقرئ أن التمر معدوم في البلاد الأندلسية» المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٦٦.

(٣) البكري: ص ٢٠، ابن حوقل: صورة الأرض ص ٧٣.

البكري: أبو عبيد بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب تحقيق دي سيلان ط ٢ باريس ص ٢٠، كذلك كان الزيت يأتي إلى إقليم غرناطة من أشبيلية أيضاً خاصة في العصر الموحدى انظر الإدريسي: نزهة المشتاق (ط.د) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٥٨ طبعة ١٩٦٧ تحقيق إحسان عباس.

(٤) العذري: جغرافيا الأندلس ص ٢٠، ص ١ تحقيق عبد العزيز الأهواني مدريد ١٩٦٥ معهد الدراسات الإسلامية مدريد.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق (طبعة دوزي) ص ١٢٥، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ١٠٨، ص ١٠٩.

(٦) الإدريسي: المصدر السابق ص ٦، مجهول: الاستبصار ص ٢١٥، ص ٢١٦.

فاتخذ الخليفة عبد المؤمن بن علي قراره بمنع التبادل التجاري مع مالقة وقطع العلاقات التجارية بين بلاد المغرب ومالقة^(١)، وظلت تلك العلاقات مقطوعة بين بلاد المغرب ومالقة إلى أن دخلت في طاعة الموحيدين ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م.

(١) مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ١٠، ص ١١ تحقيق ليفي بروفنسال.

النظام المالي

السياسة المالية المتغيرة

كان للنظام المالي دور بارز في استقرار الحياة الاقتصادية ورفع مستوى الإنتاج في إقليم غرناطة.

وقد حرص المرابطون في أول الأمر على تنظيم الشئون المالية ومن الخطوات الأولى للمرابطين في هذا الشأن بناء يوسف بن تاشفين قصبة صغيرة لحزن الأموال والسلاح بمراكش^(١).

ومع اتساع رقعة الدولة المرابطية واتساع أعمالها، عمل يوسف بن تاشفين على تنظيم الدواوين^(٢) «فدون يوسف الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد»^(٣) هذا وقد التزم المرابطون في بدء عهدهم «بأحكام الشرع ولم يفرضوا إلا ما جاء به الكتاب والسنة»^(٤) وألغوا ما عدا ذلك من الضرائب^(٥).

فعندما دخل يوسف بن تاشفين غرناطة «أمر بكتب الصكوك ورفع القبالات والخراج إلا زكاة العين وصدقة الماشية وعشر الزرع»^(٦).

(١) ابن القاضي: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، القسم الثاني ص ٥٤٦ الطبعة الثانية طبعة دار، ص ٣٤٣ طبعة حجر فاس سنة ١٢٠٩ هـ المنصور للطباعة والوراقة، الرباط سنة ١٩٧٤ م، ابن عذارى ج ٤.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق ج ٤ ص ٢٣.

(٣) ابن عذارى: نفس المصدر ج ٤ نفس الصفحة.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٣٧، انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٦٤، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٤ - ص ٤٠٨، ص ٤٠٩.

(٥) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله ص ٢١٠ تحقيق ليفي برونسفال ١٩٥٥

Lane - Poole - The Moorish Spain P. 179

G. F.P. Hopkins, Medieval Muslim, p. 41.

حسن أحمد محمود: المرجع السابق نفس الصفحات.

(٦) عبد الله بن بلقين: المصدر السابق ص ٢١٠ «وهي الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين» انظر ابن أبي زرع الأنيس المطرب ص ١٣٧ طبعة دار المنصور، عبد الله بن بلقين: المصدر ص ١٢٧، عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ص ٤١٠.

فقبل مجيء المرابطين كانت بلاد الأندلس تحفل بأنواع عديدة من الضرائب الجائرة^(١)، فكان ملوك الطوائف في البلاد الأندلسية يفرضون على الناس المعونة^(٢)، وفي ذلك يقول ابن حزم «فإنما هي جزية على رءوس المسلمين بالقطيع ويؤدونها مشاهرة وضريبة على أموالهم»^(٣).

ويذكر حسن أحمد محمود أن هذه الضرائب كانت وقتية يفرضها العامل متى شاء^(٤)، كذلك كانت المكوس تفرض على التجارة المارة من مدينة إلى مدينة ومن إقليم إلى إقليم^(٥). هذا بالإضافة إلى القبالات^(٦) التي كانت شر أنواع الضرائب وكان المتقبل شر جباة الناس^(٧).

(١) عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٧٦، ص ٧٧، ابن حزم: الرد على ابن النغيلة ص ١٧٣، ص ١٧٦.
(٢) المعونة: هي في الأصل ضريبة يفرضها الأمير على رعاياه للقيام بواجب الجهاد إذا كان بيت المال خالياً من الأموال، انظر ابن حزم: الرد على ابن النغيلة ص ١٧٦، انظر عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي ص ١٦٨، حسن أحمد محمود قيام: دولة المرابطين ص ٤٠٨، هذا وقد أوكل ملوك الطوائف جباة الضرائب الجائرة هذه إلى أهل الذمة من النصارى واليهود الذين تعسفوا في جباة الضرائب «انظر ابن الكردبوس الاكتفاء» حيث يذكر أن ملوك الطوائف أوكلوا أمور المسلمين إلى اليهود، فعانوا فيها عبث الأسود «الاكتفاء» ص ٧٨، وخاصة في غرناطة حيث ظلموا وتسلطوا على الرعايا من المسلمين أهل غرناطة، ابن بسام: انظر الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٢٧٨ وما بعدها، ابن عذاري البيان المغرب ج ٤ قسم ٣ ص ٢٦٤، ابن سعيد: ج ٢ ص ١١٤، عبد الله بن بلقين: نفس المصدر ص ٥٤، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، طبعة ليفي بروفنسال ص ٢٣، ص ٢٣٠، المقرئ: نفح الطيب ج ٤ ص ٣٢٢.

(٣) ابن حزم: نفس المصدر ص ١٧٦.

(٤) عبد الله بن بلقين ص ٧٦ - ص ٧٧، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٨.

(٥) «كان المكس يستعمل كضريبة على التجارة وكانت مثل هذه المكوس يتضرر منها الفلاحون حيث كان إنتاجهم يباع في الأسواق» انظر ابن خلدون: العبر ج ١ ص ٢٧٩.

(٦) القبالة: هي في الأصل ضريبة تدفع لبيت المال وقد أطلق استعمال هذا اللفظ على القبالات الزائدة على ما يقضى به الشرع وكانت هذه الكلمة تستخدم في المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التي كان يؤديها أهل الحرف أو بائعو الرئيسية، انظر ابن القطان، نظم الجمان: تحقيق محمود على مكي ص ١٥٦.

(٧) «كان ملوك الطوائف يفرضون قبالات على كل ما يباع في الأسواق ويشتطون في جمعها حتى ضاق الناس ذرعاً بهذه القبالات (الضرائب)» انظر ابن حزم: الرد على ابن النغيلة ص ١٧٦، ص ١٧٧، ولذلك اعتبر ابن عبدون المتقبلين شر جباة الناس، انظر ابن عبدون: رسالة في الحسبة ص ٣٠ - ص ٣٢.

فلما فتح المرابطون الأندلس أبطلوا كافة المكوس المفروضة على التجارة الصادرة والواردة وكذلك القبالات المفروضة على الأسواق داخل المدن الأندلسية^(١) يقول ابن أبي ررع «ولم يجر في عملهم طوال أيامهم (أي المرابطين) رسم مكس ولا معونة ولا خراج في بادية أو حاضرة ولم يكن في عمل بلادهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا توظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والعشور»^(٢)

وبذلك التزم المرابطون بحكم الشرع فأخذوا الزكاة والعشر وخمس الغنائم وجزية أهل الذمة^(٣).

غير أن هذه الضرائب الشرعية لم تعد تفي بالتزامات الدولة العسكرية في الأندلس، خصوصاً في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، فقد احتدمت معركة الجهاد في الأندلس^(٤) وتفجرت ثورة ابن تومرت^(٥)، واضطرت الدولة إلى التصدي لهذه الثورات

(١) ابن القاضي: جزوة الاقتباس ص ٣٤٢، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ١٠٨ طبعة ١٩٤٩ عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١١٩ - ص ١٢٠، ص ٣٤٠ - ص ٣٤١.

(٢) ابن أبي ررع: الأنيس المطرب ص ١٦٧ «العشر - هو زكاة المحاصيل والثمار» عن ذلك انظر الونشريشي: المعيار المغرب ج ٥ ص ٢١٣، ج ٧ ص ٤٥.

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس ص ٣٤٢، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١٢٧، الكبرى: المغرب في ذكر بلاد إفريقية ص ١٦٤، عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ص ٤٢٠.

(٤) ابن عذارى: التبيان المغرب ج ٤ ص ٥٢، يذكر ابن عذارى «وفي سنة ثلاثة وخمسمائة تحرك أمير المسلمين علي بن يوسف من مراكش إلى الأندلس برسم الغزو والجهاد وفتح مدينة طليبة وذلك أنه لما تمهدت المملكة لعلي بن يوسف ببلاد المغرب، تحرك إلى الأندلس فأجار البحر وتيمم أغرناطة وتلوم بها ريشما أجازت العساكر العدوية والحشود والمطوعات وتأهبت الجيوش الأندلسية» ابن عذارى: نفس الجزء والصفحة: انظر أيضا بن القطان: نظم الجمان ص ١٣ وما بعدها، السلاوي: الاستقصا ص ٦٦، ص ١٠٩ - ص ١١٣.

المراكشي: المعجب ص ٢٣٥، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية ص ٩١ سنة ١٩٦٩، المغرب الكبير ص ٧٤١.

(٥) ابن أبي ررع: نفس المصدر ص ١٦٥، ص ١٦٦، ص ١٦٧، ابن عذارى: نفس المصدر: ج ٤ ص ١٠٣.

بالإضافة إلى أعمال البناء والتعمير التي قام بها المرابطون مما استلزم كثيرا من الأموال^(١)، فيذكر ابن عذارى في أخبار عام ٥١٩ هـ أنه «صدر حد في التعيب البلد «أى غرناطة» وقلد ذلك من وقع الاتفاق عليه من قاضى القطر أبى القاسم بن ورد وصاحب المستخلص أبى على بن هدية وقدم لقبض المعتب رجل من بنى نجبة لم يكن من الحزمة ولا من الخدمة فمزق المال كل ممزق، وعاش فيها كل ممزق، وزم يناله جميع البنائين، وشد على الناس فى دفع المال، فكانت الآلات متمكنة والثغوردة متصلة»^(٢) هذا بالإضافة إلى تقلص أراضي الدولة من الملكيات العامة^(٣)، ثم عيشة الترف التي بدأت تدب فى حياة الدولة المرابطية^(٤)، فمنذ واقعة أقليش (٥٠١ هـ / ١١٠٨ م) قلت غنائم المرابطين واشتدت سيطرة النساء المرابطيات على الأموال^(٥)، يقول المراكشى «واستولت النساء على الأموال وأسندت إليهم (كذا) الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد شرير وقاطع سبيل وصاحب خمر ومأخور»^(٦) فقلت الجباية وكثرت الضرائب على الشعبين المغربى والأندلسى فى كلتا العدوتين^(٧)، يقول ابن عذارى: «وكان على بن يوسف فى آخر أمره امتنع الاعطاء لأجناده حتى رجع أكثرهم يكرون دوابهم»^(٨).

(١) ابن عذارى: البيان ج ٤ ص ٧٧، ابن المؤقت: السعادة الأبدية ج ١ ص ١٤، انظر محمد الشطيبي المغربي: كتاب الجمان فى أخبار الزمان ورقة ٢١٠ مخطوط رقم ١٤١٦ دار الكتب المصرية، انظر ابن القطان نظم الجمان ص ١٩١، شعيرة: المرابطون ص ١٥٢.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٧٣، انظر عن زيادة نفقات البناء والتعمير فى عهد المرابطين، ابن المؤقت: السعادة الأبدية ج ١ ص ١٤، انظر محمد الشطيبي: كتاب الجمان فى أخبار الزمان ورقة ٢١٠ مخطوط دار الكتب المصرية.

(٣) عن تقلص أراضي الدولة من الملكيات العامة انظر فصل الزراعة من الرسالة.

(٤) ابن أبى زرع: الأليس المطرب ص ١٦٧ «كانت أيامهم أيام دعة ورفاهية» المصدر السابق، نفس الصفحة، انظر أيضاً احسان عباس: الجانب السياسى من رحلة ابن العربى إلى المشرق «مجلة الأبحاث: الجامعة الأمريكية بيروت ١٩٦٣ ج ١٦ ص ٣٢٠، انظر أيضاً جوليان: تاريخ أفريقية ص ٧٥ ترجمة طلعت عوض، على محمود: تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى ص ٢٨٤.

(٥) المراكشى: المعجب، ص ٢٤١.

(٦) المراكشى: نفس المصدر والصفحة.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ قسم ٣ طبعة تطوان ص ١٣.

(٨) ابن عذارى: المصدر السابق ج ٤ ص ١٠٢.

فلما قامت الدولة الموحدية، حرص الخليفة عبد المؤمن بن علي في أول الأمر على إلغاء الرسوم والضرائب التي تخالف الشرع والتي فرضها المرابطون^(١) «وفرضوا على الناس ما لم يوجبه الشرع»^(٢)

وصدرت الرسائل الرسمية تعبر عن رفض الخليفة لكل أنواع الضرائب والمكوس والقبالات التي فرضها المرابطون^(٣) ومن هذه الرسائل الرسالة الصادرة من تينمل في السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وهي موجهة إلى جميع الطلبة بالاندلس ومن صاحبهم من الأشياخ والأعيان وقد جاء فيها: «ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغيرها ما رأيناه أنه أعظم الكبائر جرماً وإفكاً وأدناها إلى توليها رماداً وهلكاً»^(٤).

هذا، وقد ركز الخليفة عبد المؤمن بن علي في رسائله على أن من دخل في طاعة الموحدين لا يطالبون إلا بما توجه السنة وتطلبه «ولا يلزمون - معاذ الله - مكسباً ولا مغرماً ولا قبالة ولا سيما مما تسميه الظلمة بأسمائها وتلقبه»^(٥).

حتى إذا جاءت سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م فرض الخليفة عبد المؤمن بن علي الخراج^(٦) على الأرض، فقام بمسح شامل للأراضي الزراعية وأسقط ثلث المساحة في

(١) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٥٦ - ص ١٥٨.

S. P. Scott, History of Moorish, Empire; P. 302.

G.F.P. Hopkins, Medieval Muslim, P.; 43.

(٢) تعاليق ابن تومرت، لأبي عبد الله محمد بن تومرت تحقيق غولد تسهير الجزائر ١٩٠٣ (أعز ما يطلب) ص ٢٦١.

(٣) راجع رسالة العدل في نظم الجمان لابن القطان ص ١٥٦ - ص ١٥٨، مجموعة رسائل موحدية لمؤلف مجهول ص ٢١ - ص ٢٢.

(٤) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٥٦، ص ١٥٧.

(٥) ابن القطان: المصدر السابق ص ١٥٦، ص ١٥٧، البيذق: أخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين، تحقيق ليفي بروفنسال باريس ١٩٢٨ ص ١٤٠، انظر أيضاً: مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ٢١ - ص ٢٢ تحقيق ليفي بروفنسال.

(٦) الخراج «هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عليها» انظر الماوردي: الأحكام السلطانية ص ١٤٦، عن الخراج انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة خراج: انظر: ضياء الدين الرئيس، الخراج ص ٩.

مقابل الجبال والأنهار والطرق وفرض الخراج على ما تبقى من الأرض^(١)، يقول ابن أبي زرع: «وفي هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب وكسرها من بلاد أفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأيال طولاً وعرضاً فأسقط من الثلث في الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرق والحزون، وما بقي قسط عليه الخراج والزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب^(٢)».

ويبدو أن صاحب روض القرطاس قد خلط بين فرض الخراج وطريقة جبايته، إذ أن المصادر لا تذكر أن خراجاً قد فرض في هذه الفترة بل توضح أن عبد المؤمن بن علي واجه أزمة مالية سببها خيانة العمال المشرفين على الجباية^(٣)، كما يبدو أن الخراج لم يفرض في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي بل كان مفروضاً منذ عصر المرابطين، فالمراكشي يذكر أن الخراج كان يجبي في أيام علي بن يوسف^(٤)، يقول المراكشي «وأمر المسلمين في ذلك كله يتزايد تغافله ويقوى ضعفه، وقنع باسم إمرة المسلمين، وبما يرفع إليه من الخراج»^(٥).

وعلى هذا نجد أن الحكومة الموحدية قد التزمت أحكام الشرع في شأن الجباية والاقتصار في ذلك على ما يجيزه الشرع من الزكوات والأعشار^(٦)، كما سبق أن ذكرت

(١) ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس طبعة ١ تونس ١٢٨٦ هـ ص ١١٢، السلاوي: الاستقصا ج ٢ ص ١٢٥.

Julien, Histoire du L'Afrique, P. 111 - 112.

Terrasse, Histoire du Morocco, P. 311 - 312.

J.F, P. Hopkins; Medieval Muslim Government of Barbary until the six century of the Hijra, P. 34 - 35 London 1958.

(٢) ابن أبي زرع: الانيس المطرب ص ١٩٨ - ص ١٩٩، طبعة دار المنصور، عن ذلك انظر: السلاوي: الاستقصا ج ٢ ص ١٢٥، يوسف أشباح: تاريخ الأندلس ج ٢ ص ٥٧، ص ٢٤٧،

عنان: عصر المرابطين والموحدين ج ١ ص ٣٧٧، Huici; M. Historia, - 1 -, P. 193.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٤٤.

(٤) المراكشي: المعجب في أخبار المغرب ص ٢٤١.

(٥) المراكشي: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦) مجهول: رسائل موحدية، ص ٢١، ابن أبي زرع: الانيس المطرب، ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص

ولكن هذه العهود الرسمية التى كانت تستند فى جوهرها إلى تعاليم ابن تومرت ودعايته ضد الدولة المرابطية^(١) فيما جرت عليه من فرض الضرائب غير الشرعية، لم تكن كما يذكر محمد عبد الله عنان سوى شعار مؤقت تستظل به الدولة الموحدية فى بداية عهدها، ذلك أنه لما توطدت دعائم الدولة الموحدية الجديدة، واتسع نطاق مسئولياتها المدنية والعسكرية، سواء فى المغرب أو الأندلس، كان من الواضح أن الاقتصاد على تحصيل الفروض الشرعية فى شئون الجباية لا يمكن أن يفى بما تتطلبه نفقات الدولة، أو نفقات الجيش الموحدى فى المغرب والأندلس ومن ثم فقد اضطرت الدولة الموحدية إلى البحث عن موارد جديدة، لزيادة مواردها وتغطية نفقاتها^(٢)، فكان مما فعله عبد المؤمن بن على فى ذلك قيامه بمسح بلاد أفريقية والمغرب وإسقاط مقدار الثلث من مساحتها، مقابل الجبال والأنهار والطرق وفرض الخراج على ما تبقى بعد ذلك وألزم كل قبيلة أن تؤدى قسطها من الزرع والمال^(٣).

هذا ولم يتخذ الخليفة عبد المؤمن بن على هذا الإجراء إلا بعد أن استقرت الأوضاع فى البلاد وصار له من القوة بحيث يفرض ما شاء من أنواع الضرائب ولذا لم يتخذ هذه الخطوة إلا سنة ٥٥٥ هـ / ١٦٦٠ م بعد سقوط دولة المرابطين بأربعة عشر عامًا، وتمكن سلطانه فى البلاد وصار لا ينارعه أحد^(٤) ومن ثم فرض الخراج، وأصبح هذا الإجراء قاعدة سار عليها خلفاء الموحدين من بعده وأصبح من المصادر الثابتة لجباية الأموال مثل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن^(٥) «كان جماعًا مناعًا ضابطًا لخراج مملكته»^(٦) وكذلك الخليفة المنصور الموحدى الذى سار على نفس سياسة أبيه وجده فى جباية الأموال^(٧).

(١) مجهول: رسائل موحدية ص ٢١ - ص ٢٢.

(٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس قسم أول عصر المرابطين والموحدين، ص ٣٧٧، قسم ثانى، ص ٦٢٤ - ص ٦٢٥.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٩٨ - ص ١٩٩، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ١٢٥.

(٤) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس ص ١٩٧ - ص ١٩٨.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٣٠.

(٦) ابن خلكان: المصدر السابق ج ٦ نفس الصفحة.

(٧) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ١٩٥.

معنى هذا أن دولة المرابطين والموحدين كانت تلغى كافة الضرائب التى كانت سائدة قبل قيامها معتمدة على ما أجازها الكتاب والسنة ومع اتساع الدولة وزيادة نفقاتها تبدأ فى فرض ضرائب جديدة وتضع لها من المسميات ما شاءت وهذا يتفق ورأى المؤرخ ابن خلدون إذ يذكر «أن الدولة سواء قامت على سن العصبية أو الدين تكون قليلة الضرائب كثيرة الجباية فى أول عهدها، لأن الرعايا ينشطون للعمل فيكثر الاعتماد، وعندما تنتقل الدولة إلى الترف تكثر الضرائب، فيثقل ذلك على الناس، فيقل الاعتماد وتنقص الجباية ولا يكون ذلك إلا تدريجيا فإن أقوى الأسباب فى الاعتماد تقليل الضرائب على المعتمرين ما أمكن»^(١).

مصادر دخل الدولة

إذن أصبحت مصادر المال للدولة هى الزكاة والخراج والعشور^(٢) وجزية أهل الذمة^(٣) بالإضافة إلى الغنيمة والمصادرات.

الزكاة

من المعروف أن أهم واردات الدولة الإسلامية هى الزكاة^(٤)، فهى ركن من أركان الدين لذلك اتخذ ولاية الأمر من المرابطين والموحدين الزكاة مصدراً من مصادر الدخل للدولة، فابن ياسين منذ اللحظة الأولى التى فرض فيها سلطانه على بعض المناطق الجنوبية بالمغرب ألغى الضرائب والمكوس السابقة وفرض الزكاة مستنداً فى ذلك إلى

(١) ابن خلدون: المقدمة (العبر) ج ١ ص ٢٧٩ - ص ٢٨٠.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٦، ص ١٦٧، مجهول: رسائل موحدية ص ٢١ - ص ٢٢.

(٣) وهى ضريبة موضوعة على رؤوس أهل الكتاب الذين يتمتعون بالأمن والحماية فى ظل الحكومة الإسلامية، انظر الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٤٢ - ص ١٤٤، صبحى الصالح: النظم الإسلامية ص ٣٦٣، الرئيس: الخراج والنظم المالية ص ١٢٢.

(٤) هى أول ضريبة إسلامية فرضت على الأغنياء والقادرين وكانت فى أول الأمر اختيارية غير محدودة الأنصبة والمقادير ثم أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يأخذها من أموال الأغنياء ليردها على الفقراء بمقتضى قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ سورة التوبة آية ١٠٣ انظر صبحى الصالح ص ٣٥٣.

الشرع^(١)، وسار على نهجه أمراء المرابطين الذين جاءوا بعده، فعندما دخل يوسف بن تاشفين غرناطة، أبطل الضرائب والقبالات والخراج وألزم أهل غرناطة «بزكاة العين وصدقة الماشية وعشر الزرع»^(٢).

فلما قامت الدولة الموحدية كانت الزكاة أيضاً من المصادر المالية التى لجأ إليها ولاية الأمر وحرصوا عليها باعتبارها من الأمور الدينية الواجب تنفيذها، واعتبر الخليفة عبد المؤمن بن على مانع الزكاة كمن منع كل الفرائض وهو يستحق الحرب والنكال^(٣).

أما أصناف المال التى تؤخذ منها الزكاة فهى زكاة على الأموال وزكاة على الذهب والفضة والركاز وزكاة على الزرع والثمار وزكاة على المواشى والأنعام^(٤).

ويشترط لإخراج الزكاة شرطان:

ملك النصاب الذى يختلف باختلاف هذه الأنواع المذكورة ومرور عام على الأقل على ملكية هذه الاشياء^(٥).

أما مقادير الزكاة، فقد حددها القاضى عياض، على هذا النحو، زكاة النقد (الذهب والفضة) وتجب الزكاة فيها إذا بلغا النصاب، فنصاب الذهب عشرون مثقالاً ونصاب الفضة عشرون مثقالاً، أما زكاة عروض التجارة وفيها ربع العشر بشرط أن تبلغ قيمتها نصاباً من الذهب أو الفضة وأن يحول عليها الحول، والمعدن والركاز وما كان من ركاز أرض الحرب ففيه خمس وما كان من أرض سلم ففيه الزكاة، وزكاة الزرع أو الثمار وحكم ذاتها هو أنه

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٢٦ طبعة دار المنصور «فكان كل من أقبل عليه تائباً منهم طهره بأن يضربه مائة سوط ثم يعلمه القرآن وشرائع الإسلام ويأمره بالصلاة والزكاة وإخراج العشر» انظر ابن أبى زرع: نفس المصدر والصفحة.

(٢) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله ص ٢١٠ طبعة ١٩٥٥ تحقيق ليفى بروفنسال.

(٣) مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ١٣٣.

(٤) القاضى عياض: الإعلام بحدود وقواعد الإسلام ص ٦٣ تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ١٩٦٤ الرباط، انظر أيضاً صبحى الصالح: النظم الإسلامية ص ٣٥٥.

(٥) أبو عبد الله مالك بن أنس: موطأ الإمام مالك ص ١١٥، القاهرة ١٩٦٧ وانظر عن الزكاة أيضاً حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية ٢٧٧، ص ٢٨٠، ص ٣٥٥، ص ٣٥٦، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٩ هامش من ١ - ٥.

يجب فيها العشر إذا كانت خارجة من أرض تسقى بالمطر ونصف العشر إذا كانت أرض تسقى بالدلاء^(١).

أما زكاة السوائم وهى الإبل والغنم فأول نصاب خمس وفيها شاة وهكذا فى كل خمس، شاة^(٢).

الجزية

كان للمرابطين مواقف خاصة من أهل الكتاب ومن هذه المواقف تشددهم فى معاملتهم وقد ظهر ذلك حين فرض يوسف بن تاشفين على يهود قرية إلسانة^(٣) مبالغ طائلة^(٤)، يقول ابن عذارى: «وفيها أى سنة ٤٦٤ هـ افترض على اليهود فريضة ثقيلة فى جميع طاعته، اجتمع له فيها مائة ألف دينار عشرية ونيف على ثلاثمائة عشر ألف دينار»^(٥).

الغنيمة^(٦)

شكلت الغنيمة مصدراً هاماً من مصادر الدخل للدولة نظراً للمعارك المستمرة التى خاضها ولأية الأمر من المرابطين والموحدين ضد نصارى الأندلس^(٧) وقد طبق عبد الله بن ياسين أحكام القرآن والسنة بشأن الغنائم فحين استولى المرابطون على سجلماسة ودرعة يقول ابن أبى زرع: «فأخذ عبد الله بن ياسين أموالهم ودوابهم وأسلحتهم مع الإبل التى

(١) القاضى عياض: المصدر السابق ص ٦٣ - ص ٦٤.

(٢) القاضى عياض: الإعلام بحدود وقواعد الإسلام، ص ٦٣ - ص ٦٤.

(٣) إلسانة قرية تقع شمال غرب لوشة بولاية غرناطة، عن إلسانة انظر الإدريسي: نزعة المشتاق (وصف أفريقية) ص ٢٠٥ (ط. د).

(٤) مجهول: الحلل الموشية: تحقيق عبد القادر رمانة ص ٨٠، ص ٨١ انظر عن ذلك عنان دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين قسم ١ ص ٤٢٠.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٥٣ تحقيق إحسان عباس.

(٦) الغنيمة مال من أموال الكفار ظفر به المؤمنون على وجه الغلبة والقهر، انظر الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٢١ وانظر صبحى الصالح: النظم الإسلامية ص ٣٦٦ ومعناها الاصطلاحى الفور بالشيء انظر القاموس المحيط باب الميم فصل الغين مادة غنم.

(٧) عن حروب المرابطين ضد نصارى أسبانيا انظر الباب الأول من الرسالة.

أخذها في درعة فأخرج منه خمس جميعه ففرقه في فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهم وقسم الباقي على المرابطين»^(١).

وعندما فتح المرابطون الأندلس أحرزوا النصر على النصارى في معارك كثيرة وعلى رأسها الزلاقة^(٢).

ولما قضى المرابطون على ملوك الطوائف استولى المرابطون على أموالهم وغنموا الكثير كما فعلوا في غرناطة بعد استسلام أهلها^(٣).

حتى إذا قضى الموحدون على المرابطين وسقطت مراکش استولى الخليفة عبد المؤمن بن علي عليها وجعلها غنيمة للموحدين^(٤)، ثم واصل عبد المؤمن بن علي انتصاراته العسكرية فاستولى على أموال ضخمة من الغنائم التي حصل عليها من حروبه في الأندلس، فعند انتصاره على ابن همشك في غرناطة، استولى الموحدون على غنائم كثيرة فرقها الموحدون على أنفسهم^(٥).

المصادر:

يشير ابن عذارى^(٦) إلى وجود ظاهرة مصادرة الدولة لأموال عمالهم على أقاليم الدولة المختلفة، فحين أوكل المرابطون جباية الأموال إلى الجباة، اشتط هؤلاء الجباة في أخذ الضرائب من الناس فقموا عليهم، فأراد علي بن يوسف أن يحد من ظاهرة سوء معاملة الجباة للناس، فبدأ بمحاسبتهم فأمر بمعاقتهم ومصادرة أموالهم، كما فعل بعامل الجباية في غرناطة عيسى بن الوكيل^(٧)، فيضيف الحميري في كتابه الروض المعطار «أنه كان في

(١) ابن أبي روع: الأنيس المطرب ص ١٢٨ - طبعة دار المنصور.

(٢) عن الزلاقة: انظر السلاوي: الاستقصا ص ٣١ - ص ٤٦، ابن أبي روع المصدر السابق ص ١٤٥ وما بعدها.

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٢٠٩ - ص ٢١٠ تحقيق ليفي بروفنسال.

(٤) مجهول: الحلل الموشية ص ١٤٣ - طبعة دار المنصور.

(٥) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٠ وما بعدها.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٧٧، عن اشتطاط الجباة في أخذ الجباية، انظر: ابن عيرون: ثلاث رسائل أندلسية ص ٢٨ - ص ٣٠، ص ٣١.

(٧) ابن عذارى: المصدر السابق ج ٤ نفس الصفحة.

الدولة اللمتونية فحكى أنه انكسر عليه مال جليل يبلغ عشرة آلاف دينار فقبض عليه وأشخص إلى مراكشى»^(١).

هذا وقد يحدث أن تصادر الخلافة أموال أحد العمال ثم تكتشف ظلم هذا الإجراء فتد له أمواله وهذا ما حدث لمحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف من أهل قلعة يحصب من إقليم غرناطة، وقد تولى عدة أعمال للموحدين^(٢) يقول المقرئ: «وكان محمد ابن عبد الملك بن سعيد وزيراً جليلاً، بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهمة، كثير الأموال . . . وولى للموحدين أعمالاً كثيرة بمراكشى وسلا وأشبيلية وغرناطة واتصلت ولايته على أعمال وكان من شيوخها وأعيانها وكتب عليه عقد أن فى داره من الحللى وأصنافه ما لا يمكن إلا فى دار الملك . . . فأمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال أفريقية أبى الحسين سنة ٥٩٣ هـ، ثم رضى عنهما وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ له، فصرفه عليه ولم ينقص منه شيا (كذا)، وغرم له ما فات منه»^(٣).

النفقات

تعددت أوجه الإنفاق فى بلاد المغرب والأندلس فى ظل دولتى المرابطين والموحدين ومن هذه النفقات: نفقات الجيش، المرتبات، نفقات البناء والتعمير، ثم المنح والهدايا سواء أموال أو إقطاعات من الأراضى الزراعية.

نفقات الجيش

كان الجيش هو أهم أجهزة الدولة المرابطية، ودعامتها الأولى، وعلى الرغم من انضواء تلك الدولة تحت لواء الدعوة الدينية الإصلاحية^(٤) التى نظمها عبد الله بن ياسين،

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ١٩٧.

(٢) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ١٦٢، المراكشى (عباس بن إبراهيم) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام ٨ أجزاء، ج ٣ طبعة ١ سنة ١٩٦٣ ص ٤٠، ص ٤١، المقرئ: نفح الطيب ج ٢ ص ٣٣٥.

(٣) المقرئ: نفح الطيب ج ٢ ص ٣٣٥ - ص ٣٣٦.

(٤) انظر الباب الأول من الرسالة.

إلا أنها كانت دولة عسكرية نشأت في مهاد المعارك سواء التي اضطرت بين المرابطين أنفسهم وبين القبائل المغربية الأخرى أو التي اضطرت بين المرابطين أيضاً وبين نصارى أسبانيا في الأندلس واستطاعت تلك الدولة أن تبسط سلطانها على بلاد المغرب والأندلس، وأن تقيم الدولة المرابطية الكبرى^(١).

واستطاعوا رفع راية الإسلام في بلاد المغرب والأندلس وظلت هذه الجيوش تجاهد أعداء الإسلام من غير كلل ولا ملل، فسجل لها التاريخ أمجاداً عسكرية كبيرة، وقد نوه بشجاعة ومقدرة جيش المرابطين الجغرافي المؤرخ أبو عبيد البكري، فقال: «ولهم في قتالهم شدة وجلد ليست لغيرهم وهم يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف»^(٢).

هذا وقد بذل يوسف بن تاشفين في تنظيم الجيش المرابطي جهوداً عظيمة، حتى غدا جيشاً قوياً، مرهوب الجانب فاشترى الأنواع المختلفة من الأسلحة ليدعم بها الجيش المرابطي، يقول صاحب الحلل الموشية «وفي سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م بعث إلى الأندلس بأموال كثيرة ليشتري ما يلزمه من أنواع السلاح المختلفة»^(٣).

وكانت قوة الجيش المرابطي تتكون من الفرسان، وقد بلغت في عهد يوسف نحو مائة ألف فارس من مختلف القبائل^(٤) كما أنشأ يوسف بن تاشفين فضلاً عن ذلك حرسه الخاص الأسود من عبيد الصحراء من غانة وكانوا حوالى ألفى مقاتل رودوا بأجود الأسلحة^(٥)، كما أنشأ يوسف قوة كبيرة خاصة من فرسان جزولة ولمطة وزنانة سميت بالحشم^(٦)، هذا بالإضافة إلى الجند الروم^(٧).

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ص ٤١٧.

(٢) أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، ص ١٦٦.

(٣) مجهول: الحلل الموشية ص ٢٢ طبعة علوشى.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ٨٩ طبعة أسالة ١٨٤٣.

(٥) مجهول: المصدر السابق ص ١٣.

(٦) مجهول: نفس المصدر ص ٢٠.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٩٨.

وكان مرتب الجندي كما يقول صاحب الحلل الموشية خمسة دنائير في الشهر^(١)، كما كانت الدولة تكافئ الجنود بإقطاعات واسعة يستثمرونها ويتصرفون في غلتها^(٢).

وقد تابع الأمير على بن يوسف سياسة أبيه في مواصلة الجهاد في الأندلس، يقول صاحب الحلل الموشية: «لم يزل أمير المسلمين على بن يوسف يوالى الحروب على أصحاب المهدي من كل جانب ويبعث لمحاربتهم الجيوش والكتائب... وينفق عليهم ييوت الأموال رجاء دفع دائم دائهم العضال فدامت أكثر مدته في حروب معهم وكروب»^(٣).

ولم ينس المرابطون أهمية الأسطول، ولا سيما منذ افتتحوا الأندلس، وغدت الأندلس ولاية تابعة للمغرب، فكانت لهم أساطيل في سبتة وقادس والمرية، أشار ابن خلدون إلى أهمية أسطول المرابطين بقوله «وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد - أي عهد المرابطين - موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كربة»^(٤).

وعندما قامت الدولة الموحدية أولت الجيش والأسطول اهتماماً كبيراً فهو درعها الواقى ضد أطماع نصارى أسبانيا وهو هيبتها أمام القبائل المغربية في بلاد المغرب، ولذا أولت الجيش اهتماماً خاصاً واستلزم ذلك بذل الكثير من الأموال التي تنفق عليه وكانت شئون الجيش توكل إلى ديوانين أو وزارتين، الأول هو ديوان العسكر ويشرف على كل ما يتعلق بشئون الجيش^(٥)، والثاني هو ديوان التمييز^(٦) ومهمته اختيار الصفوة من الجند وكان

(١) مجهول: المصدر السابق ص ٨٢.

(٢) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤١٢، انظر: الطرطوشي: سراج الملوك ص ١٢٣.

(٣) مجهول: الحلل الموشية ص ٨١، ص ٨٢.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٥٥.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ١١٤، انظر عبد الله عنان: دولة

الإسلام في الأندلس ص ٦٣٨ العصر الموحدى (القسم الثانى).

(٦) كان يتولى ديوان التمييز كاتب يسمى صاحب ديوان التمييز أو كاتب العسكرية، وكان الموحدون

يلجئون إلى التمييز عند العمليات الحربية، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤٦٥

هامش رقم (١).

يجرى التمييز قبيل كل غزوة أو حرب هامة، وقد أعطانا ابن صاحب الصلاة وصفًا هامًا ودقيقًا لعملية التمييز التي قام بها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عند الاستعداد للعبور إلى الأندلس سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م، يقول: «ولما كانت غرة جمادى الآخرة من السنة المؤرخة أمر سيدنا الخليفة بتمييز للموحدين على عدد قبائلهم، ومنتهى مناوولهم، وتربية صفاتهم، فامتثل ذلك وتمادى تمييزهم مدة خمسة عشر يومًا، وقسم عليهم الخيل المسومة الجياد الروقة على أعدادها المذكورة، وكذلك على العرب الوافدين وأعطى للجميع الرماح والدروع، والبيض، والسيوف، وأنعم على الجميع بما استعد به لهذه الغزوة الحافلة، من الآلات المذكورة الكاملة، على أنم النظر المبارك حتى كمل على أتم العزم والحزم، ثم أمر لهم بإعطاء البركة عن الزاد لهذه الغزاة الملكة»^(١).

وكان الخليفة يجلس بنفسه ليعاين توزيع الأموال على الجنود «وجلس أمير المسلمين - أي يوسف بن عبد المؤمن - في مجلسه العالى وأشياخ الموحدين معه وأشياخ طلبة الحضرة وأشياخ العرب وأمر وزيره أبا العلاء إدريس المذكور أن يأمر الخزانين بإحضار الأموال بين يديه من الدنانير والدرهم فأحضرت أمامه وعلت أكدا سًا، وجنسها من الذهب والفضة أجناسًا، وقدم الموحدين في تنفيذ البركة لهم، فخرج للفارس الكامل منهم عشرة دنانير ولغير الكامل ثمانية دنانير وللراجل خمسة دنانير ولغير الكامل ثلاثة دنانير، وأمر للعرب ببركتهم فخرة للفارس الكامل منهم خمسة وعشرون دينارًا ولغير الكامل خمسة عشرة دينارًا والراجل سبعة دنانير وخرج لأشياخ العرب لكل شيخ خمسون دينارًا، ولكل رئيس منهم على قبيلة مائتا دينار، وكسا جميعهم بالقباطى والقمص والغفاير والعمائم»^(٢) ويتضح من هذا النص مدى ضخامة الأموال والعطايا التي كانت تمنح للجيش الموحدي بالإضافة إلى السلاح والملابس، أضف إلى ذلك المنح والعطايا التي كانت تمنح للجيش الموحدي بعد الانتصار في المعارك المختلفة، فنجد الخليفة عبد المؤمن بن علي يأمر للموحدين بعد انتصارهم على ابن همشك أثناء غزوه لغرناطة بالأموال والعطايا، يقول ابن صاحب الصلاة: «وأتصل في أثر هذا الفتح العظيم نظر الخليفة أمير المؤمنين ﷺ لمدينة غرناطة

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤٦٥ - ص ٤٦٦.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤٦٦، انظر تعريف تلك الملابس في الباب الثالث.

وقصبتها سنام الأندلسي، فملاً مخازنها في القصبة بها بالقمح والشعير والملح وآلات الحرب من الرماح والدروع والسيوف والقسي والسهام والترسة بما أبهت الناظرين، وقصر عن وصف الواصفين، وأوصل أمره العزيز ذلك كله إليها من العدو في المراكب في البحر إلى حصن المنكب وانتقل جميع ذلك من المنكب إلى غرناطة وتحصل في قصبتها مخزونها، فحييت بعد موتها بهذا النظر الجميل والحزم الموصول، والتيل المبذول، واستنقذ من كان فيها من الموحدين من علة الحصار، وبعد الانتصار، وأجزل لهم الزيادة في بركاتهم، والنماء لهم في مواسمهم وأنعم عليهم بالإحسان إحساناً^(١).

وبالإضافة إلى هذه الأموال والمنح كان الموحدون يوزعون ما عرف باسم المواساة وهي غلة تفرق عليهم عند تحصيل الغلال إلى المخازن^(٢) ومع المواساة ما عرف باسم الإحسان وهو مبلغ من المال وكانت المواساة والإحسان تفرق من السنة إلى السنة^(٣).

والى جانب إعداد الجيش وتجهيزه كان الإنفاق أيضاً على الأسطول، فقد اهتم الموحدون اهتماماً كبيراً بالأسطول وذلك لحماية شواطئ الدولة من القرصنة ونصارى أسبانيا، وقد أشار ابن خلدون إلى ضخامة الأسطول الموحدى بقوله: «ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد»^(٤).

وهكذا كان الجيش والأسطول في دولتي المرابطين والموحدين يستنفد جزءاً كبيراً من دخل الدولة نظراً لضخامة الجيوش المرابطية والموحدية واهتمامهم بها.

المرتبات

شكلت المرتبات مصدراً آخر من مصادر نفقات المرابطين والموحدين فكان المرابطون يجرون المرتبات والأرزاق على موظفي الدولة ومن هؤلاء القضاة^(٥) والفقهاء يقول ابن

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ص ١٩٦.

(٢) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقيا) ص ١٩ تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب.

(٣) العمرى: المصدر السابق ص ١٩.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٥٥ «يذكر ابن أبي دينار القيرواني أن عدد الأسطول الموحدى وصل

الى سبعمائة قطعة، انظر ابن أبي دينار: المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ص ١١٢.

(٥) النباهى: تاريخ قضاة الأندلس ص ١٤٠، تحقيق ليفى بروفنسال.

القاضي «ورد - أي يوسف بن تاشفين - أحكام البلد إلى القضاء وأسقط ما دون الأحكام الشرعية وكان محباً في الفقهاء والصلحاء، ومقرباً لهم صادراً عن رأيهم وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال»^(١).

حتى إذا قامت الدولة الموحدية تعددت أنواع المراتب فكان هناك رجال البلاط والقضاة والفقهاء والطلبة^(٢)، ويذكر القلقشندي أن أشياخ الموحدين الكبار كان لهم راتب يفرق عليهم طول السنة يسمونها البركات وكان مقدارها أربعون ديناراً^(٣).

أما الطلبة وهم أبناء القبائل الذين اهتم بهم الخليفة عبد المؤمن بن علي حيث أعدهم إعداداً خاصاً لتولى شئون البلاد فقد أجرى عليهم المراتب والأرزاق من خزانة الدولة^(٤).

وقد اهتم خلفاء الموحدين بعد عبد المؤمن بطلبة الموحدين فأجروا عليهم الأرزاق والمرتبات^(٥).

فقد أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمراكش سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م الطلبة الذين بأشبيلية «أن يدفعوا للموحدين بأغرناطة من البركة - أي المرتبات - مثل ما أخذه أهل قرطبة»^(٦).

كما يذكر ابن صاحب الصلاة ما ناله الناس في مدة خلافة يوسف بن عبد المؤمن «ونال الناس معه في إمارته وبعد ذلك في خلافته من جميع الطبقات من الكتاب، والعمال والطلبة والقضاة والرعية بصلاح أحوالهم ونماء أموالهم ما لم يعقد مثلها في زمان، حتى شبهها الطلبة وأهل التواريخ بأيام عثمان بن عفان رضي الله عنه»^(٧).

(١) ابن القاضي: تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٣٢، ص ٤٣٣.

(٢) أشباح: تاريخ الأندلس ج ٢ ص ٢٤٩.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ١٤٠، ص ١٤١.

(٤) انظر عبد الله عنان: دولة الإسلام، عصر المرابطين قسم ١ ص ٤٠٣.

(٥) السلاوي: الاستقصا، ج ٢ ص ١٩٨.

(٦) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٣٧٤ طبعة سنة ١٩٧٩.

(٧) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ٢٣٣.

نفقات البناء والتعمير:

اهتم المرابطون ثم الموحدون من بعدهم بالإنشاء والتعمير ونال البناء والتعمير سواء في المغرب أو الأندلس اهتمام المرابطين والموحدين وهذه المباني استلزمت أموالاً كثيرة، فقد اهتم المرابطون بتسوير المدن بأسوار حتى لا تكون عرضة لهجمات العدو فأصلحوا أسوار المرية وغرناطة^(١) وغيرها من المدن المغربية والأندلسية كذلك اهتم الموحدون بالإنشاء والتعمير فقد أمر الخليفة عبد المؤمن بن علي ببناء مدينة الفتح على جبل طارق وأنفق في سبيل ذلك الأموال الطائلة، يقول الحميري: «وكان أحد خلفاء بني عبد المؤمن - وهو عبد المؤمن بن علي - أمر ببناء مدينة جبل طارق، فندب إليها البنائين والنجارين وقطاع الحجر للبيان والجيار من كل بلدة وخطت فيه المدينة، وقدم إليها من المال ما يعجز كثرة، واتخذ فيها الجامع وقصرًا له، وقصورًا تجاوره للسادة بنيه وتولى العمل في ذلك وسميت بمدينة الفتح»^(٢) فأحكم البناءون فيه بناء من القصور والديار^(٣).

أما الخليفة أبو يعقوب يوسف فكان مولعًا بالعمارة، محبًا لها فإليه يرجع الفضل في بناء مدينة رباط الفتح، وعاقه الموت عن إتمامها فأتى ابنه المنصور^(٤).

وقد حظيت الأندلس باهتمام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ففي سنة ٥٦٧ هـ / ١٧٧١ م حين توجه إلى أشبيلية قام ببناء قصبة أشبيلية وجامعها الأكبر وقد استقدم لذلك

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ ص ٧٠ وما بعدها «لجأ المرابطون إلى فرض ضريبة على أهل الأندلس تسمى التعيب وذلك لبناء أسوار جديدة للمدن وترميم المتهدم منها انظر المصدر السابق ج ٤ نفس الصفحة، عبد الهادي شعيرة: المرابطون وتاريخهم السياسي مكتبة القاهرة الحديثة ط الأولى سنة ١٩٦٩ م.

(٢) الحميري: الروض المعطار ص ١٢١.

(٣) «تنص بعض المصادر على أنه بالإضافة إلى القصر الخاص شيد للخليفة عبد المؤمن قصور أخرى بجوار قصر الخليفة للسادة بنيه بالإضافة إلى الجامع الذي تقام فيه الصلوات» انظر الحميري: المصدر السابق: نفس الصفحة، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٣٢.

(٤) المراكشي: المعجب ص ٣٤١.

الغرض عرفاء أهل الأندلس^(١) وعرفاء مراكش وفاس وشرع في بنائه في سنة ٥٦٧ هـ وتم في سنة ٥٧١ هـ ونقلت إليه الخطبة من جامع ابن عدبس في سنة ٥٧٧ هـ^(٢)، كما أمر أن تحاط هذه القصور بمساحات واسعة من الحدائق غرس فيها الزيتون والأشجار والأعشاب وقد تكلف ذلك أموالاً طائلة صرفت من خزينة الدولة^(٣).

وقد تميز العصر الموحدى مع ضخامة البناء وإحكام صنعته بسرعة الإنجاز فقد أنشئت مدينة جبل الفتح في عام^(٤).

نفقات متنوعة

لم تقتصر نفقات المرابطين والموحدين على النفقات العسكرية ومرتبات موظفي الدولة فقط، بل كانت هناك أوجه أخرى للإنفاق لجأ إليها المرابطون والموحدون ومن هؤلاء الأمراء الذين استولى المرابطون ثم الموحدون على أوطانهم، فحين قضى يوسف بن تاشفين على ملوك الطوائف واستولى على غرناطة أرسل أميرها عبد الله بن بلقين إلى أغمات بالمغرب الأقصى وقام بالإنفاق عليهم، يقول الأمير عبد الله بن بلقين في مذكراته «وأمرنا - أى يوسف بن تاشفين - بإنزال الأمير عبد الله وابن عباد وغيرهم من أمراء الأندلس - أن تستوطن أغمات فأتيناهما ولقينا من أمير المسلمين كل جميل، وأنزلنا بداره الصغرى في الحريم، ولم يزل يفتقدنا مع أنعامه كيف ما هيا الله على يديه»^(٥).

(١) اشتهر في كتب التاريخ الأسباني الحديث أن اسم المهندس الذى قام ببناء الخيرالدا بأشبيلية مجهول تماماً، وظن البعض أن الذى اضطلع بمهمة البناء فى المسجد هو خابر بن أفلح الأشبيلي، ولكن ابن صاحب الصلاة هو شاهد عيان يكشف النقاب عن المهندس العربى الكبير الذى قام ببناء جامع أشبيلية واقامة الصومعة أنه أحمد بن باسة الذى لم نر له ذكراً فى غير ابن صاحب الصلاة، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٥٠٩ هامش رقم ٣ عن ابن باسة انظر شكيب أرسلان: الحلل السندسية ص ٢٤٠ Melchor Antuna; Sevillay susmonumento arabes, 1930. P.p 131 - 133.

(2) Melchor .op. cit. p. 130 - 138.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ٤٩٦ - ص ٥٠١.

(٤) ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر، نفس الصفحات، المراكشى: المعجب ص ٣٤١.

(٥) عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١٧١.

وفى عصر الموحدين وصف المراكشى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بأنه كان جواداً سخياً حيث أعطى هلال بن محمد بن مردينش صاحب شرق الأندلس اثني عشر ألف دينار فى يوم واحد^(١).

كما أقطع الموحدون ابن همشك المسئولى على غرناطة سهام أى أقطاع تسكيناً له^(٢).

الإدارة المالية

سبق أن أشرنا إلى أن يوسف بن تاشفين دون الدواوين وذلك بعد اتساع أعمال الدولة واستقرار الأوضاع فيها يقول ابن عذارى «فدون - أى يوسف بن تاشفين - ٤٦٤ هـ الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد»^(٣)، وفى عهده (أى يوسف بن تاشفين) كان مستخلص^(٤) البلاد الأندلسية كلها تحت نظر ديوان واحد مركزه غرناطة^(٥) وفى إمارة على ابن يوسف تعددت الدواوين فأنشئ فى كل قاعدة أندلسية ديوان^(٦).

أما الذين كانوا يشتغلون بالشئون المالية فهم الكتاب والجباة، فكان الكتاب يقومون بتدوين الحسابات المالية، والجباة كانوا يقومون بجبايتها، وقد ذكر كل من ابن الأثير والنويرى أن جباة الأموال فى عهد على بن يوسف كانوا من الفرنج والروم^(٧).

وقد حرص الموحدون على تنظيم أعمال الجباية وحفظ الأموال، ففى ديوان الجباية كتاب فى جميع جهات الولاية الواحدة يقيدون المتحصل ويضبطونه ويرفعونه إلى الخليفة

(١) المراكشى: المعجب ص ٣٢٧، ص ٣٢٨.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ٣٠٢، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤١٢.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٢٣ تحقيق إحسان عباس.

(٤) المستخلص: المراد به الأملاك السلطانية الخاصة التى يرجع ريعها إلى خزائنه الخاصة.

(٥) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ١١٧.

(٦) ابن عذارى: البيان ج ٤ ص ٧٤.

(٧) النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٥ مخطوط، محقق ج ٢٤ ص ٢٨٢،

تحقيق حسين نصار، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ٢٩٦، مجهول: الحلل الموشية ص

فيختمه بخاتمه مما ييسر محاسبة العمال على أعمالهم فلا يتعدون على الناس وينهبون أموال الدولة وإن فعلوا عوقبوا^(١).

هذا وقد سار الموحدون على سياسة مراقبة المشتغلين بالشئون المالية وذلك بعد أن اكتشف الخليفة عبد المؤمن بعض مظاهر الفساد المالي في البلاد، فبعض النجاة والعمال كانوا يفرضون على الناس المنغرم والمكوس ويدعون أنها للمخزن وقد تعرض التجار للضرائب الباهظة من قبل عمال الجباية الذين كانوا يدعون أنها تخص الدولة «وإن من ذلك الرأي الزميمة والسعى المنقوم ما ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها والطوائف المارة على البلاد لمعنى التجارة، ينسب إليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء الذين يضعون الغش فيما يوهمون به النصيحة ويستنبطون المكر في تصرفاتهم القبيحة، فيقولون للرجل منهم عندك من حقوق الله كيت وكيت وإن للمخزن جميع ما به أتيت ويقرنون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج عن جملة ماله، ويعتقد السلامة من ذلك الظالم الغاصب أعظم منا له وإنها لداهية عاقرة قاصمة للظهر فاقرة»^(٢) وتابع الموحدون سياسة الخليفة عبد المؤمن في محاسبة المشرفين على الأمور المالية على سوء تصرفاتهم في النواحي المالية^(٣).

وقد أطلق على من يتولى جباية الأموال اسم صاحب الأعمال في عصر المرابطين^(٤)

(١) ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ١٦٢، ص ٢٠٥، ج ١ ص ٢٤٩، ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ١١٠، المقرئ: نفح الطيب ج ٢ ص ٢٣٥، ص ٢٣٦، الذيل والتكملة ج ٤ ص ٢١٤.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٥٧، ص ١٥٨.

(٣) انظر محاسبة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لعمال الجباية في غرناطة أبي عمر بن أفلاح في ابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ١١٠، ومحاسبته يمكن لمحمد بن عبد الملك بن سعيد عاملا الجباية أيضا في غرناطة في (المغرب ج ٢ ص ١٦٢، المقرئ: نفح الطيب ج ٢ ص ٢٣٥، ص ٢٣٦).

(٤) محمود على مكى «وثائق تاريخية جديدة» ص ١٨٣ - ١٨٥.

والموحدين^(١) وأحيانا أطلق عليه اسم المشرف^(٢)، ويذكر ابن خلدون أن الموحدين أطلقوا على تلك الوظيفة أيضا اسم «صاحب الأشغال»^(٣) وقد أشار المقرئ إلى تلك الوظيفة بقوله «صاحب الأشغال الخراجية في الأندلس أعظم من الوزير، وأكثر أتباعا وأصحابا وأجدي منفعة، فإليه تميل الأعناق، ونحوه تحد الأكف، والأعمال مضبوطة بالشهود النظار، ومع هذا إن تأملت حالته واغتر بكثرة البناء والاكتساب نكب وصور، وهذا راجع إلى تقلب الأحوال وكيفية السلطان»^(٤).

ومن عمال الجباية الذين تولوا الإشراف على الأموال وجباياتها في إقليم غرناطة في العصر المرابطي، عيسى بن الوكيل^(٥) ومحمد بن سعيد الغرناطي^(٦) وعبد الملك بن سعيد الغرناطي^(٧) يقول ابن سعيد: «وكان مُقَدِّمًا عند يحيى بن غانية في مدة المثلثين، ثم ولاه بنو عبد المؤمن أعمال أشبيلية وغرناطة وسلا»^(٨) وفي مدينة المرية تولى أعمال الجباية يزيد ابن طبقلاب^(٩)، وقد تولى أعمال المرية في عهد المنصور الموحدي.

(١) البيذق: أخبار المهدي ص ٦٥، ص ١٠١، ابن عذاري: ج ٤ قسم ٣ القسم الموحدي ص ١٧، ص ١٩، ص ١١٢، ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ١٦٣، ابن الأبار الحلة السيرة ص ٢٣٥، ص ٢٣٦، المقرئ: نفع الطيب ج ٢ ص ٢٣٥، ص ٢٣٦.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٢ المشرف بالأسبانية Almojorife كان هو الذي يتوصل بكل الواجبات والحقوق اللازمة عند الإيرادات والإصدار للسلع فهو بمثابة المفتش العام للديوانية «انظر المن بالإمامة هامش ٣ ص ١٨٢ وانظر Dozy: Recherches page 381» كان ابن دهرى صهرًا لابن زيد مشرف غرناطة وقد استطاع أن يجمع حوله طائفة من اليهود المتظاهريه بالإسلام وعليهم اعتمد ابن همشك في التآمر على غرناطة ومحاولة الإجهار على الموحدين» انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ١٨١ هامش (٥).

(٣) ابن خلدون: العبر ج ١ ص ٢٤٥.

(٤) المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ٢١٧.

(٥) الحميري: الروض المعطار ص ١٩٧.

(٦) يذكر ابن سعيد أنه كان صاحب أعمال غرناطة في مدة المثلثين، انظر عنه المقرئ: نفع الطيب ج ٣ ص ٦١ ط سنة ١٩٦٨ - بيروت تحقيق إحسان عباس.

(٧) المقرئ: نفع الطيب ج ٢ ص ٣٣٧ طبعة بيروت يذكر المقرئ أنه كان وزيراً جليلاً بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهممة كثير الأموال، انظر: المقرئ: المصدر السابق ج ٢ ص ٣٣٥ - ص ٣٣٧ طبعة بيروت.

(٨) ابن سعيد: المغرب ج ٢ ص ١٦٣.

(٩) ابن سعيد: المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٦.

أما فى عهد الناصر فقد تولى محمد بن عبد الرحمن الغرناطى أعمال الجباية من غرناطة^(١)، أما مدينة مالقة فقد تولى أعمال الجباية فيها فى عهد الناصر الفقيه أبو عامر محمد بن حسن^(٢) وأبو على بن يبقى^(٣).

وقد كانت هذه الأموال تجبى سنوياً، فقد أشار ابن خلكان والنوبرى إلى أن جباة الأموال كانوا يصعدون إلى الجبل كل عام لجباية الأموال^(٤).

السكة^(٥)

تسهم العملة فى إعطائنا صورة صادقة عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية للدولة، فهى تدل على مدى قوة الدولة أو ضعفها سياسياً واقتصادياً ويؤكد حسن أحمد محمود فى كتابه قيام دولة المرابطين هذا حيث يقول «إن التجارة الدولية فى عهد المرابطين، بلغت شأنًا عظيمًا، وازداد إقبال أوروبا على تجارة المغرب، وليس أدل على ذلك من شيوع الثقة بالدينار المرابطى^(٦) حتى لقد قيل إن الدينار المرابطى وصل إلى القسطنطينية، وكاد أن يصبح عملة دولية^(٧)».

كذلك كانت العملة نوعاً من أنواع تأكيد السيادة السياسية على الدولة^(٨)، فقد اتخذ المرابطون النقود وذلك لتأكيد سلطانهم السياسى على البلاد^(٩) يقول ابن عذارى «وضرب

(١) ابن الخطيب: الإحاطة (مخطوط الرباط رقم ٢٧٠٤ك) ورقة ٦٥.

(٢) عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة السفر الرابع تحقيق إحسان عباس ص ٢١٤.

(٣) ابن سعيد المغرب ج ١ ص ٢٤٩.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٤٢ طبعة أولى سنة ١٩٤٨ م ستة أجزاء النهضة لمصرية، النوبرى: نهاية الأرب مخطوط ج ٢٢ ص ٨٥، مطبوع ج ٢٤ ص ٢٨٢ تحقيق حسين نصار.

(٥) «السكة هى الحديدية يطبع عليها الدينار والدرهم فسميت سكة بها الدنانير والدرهم» انظر ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة ص ٤٧، مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٨ مجلد ٢، تحقيق حسين مؤنس طبعة سنة ١٩٦٠، ص ٤٩.

(٦) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٠٣.

(6) Nevill Barbour: Morocco P. 59.

(7) Laviox: Catalogue des Monnaies Musulmanes P.

(٨) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٢٢ طبعة بيروت تحقيق إحسان عباس.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق ج ٤ ص ٢٢.

الدينار الذهبي باسم الأمير أبي بكر بن عمر في هذا العام^(١)، وبالإضافة للدينار الذهبي ضرب المرباطون الدراهم الفضية في جميع دولتهم وكانت متفاوتة في الوزن^(٢)، كذلك ضربوا دراهم نحاسية^(٣)

هذا وقد استخدم أهل الأندلس عامة وأهل غرناطة خاصة الدينار المرباطي «وديارهم لم تخلص للمرابطين بعد»^(٤).

قد ضرب يوسف بن تاشفين عملة مدورة الشكل وقد كتب عليها اسمه وذلك في سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م)^(٥) وقد وصف لنا ابن المؤقت في كتابه السعادة الأبدية شكل العملة المرباطية بقوله «وضرب - أي يوسف بن تاشفين - السكة يؤمئذ وجددها ونقش في دينارها لا إله إلا الله محمد رسول الله وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكتب في الدائرة ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وكتب في الصفحة الأخرى: الأمير عبد الله العباسي، وفي الدائرة تاريخ ضربه»^(٦) وكتب في الوجه الآخر الأمير عبد الله أمير المؤمنين العباسي، وفي الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكته^(٧).

وقد تفاوت سعر الدينار الذهبي باختلاف أسعار الذهب من وقت لآخر، فقد يصرف

(١) ابن عذارى: المصدر السابق ج ٤ نفس الصفحة «وبعد الزلافة ضرب يوسف بن تاشفين العملة باسمه وحده» انظر ابن عذارى: المصدر السابق ج ٤ ص ٤٦.

(2) Lavoix, H., Catalogue de monnoies musulmones, pp. 536.

(٣) الونشريشي: المعيار ج ٦ ص ١١٧.

(٤) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التيان) ص ١١٥.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٤٦، السلاوي الاستقصا ج ٢ ص ٣٢ كان الدينار المرباطي يحمل التاريخ الهجري لسنة السك واسم علي بن يوسف أمير المؤمنين مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله واسم أمير المؤمنين المرباطي والإمام عبد الله أو الإمام العباسي وسورة من القرآن.

Lavoix, M. Henri, Catalogue. P.

(٦) ابن المؤقت: السعادة الأبدية ج ٢ ص ٩٠، انظر أيضا ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٤٦.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٤٦.

بائنتين وسبعين حبة من الذهب وفي وقت آخر يصرف بائنتين وسبعين حبة من الذهب وفي بعض الأحيان يصرف ستة وسبعين حبة^(١).

كذلك ضرب المرابطون الدراهم الفضية وكانت متفاوتة في الوزن^(٢) فدراهم ضرب مراکش تكون من حساب عشرين درهما في الأوقية أما في غرناطة فكانت هذه الدراهم من حساب سبعين درهما في الأوقية^(٣) ومن الدرهم كانوا يضربون أنصافا وأرباعا وأثمانا، أو تضرب منه وحدات تعرف بالقواريط و الخرايب^(٤).

هذا وقد تعددت دور سك العملة في عصر المرابطين والموحدين فابن عذارى أشار إلى أن يوسف بن تاشفين بنى دارا للسكة بمراكش سنة ٦٤٤ هـ / ١٠٧١ م ضرب فيها السكة^(٥).

وقد جرى سك العملة في المغرب كما كان الحال عليه في المشرق فلم تكن السكة قاصرة على العاصمة أو على بلد واحد، بل كانت تضرب في كثير من الحواضر، فقد سكت النقود في فاس وتلمسان وبجاية وتينمل ومكناس وتونس وأغمات وتطوان وسجلماسة ومراكش ونكور وسلا وطرابلس، أما في بلاد الأندلس فقد سكت عملات في ميورقة ومالقة ومرية وقرطبة وأشبيلية وغرناطة وبلنسية وشريس ومنورقة وسرقس وكانت العملات تنسب إلى البلاد التي سكت فيها^(٦).

ويذكر ابن الخطيب في حديثه عن العملة في غرناطة «وصرفهم فضة خالصة، وذهب إبريز طيب محفوظ ودرهم مربع الشكل من وزن المهدي القائم بدولة الموحدين»^(٧) وفي الأوقية منه سبعون درهما^(٨).

(١) الوثريشي: المعيار ج ٨ ص ١٩٧.

(٢) Lavoix, H. catalogue p.p 536.

(٣) الوثريشي: المعيار ج ٦ ص ٣١٠، ص ٣١٧.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٤ ص ٤٣، ابن الخطيب أعمال الاعلام ط ليفي بروفنسال ص ١٧٤.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق ج ٤ ص ٢٢.

(٦) Lavoix, Catalogue p. 536 - 544.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٣٧.

(٨) ابن الخطيب: المصدر السابق ج ١ ص ١٣٨.

أما الدولة الموحدية فقد كانت عملتها من الدنانير والدرهم، يقول ابن خلدون: «ولما جاءت دولة الموحدين كان ممن سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وإن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملاً من أحد الجانبين تهليلاً وتحميداً ومن الجانب الآخر كتباً في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده، ففعل ذلك الموحدون»^(١) ويذكر صاحب ضوابط دار السكة بقوله «ولكن ليس من الثابت أن العملة المربعة (المركنة) من ابتكارات أبي عبد الله محمد بن تومرت مهدي الموحدين، وهو نفسه لم يضرب نقوداً، إذ لم يكن بخليفة أو أمير، وأول من ضرب عملة مربعة الشكل، هو عبد المؤمن بن علي أول الخلفاء الموحدين»^(٢) ولم يقتصر تربع العملة على الدرهم بل تعداه إلى الدنانير^(٣)، وكان الدينار الموحدى ضعف الدينار العادى فى الوزن، ولهذا عرف باسم *dobla†* عند النصارى^(٤)، كذلك وجدت العملة اليوسفية المنسوبة إلى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن^(٥) ويذكر صاحب ضوابط دار السكة أن الناس كانوا يتعاملون بكل

(١) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٦٢ كانت عملة الموحدين عبارة عن حفر مستطيل داخل دائرة مكتوب بداخلها الإمام المهدي وسوره من القرآن واسم الخليفة واللقب الشرفى ونسبه ومكان السك وكانوا لا يكتبون تاريخ السك فى الأول. Lavoix. Ibid.

(٢) على بن يوسف الحكيم: ضوابط دار السكة ص ٤٩ «كانت العملة كلها قبل ظهور الموحدين مدورة الشكل» انظر المصدر السابق، نفس الصفحة هامش رقم ١.

(٣) على بن يوسف الحكيم نفس الصفحة هامش رقم ١.

(٤) حيث ضاعف المنصور الموحدى وزن عيار العملة، انظر ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) تحقيق هويى ميراند انطوان سنة ١٩٦٠ ص ١٥٤ يرى مؤنس أن الدينار الموحدى كان يساوى ٢٣٥ غراما ولما ضاعفه المنصور أصبح يساوى ٤٧٠ غراما انظر ضوابط دار السكة ص ٤٩.

يرى ماسينون أنه كان ٤٧٢٩ غراماً انظر Massignon, le Maroc p.p 102 - 103

(٤) وجدت عملات موحدية فى مدن عديدة من فرنسا مثل مونبليه ومرسليا، كتب عليها الله ربنا - محمد رسولنا - المهدي إمامنا - وهى مصنوعة من الفضة وثبت أن هذه العملة هى الدرهم المصمودى، كذلك استخدمت العملة الموحدية فى إبرام المعاهدات التجارية التى عقدت بين بيزة وقلورنسا وأمراء المغرب انظر Lavoix. Ibid. p. V 11, V 111

(٥) ابن سعيد الصفاقس: نزهة الأناظر فى عجائب التواريخ والأخبار تونس ١٣٢١ هـ - ج ١ ص ١٨٢، ص ١٨٣، الزركلى فهرس الأعلام ج ٣ ١١٨٢، ابن خلكان: وفیات الاعيان ج ٦ ص ١٣٠، الحينى: عقد الجمان ج ١ قسم ١ ص ١٣.

سكة منها إلى أن صار التعامل في الدراهم على وزن الدراهم اليعقوبية^(١)، كذلك تنسب الدنانير اليعقوبية إلى الخليفة يعقوب المنصور الموحدى^(٢).

وقد انتشرت في الأسواق ظاهرة غش العملة وخاصة في عصر الموحدين ولا يكون الغش بتقليد العملة فقط بل عادة ما يكون بإضافة معادن رخيصة إلى فضتها^(٣)، وامتد هذا الغش فشمّل نصارى أسبانيا فكانوا يزورون العملة الموحدية أيضا^(٤).

ولم تكن العملة هي وسيلة التعامل الوحيدة في بلاد المغرب والأندلس، فقد وجدت إلى جانب العملة السفاتيح^(٥) والصكوك^(٦) وهي من وسائل المعاملات الهامة في ذلك الوقت ولقد استخدم التجار الأندلسيون والمغاربة في معاملتهم التجارية السفاتيح والصكوك وذلك ضماناً لإتمام العمليات التجارية وتسهيلها وكانت السفاتيح والصكوك تتخذ لتجنب الضياع والسرقة وقد استخدمت الصكوك في المعاملات التجارية كدفع الديون^(٧) وفي أعمال البيع المختلفة.

أما الموازين والمكاييل فقد استعملها الأندلسيون والمغاربة على السواء في معاملتهم التجارية، وكانت وحدة الوزن في بلاد المغرب والأندلس هي القنطار والرطل والأوقية والدرهم وكان الرطل يحتوى على ١٦ أوقية وكل أوقية ٢١ درهما^(٨).

وقد اختلفت قيمة الوزن حسب نوع السلعة^(٩)، كذلك اختلفت الأوزان باختلاف

(١) أبو الحسن، الدوحة المشبكة ص ١٥، انظر هنا: ابن سعيد: نزهة الأنظار ج ١ ص ١٨٦.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٢ وكان أعلى وزن وصل إليه الدينار ٦٧ر٤ جرام ضرب في عهد الخليفة المستنصر بالله في مدينة فاس Lavoix: Ibid. P. 305 - 306 أما أعلى وزن للدرهم

المصمودى الفضى فكان ٢٣١ جرام Laviox: Ibid. P. 301

(3) Bel, A., Contribution a l'etude des dirhems. Hesperis 1933, tom x v. t, P.5

(4) Bel. op. cit. p.7

(٥) السفاتيح كلمة فارسية مفردة سفتجة ومعناها خطاب ضمان مالى انظر «جمال سرور» تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق ص ١٦٣.

(٦) أما الصك فمعناها سند الدين وهي تشبه في الوقت الحاضر الكمبيالة أو الشيك، انظر محمد على حيدر: الأوضاع الاقتصادية في العراق والمشرق ص ٢٨٦.

(٧) مصطفى الهمشري: الأعمال المصرفية في الإسلام ص ٢١، ص ٢٢.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥ ص ١١٤، ص ١٧٧.

(٩) الشيرزى: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٥.

المكان «فكان لكل إقليم وبلد فى المعاملة على أرتال تتضاءل فى الزيادة والنقصان»^(١) فمثلا اللحم كان يباع بالرطل فى إقليم غرناطة^(٢) كما كانت جميع السلع المختلفة تباع بالأواق^(٣)، فقد استخدمت الأوقية فى إقليم غرناطة فكانت ربع أوقية الجبنة بستة عشر درهما^(٤)، أما الخبز فكان ١٥ أوقية بربع درهم^(٥).

أما المكايل فهى نوعان، الأول يسمى القفيز ويساوى ١٦ وبيبة وكل وبيبة ١٢ مدًا^(٦) والثانى يسمى الصحيفة أو الوسق وكل صحيفة تساوى ١٢ مدًا وكانت الصحيفة تساوى ٦٠ صاعًا^(٧)، فكان المد يعادل خمسة صاعات^(٨).

هذا ولم تبذل دولتا المرابطين والموحدين جهدًا لتوحيد هذه الموازين والمكايل لذلك استغل التجار فوضى الموازين والمكايل فى أواخر العصر المرابطى استغلالاً أضر بمصلحة المستهلك، فكانوا يغيثون فى مقاديرها أو يستعملون الحجارة بدلا عن صنع حديد حتى أن كتب الحسبة فى هذه الفترة لتزخر بالأمثال عن أساليب التجار هذه وتقرح قطع كل ذلك وأن يسم الأكيال والموازين باسم معلوم عنده^(٩).

(١) البكرى: المغرب ص ١١٧.

(٢) انظر رسالة السقطى ص ٣١.

(٣) عن اختلاف الموازين والمكايل انظر: السقطى: رسالة فى الحسبة باب الموازين والمكايل.

(٤) السقطى: فى أدب الحسبة ص ٣١.

(٥) السقطى: المصدر السابق ص ٢٨.

(٦) المد: كيل معين اختلفت سعته فى العالم الإسلامى حسب الأمكنة والعصور والمذاهب انظر: أبو الحسن على ابن يوسف: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة نشر مؤنس ص ٨٥، ص ٨٦ طبعة مدريد سنة ١٩٨٥، سنة ١٩٦٠.

(٧) أبو الحسن: المصدر السابق ص ٨٥ طبعة سنة ١٩٥٨، ص ٨٦ طبعة سنة ١٩٦٠.

(٨) القلقشندى: صبح الاعشى ج ٥ ص ١١٤.

(٩) انظر رسالة السقطى: ص ١٠، ص ١٢، ص ١٣، ص ١٦، ص ١٨ ورسالة ابن عبد الرؤوف ص ٨٨، ص ١٠٦.

الباب الثاني

الحياة الاجتماعية في عصر
المزبطين والموحدين

العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية

كان لقيام دولتي المرابطين والموحدين آثار على الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة - موضوع الدراسة - بصفة خاصة، فقد قيض للمرابطين ثم الموحدين من بعدهم أن يلعبوا دوراً هاماً في الحياة السياسية في بلاد الأندلس، فبعد أن قاموا بتوحيد المغرب الأقصى في ظل زعامة موحدة، انطلقوا إلى الأندلس، وتحملوا أعباء الكفاح المسلح ضد أطماع النصارى، وكان هذا بداية صفحة جديدة في العلاقات السياسية بين بلاد المغرب والأندلس، فقد أصبحت البلاد الأندلسية تابعة للمرابطين ثم الموحدين، الأمر الذي نتجت عنه آثار بعيدة المدى في شكل الحياة السياسية^(١)، أثرت بالتالي على الحياة الاجتماعية للبلاد الأندلسية عامة وإقليم غرناطة خاصة، فقد كان للكفاح المسلح الذي بدأه المرابطون ثم الموحدون أثر على الحياة الاجتماعية في الأندلس، فقد ساعد الكفاح على صهر قبائل المغرب التي تدفقت، صوب الأندلس للجهاد، فارتفع قدر المرابطين، بحيث أصبحوا قوة لا يستهان بها ومن ناحية أخرى فإنها أضفت على قائد المرابطين الذي حمل شرف الجهاد في المغرب والأندلس لقب البطولة، أصبح يوسف بن تاشفين يحكم مملكة مترامية الأطراف يصفها ابن أبي ررع بقوله: «وكان يوسف بن تاشفين ملكه من مدينة أفرغة أول بلاد الإفرنج قاصية شرق بلاد الأندلس إلى آخر عمل شترين والأشبونة على البحر المحيط من بلاد الأندلس» وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوماً

(١) ابن أبي ررع: الأنيس المطرب (روض القرطاس) ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، النويري: نهاية الأرب: ج ٢٤ ص ٢٦٧، وعن استيلاء المرابطين على غرناطة انظر عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التيان): ص ١٠٧ - ص ١٢٢، النويري: مخطوط: ج ٢٢ ورقة ١٨٣، مجهول: الحلل الموشية: ص ٧١ - ص ٧٣، مجهول: نبذة تاريخية جامعة في أخبار البربر في القرون الوسطى، ألف سنة ١٧٢ هـ، نشرها بروفنسال، الرباط، سنة ١٩٤٣، وعن الأندلس في عصر الموحدين انظر النويري: المصدر السابق: ج ٢٤ ص ٣٠١ - ص ٣٠٩، السلاوي: الاستقصا: ج ٢ ص ١٠٥ - ١٠٦، ابن أبي ررع: المصدر السابق: ص ١٩١، ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ١٩٠.

طالاً وفي العرض ما يقرب من ذلك، وملك بالمغرب من بلاد العدو من جزائر بن ماسة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان»^(١).

هذا وقد أدى اتساع الدولة المرابطية ثم الموحدية هذا وبسط نفوذهما على بلاد الأندلس إلى ظهور عوامل جديدة تركت في الحياة الاجتماعية في الأندلس آثارا واضحة مثل الذي تركته على النشاط الاقتصادي والحياة الاقتصادية للبلاد الأندلسية^(٢)، وذلك أن تدفق الأموال وتنوع موارد الدولة^(٣)، جعل الأمراء يتفوقون في سعة، وأخذ الولاة يعيشون في أقاليمهم حياة مترفة لم يتعودوها من قبل في بلادهم، فيذكر الدكتور حسن محمود أن هؤلاء الأمراء قد اندمجوا في الحياة الاجتماعية في الأندلس^(٤)، هذه الحياة التي كانت قد بلغت شأنًا عظيمًا من الرقي منذ عهد ملوك الطوائف، فتألق نجم الحضارة الأندلسية بصورة لم تكن معهودة من قبل، فلما فتحت الأندلس، التقت حضارتان أو لونا من الحياة الاجتماعية، لون أندلسي رفيع، ولون مغربي صحراوي أقل رقيًا وتفوقًا، وكان منطق الأشياء يقضي بأن تتغلب الحياة الأكثر رقيًا فتصرع الحياة الأكثر ضعفًا، وهذا هو ما حدث

(١) ابن أبي ررع: الأئیس المطرب ص ١٣٦ - ١٣٧، السلاوي: الاستقصا ج ٢ ص ٣، انظر: المراكشي: المعجب ص ٢٢٥ - ٢٢٦، عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٧ وما بعدها، النويري: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٢٦٧ وما بعدها، انظر الباب الأول ص - Scott, History of Moorish Empire Vol 2 p. 197.

(٢) انظر الباب الثاني: ص - ص.

(٣) ابن أبي ررع: الأئیس المطرب: ص ١٢٦، ص ١٢٨، ص ١٦٧، مجهول: رسائل موحدية: ص ٢١ - ص ٢٢ عندما دخل يوسف بن تاشفين غرناطة، أبطل الضرائب والقبالات والخراج وألزم أهل غرناطة بزكاة العين وصدقة الماشية وعشر الزرع، عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢١٠ عن دخل دولة المرابطين من الجزية، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٥٣، تحقيق إحسان عباس، عن غنائم المرابطين في غرناطة انظر: عبد الله بن بلقين: المصدر السابق: ص ٢٠٩ - ص ٢١٠، أما عن غنائم الموحدين من المرابطين انظر: مجهول: الحلل الموشية: ص ١٤٣.

(2) Dozy: Histoire des Musul. d'Espagne, Vol. IV, P. 255 - 265.

انظر عن غنائم الموحدين عند استيلائهم عليها من ابن همشك ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٠ وما بعدها.

(٤) انظر مثالا لذلك: قصة أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن والي غرناطة مع ابن جبير صاحب الرحلة، المقرئ: نفع الطيب: ج ٢ ص ٣٨٥.

بالضبط، فقد صارت الحياة الأندلسية الرفيعة هذه الحياة الاجتماعية المغربية فتغلبت عليها وأثرت فيها^(١)، فكان للوجود المرابطي ثم الموحدى فى البلاد الأندلسية عامة وغرناطة خاصة آثار على الحياة الاجتماعية، فظهرت فى تلك الفترة عدة فئات وعناصر كان للمرابطين ثم الموحدين الفضل فى إيجادها أو التأثير عليها ومنهم المرابطون ثم الموحدون أنفسهم وهى فئة البربر فزاولوا بعض الأعمال مثل التجارة أو الزراعة أو الصناعة^(٢)، وقد كانت فئة البربر موجودة فى الأندلس قبل هذه الفترة، ولكن مع الفتح المرابطى ثم الموحدى للبلاد الأندلسية تدفّق البربر على الأندلس بأعداد كبيرة^(٣).

ويبدو أن بعض رجال هذه الفئة كانوا متغترسين (وهو ما سنوضحه فيما بعد) لا يخضعون لأحكام القضاء^(٤)، كما أن طائفة الحشم والأتباع كانت تمسوه على الناس باللاثام وربما وقع منها بعض الأذى، مما دعا ابن عبدون فى رسالته إلى أن يطالب «أن لا يلثم إلا صنهاجى أو لمتونى أو لمطى^(٥)».

ولما فتح الموحدون الأندلس ساروا على سنة أسلافهم، فأسكنوا الموحدين مدن الأندلس وثغوره، فبدأ عبد المؤمن هذه السياسة^(٦) واستمر خلفاؤه عليها.

وقد أدى قيام دولتى المرابطين والموحدين فى الأندلس إلى ظهور طبقة جديدة كان للمرابطين ثم الموحدين الفضل فى ظهورها، ونعنى بها طبقة الفقهاء والقضاة، ويذكر

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٢٤٠ - ص ٢٤١.

(٢) ابن أبى رزع: الأئیس المطرب، ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ١٩٠ - ص ٢٠٠، ص ٢٢٦، ابن أبى رزع: الأئیس المطرب: ص

١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، عن تدفق الموحدين صوب الأندلس، المراكشى:

المصدر السابق: ص ٢٨١، ص ٢٨٢، ص ٢٨٣ - ص ٢٩٣ - ص ٢٩٦، السلاوى: الاستقصا:

ج ٢ ص ١٠٥، النويرى: نهاية الأرب: ج ٢٤ ص ٣٠٩.

(٤) محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية

فى مدريد، المجلد السابع، العدد ١ - ٢، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩، ص ١٧٧ - ص ١٧٨، حسن

أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٣.

(٥) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٩.

(٦) البيهقى: أخبار المهدي: ص ١٢٥ - ص ١٢٧، المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣.

حسن محمود أن الفقهاء والقضاة ورجال الدين موجودون في كل عصر وفي كل زمان^(١)، ولكن مع ظهور المرابطين ثم الموحدين احتل الفقهاء والعلماء منزلة عالية في المجتمع الأندلسي، فالدولة المرابطية قامت على أساس دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية، من هنا كان المبدأ الديني هو القاعدة الراسخة للدولة، ومن هذا فإن المشتغلين بعلوم الدين لا بد وأن يحتلوا مكانة رفيعة في المجتمع وقد زاد هذه المكانة الرفيعة ذلك التقدير والتكريم الذي كانوا يلقونه من أمراء المسلمين «وكان - أي يوسف بن تاشفين - محبا للفقهاء والعلماء والصلحاء مقربا لهم صادرا عن رأيهم متكرما لهم، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول حياته»^(٢).

وعندما انتشرت الدعوة الموحدية وكثر أفرادها قسم المهدي ابن تومرت أصحابه وأتباعه إلى طبقات متميزة، وصار في مقدمة الطبقات: العشرة، ويعنى بهم أهل الجماعة، ثم أهل الخمسين ثم أهل السبعين ثم الطلبة ثم الحفاظ وهم صغار الطلبة^(٣) وتندرج بعد هؤلاء بقية الطبقات حتى إذا تولى الخليفة عبد المؤمن بن علي الخلافة ميز هؤلاء الطلبة وحظوا عنده بالاهتمام والرعاية فصاروا طبقة متميزة.

هذا وقد قسم عبد المؤمن بن علي هؤلاء الطلبة إلى طائفتين، طلبة الموحدين، وطلبة الحضر، والطائفة الأولى، هم طلبة المصامدة، بعد أن سمي المهدي المصامدة بالموحدين، لخوضهم في علم الأصول الذي لم يكن أحد من أهل هذه الأنحاء يخوض فيه^(٤).

وصارت طبقة الطلبة تتمتع أيضا بامتيازات مالية إذ كانت تصرف لهم المرتبات والأعطيات من خزانة الدولة^(٥).

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٣ - ص ٤١٤.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب: ص ١٣٧، المراكشي: المعجب: ص ٢٣٥.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٢٨ «ويذكر ابن خلدون ولما كللت بيعته «أي ابن تومرت» لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام وكان يسمى أصحابه الطلبة وأهل دعوته الموحدين، انظر ابن خلدون: المقدمة: ص ٢٢٨، عن تقسيم ابن تومرت لطبقات الموحدين، انظر النويري: نهاية الأرب: ج ٢٤ ص ٢٨٧، المراكشي: المعجب ص ٢٥٥.

(٤) المراكشي: المصدر السابق: ص ٢٦٩.

(٥) البيهقي: أخبار المهدي: ص ٤٨.

وهناك طبقة أخرى من طبقات المجتمع تأثرت بقيام دولتي المرابطين والموحدين وهم أهل الذمة من النصارى واليهود، ويذكر الدكتور حسن محمود أن النصارى المعاهدين كان قد ارتفع شأنهم في بلاد الأندلس في عهد ملوك الطوائف ونبه ذكرهم، وأصبحوا يتمتعون بحرية قلما ظفر بها أجدادهم من قبل.

وذلك بسبب الضعف والتخاذل والانقسام الذي أصاب المجتمع الأندلسي في ذلك العهد^(١)، وقد زاد من ذلك ظهور قوة قشتالة وليون فكان هؤلاء النصارى بمثابة عيون لقشتالة وغيرهم من الأعداء^(٢).

ولقد حظى اليهود من أهل الذمة بالاهتمام والرعاية من جانب ملوك بنى زيرى في غرناطة^(٣)، التي ضمت عدداً كبيراً من اليهود الذين عاشوا فيها حتى أنها سميت بغرناطة اليهود^(٤)، لكثرة عدد اليهود بها، كذلك كان عدد النصارى كبيراً في أرياف الأندلس وخاصة غرناطة^(٥).

(١) عن ضعف ملوك الطوائف وانقسامهم في ذلك الوقت انظر عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٧ «طوائف الأندلس، هم زعماء الطوائف الذين اقتسموا ولايات الأندلس وقواعدها عقب انهيار الخلافة وثورة البربر، وأسسوا لأنفسهم في ولايات الأندلس وقواعدها إمارات وممالك صغيرة وقد استعان بعضهم على بعض بنصارى الشمال الذين وجدوا في ذلك سيقاً مسلطاً على الإسلام وفرصة مواتية للقضاء عليهم، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٤٠ هامش رقم ٣، عبد الله بن بلقين: المصدر السابق: نفس الصفحة، عبد العزيز سالم: المغرب الكبير: ص ٧١٨، مجهول: الحلل الموشية: ص ٤٤ وما بعدها، انظر حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤١٩.

(٢) عن موقف نصارى غرناطة من المرابطين واستدعائهم لابن رزمير انظر ابن عذارى: البيان: ج ١ ص ١٠٩ - ص ١١٤.

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢ وما بعدها، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٣ ص ٢٦٤، محمود على مكى: التشيع في الأندلس صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ ص ١٢٩ - لطفى عبد البديع: الإسلام في أسبانيا: ص ٣٤، عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر ملوك الطوائف ص ١٦٨.

(٤) الحميرى: ص ٢٣، لطفى عبد البديع: المرجع السابق ص ٣٣.

(٥) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢، ص ١٠٨، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٣٦، الحميرى: المصدر السابق: ص ١٤٣ - ص ١٤٤.

ولكن سيطرة المرابطين على الأندلس غيرت أوضاع أهل الذمة سواء من اليهود أو النصارى وهو ما سنوضحه فيما بعد عند الحديث عن أهل الذمة.

هذا ولقد كانت الوحدة بين الأندلس والمغرب من أهم العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية ففي الوقت الذي سيطرت بلاد المغرب في عصر المرابطين والموحدين على البلاد الأندلسية عسكرياً، تمكنت الأندلس من غزو بلاد المغرب فنياً وعلمياً، ويعتبر عصر الموحدين هو العصر الذي توثقت فيه العلاقات الفنية والثقافية والاجتماعية بين بلاد المغرب والأندلس وانتقلت التأثيرات الأندلسية إلى المغرب^(١).

ولقد ازداد الأثر الأندلسي في فنون المغرب في عصر المرابطين ثم الموحدين من بعدهم ومن تبعهم من بنى مزين وبنى ريان وبنى حفص، وفي ذلك يقول ابن غالب عند ثنائه على الأندلس وأهلها: «وأهل الأندلس عرب في الأنساب والعزة والأنفة. وعلو الهمم وفصاحة الألسن وطيب النفوس وإباء القيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنية، هندیون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم، بغداديون في ظرفهم ونظافتهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم، يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناب الفواكه وتديبرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وأصناف الزهر فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة» ثم أضاف ابن غالب: ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الأقصى من بر العدو مع بلاد إفريقية، فأما أهل البادية فمالوا في البوادي إلى ما اعتادوه، وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحى الطاحنة بالماء وغير ذلك، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرفت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات، وأما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر واستوطنوها، فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الأموال والمستعملون في أمور المملكة، وأما أهل الصنائع فإنهم

(١) عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامي) ص ٨٣٢.

فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأهملوا أعمالهم وصيروهم أتباعاً لهم ومتصرفين بين أيديهم، ومتى دخلوا فى شغل عملوه فى أقرب مدة وأفرغوا فيه أنواع الحذق والتجريد وما يميلون به النفوس إليهم، ويكفى فى الإنصاف أن أقول إن حضرة مراکش هى بغداد المغرب، وهى أعظم ما فى بر العدو، وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها إنما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن، وكانوا يجلبون لها صنائع الأندلس من جزيرتهم^(١).

وإذا تتبعنا الأثر الأندلسى فى بلاد المغرب وجدنا أنه بدأ منذ عصر المرابطين ووضح أكثر فى عصر الموحدين، فقد أحاط المرابطون والموحدون من بعدهم أنفسهم بعدد من أدباء الأندلس وعلمائه وكتابه^(٢) وقد عبر المراكشى عن كثرة الكتاب الأندلسيين فى بلاط أمير المسلمين على بن يوسف فقال «واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه فى عصر من الأعصار»^(٣) ومن هؤلاء الكتاب يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى يكنى أبا بكر ويعرف بابن الصيرفى^(٤) من أهل غرناطة كان من أعلام العصر المرابطى فى البلاغة والأدب والتاريخ وكان من الكتاب المجيدين والشعراء المطبوعين كتب بغرناطة عن الأمير تاشفين بن على، أيام كان والياً على الأندلس وألف كتاباً فى تاريخ الأندلس أسماه «الأنوار الجليلة فى أخبار الدولة المرابطية» وكتاباً آخر سماه «قصص الأبناء وسياسة الرؤساء» وهما مؤلفان لم يصل إلينا ولم يصل إلينا سوى شذور نقلها المتأخرون أمثال ابن الخطيب وغيره^(٥).

وكان من هؤلاء الوزراء والكتّاب أيضاً، على بن عبد العزيز ابن الإمام الأنصارى، وهو سرقسطى الأصل، سكن غرناطة، وكان من الكتاب المجيدين وأهل البلاغة والفصاحة.

(١) المقرئ: نفع الطيب: ج ١٠٥ - ص ١٥١ - ص ١٥٢ - ص ١٥٣.

(٢) J. F. P. Hopkins: Medieval Muslim, P. 12.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٢٢٧.

(٤) ترجم له ابن سعيد فى المغرب ج ٢ ص ١١٨ وابن الخطيب فى الإحاطة مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥.

(٥) انظر ترجمة ابن الصيرفى فى ابن الخطيب: الإحاطة مخطوط الاسكوريال، لوحة ٤١٥ والإحاطة محقق ج ١ ص ١٠٨ هامش رقم ١.

وزر للأمير أبي طاهر تميم بن يوسف أيام ولايته لغرناطة، ثم كتب من بعده لأخيه الأمير على بن يوسف^(١).

هذا وقد أثرت الحياة الأندلسية الرفيعة على حياة البربر الجافية، فقد انغمس البربر من المرابطين ثم الموحدين وعلى رأسهم الأحرار والسادة في حياة الترف واللهو، يقول المراكشي عن المرابطين في أواخر أيامهم: «واختلت حال أمير المؤمنين رحمه الله بعد الخمسمائة اختلالاً شديداً فظهرت في بلاده مناكر كثيرة وانتهوا في ذلك إلى التصريح، فصار كل منهم يصرح بأنه خير من أمير المسلمين وأحق بالأمر منه»^(٢).

ويقول أيضاً «واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر ومأجور، وأمير المسلمين في ذلك كله يتزايد تغافله، ويقوى ضعفه»^(٣).

كانت هذه بعض العوامل التي أثرت في الحياة الاجتماعية ليس فقط في إقليم غرناطة ولكن في كل شبه الجزيرة الأندلسية التي خضعت للمرابطين ثم الموحدين وسوف تتضح هذه العوامل أكثر من خلال تعرضنا للحياة الاجتماعية في غرناطة.

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: نفس المخطوط، لوحة رقم ٣٣١.

(٢) المراكشي: المعجب: ص ٢٤١.

(٣) المراكشي: المصدر السابق: نفس الصفحة.

عناصر المجتمع الغرناطي

شهد إقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين عدة عناصر مختلفة شكلت هذا المجتمع فأثرت فيه وتأثرت به ومن هذه العناصر: البربر - الأندلسيون - أهل الذمة.

البربر^(١)

وجود البربر في الأندلس طرأ مع الفتح الإسلامي، فمع هذا الفتح تدفقت جموعهم نحو الأندلس واندمجت الموجات الأولى مع العناصر العربية الأندلسية^(٢).

وفي العصر الأموي في الأندلس، شارك البربر في تحقيق النصر لعبد الرحمن الداخل على اليمانية، بعرب الأندلس، حين خاطبوا عبد الغفار اليحصبي بوجوب الانضمام لعبد الرحمن الداخل^(٣).

وعندما سيطر الأمويون على الأندلس لم يغيروا من وضع البربر الاجتماعي واكتفوا بالسماح لهم بالدخول إلى الأندلس والحياة فيها إلى جانب العناصر الأخرى، ولكن البربر رأوا أن ذلك لا يكفيهم.

فبدءوا يشاركون في الثورة خلال القرن الثالث الهجري، كما فعل موسى بن ذي

(١) يذكر ابن حزم الأندلسي أن البربر «من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام وادعت طائفة منهم إلى اليمن إلى حمير وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان» انظر ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦١ تحقيق ليفي بروفنسال، طبعة دار المعارف بمصر.

(٢) حسين مؤنس: فجر الأندلس: ص ٣٩٦ «استقر كثير من جند الجيش الغازي ببلاد الأندلس ولم يعد أحد منهم إلى إفريقية بل تزوجوا من نساء أهل البلاد» انظر لطفى عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص ٣٢.

Levi Provencal, L'Esp. M. aux. Sp, P. 20.

(٣) ابن القوطية: (محمد بن عمرو بن عبد العزيز) تاريخ افتتاح الأندلس: تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، سنة ١٩٧٥، ط ربيرا سنة ١٩٦٨ ص ٥٠.

النون سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م)^(١) حين ثار بقلعة رباح^(٢)، وتحصن فيها منادياً بنفسه أميراً عليها.

ويذكر حسين مؤنس أن خياة البربر قد تميزت بالاستقرار والمشاركة في الجهاد الذي غلب على عهد عبد الرحمن الناصر وقد فضلت أقلية منهم السكن في المدن، وحين تغلب عبد الرحمن الناصر على أجزاء المغرب، فتح باب الاتصال بين الأندلس والمغرب فهاجر كثيرون من البربر إلى الأندلس واستقروا في جنوبها^(٣) وفي الوسط والشرق^(٤).

ولم تلبث قبيلة زناتة البترية أن أقبلت على الدعوة الأموية وأيدت الخليفة عبد الرحمن الناصر، فدخلت قبيلة مغراوة من بني يفرن (افرن) الزناتيين في طاعة الخليفة عبد الرحمن الناصر^(٥).

وفي النصف الأخير من القرن الرابع الهجري، بلغ البربر ذروة نفوذهم وأوج سلطانهم عندما رضى عنهم الحكم المستنصر وأمر باستدعائهم فأحسن قبولهم وأجزل عطاءهم وغض الطرف عن مذاهبهم^(٦).

(١) ابن حيان: المقتبس، القسم الثالث ص ١٨، مجهول: مدونة من عصر الناصر، ص ٣٣، الحميري: الروض المعطار، ص ١٤، Levi Provencal, Cronica, Anonima
(٢) «قلعة رباح قلعة من أعمال جيان وهي بين قرطبة وطليطلة وهي مدينة حسنة ولها حصون حصينة» الحميري: المصدر السابق ص ١٦٣.

(٣) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٣٨١ «استقرت جماعات كثيرة من البربر في أخصب نواحي الأندلس الجنوبية والشرقية والغربية بل كادت ناحية الجزيرة الخضراء أن تكون قاصرة عليهم، انظر: حسين مؤنس: ثورات البربر في أفريقية والأندلس ص ١٩٤ حولية كلية الآداب عدد مايو سنة ١٩٤٨.

(٤) حسين مؤنس: المرجع السابق - نفس الصفحة.

(٥) انظر ابن عذارى: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٤٣، وعن سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر تجاه البربر انظر ابن الخطيب: أعمال الاعلام ص ٢١١، ص ٢١٢، البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٢٧، ابن خلدون: العبر ج ٤ ص ٣٣، ج ٦ ص ١٣٤ - ص ١٣٦، ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ٥٤، ص ٥٥، ص ٥٦، السلاوي: الاستقصا ج ١ ص ٨٢، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥، ص ١٨٤.

(٦) ابن حيان: المقتبس ج ٢ ص ١٩٢، ص ١٩٣ «يذكر ابن حيان أنه اجتمع للخليفة الحكم المستنصر من فرسان البربر ما يقارب السبعمائة فارس حيث وفدت عليه قبائل زناتة ومغراوة من المغرب تملن طاعتها وانضواؤها تحت لوائه» انظر ابن حيان: المقتبس ج ٢ ص ١٧٤، ص ١٧٥، ص ١٩٣، انظر أيضاً ابن خلدون: العبر ج ٤ ص ١٤٦.

وقد حفل عهد المنصور بن أبى عامر^(١) وابنه عبد الملك^(٢) بوصول أعداد كثيرة من بربر العدو ومنهم كون ابن أبى عامر بطانة تغلب بها على أقوى المنافسين له من وزراء الدولة الأموية وكون منهم جيشاً تحت إمرته^(٣)، ولقد ساعد ذلك على قدوم أعداد هائلة من البربر فزاد عددهم زيادة كبيرة، ويشير ابن حزم إلى زيادة عدد بيوتات البربر فى عهده^(٤).

ويذكر عبد الله عنان أنه بعد انحلال الدولة الأموية وسقوطها إثر الفتنة البربرية التى عمت قرطبة، تكاثرت الهجرة البربرية إلى الأندلس، حيث كان لصنهاجة دور بارز فيها^(٥)، ففى غرناطة استقر بنو زيرى الصنهاجيون فأقام حبوس بن ماكس إمارة فيها وكون لها جيشاً وعقد بينه وبين الأمراء من جيرانه روابط المودة^(٦)، وحاول التوسع فاستولى على قبرة وجيان، ثم خلفه ابنه باديس فكانت بينه وبين زهير العامرى، صاحب المرية حرب قتل فيها زهير^(٧) فى آخر شوال ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م، ثم تطلع إلى ما فى يد بنى حمود وكانوا قد ضعفوا فى مالقة فانتزعها منهم، ونارح ابن عباد من أجل الفور بتلك المدينة، فكان له النصر عليه^(٨)، وقد طال حكم باديس وعهد بشنون الدولة إلى وزيره اليهودى ابن النغيلة،

(١) ابن الخطيب - المصدر السابق ص ٦٣ .

(٢) ابن الخطيب: نفس المصدر ص ٨٧ .

(٣) ابن عذارى: البيان السابق ج ٢ ص ٢٧٨، ص ٢٧٩، ابن خلدون: العبر ج ٤ ص ١٤٧، بلغ عدد البربر فى إحدى فرق الجيش ثلاثة آلاف فارس .

(٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٨ - ص ٥٠٢ .

(٥) انظر عنهم عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر ملوك الطوائف ص ٤٤ وما بعدها، ص ١١٨ وما بعدها، إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى ص ١٣ .

(٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام قسم ٣ ص ٦٨، اللوحة البدرية فى أخبار الدولة النصرية، ص ٣١ راجع أخبار حبوس بن مانحسن فى التبيان ص ٢٥، ص ٢٦، ابن عذارى: البيان ج ٣ ص ٢٦٤ .

(٧) ابن بسام: الذخيرة: القسم الأول المجلد الثانى ص ١٦٦ - ص ١٦٩ ابن عذارى: المصدر السابق ج ٣ ص ١٦٩ - ص ١٧٢، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٢٧٤ - ص ٢٧٥ .

(٨) عن الصراع بين باديس وبنى عباد انظر ابن عذارى: البيان ج ٣ ص ١٩٩ - ٢٧٤، ٢٧٥، ابن خلدون ج ٦ ص ١٨٠، المراكشى: المعجب ص ١٢١ ابن بسام: الذخيرة قسم ٤ مجلد ١، ابن عذارى: ج ٣ ص ٢٧٤، ص ٢٧٥ عبد الله بن بلقين: التبيان، ص ٣٤، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م - ص ٣٣٧ .

وزاد نفوذ النساء فى القصر^(١)، ولما توفى باديس خلفه حفيده عبد الله بن بلقين، وتجددت المنافسة بينه وبين ابن عباد إلى أن سقطت طليطلة فى يد ألفونسو السادس ملك قشتالة^(٢) واتفق الأمراء فى الأندلس على الاستعانة بالمرابطين، وكان المرابطون هم الذين قضوا على عبد الله بن بلقين^(٣).

ومنذ ذلك الحين تدفق البربر على غرناطة، ويعلل حسين مؤنس ذلك بأنها أقرب إلى بر العدو^(٤) من ناحية ولأن معظم أهلها من بربر أفريقية من ناحية أخرى، هذا وقد بلغ دور صنهاجة ذروته مع الفتح الرابطة^(٥) فأنزلوا قبائلهم فى الثغور^(٦) والمدن ومما يدل على كثرة البربر فى غرناطة ما ذكر ابن الخطيب من أن بها من «البربر والمهاجرة الكثير»^(٧) «والبربر منهم يرجع إلى قبائله البرينية والزناية والمغراوية»^(٨).

ولما فتح الموحدون الأندلس ساروا على سنة أسلافهم فأسكنوا الموحديين مدن الأندلس وثغوره، بدأ عبد المؤمن بن على هذه السياسة^(٩) وسار خلفاؤه عليها.

-
- (١) ابن عذارى: المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٦، التبيان ص ٤٢.
- (١) عن سقوط طليطلة انظر ابن بسام: الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ١٦٣ وما بعدها، المقرئ: نفع الطيب ج ٤ ص ٦٢، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٦٩ - ص ٧٠ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ٢٣٥، عبد السلام الطود: بنو عباد بأشبيلية ص ١٣٥، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ص ١١٠، الحجى: التاريخ الأندلسى الطبعة الأولى ص ٣٣٧.
- (٣) ابن أبى رزع: الأنيس المطرب ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥ مجهول: الحلل الموشية ص ٧٣، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١٠٣.
- (٤) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين والموحدين مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) مجلد ١١ ج ٢ ص ٩٧ سنة ١٩٤٩ م.
- (٥) عنان: دولة الإسلام فى الأندلس (عصر الطوائف) ص ٤٤، ص ١١٨ وما بعدها، إحسان عباس: الأدب الأندلسى: عصر الطوائف والمرابطين ص ١٣، ص ١٤، التبيان: ص ١٧٦.
- (٦) الونشريشى: (أبو العباس يحيى) المعيار المغرب ج ٣ ص ٣٠٦، مؤلف مجهول: ذكر بعض مشاهير فاس فى القديم، تحقيق عبد القادو زمامة مجلة البحث العلمى الرباط ص ٥٢ سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥.
- (٧) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٣٤.
- (٨) ابن الخطيب: المصدر السابق ج ١ ص ١٣٦.
- (٩) البيذق: أخبار المهدي: ص ١٢٥ - ١٢٧.

ولما فتح يوسف بن عبد المؤمن شرق الأندلس أنزل زناتة بلنسية وأنزل صنهاجة^(١) ومسكورة^(٢) في شاطبة ومرسية وأنزل أهل تينمل^(٣) في لورقة كما أنزل قبيلة جومية^(٤) في المرية وبرشانة من إقليم غرناطة ولقد اختلفت مهن البربر تبعاً لأوضاعهم فقد عملوا في التجارة^(٥)

(١) احتلت قبائل صنهاجة مساحات شاسعة من المغرب إذ امتدت من نول لمطة في جنوب المغرب الأقصى إلى القيروان في إفريقية حيث أقاموا في المناطق الصحراوية، انظر ابن الخطيب: أعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٢٥ تحقيق العبادي، بن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص ١٠١، حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٤، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٦٩٠.

J.S.Trimingham, A History of Islam in West Africa, P.; 20

يقول ابن خلدون «هذا القبيل من أوفى قبائل البربر وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما بعده لا يكاد قطر من الاقطار يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول البربر» ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ١٥٢ عن صنهاجة انظر ابن الخطيب: أعمال الاعلام القسم الثالث، العبادي ص ٢٢٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٢٨، السلاوي: الاستقصا ج ٢ ص ٣، يذكر عبد العزيز بن عبد الله أن صنهاجة ضمت مجموعة كبيرة من القبائل بلغة سبعين قبيلة: عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب ج ١ ص ١٠٠.

(٢) أما مسكورة فقد وصفهم ابن خلدون بقوله «وأما مسكورة وهم لهذا العهد في عداد المصامدة وينسبون إلى دعوة الموحدين وهم أمم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن إلى تادلا من جانب الشرق إلى درعة من جانب القبلة «ابن خلدون» نفس المصدر ج ٦ ص ٢٠٣.

(٣) أهل تينمل وترجع أهميتها لانضمامها للدعوة الجديدة وإقامة المهدي بين ظهرائهم ومن هنا اكتسبوا منزلة بين القبائل «يقول ابن القطان» وكذا تينمل إخوتهم - أي أخوة قبيلة هرغة - في التعصب على دعوة المهدي والاشتغال عليه والقيام بأمره حتى تحيز إليهم وبني داره ومسجده بينهم فكان يعطيهم من الفء بقدر عظيم.

ابن القطان نظم الجمان ص ٣٠، البيهقي: أخبار المهدي، ابن خلدون نفس المصدر: ج ٦ ص ٢٦٧.

(٤) وكومية تستتب إلى قبائل البتر وهم يعرفون قديما بصطفورة بطن من بني فاتن بن تامصبت بن ضرى بن رجيح بن ماذغيش الأبر وهو أبناء عم زناتة، السلاوي: الاستقصا: ج ٢ ص ٩٩ البيهقي: نفس المصدر ص ١٢٧ عن كومية: انظر ابن خلدون: العبر ج ٦، ص ١٢٦، عبد العزيز بن عبد الله: وحدة المغرب العربي ص ٥٤ مجلة تطوان عدد ١ ص ٥٦.

(٥) كان التجار المغاربة يستوردون الذهب والجلود والعاج وغيرها من البضائع من غانا ويصدرون إليها الملح والنحاس والمسبوك والاصداف وآلات الحديد المصنوع، انظر الإدريسي: وصف المغرب والأندلس ص ٦٦.

والزراعة^(١) والصناعة^(٢) وتولوا بعض الأعمال الإدارية بالإضافة إلى بعض المهن الأخرى مثل العمل في مناجم الفحم وحراسة الدروب^(٣)، هذا إلى جانب الطبقات الحاكمة من الأمراء والوزراء والقادة المرابطين^(٤) والموحدين.

أما عن علاقة البربر بأهل البلاد سواء من أهل غرناطة أو المدن الأندلسية الأخرى، فقد بينها المقرئ بقوله «عرف أهل الأندلس ببغضهم وعداوتهم للبربر فلا تجد أندلسياً إلا مبغضاً بربرياً، وبالعكس إلا أن البربر^(٥) أحوج إلى أهل الأندلس لوجود بعض الأشياء عندهم وفقدتهم في بلاد البربر» وهم في نظر الأندلسيين نكد وشؤم والدماء عندهم^(٦) هوان «وإذا غضبوا قتلوا أو جرحوا»^(٧).

(١) اتخذت قبائل البربر الفلاحة مهنة لهم يتوارثونها فكانوا يزرعون الأرض مستغلين الظروف الطبيعية في استثمار المحاصيل الزراعية المختلفة، فقبائل المصامدة اهتموا بالزراعة وغرس الأشجار، انظر Terrasse: Histoire du Maroc.; P. 22 كذلك قبائل دكالة اهتمت الزراعة وقامت بزراعة البساتين والحدائق المختلفة، انظر مجهول: الاستبصار ص ٢٠٩ أما قبائل تامسنا فقد اشتغلت بالزراعة، وصفهم الإدريسي بقوله «وقبائل تامسنا شتى متفرقة فمنهم برغواطة ومطماطة وبنو تسلت وبنو يغمران وزقارة وبعض من زنانة وبنو يخفش من زنانة وكل هذه القبائل أصحاب حرث ومواشي وجمال» انظر الإدريسي: وصف المغرب والأندلس ص ٧٠ - ص ٧١، ابن سعيد: نزهة الأنظار ج ١ ص ١٤.

(٢) حينما استولى عبد المؤمن بن علي على مراكش من يد المرابطين فإنه أبقى على أرواح الصنائع، يقول ابن الأثير (ولما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها فلما كان بعد سبعة أيام فتوى بأمان من بقي من أهلها فخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صنائع وأهل الأسواق ممن ننتفع بهم، فتركوا وأمر بإخراج القتلى من البلد فأخرجوهم» ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٣٠١، ٩ أجزاء مطبعة الاستقامة: راجع عن امتهان البربر الزراعة والصناعة

والتجارة. Terrass; Histoire du Maroc. P. 22.

(٣) مؤلف مجهول: بعض مشاهير فاس ص ٥٥، ص ٥٦.

(٤) مجهول: الحلل الموشية ص ٣٣.

(٥) المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ٢٢٨ - ص ٢٢٩ ط القاهرة سنة ١٩٤٩.

(٦) المراكشي: المعجب ص ٩٩ طبعة سنة ١٩٤٩.

(٧) ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٢٨.

وكان دخول البربر فى الحياة المدنية بصورة واسعة من الأشياء التى آلمت الأندلسيين الذين كانوا أسبق فى مجال الحياة المدنية^(١)، فأهل غرناطة رفضوا تولية ابن حماد الصنهاجى قاضياً عليهم فى سنة ٥٣٥ هـ - سنة ١٩٤١ م^(٢) ومما زاد فى هذه الفجوة بين الأندلسيين والبربر ما يسميه ابن الخطيب «النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة»^(٣).

والبربر الذين دخلوا المدينة من الأرياف أصبحوا كما يذكر حسين مؤنس طبقة جديدة حاکمة متميزة، فوجد الأندلسيون فرصة للنيل منهم بسبب أصلهم البربرى^(٤).

ويذكر الشقندى أنه لولا توسط ابن عياد لدى شعراء الأندلس فى مدح يوسف بن تاشفين «ما أجزوا له ذكرا ولا رفعوا لملكه قدرا»^(٥) وعرضوا بجهل الأمير يوسف بن تاشفين باللغة العربية^(٦).

وفى عهد الخليفة الموحدى أبى يوسف يعقوب بن عبد المؤمن وصف ابن رشد الحفيد الخليفة الموحدى بملك البربر وكان ذلك من أسباب محتته^(٧).

(١) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى ص ٨٢.

(٢) ابن بشكوال الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس ج ٢ ص ٦١٤ تحقيق عزت العطار القاهرة مكتبة الخانجى سنة ١٩٥٠ حاشية رقم (١) «هو موسى ابن حماد الصنهاجى من أهل العدو، يكنى أبا عمران كان فقيهاً حافظاً للرأى، عالماً بالمسائل والأحكام مقدماً فى معرفتها، تولى القضاء بحضرة مراکش توفى بها فى ذى القعدة من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ومولده سنة ست وأربعين» انظر المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام: ج ١ تحقيق ليفى بروفنسال، ص ٢٧٧.

(٤) حسين مؤنس: سبع وثائق جديدة صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٤٥ المجلد الثانى العدد ١ - ٢ ص ٧٥ ونصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطة إلى الموحدى معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٥ المجلد الأول عدد ٣ ص ١١٨.

(٥) المقرئ: نفع الطيب: ج ٣ ص ١٩١، طبعة دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٧.

(٦) المقرئ: المصدر السابق: نفس الجزء ونفس الصفحة.

(٧) المراكشى: المعجب: ص ٢٨٤ «فى ذلك يذكر المراكشى، فإن الحكيم أبا الوليد - رحمه الله - أخذ فى شرح كتاب الأسطاطليس صاحب كتاب المنطق، فهذه، وبسط أغراضه وزاد فيه ما رآه لائقاً به، فقال فى هذا الكتاب عند ذكره الزرافة: وكيف تتولد وبأى أرض تنشأ: «وقد رأيتها عند ملك البربر» انظر المصدر السابق، نفس الصفحة.

وعلى الرغم من أن هذا هو الطابع الغالب عند أهل غرناطة والأندلسيين عامة في نظرتهم إلى البربر، فهناك قلة من الأندلسيين - من الكتاب والفقهاء - تجاوزت الأصل البربرى ونظرت للمرابطين نظرة حب وبتجيل، فبفضل المرابطين هُزم القونسو السادس في الزلاقة، وقد أظهر الأندلسيون إعظامهم ليوسف بن تاشفين^(١).

وفى ذلك يقول المراكشى: «فلم يزل أصحاب يوسف بن تاشفين يطوون تلك الممالك مملكة مملكة إلى أن أمددت أنت لهم الجزيرة بأجمعها، فأظهروا فى أول إمرتهم من النكاية فى العدو، والدفاع عن المسلمين وحماية الثغور، ما صدق بهم الظنون، وأثلج الصدور وأقر العيون فزاد حب أهل الأندلس لهم»^(٢).

ومن هؤلاء الكتاب أبو بكر يحيى بن الصيرفى، المؤرخ الغرناطى وهو أحد الشعراء المجودين، له تاريخ مفيد قصره على الدولة اللمتونية وكان من شعرائها وخدام أمرائها توفى سنة ٥٥٧ هـ عن تسعين عاماً^(٣).

كذلك الفقيه ابن العربى الذى دافع عن المرابطين بوله «ولو لم يكن لهم فضل سوى الزلاقة لكفاهم»^(٤).

هذا وقد استغل بعض الأندلسيين لبس اللثام تشبهاً بالمرابطين لإنحاز بعض الأعمال التى تعود عليهم بالرفع مما دعا ابن عبدون إلى أن ينهى عن لبسه قائلاً «يجب أن لا يلثم إلا ضنهاجى أو لمتونى أو لمطى فإن الحشم والعبيد ومن لا يجب أن يلثم يلثمون على الناس ويهيئونهم ويأتون أبواباً من الفجور كثيرة بسبب اللثام»^(٥).

(١) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٢٦.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٢٢٦، عن ذلك انظر Dozy: Hist.: P: 300

(٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: ج ٢ ص ١١٨ «ألف كتاباً فى العصر المرابطى أسماه الأنوار الجلية فى أخبار الدولة اللمتونية المرابطية» انظر ابن الخطيب: مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥.

(٤) الونشريشى: المعيار المغرب ج ١٢ ص ١٧٩ وما بعدها.

(٥) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٢٨.

الأندلسيون:

بعد فتح الأندلس، أسلم كثير من الأسبان وقد عرفوا هؤلاء الأسبان باسم المسالمة^(١)، وقد أنجب هؤلاء المسالمة جيلاً جديداً عرفوا باسم المولدين^(٢)، وهم الذين ولدوا من آباء مسلمين فنشأوا على الإسلام.

وقد تميز القرن الخامس الهجرى بصعوبة التمييز بين العناصر والأجناس البشرية الموجودة في البلاد الأندلسية سواء من العرب أو البربر أو المسالمة أو المولدين، فقد تم التمازج بين تلك العناصر فأطلق عليهم جميعاً الأندلسيين، ويذكر Simonet[†] أن هذا اللفظ ظهر منذ القرن الثالث / أوائل العاشر الميلادي عندما اختفت ألفاظ أخرى مثل مسالمة ومولدين^(٣).

ويبدو أن هذا كان مفهوم معظم الكتاب والمؤرخين أمثال ابن عبدون حين كان يفرق بين الأندلسيين والمرابطين^(٤).

وبهذا المفهوم أيضاً استعمل اللفظ في التشكيلات العسكرية حيث يذكر ابن الخطيب في حديثه عن الأندلسيين من أهل غرناطة^(٥) «وجندهم صنفان أندلسي وبربري والأندلسي منهم يقودهم رئيس من القرابة أو حصي»^(٦) وبهذا المفهوم أيضاً استعمل ذلك

(١) لطفى عبد البديع: الإسلام في أسبانيا: ص ٢٤ انظر عن هؤلاء المولدين فيليب حتى: تاريخ العرب.

(2) Simonet: Los Mozarabes; p.XVI. Del Prolgo, Levi - Provençal: Histoire de L'Espan. P 74 - 75.

(3) Simonet: OP. Cit; Levi Provençal: OP. Cit. p. 74 - 75; Levi Provençal: L; Espagne Musulmane, P. 18 - 20.

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٩، ص ١٦.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٦.

(٦) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٣٦، «الحصي» هو الرجل الوافر العقل، انظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، هامش رقم ٤١.

اللفظ فى تشكيلات الموحدىن الإدراية، فقد كانت عندهم هيئة استشارية من أشياخ الأندلسيين^(١).

وكان من هؤلاء الأندلسيين من كانت أصوله غير عربية مثل ابن همشك^(٢) وبنى مردنيش^(٣)، كذلك يذكر ابن الخطيب أن كثيرين من أهل غرناطة أنسابهم عربية «يكثُر فيها القرشى والفهرى و الأموى والامى والأنصارى، والأوسى والخزرجى والقحطاني، والحميرى والمخزومى والتونخى والغسانى والأزدى والقيسى والمعارى والكنانى والتميمي والهذلى والبكرى والكلابى والنمرى واليعمرى والمازنى والشقفى والسلمى والفزارى والباهلى والعيسى والعذرى والحججى والضبى... والقشبرى والقضاعى»^(٤).

إلى آخر هذه الأسماء التى ترجع فى نسبها الى أصولها العربية، هذا وقد اشتغل هؤلاء الأندلسيون بمهن كثيرة فعملوا فى الزراعة والصناعة والتجارة^(٥)، ويذكر حسين مؤنس أنهم كانوا من أوفر العناصر البشرية نشاطاً وأكثرها تلاؤماً مع ظروف الحياة فى شبه الجزيرة الأندلسية^(٦).

هذا وقد اشتهر كثيرٌ من الأندلسيين فى العصر المرابطى، فكان يوسف بن تاشفين «يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ويأخذ برأيهم ويقضى على نفسه بفتياهم»^(٧) ولذلك ترك المرابطون والموحدون مناصب القضاء والفتيا فى القواعد الكبرى للأندلسيين وذلك لسبب واضح وهو أنه لم يكن بين العلماء المرابطيين من يستطيع الاضطلاع بهذه المناصب فى بلد كالأندلس، امتار قضاته بغزير علمهم، فكان أولئك

(١) انظر عنهم: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١١٢، ص ١١٣، ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤ قسم ٣ ص ٥٨ العصر الموحدى، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ٨٧، وتنظيمات الموحدين ص ٢٢٥ - ٢٥٦.

(٢) عن ابن همشك انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٣٠٥ - ٣١١، ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ١٨٠ وما بعدها.

(٣) Dozy: Recherches I.P.P. 368 - 369

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٥.

(٥) مجهول: ذكر بعض مشاهير أعيان فاس، ص ٥٦ وما بعدها.

(٦) حسين مؤنس: فجر الأندلس: ص ٤٣٥.

(٧) مجهول: الحلل الموشية: ص ٨٢، تحقيق عبد القادر زمامة، طبعة سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

القضاة الأندلسيون يتمتعون لدى العاهل المرابطى بكثير من النفوذ ولهم كلمة مسموعة فى كثير من الشئون الهامة وكانوا فى نفس الوقت رسلة لتدعيم هيئته ونفوذه لدى الشعب الأندلسى^(١).

هذا وقد بلغ من نفوذ الفقهاء والقضاة الأندلسيين أنهم كانوا يعينون فى المناصب حتى فى بلاد المغرب، فقد تولى القاضى عبد العظيم بن يزيد بن يحيى بن يزيد بن هشام الخولانى من قرية غلجر من قرى إقليم غرناطة، قضاء دكالة، ثم قضاء سلجاسة^(٢).

وقد تحدث ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة عن الأندلسيين من أهل غرناطة فوصف أخلاقهم وعاداتهم فقال «أحوال هذا القطر فى الدين وصلاح العقائد أحوال سنية والنحل فيهم معروفة فمذاهبهم على مذهب مالك بن أنس»^(٣).

ويستوقف نظرنا قوله «وصورهم حسنة وأنوفهم معتدلة وألوانهم زهر مشربة بحمرة، والستهم فصيحة عربية يتخللها غرب كثير، وتغلب عليهم الإمامة وأخلاقهم آبية فى معانى المنازعات وأنسابهم عربية، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير، ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شواء...»^(٤)، ثم يستمر فى وصف الأندلسيين من أهل غرناطة فيقول «فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»^(٥) ثم يواصل ابن الخطيب حديثه فيحدث عن نساء غرناطة فيصفهن بأنهن ذوات جمال «موصوف بالسحر وتنعم بالجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة إلا أن الطول يندر فيهن»^(٦).

(١) المراكشى: المعجب: ص ٢٢٨ وما بعدها، انظر عنان: دولة الإسلام فى الأندلس (عصر المرابطين): القسم الأول ص ٤٩٦.

(٢) ابن الزبير: أبو جعفر أحمد: صلة الصلة: ص ٣٤، القسم الأخير وهو ذيل للصلة البشكوالية فى تراجم أعلام الرباط، صححه وعلق عليه ليفى بروفنسال، الرباط ١٩٣٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٤.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٤ - ص ١٣٥، الملف المصبوغ هو الجوخ المنسوج من

الصوف، انظر ابن الخطيب: اللوحة البدرية: ص ٣٨، Dozy: Diction: p 114.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٣٥.

(٦) ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١٣٩.

هذا وقد شارك الأندلسيون من أهل غرناطة بخبرتهم فى مختلف المناصب فى الدولة، فقد عين الأندلسيون فى أهم تلك المناصب مثل القضاء والفتيا كما سبق أن ذكرت بالإضافة إلى منصب الكتابة، فكان بلاط مراكش فى عهد على بن يوسف يضم طائفة من أقدرك الكتاب الأندلسيين فى هذا العصر وكان من الطبيعى أن تعتمد الدولة اللمتونية التى نشأت فى بيئة من البداوة والتششف فى شئون الكتابة على أقطاب البلاغة من الكتاب الأندلسيين وأن يكون أولئك الكتاب ألسنتها لدى الشعب الأندلسى الذى اعتاد على أساليب الكتابة الراقية^(١).

وفى العصر الموحدى اتخذ الخلفاء الموحدون والسادة من الولاة سواء بالمغرب أو الأندلس أبلغ كتاب العصر من الكتاب الأندلسيين^(٢).

وكما تأثر خلفاء الموحدين بعلمائهم وأدبائهم فقد تأثروا أيضا برجال الفن الأندلسيين ومهندسيهم ونخص بالذكر منهم مهندسين اشتركوا فى تشييد معظم آثار بنى عبد المؤمن، وهما أحمد بن باسة عريف البنائين فى الأندلس، والحاج يعيش المالقى^(٣) الذى اشترك فى بناء حصن جبل طارق^(٤)، واستفاد الموحدون من ابن رشد الحفيد وابن طفيل الوادى أشى وابن جعفر الذهبى وغيرهم فى الطب والصيدلة^(٥).

وهكذا نرى أن المرابطين والموحدين لم يستطيعوا أن يزاحموا الأندلسيين فى مراكز القضاء والفتيا والكتابة والحسبة وغيرها من الوظائف الهامة التى شغلها الأندلسيون دون منازع.

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٤٩، عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين: ص ٤١٧.

(٢) عنان: المرجع السابق: ص ٣٦٣ عصر الموحدين.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٩٧.

P. Antuna Melchor, Sevilla y sus monumentos Arabes, P.P. 131 - 133.

Torres Balbas, Arquitectos Andaluces de los Epocas Almoravidey Almohade; Al -

Andalus, 1946, Face 1, P.P. 214 - 224.

(٤) عن ذلك انظر: عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامى): ص ٨٣٥.

(٥) عن هؤلاء انظر: ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء: ج ٢ ص ٦٦ - ٨٩.

أهل الذمة:

بجانب العنصرين البربري والأندلسي أقام في غرناطة خليط عجيب من أصول أسبانية^(١) ممن احتفظوا بديانتهم (سواء المسيحية أو اليهودية) وعاشوا في كنف الدولة الإسلامية وهؤلاء سمووا بأهل الذمة^(٢) كما أطلقت عليهم الروايات اسم الروم المعاهدة^(٣) أو النصارى المعاهدين^(٤) أو المعاهدين فقط^(٥)، ويندرج تحت هذا اللفظ أيضًا:

(١) لطفى عبد البديع: الإسلام في أسبانيا: ص ٢٧، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم من ٢٣٠، العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١١٧.

(٢) أهل الذمة: النصارى المعاهدون أو المستعربون بالأسبانية Los Mozarabes وهم النصارى الذين بقوا بعد الفتح الإسلامى فى الأندلس حيث سكنوا المدن والبقاع المفتوحة تحت حكم الدولة الإسلامية، وكانوا يكونون أقليات كبيرة فى القواعد الرئيسية مثل قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغرناطة ويتمتعون فى ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلى، ويطبقون شرائعهم الدينية، ولهم قضاؤهم الخاص ولهم كنائسهم يزاولون شعائرهم الدينية، وكانوا فوق ذلك يتمتعون بنفوذ قوى ويحتل الكثير منهم مناصب عامة فى الجيش والحكومة، وقد أنشأت الحكومة الإسلامية فى الأندلس - اعترافًا منها بأهمية الأقليات النصرانية - منصب القومس للنصارى ليكون مرجعهم الرئيسى فى شئونهم الروحية وكان القومس من الشخصيات ذات النفوذ، ولما نمت هذه الأقليات النصرانية وازدهرت، بدأت فى مناوأة الحكومة الإسلامية وتدمير الدسائس ضدها، وكانت عضد الثورات المختلفة فى المدن والمقاطعات الثائرة ولا سيما طليطلة وما يجاورها من المدن القريبة من حدود النصارى «وسوف نرى ما فعله المعاهدة من استدعائهم ابن رزمير لغزو غرناطة، ومن الغرب أنهم مع بغضهم للإسلام والحكومة الإسلامية كانوا يأخذون بسقط وافر من التقاليد الإسلامية وكانوا يتكلمون العربية ويستعملونها فى معاملتهم، ولبت النصارى المعاهدة على مر العصور شوكة فى جنب الإسلام، وفى تاريخ النصارى المعاهدين خصص العلماء الأسبان مصنفات كثيرة فى تاريخ المعاهدين منهم المستشرق Simonet الذى وضع مؤلفًا كبيرًا عنوانه.

Historia de Los Mozarabes de Espagne

عن النصارى المعاهدة انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤، ابن عذارى: البيان، ج ٤ ص ٤٠.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٤٠، وسمى أيضًا المعاهدة بالروم البلديين.

(٤) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٦٩ - ٧٣، ابن الخطيب: المصدر السابق: نفس النسخات.

اليهود^(١) الذين يسميهم ابن صاحب الصلاة في كتابه المن بالإمامة «اليهود الإسلاميين»^(٢) وهم اليهود الذين عاشوا في ظل السيادة الإسلامية.

ولقد سكن أهل الذمة من النصارى واليهود في سائر المدن الأندلسية^(٣) كما يلاحظ انتشارهم الواسع في أرياف الأندلس أيضاً^(٤).

ومنذ عصر الطوائف تدفقت موجات كبيرة من اليهود إلى الجنوب حيث كان لهم شأن كبير في مملكة غرناطة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري^(٥)، وصارت تضم أكبر جالية يهودية، فسميت بغرناطة اليهود^(٦)، لكثرة اليهود النازلين بها، كما كشفت حملة ابن رزمير^(٧) في سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م والتي هاجم فيها الأندلس من الشمال حتى الجنوب وعاث في أقطاره فساداً، فهي تدل على مدى انتشارهم الواسع وخاصة في غرناطة^(٨) فيذكر ابن عذارى «إن الأمير أبا طاهر - والي غرناطة - لما هم بثقافتهم أعياء ذلك لكثرتهم وبعد أقطارهم»^(٩).

كان لاستقرار أهل الذمة من اليهود والنصارى في أرياف الأندلس وخاصة غرناطة أن

(١) ابن الخطيب: نفس المصدر: نفس الصفحات.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١.

(٣) ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٣٩ - ص ٤١ ج ٤، قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٥٠ - ص ٥٣، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص ٩١، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٣، ص ٢٤، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١، وما بعدها.

(٤) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢٣، ص ١٠٨، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٣٦، الحميري: الروض المعطار: ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٥) الحميري: المصدر السابق: ص ٢٣، التبيان: ص ٣٢.

(٦) الحميري: الروض المعطار: ص ٢٣.

(٧) هو الفونسو الأول ملك أراجون ويعرف في الروايات العربية باسم ابن رزمير وكان صعب المراس حتى أنه لقب بالمحارب، انظر ابن عذارى: البيان: ج ١ ص ١٠٨ - ص ١١٤، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ٩١، أمبرسيو هوشي ميراندا: على بن يوسف وأعماله في الأندلس، مجلة تطوان، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد ٣ - ٤، سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩، ص ١٧٢.

(٨) ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٧٠.

عملوا في الزراعة والرعى والصيد^(١)، وقد استفاد ألفونس السادس لقشتالي من النصارى المعاهدة في غرناطة فنقل عدداً كبيراً منهم سنة ٤٨٧ هـ (١٩٠٤ م) لعمارة أرض طليطلة^(٢).

وفى ذلك يقول ابن عذارى «واتصل النبا بإذفونش - وقحه الله - وقد تجاوز في نصف طريقة لنصرة لزريق، وبلغه هديته من نهب المحلة، فكره أن يفرق جمعه وينظف جيشه، فقصد أرض وادى آشى من نظر غرناطة، فتردد في جهاتها، واكتسح ما ألقاه بها وحمل جملة من رعيها المعاهدة لعمارة أرض طليطلة^(٣)».

كما عمل أهل الذمة وخاصة اليهود في صناعة الذهب والفضة والنحاس وما يصاغ منها^(٤)، ويؤكد هذا ابن يوسف الحكيم فيذكر: أن أهل الذمة وخاصة اليهود كانوا يشتغلون في الصياغة والصيرفة^(٥)، أما الخطط الإدارية مثل الكتابة والحجابه والوزارة فلم نسمع عن تولى ذمى لآى من هذه المناصب فى عصر المرابطين والموحدين على الرغم من تولى هذه الوظائف فى عصر ملوك الطوائف^(٦).

ولكن تولى بعض الذميين أعمال الحجابه فى عهد الأمير المرابطى على بن يوسف اذ يذكر ابن الأثير أن على بن يوسف استعمل جنده الرومى فى أعمال الحجابه^(٧)، ويتضح من

(١) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢ - ص ١٠٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٤٣ - ص ١٤٤، ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٧١.

(٢) حيث جلب النصارى المعاهدة الاقوات والعلوفات لجيش ألفونسو المحارب» انظر: ابن عذارى، المصدر السابق ص ٧٩.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٣٦.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٣٦.

(٥) Goitein, Jews and Arabs; P. 115.

(٦) ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، تحقيق حسين مؤنس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد: سنة ١٣٧٩ / ١٩٦٠، ص ١١٥ - ص ١١٦.

(٧) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢.

(٨) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ٥٧٣، ابن عذارى: المصدر السابق: ص ٢٦ عن ذلك انظر: حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١١، حركات: المغرب عبر التاريخ: ص ٢٢٩، ليفى بروفنسال: الإسلام فى المغرب والأندلس: ص ٢٢٧، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، ابن عذارى: المصدر السابق: ص ٢٦.

هذا أن أهل الذمة استخدمهم المرابطون ثم الموحدون فى بعض فرق الجيش^(١)، يقول ابن عذارى «وفى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة خرج تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزناتة لقتال الموحدين ومعه جمع من النصارى مع قائدهم الربرير فبقى يحاربهم نحو شهرين، ثم رجع إلى مراکش»^(٢).

بالإضافة إلى هذه المهنة نجد أهل الذمة يقومون بالاشتغال بتدريس العلوم المختلفة والعمل فى مجال الطب مما جعل ابن عبدون ينهى عن عمل اليهود والنصارى فى هذا المجال فهم غير أمناء فى نقل العلوم، قال «يجب أن لا يباع من اليهود ولا من النصارى كتاب علم إلا ما كان من شريعتهم فإنهم يترجمون كتب العلوم وينسبوننها إلى أهلهم وأساقفتهم وهى من تواليف المسلمين»^(٣)، كما كان يشك فى نصيحتهم الخاصة للمرضى المسلمين «لا يترك طبيب يهودى أو نصرانى أن يجلس لطبيب المسلمين فإنهم لا يرون نصيحة مسلم إلا أن يطيخوا أهل ملتهم»^(٤) ولذلك راعى ابن عبدون «ألا يعالج يهودى أو نصرانى»^(٥) مسلماً.

وقد بلغ أهل الذمة قدراً كبيراً من الثراء وخاصة اليهود مما دفع ابن تاشفين إلى فرض أموال كثيرة عليهم ليستعين بها فى دعم مركزه^(٦)، يقول ابن عذارى «فيها أى سنة ٣٦٣ هـ افترض على اليهود ضريبة ثقيلة فى جميع طاعته اجتمع له فيها مائة ألف دينار عشرية نيف على ثلاثة عشر ألف دينار»^(٧) وذلك يدل على ما كان يتمتع به أهل الذمة من ثراء كبير.

(١) ابن الأثير: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة، ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٩٨، انظر حسن محمود قيام دولة المرابطين نفس المرجع والصفحة، أشباح: ج ٢ ص ٢٣٩ وعن استخدام النصارى المعاهدين فى العصر الموحدى وعصر عبد المؤمن بن على وابنه يوسف انظر أخبار المهدي: ص ١٢٧.

J.F.P.: Hopkins; Medieval Muslim; P. 69.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٩٨.

(٣) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٥٧.

(٤) ابن عبدون: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) ابن عذارى: نفس المصدر: ص ٥٥.

(٦) ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٢٣.

(٧) ابن عذارى: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.

هذا وقد تأثرت فئة أهل الذمة بالتطورات السياسية التي طرأت على الأندلس كما سبق القول فبسيطرة المرابطين ومن جاء بعدهم من الموحيدين تغيرت أوضاع أهل الذمة من النصارى واليهود، فبالنسبة للمعاصرين النصارى، فقد التزمت الدولة تجاههم بتعاليم الشريعة الإسلامية وهي أن يختاروا أحد أمرين: إما الدخول في الإسلام، أو دفع الجزية^(١) ومن الواضح أن أغلب هؤلاء النصارى رضوا بدفع الجزية^(٢).

هذا وقد اختلفت أوضاع أهل الذمة من المعاهدة في عصر المرابطين والموحيدين، عنها في عصر ملوك الطوائف، حيث عاش هؤلاء المعاهدة في ظل انتعاش اقتصادي لم يألوه من قبل ولم يواجههم أى اضطهاد يذكر^(٣)، فقويت شوكتهم وخاصة في غرناطة^(٤)، يقول ابن عذارى: واكتسبوا الجاه والمال واستطالوا على المسلمين^(٥) وتعسفوا في جباية الضرائب، ويقول ابن الكردبوس: إن ملوك الطوائف وكلوا أمور المسلمين إلى اليهود فعاثوا فيها عيث الأسود^(٦) فكانت هذه العوامل سبباً في بغضهم والثورة عليهم وخاصة في غرناطة^(٧).

وفي عهد الأمير على بن يوسف بن تاشفين قام النصارى المعاهدة في غرناطة باستدعاء ابن رزمير عدو المسلمين وزينوا له اقتحام غرناطة^(٨)، يقول ابن الخطيب: «ولما تحركت

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية: ص ١٤٢، الرئيس: الخراج والنظم المالية: ص ١٢٢، صبحي الصالح: النظم الإسلامية: ص ٣٦٣.

(٢) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحيدين: ج ١ ص ١٧.

(٣) Levi Provencal, Histoire de L'Espagne Musulmane, 1 P.P. 80 - 81

(٤) ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١١٤، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٣ ص ٢٦٤، عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٤٥.

(٥) ابن عذارى: نفس المصدر: نفس الجزء والصفحة.

(٦) ابن الكردبوس: الاكتفاء: ص ٧٨.

(٧) عن ثورة أهل غرناطة على اليهود ومقتل ابن التفريلة اليهودي انظر عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٥٤، ابن بسم: الذخيرة: ج ١ قسم ٢ ص ٢٧٨ وما بعدها، المقرئ: النفع: ج ٤ ص ٣٢٢.

(٨) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٦٩ - ص ٧٠ ابن رزمير هو الاسم الذي تطلقه الرواية الإسلامية على ألفونسو الأول ملك اراجون (١١٠٥ - ١١٣٤) نسبة إلى اسم أبيه راميرو، وقد كان ملكاً مقداماً وهو الذي افتتح سرقسطة من يد المسلمين في سنة ١١٨ م وانتزع إلى جانبها باقى قواعد الثغر الأعلى، وفي سنة ١١٢٥ م (٥٩٨ هـ) خرج بقواته استجابة =

لعدو الله الطاغية ابن رزمير ربح الظهور، على عهد الدولة المرابطية قبل أن يخص الله شوكته على افراغة بما هو مشهور، أملت المعاهدة^(١) من النصارى لهذه الكورة إدراك الثرة وأطمعت في المملكة فخطبوا ابن رزمير من هذه الأقطار، وتوالت عليهم كتبهم وتواترت رسلهم ملحة بالاستدعاء مفعمة في دخول غرناطة فلما أبطأ عنهم، وجهوا إليه زماما على اثني عشر ألفا من أتجاد مقاتليهم فاستأثروا طمعه وابتعثوا جشعه واستفزوه بأوصاف غرناطة وما لها من الفضائل على سائر البلاد وبفحصها الأفيج وكثرة فوائدها من القمح والشعير والكتان وكثرة المرافق.^(٢)

فكانت هذه الأحداث وموقف أهل الذمة من المسلمين سببا في أن دفعت أمير المسلمين على بن يوسف إلى تغريب عدد كبير من النصارى إلى المغرب الأقصى خاصة بعد أن عبر ابن رشد^(٣) إلى أمير المسلمين على بن يوسف وأفتاه بتغريب هؤلاء النصارى وغيرهم ممن يتعاونون مع العدو^(٤).

يقول صاحب الحلل الموشية «وفي سنة ٥١٩ هـ جاز القاضي أبو الوليد ابن رشد إلى مراكش فتلقيه أمير المسلمين على بن يوسف بالميرة والكرامة وبين له القاضي أمر الأندلس وما أصيبت به من النصارى المعاهدين بها وما جروه إليها وجنده عليها من استدعاء ابن رزمير وتقريته على المسلمين وإمداده وما في ذلك من نقض العهد والخروج على الذمة فلقى نظره بالقبول وأفتاه بتغريبهم وإجلالهم عن أوطانهم وهو أحق ما يؤخذ به في

= لتحريض النصارى المعاهدين إلى الغزوة المذكورة والتي يصفها كل من ابن عذارى وابن الخطيب».

(١) المعاهدة هم النصارى الذين شرحنا أحوالهم فيما تقدم وسموا كذلك بسبب المعاهدات التي ارتضى المسلمون عقدها معهم وسمح لهم فيها أن يحتفظوا بدينهم مقابل دفع الجزية، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٨، هامش رقم ٤.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٨ - ص ١٠٩.

(٣) يذكر كل من ابن الخطيب: في الإحاطة، وصاحب كتاب الحلل الموشية أن جواز ابن رشد كان سنة ٥١٩ هـ بينما جعل ابن القطان جواز ابن رشد إلى المغرب ٥٢٢ هـ وهذا خطأ، انظر ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٧٢ هامش ٢.

(٤) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص ٩١، ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١١٤.

عقابهم، ونفذ عهده إلى جميع بلاد الأندلس بإزعاج المعاهدين إلى ناحية مكناسة وسلا وغيرها من بلاد العدو^(١).

وقد ذهب بعض الكتاب أمثال فليب حتى وكارل بروكلمان إلى القول بأن أهل الذمة قد عاشوا في كنف المرابطين في جور وظلم واضطهاد^(٢).

ولكن من الواضح أن دولة المرابطين لم تقف موقف العداء من أهل الذمة، ولم ينلهم جور أو تعسف، فقد حاول المرابطون جاهدين عدم الخروج عن منهج الشريعة الإسلامية، ولم نجد في سياستهم ما يشير إلى مثل هذا التعسف وأن ما لحق بأهل الذمة من النصارى واليهود على أيدي المرابطين كان نتيجة لموقف النصارى المعاهدين وخاصة أهل غرناطة من المسلمين، فقد كان هؤلاء النصارى لا يدخرون وسعاً في الكيد والتآمر على المسلمين وتحريض ملوك النصارى ضدهم ومساعدتهم في الإيقاع بالمسلمين، حتى إذا سنحت الفرصة وسقطت طليطلة سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) وبعدها سرقسطة سنة ٥١٢ هـ/١١٨ م وتوالت انتصارات ألفونسو المحارب، ظن هؤلاء أنه بوسعهم أن يعملوا شيئاً لضرب الأندلس الإسلامية، فبعثوا بكتبهم ورسولهم المتوالية يلحون عليه في افتتاح غرناطة^(٣)، وتقديم المساعدة له، فشرع عندئذ أن الظروف مواتية له فقام بحملته المشهورة^(٤)، إذن تغريبهم إلى بلاد العدو كان جزاءً لهم على ما فعلوا، فقد نقضوا العهد وذلك باتصالهم بالعدو، وجعلوا من أنفسهم جواسيس يعملون لصالح العدو، فكان لا بد من إبعادهم عن مواطن الاتصال بالعدو ونقلهم إلى المغرب ليكونوا تحت المراقبة، وهذا ما فعله أمير المسلمين وهو بمثابة إجراء وقائي ضدهم حتى يأمن شرهم^(٥).

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ٩١.

(٢) فليب حتى: تاريخ العرب: ص ٧٠٤، ترجمة مبروك نافع، الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٢، كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية: ج ٢ ص ١٨٠، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، انظر

أيضاً: S. P. Scott: History of the moorish Empire, P. 247.

(٣) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٨ - ١٠٩، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٧٢.

(٤) مجهول: نفس المصدر والصفحة، ابن الخطيب: نفس المصدر والصفحة، ابن عذارى: نفس المصدر والصفحة.

(٥) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠، ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٦٩.

هذا وقد حاول دورى أن يصور هدم كنيسة غرناطة بأنه اضطهاد حل بالمعاهدين علماً بأن هذا العصر كان يشهد حرباً طاحنة فى المشرق أعلنها الصليبيون للاستيلاء على بلاد المشرق^(١)، فى الوقت الذى واجه المسلمون فى الأندلس حرباً طاحنة من قبل نصارى أسبانيا الذين أصبحوا يتحينون الفرصة للقضاء على الدولة الإسلامية فى الأندلس، وكان سقوط طليطلة ضربة قاصمة للمسلمين هناك، وما جاء المرابطون إلا لحماية الأندلس من السقوط فى أيدي نصارى أسبانيا، فكان هدم كنيسة غرناطة ما هو إلا موقف رد به المرابطون على نصارى أسبانيا الذين حولوا مسجد طليطلة الجامع إلى كنيسة، وذلك رغم تعهد ألفونسو السادس بعدم التعرض لعقائد المسلمين ومساجدهم^(٢)، وكذلك مسجد سرقسطة الجامع الذى حوله ألفونسو المحارب «ابن رذمير» إلى كنيسة^(٣) فإذا كانت هذه هى معاملة النصارى للمسلمين فلا غرو أن يهدم المرابطون كنيسة غرناطة التى يصفها ابن الخطيب بأنها فريدة فى العمران والطراز^(٤) ولم يفرق المرابطون فى معاملتهم أهل الكتاب سواء كانوا يهوداً أم نصارى، فقد فرضت الجزية على اليهود الذين يفضلون البقاء على دينهم، وربما فرضت عليهم جزية أكبر نظراً لثرائهم، كما يذكر ابن عذارى^(٥) أن فرض الضرائب لم يقتصر على اليهود فقط بل أن المرابطين قد فرضوا بعض المعونات على جميع فئات المجتمع^(٦) نظراً لحاجتهم إلى الأموال، بعد أن اتسعت رقعة دولة المرابطين وزادت نفقاتها^(٧).

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٩.

(٢) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٩.

(٣) عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين: ص ١٠١، القسم الأول.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٧.

(٥) ابن عذارى: البيان ج ٢ ص ٢٣.

(٦) لجأ المرابطون إلى فرض ضريبة جديدة على أهل الأندلس، تسمى التعتيب وذلك لبناء أسوار جديدة للمدن وترميم المتهدم منها مثل أسوار غرناطة والمريّة، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٧٠ وما بعدها.

(٧) كانت الضرائب أهم ما هاجم به ابن تومرت المرابطين حين ثار عليهم، عن ذلك انظر أعز ما يطلب ص ٢٦١ عن اشتداد الأزمة المسالمة فى أواخر عصر المرابطين، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ١٠٢.

ومما يدل على تمتع اليهود في عصر المرابطين بالأمن والطمأنينة أن علماءهم تمتعوا بحرية الكتابة والبحث والتأليف فقد نبغ منهم رجال وصل بعضهم إلى قصور الحكام، فقد ذكر ابن عذارى أن أبا عمر ينالة اللمتوني والي المرابطين على غرناطة «كان له كاتب يهودي الأعراق والأخلاق»^(١).

ومن الشعراء اليهود الذين نبغوا في عصر المرابطين الشاعر موسى بن عزرا الهالك (٥٢٢ هـ) من أهل غرناطة^(٢).

ولما قامت الدولة الموحدية، حملت الرعية على إقامة أركان الإسلام وتنفيذ أحكامه بصرامة وحزم بقصد خلق مجتمع إسلامي نقي^(٣)، ولذلك رأى الخليفة عبد المؤمن بن علي أن يحمي الشباب الموحدي من مخالطة اليهود والنصارى، شاربي الخمر وأكلى لحم الخنزير^(٤)، فأصدر أوامره بأن يخير أهل الذمة من اليهود والنصارى بين اعتناق الإسلام أو الجلاء عن البلاد، يقول النويري «وكان عبد المؤمن لا يدهن في دولته ويأخذ الحق من ولده إذا وجب عليه، قال ولا مشرك في بلاد لأنه كان إذا امتلك بلداً إسلامياً لم يترك فيه ذمياً إلا عرض عليه الإسلام، فمن أسلم سلم، ومن طلب المضى إلى بلاد النصارى أذن له في ذلك ومن أبى قتل، فجميع أهل مملكته مسلمون لا يخالطهم سواهم»^(٥) ولهذا لم تنعقد عند الموحدين ذمة يهودى أو نصرانى^(٦).

وفي عهد الخليفة أبى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن استمر موقف الموحدين من أهل الذمة حتى أن الخليفة أبا يوسف يعقوب ميزهم في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٩ م بلباس معين، يقول المراكشى: «في آخر أيام أبى يوسف أمر أن يميز (١) ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٧٧.

(٢) محمد مجيد السعيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ص ٥٤ - ص ٥٥.

(٣) إذا عرفنا أن المهدي ابن تومرت قد سفك الكثير من دماء أبناء القبائل لتمردهم، أو لشكهم في مبادئه فلا عجب أن يقتل من يهمل في تنفيذ أحكام الله - انظر ابن تومرت: أعز ما يطلب: ص ٢٥٤.

(٤) عيد على علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي: ص ٢٩٣ - ص ٢٤٠، دار المعارف.

(٥) النويري: نهاية الأرب: ج ٢٢ مخطوط ص ٩٨، مطبوع ج ٢٤ ص ٢٠.

(٦) المراكشى: المعجب: ص ٣٨٣، ابن عذارى: البيان: ج ٤ قسم ٣ القسم الموحدي: ص ٢٠٥.

اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم وذلك بشياب كحلية وأكمام مفرطة السعة تصل الى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمامات كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب، ولم يزالوا كذلك بقية أيامه وصدرا من أيام ابنه عبد الله إلى أن غيره أبو عبد الله المذكور، بعد أن توسلوا إليه بكل وسيلة واستشفعوا بكل ما يظنون أن شفاعته تنفعهم فأمر أبو عبد الله بلبسان ثياب صفر، وعمائم صفر، فهم على هذا إلى وقتنا هذا - وهو سنة ٦٢١ هـ^(١) وتطبيقاً لهذه السياسة فإن كثيرين من اليهود والنصارى غادروا البلاد فراراً بحياتهم^(٢) فهاجر كثير من اليهود إلى صقلية والمشرق^(٣).

وإذا نظرنا للدوافع التي دفعت المرابطين أيضاً لمثل هذا الموقف من أهل الذمة الذين وقفوا إلى جانب نصارى الشمال في موقعة الزلاقة وحملة ابن رذير^(٤) ثم نجدهم في العصر الموحدى يساعدون نصارى أسبانيا فيتجسسون على المسلمين لحساب ملوك النصارى، وكثيراً ما أغروهم بحرب المسلمين وغزوهم، ومن هؤلاء نصارى قرطبة الذين هياؤا لألفونسو السابع - ملك قشتالة - احتلال قرطبة سنة ٥٤٠ هـ / واحتلال قلعة رياح سنة ٥٤١ هـ واحتلال ميناء المربة الإسلامية ٥٤١ هـ وذلك قبل أن يتمكن الموحدون من فتح الأندلس، أما اليهود فقد تأمروا مع ابن همشك على الموحدين وفتحوا له باب الربض

(١) المراكشي: المصدر السابق: نفس الصفحة: المعجب: ص ٣٨٣.

(٢) محمد بحر عبد المجيد: اليهود في الأندلس: ص ٨٨، المكتبة الثقافية، عدد ٢٣٧، سنة ١٩٧٠م، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب، والأندلس: ص ٣٦٨ وفي ذلك يقول القفطى: «ولما نادى عبد المؤمن بن على الكومى البربرى المستولى على المغرب فى البلاد التى ملكها بإخراج اليهود والنصارى منها وقدر لهم مدة وشرط لمن أسلم منهم بموضعه على أسباب ارتزاقه للمسلمين وعليه ومن بقى على رأى أهل ملته فيما أن يخرج قبل الأجل الذى أجله وإما أن يكون بعد الأجل فى حكم السلطان مستهلك النفس والمال، ولما استقر هذا الأمر خرج المخفون وبقى من ثقل ظهره وشح بأهله وماله وأظهر الإسلام وأسر الكفر» القفطى (جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف): أخبار العلماء بأخبار الحكماء: ج ١ سنة ١٣٢٦ هـ، مصر ص ٢٠٩.

(3) Goitein, Studies in Islamic History, P. 311.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٧ - ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص ٩١.

بغرناطة ليلاً، فدخل ابن همشك مدينة غرناطة ليلاً وفتك بكثير من الموحدين واشتد في تعذيب المحاصرين^(١).

نضيف إلى ذلك أن الموحدين ظهوروا في فترة كانت الحرب طاحنة بين الصليبيين والمسلمين وهي فترة الحروب الصليبية فنرى الرحالة ابن جبير يشيد بالإسلام عند الموحدين فيقول: «وليتحقق المتحقق، ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب لأنهم - أي المغاربة - على جادة واحدة كما أنه لا عدل، ولا حق ولا دين على وجه إلا عند الموحدين»^(٢).

أما عن موقف الأندلسيين تجاه أهل الذمة فإننا نجد أن كتب الحسبة قد حددت تلك العلاقة فيذكر ابن عبدون أنه «يجب أن يمنع النساء المسلمات دخول الكنائس المشنوعة فإن القسيسين فسقة»^(٣) كما يجب «أن لا يذبح يهودى لمسلم ويؤمر اليهود أن يتخذوا أوضاعاً لأنفسهم»^(٤).

ويرى الجرسفى «أن يمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين فى منازلهم والتكشيف عليهم ومن إظهار الخمر والخنزير فى أسواق المسلمين ومن ركوب الخيل بالسروج والذى بما هو من رى المسلمين»^(٥).

كذلك يرى الجرسفى «بأن يمنع أهل الذمة من التزى بما هو من رى المسلمين أو بما هو أبهى وينصب عليهم علماً يمتازون به من المسلمين فى حق الرجال والجلل فى حق النساء»^(٦).

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١ وما بعدها «ستطاع ابن دهرى صهر مشرف غرناطة أن يجمع حوله طائفة من اليهود المتظاهرين بالإسلام، وعليه اعتمد ابن همشك فى التأمر علو غرناطة، فإن المسيحيين أسهموا بدورهم فى محاولة الإجهار على ظهور الموحدين، انظر المصدر السابق: نفس هامش ٥.

(٢) ابن جبير (أبو الحسن محمد): رحلة ابن جبير، القاهرة، سنة ١٩٥٥ م ص ٤٩.

(٣) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٨.

(٤) ابن عبدون: نفس المصدر، ص ٤٩ (٤) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٢.

(٥) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٢.

(٦) الجرسفى: نفس المصدر والصفحة.

كذلك يرى الجرسفى التشدد مع المسلمين الذين يقومون بخدمة أهل الذمة فقال
«ويمنع المسلمين أن يحاولوا لهم كل ما فيه حساسة أو إذلال للمسلمين كطرح الكناسة
ونقل آلات الخمر ورعاية الخنزير وشبه ذلك لما فيه من علو الكفر على الإسلام ويؤدب
من فعل ذلك»^(١).

كذلك يرى ابن عبدون «بضرورة قطع ضرب النواقيس فى بلاد الإسلام ومنع الأطباء
اليهود والنصارى من معالجة المسلمين وضرورة مراقبة الكتب التى يبيعها اليهود والنصارى
للمسلمين ما عدا كتب أهل ملتهم وضرورة حمل القسيسين على الزواج»^(٢) ونستخلص مما
سبق أن أهل الذمة من النصارى واليهود عاشوا فى ظل دولتى المرابطين والموحدين،
وأنهم واجهوا تشدداً نتيجة الظروف والأحداث التى مرت بها البلاد وموقف أهل الذمة من
المسلمين.

(١) الجرسفى: نفس المصدر والصفحة.

(٢) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٥٥ - ص ٥٧.

فئات المجتمع الغرناطى فى عصر المرابطين والموحدين

الفقهاء، والشعراء، وأهل العلم

احتل الفقهاء مكانة رفيعة فى المجتمع الأندلسى فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين فالدولة المرابطية قامت على دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية^(١)، كما قامت الدولة الموحدية على أكتاف داعية دينى هو المهدي بن تومرت، الذى احتلت تعاليمه الدينية ركنًا هامًا فى حياة الموحدين^(٢).

(١) عبد الله بن ياسين كان من تلاميذ واكاك بن زلو اللمطى حتى مر به يحيى الجدالى الذى طلب من واكاك أن يرسل معه فقيهاً ليعلم قومه العلم فأرسل معه عبد الله بن ياسين وكان موصوفاً بالعلم فسار واستقر فى بلاد الصحراء، وأخذ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى استقامت للمرابطين بلاد الصحراء وما وراءها من بلاد المصامدة والقبلة، ثم خرج بالناس لجهاد برغواطة فغزاهم فى عهد أبى بكر بن عمر فقاتلهم حتى استشهد أثناء ذلك سنة ٤٥٠ هـ، انظر القاضى عياض، ترتيب المدارك، دار الحياة، بيروت، ج ٤ ص ٧٨، عن دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية انظر ابن أبى زرع: الإنيس المطرب: ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص ١٢٨، ص ١٢٩ وما بعدها، ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم ٣ ص ٢٢٨، السلاوى: الاستقصاء: ج ٢ ص ٧ وما بعدها، ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ١٨١، العيني: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان: ج ١ ص ٢٣٢ (مخطوط).

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدي مؤسس دولة الموحدين وهو من جبل السوس الأقصى ببلاد المغرب، نشأ هناك ورحل إلى المشرق طالباً للعلم فزار هناك العراق كما حج بيت الله الحرام وأقام بمكة وقتاً من الزمن درس فيها الحديث وأصول الفقه والدين، بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مكة ثم رحل عنها إلى مصر فطرد منها وتوجه إلى المهدية ووصلها سنة ٥٠٥ هـ ومن المهدية انتقل إلى بجاية وهو ملتزم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم أخرج منها إلى ملالة - قرية قريبة من بجاية - وهناك التقى بعبد المؤمن بن على ومنها خرج مع بعض أصحابه إلى مراكش وفى مراكش جرت له مع فقهاء مناظرات فقهية ثم اضطر إلى الهروب من مراكش إلى أغمات ومنها إلى تينمل من بلاد السوس ومن هذه البلدة بدأت حركته تتخذ طابعاً عسكرياً، توفى فى تينمل سنة ٥٢٤ هـ ودفن فيها، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج ٥ ص ٤٥٦، عن ظهور الموحدين انظر ابن القطان: نظم الجمان: ص ١١١، عن ابن تومرت ودعوته الإصلاحية، انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٤٦ - ص ٢٥٥، النويرى: نهاية الأرب: ج ٢٤ ص ٢٧٧ - ص ٢٨٩، السلاوى: الاستقصاء ج ٢ ص ٨٨، المراكشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: ص ٢، ص ٣.

من هنا كانت الشريعة هي القاعدة الأساسية التي تركز عليها الدولة في سياستها وبالتالي فإن القائمين على شئون الدين والمشتغلين بعلومه احتلوا مكانة مرموقة في المجتمع^(١) سواء في المغرب أو الأندلس، وأصبحوا يؤثرون في الأحداث السياسية التي تمر بها البلاد، ففقهاء الأندلس هم الذين شرحوا أحوال الأندلس ليوسف بن تاشفين وضرورة الاستيلاء على الأندلس^(٢) يقول الحميري «وكان يوسف لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله وبالإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيستمع إليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم»^(٣)، يقول الأمير عبد الله وهو معاصر للأحداث «وجعلوا - يقصد أهل الأندلس - في شكواويهم فقهاءهم وسائط يقصدون نحوهم، منهم: الفقيه ابن القليعي قد صار خباؤه بتلك المحلة مغنطيساً لكل صادر ووارد يجد السبيل إلى الطلب للقدر الذي قدره الله»^(٤).

وعندما استدعى النصارى المعاهدة في غرناطة ابن رذمير للاستيلاء عليها أفتى الفقهاء وعلى رأسهم أبو الوليد بن رشد بتغريب هؤلاء النصارى حتى يأمن شرهم^(٥) فاحتل الفقهاء مكانة رفيعة في المجتمع وسما قدرهم وعلت منزلتهم وحظوا بالتقدير والتكريم من جانب أمراء المرابطين «وكان - أي يوسف بن تاشفين - محباً للفقهاء والعلماء والصلحاء مقرباً لهم صادراً عن رأيهم متكرماً لهم، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال حياته»^(٦).

وفي عهد الأمير على بن يوسف زادت منزلة الفقهاء والعلماء في الدولة «واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء»^(٧) ويذكر حسن محمود^(٨) أن الفقهاء رادت مكانتهم في الأندلس خاصة بعد قذوم المرابطين إليها

(١) المراكشي: المعجب: ص ٢٦٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ١٠ ص ١٥١ - ١٥٢.

(٣) الحميري: الروض المعطار: ص ٨٦.

(٤) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٩.

(٥) مجهول: الحلل الواشية: ص ٩٠ - ٩١.

(٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٣٧، ابن المؤقت: السعادة الأبدية: ج ٢ ص ٨٩، ابن

القاضي: جزوة الاقتباس: ص ٣٤٣، السلاوي: الاستقصا: ج ٢ ص ٥٥.

(٧) المراكشي: المعجب ص ٢٣٥.

(٨) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤١٤.

وأصبحت فئة الفقهاء مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة وقد سما قدر القضاة وتمتعوا بسلطان عظيم حين أتاح لهم ولاية الأمر السلطة المطلقة والحكم النافذ الذي لا يرد، فقد وقف القاضى ابن الفراء^(١) قاضى المرية فى وجه يوسف بن تاشفين حين طلب منه المعونة على أهل المرية^(٢)، يقول السلاوى «إن أمير المسلمين - يوسف بن تاشفين - طلب من أهل البلاد المغربية والأندلسية المعاونة بشيء من المال على ما هو بصده من الجهاد وأنه كتب إلى قاضى المرية أبى عبد الله محمد بن يحيى - عرف بابن الفراء - يأمره بفرض معونة المرية، ويرسل بها إليه، فامتنع محمد بن يحيى من فرضها وكتب إليه يخبره بأنه لا يجوز ذلك فأجابه أمير المسلمين «بأن القضاة عندى والفقهاء قد أباحوا فرضها، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرضها فى زمانه» فراجع القاضى عن ذلك بكتاب يقول فيه: «الحمد لله الذى إليه مآبنا، وعليه حسابنا، وبعد، فقد بلغنى ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخر عن ذلك، وأن أبا الوليد الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوه بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها، فالقضاة والفقهاء إلى النار دون ربانية، فإن عمر اقتضاها فقد كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره وضجيعه فى قبره ولا يشك فى عدله وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بوزيره ولا بضجيعه فى قبره، ولا ممن لا يشك فى عدله، فإن كان القضاة والفقهاء أنزلوك منزلة فى العدل فالله تعالى سائلهم وحسيهم عن تقلدهم فىك، وما اقتضاها عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر من كان معه من الصحابة رضي الله عنهم، وحلف أن ليس عنده فى بيت مال المسلمين درهم واحد ينفقه عليهم، فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع بحضرة من هناك من أهل العلم، وليحلف أنه ليس عنده فى بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم، حينئذ تجب معونته، والله تعالى على ذلك والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته»^(٣).

(١) هو أبو عبد الله بن الفراء من فضلاء العصر فى الأندلس، وكان شاعراً مجيداً وهو من فضلاء المائة السادسة وكان يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة، وكانت فيه فطنة ولودعية وذكاء والمعية ذكره ابن غالب فى فرحة الأنفس وذكره صفوان فى زاد المسافر ووصفه ابن الخطيب، انظر المقرئ: نفح الطيب: ج ٣ ص ٨٦.

(٢) السلاوى: الاستقصاء: ج ٢ ص ٥٤، المقرئ: نفح الطيب: ج ٣ ص ٣٨٦ - ص ٣٨٧.

(٣) السلاوى: المصدر السابق: ج ١ ص ٥٣، ص ٥٤.

وفى عهد الموحدين تمتع الفقهاء والعلماء بمنزلة سامية، فالدولة الموحدية قامت على أساس دعوة ابن تومرت الدينية كما سبق أن ذكرت ومن ثم كانت للفقهاء والعلماء بالإضافة إلى طلبة الموحدين مكانة مرموقة فى ظل الدولة الموحدية، فكان الخلفاء الموحدون يكرمون العلماء والفقهاء ويقدرونهم^(١)، فالخليفة عبد المؤمن كان يقدر العلماء وينزلهم منازلهم اللائقة بهم^(٢)، يقول المراكشى «وكان عبد المؤمن مؤثراً لأهل العلم محباً لهم، محسناً إليهم يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، ويجرى عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم^(٣)، وكان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، حريصاً على مجالسة الفقهاء ومحدثهم^(٤)، فاجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله^(٥).

كذلك نال الفقهاء والعلماء منزلة كريمة فى عهد الخليفة المنصور الموحدى، يقول ابن أبى زرع «وكان - أى المنصور - محباً فى العلماء وقضائهم صادراً عن رأيهم... يشهد جنازات الفقهاء والعلماء ويزورهم ويتبرك بهم... وأكرم الفقهاء وراعى العلماء والفضلاء وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال^(٦).

وهكذا نال الفقهاء والعلماء منزلة كبيرة فى ظل دولتى المرابطين والموحدين وامتلكوا الإقطاعات والأراضى الزراعية خاصة فى المدن الأندلسية ومن أشهر الأسر التى اشتغل أفرادها بالفقه والعلم والقضاء ونالوا شهرة عظيمة وامتلكوا الإقطاعات الواسعة واتسعت

(١) ابن أبى زرع: الأئیس المطرب: ص ٢٠٤، السلاوى: الاستقصا: ج ٢ - ص ١٣٠.

(٢) ابن أبى زرع: المصدر السابق: نفس الصفحة، ابن أبى زرع: «وكان - ابن عبد المؤمن بن على - سخياً كريم الأخلاق محباً فى أهل العلم والأدب مقرباً لهم مشوقاً لوفادتهم متفقاً لبضاعتهم» ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ٢٠٤، عنان: عصر المرابطين والموحدين: القسم الأول، ص ٤٠٢.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٢٦٩.

(٤) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ٢٠٨.

(٥) المراكشى: المصدر السابق: ص ٣١١.

(٦) ابن أبى زرع: الأئیس المطرب: ص ٢٠٨.

مكاسبهم أسرة ابن أرسالية في غرناطة^(١) وبنو حسون في مالقة^(٢) وبنو الحسن في مالقة أيضا^(٣).

وكان إذا تولى أحد الفقهاء قضاء موضع أصبحت له الأموال العريضة^(٤)، وقد جمع بعض الفقهاء بين خطى القضاء والإدارة المالية، يقول ابن عذارى في حديثه عن ابن أبي زهر وعلى بن يوسف قبل نكبته «أنه كان يولى من قبله حاكماً يحكم من حاشيته، وصاحب المدينة من توليته، وشهود البلد بحكمه، وأمر المستخلص وأملاك السلطان جارية على نهيه وأمره بمدينة أشبيلية^(٥) ونتيجة لما وصل إليه الفقهاء والعلماء من منزلة وسيطرتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أيضا - حقد الناس عليهم من هؤلاء الشاعر ابن البنى^(٦) حيث هجاهم بقوله:

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب يدلج في العاتم^(٧)

ومن أشهر الفقهاء والعلماء الذين نالوا حظوة في دولتي المرابطين والموحدين من أهل غرناطة، الفقيه أبو القاسم أحمد عمر بن يوسف بن ورد التميمي من أهل المرية وكان متمكناً في الأدب أيضاً وكذلك النحو وعلم التاريخ، كما كان متقناً للتفسير وعلم الأصول،

(١) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة: ج ٢ ص ٥٧٧، ابن الخطيب: أعمال الاعلام: طبعة ليفي بروفنسال، ص ٢٥٥.

(٢) ابن الأبار: المصدر السابق: ج ٢ ص ٤٢١.

(٣) النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا: ص ١١٤، طبعة ١٩٤٨ م.

(٤) انظر أمثلة لذلك في ابن سعيد: ج ٢ ص ٧٢.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٦٥.

(٦) هو أبو جعفر أحمد بن محمد المشهور بابن البنى من أهل جيان من جزيرة الأندلس وقد ذكره الفتح بن خاقان في القلائد حيث وصفه بالإلحاد والزندقة: انظر ابن خاقان: قلائد العقيان: ص ٣٤٣ وكان العامة والخاصة من الناس تبتعد عن هؤلاء الفقهاء لما يثرونه من مشاكل وتدخل في أمورهم فما هو أبو بكر بن قزمان إمام الزجل في الأندلس في عصر المرابطين يذكر في رجله أن من مزايا المسكن الذي يسكن فيه أنه لا يوجد في هذا الحي مضايقات «فليس فيه فقهاء ولا حجاج وفيه أرامل جميلات، انظر الزجل» رقم ٨٧ ديوان ابن قزمان، ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٣٨٢، وأيضاً عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس، ص ٧.

(٧) المراكشي: المعجب: ص ٢٣٥، المقرئ: نفح الطيب: ج:

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب يدلج في العاتم.

انتهت إليه رئاسة الفقه المالكي، تولى القضاء في غرناطة فظهرت كفايته وعدله وحسن سيرته، توفي بالمرية في رمضان سنة (٥٤٠ هـ / ١٤٤٦ م)^(١) وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعافري، وكان من الفقهاء والوزراء كما كان متمكناً من الفقه والحديث، بارعاً في الأدب ولى مستخلص غرناطة وأشبيلية أيام الأمير علي بن يوسف فقام على إدارتها بكفاية وحزم، توفي سنة ٥٩٨ هـ (١١٢٤ م)^(٢) ومنهم الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من أهل غرناطة، برع في علوم القرآن والسنة وكان فقيهاً متبحراً وأديباً واسع المعرفة، متقدماً في فنون عديدة، وتولى القضاء بغرناطة والمرية وألف في التفسير واشتهر بالمغرب والأندلس وألف كتاباً في الأنساب وانتهى اليها من مؤلفاته «معجم شيوخه» وتوفي بلورقة سنة ٥٤٢ هـ / ١٩٤٧ م^(٣) وكان فوق ذلك أديباً ينظم الشعر.

وأحمد بن حسن بن سيد الجراوي من أهل مالقة ويعرف بابن سيد، درس الحديث واللغة والأدب على أقطاب عصره وكان بارعاً في اللغة وفي النحو وله حظ في قرض الشعر، توفي ابن سيد سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م^(٤).

ومن الفقهاء والمتكلمين أيضاً، صالح بن أبي صالح خلف بن عامر الأنصاري الأوسى من أهل مالقة، درس بها على أعلام عصره ثم رحل إلى تلمسان ثم إلى تونس، والمهدية وأخذ عن أقطابها سماعاً وإجازة، وكان فقيهاً متمكناً من علم الكلام، توفي في رمضان سنة ٥٨٦ هـ^(٥).

ومحمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد الأنصاري من أهل مالقة أيضاً كان إماماً في الحديث، مقدماً فيه، وبرع في المعرفة بسرد المتون والأسانيد، وتميز الرجال، سمع من أبي بكر بن العربي وأكثر عنه واختص به، وعن أبي مروان بن بونه وغيرهم وكانت له فوق ذلك مشاركة في اللغة، شديد التمسك بالعدل، مكرماً لطلاب العلم، واستدعى في أواخر

(١) انظر ترجمة في الإحاطة (ابن الخطيب): ج ١ ص ١٦٩ - ص ١٧١.

(٢) ابن بشكوال: الصلة ترجمة رقم ٦٤٩.

(٣) الضبي: بغية الملتبس (الملكية الأندلسية) ترجمة رقم ١١٠٣.

(٤) ابن الأبار: التكملة: طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦، ضمن المكتبة الأندلسية ترجمة رقم ١٨٢.

(٥) ابن الأبار: التكملة ترجمة رقم ١٨٨٧.

إمامه من الخليفة يعقوب المنصور إلى مراکش لسمع بها فقصد إليها، ولكنه توفي بها بعد قليل في شعبان سنة ٥٩٠ هـ ومولده بمالقة سنة ٥١١ هـ (١).

ومحمد بن أبي خالد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن... ابن محمد بن أبي زمين من أهل غرناطة كان من ألمع فقهاء عصره وأخذ عن أبي مروان بن قزمان وأبي القاسم بن بشكوال، وغيرهم من أقطاب عصره، ولى قضاء غرناطة ثم قضاء مالقة وكان عارفاً بتاريخ من نزل بالأندلس قديماً من العرب، حدث عنه جماعة ممن كانت لهم مكانة رفيعة فيما بعد، ومنهم أبو سليمان بن حوط الله وأبو القاسم الملاحى، وأبو الربيع بن سالم وغيرهم توفي مصروفاً عن القضاء في شهر ربيع سنة ٦٠٢ هـ وكان مولده بغرناطة سنة ٥٣٣ هـ (٢).

هكذا أصبح الفقهاء طبقة تسيطر على مقاليد الأمور في الدولة، وصاروا يتدخلون في كل شئونها حتى أن بعضهم قاموا بالثورات في وجه المرابطين لما أحسوا بعجز الدولة عن حماية الأندلس محاولين بذلك الاستقلال عن المرابطين، ومن أشهر هذه الثورات:

ثورة ابن أضحى بغرناطة

قامت هذه الثورة في نفس الوقت الذي اشتعلت فيه الثورات ضد حكم المرابطين في الأندلس وقد أشعل نيران هذه الثورة قاضى غرناطة أبو الحسن على بن عمر بن أضحى (٣)، ولكن المرابطين استطاعوا إخماد الثورة واستعادوا سيطرتهم على غرناطة (٤).

هذا وبالإضافة إلى الفقهاء والعلماء استخدم المرابطون والموحدون الكتاب الأندلسيين وقربوهم إليهم ونبغ في تلك الفترة عدد من الكتاب والشعراء والأطباء وعلماء النبات والرياضة من أهل غرناطة نالوا مكانة رفيعة في المجتمع حيث قربهم أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين، ومن هؤلاء ابن الصيرفى يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الصيرفى، وكان من أعلام العصر المرابطى في البلاغة والأدب

(١) ابن الأبار: التكملة ترجمة رقم ٥٩٦.

(٢) ابن الأبار: التكملة ١٥٣٠.

(٣) ولد ابن أضحى في مدينة المرية ٤٩٢ هـ وولى فيها القضاء بعد قاضيها ابن الفراء، انظر ابن

الأبار: ج ٢ ص ٢١١.

(٤) انظر تفاصيل هذه الثورة في ابن الأبار: الحلة السيرة: ج ٢ ص ٢١١ - ص ٢١٤.

والتاريخ وكان من الشعراء المطبوعين كتب بغرناطة للأمير تاشفين بن علي، وتوفي في غرناطة سنة ٥٧٠ هـ^(١).

وعلى بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري، سرقسطي الأصل سكن غرناطة وعاش بها، وكان من أهل البلاغة والفصاحة ووزر للأمير أبي طاهر ثم ابن يوسف أيام ولايته لغرناطة ثم كتب من بعده لأخيه الأمير علي بن يوسف^(٢).

ومن هؤلاء أيضاً أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد، من بني سعيد العنسي سادة قلعة يحصب من أعمال غرناطة، وهو بيت من بيوتات الأندلس المشهورة، ويتنمي إليه قواد ووزراء وقضاة وكتاب وشعراء ومنهم مؤلفو كتاب «المغرب في حلى المغرب» وشغف أبو جعفر بالأدب والشعر منذ صغره فحفظ كثيراً من شعراء القدماء ومدح الخليفة عبد المؤمن بن علي وهو بجبل طارق سنة (٥٥٦ هـ / ١١٦١ م) وكانت هذه القصيدة بداية مجده الحقيقي، وعندما تولى غرناطة السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن بن علي، استوزر أبا جعفر وحظي لديه ثم ساء ما بينهما بسبب تنافسهما في حب الشاعرة الغرناطية الحسنة حفصة بنت الحاج الركوني^(٣)، وأخذ السيد أبو سعيد يتربص الفرص لنكته، وأبو جعفر يتحفظ كل التحفظ، وانتهى الأمر بأبي جعفر إلى أن عمل مع أخيه وبعض أقاربه على الانضمام إلى ابن مردنيش ولحق أخوه وأقاربه بقلعتهم في بني يحصب، ولكنه جبن وتأخر ثم فر إلى مالقة ليركب منها البحر إلى بلنسية ولكن عمال السيد اكتشفوا أمره وقبضوا عليه، فأمر بقتله صبراً وكان مصرعه في جمادى الأولى سنة (٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م)^(٤).

أما أبو بكر بن قزمان أمير الزجل الأندلسي^(٥) فيقول عنه ابن سعيد إنه كان في أول

(١) ابن الخطيب: الإحاطة مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥، ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ١١٨ - ص ١١٩، ترجم له ابن الأبار في التكملة ص ٧٢٣.

(٢) ابن الخطيب: نفس المخطوط لوحة ٣٣١.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب: ج ١ ص ١٣٨ - ص ١٣٩، ترجم لها ابن دحية في المغرب ص ١٠ وياقوت: معجم الأدياء ج ١٠ ص ٢١٩، المقرئ: نفح الطيب: ج ٢ ص ٤٩١ - ص ٤٩٤، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٢١٤ - ص ٢١٨.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٢١٤ - ص ٢١٨.

(٥) ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١٠٠، ص ١٦٧ «الاهداب».

شأنه مشتغلاً بالنظم المعرب، فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره، كابن خفاجة وغيره فعمد إلى طريقة لا يضارعه فيها أحد منهم، فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس^(١).

خدم ابن قزمان في شبابه المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس ونال لديه حظوة وجاها فلما انتهت دولتهم، عاد إلى قرطبة وتردد بينها وبين غرناطة، توفي سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م^(٢).

وقد كان الشعراء يتفاوتون في وضعهم الاجتماعي تفاوتاً يجعلهم على وجه التقريب في ثلاث طبقات، طبقة الشعراء الذين بلغوا أعلى المناصب^(٣) مثل أبي جعفر أحمد بن عبد الملك سعيد من أمراء قلعة يحصب في غرناطة^(٤) وشعراء متمون، أى يلزم الواحد منهم بلاط أحد الأمراء وينتمى إليه، ويأخذ منه رسماً شهرياً (أو سنوياً) مقرراً، أو جوائز غير موقوتة بوقت^(٥)، وشعراء جوالون وهم الذين يطرفون على الأمراء مادحين متكسبين بأشعارهم وهم أكثر عدداً من الطبقتين السابقتين^(٦).

وفى عصر المرابطين تراجعت منزلة الشاعر الاقتصادية والاجتماعية حيث لم يستطيع أن ينافس رجل السيف من المثلثم والفقيه والكاتب فأبعد الفقه الأدب حيث أصبحت الكلمة العليا للفقهاء^(٧).

وفى ذلك العصر نجد ابن قزمان يعبر في أزجاله عن مطالبه من قمع وشعر وخروف العيد^(٨).

- (١) ابن سعيد: المصدر السابق: ج ٢ نفس الصفحات، انظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٨٣.
- (٢) راجع في ترجمة ابن قزمان: قلائد العقيان: ص ١٨٧، طبعة القاهرة، ١٢٨٣ هـ، انظر عبد العزيز الاهواني: الزجل في الأندلس: ص ٦٦ وما بعدها.
- (٣) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ص ٨٢.
- (٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٢١٤ - ص ٢١٨.
- (٥) إحسان عباس: نفس المصدر: ص ٨٢.
- (٦) إحسان عباس: نفس المصدر: ص ٨٣.
- (٧) انظر إحسان عباس: المرجع السابق نفس الصفحة.
- (٨) انظر: عبد العزيز الاهواني: الزجل في الأندلس، ص ٦٦ وما بعدها، إحسان عباس: المصدر السابق: ص ٢٦٨، سيأتي الحديث عن ابن قزمان في الحديث عن الحياة الاجتماعية لطبقة الخاصة.

رجال الدولة:

القادة والأمراء.

تناولت فى الباب الأول كيف أن القيادة السياسية انحصرت فى يوسف بن تاشفين وبنيه من بعده، كذلك انحصرت تلك القيادة فى عصر الدولة الموحدية فى عبد المؤمن بن على وبنيه من بعده، ومن هنا أصبحت الأسرتان تتمتعان بالنفوذ والسياسة فى بلاد المغرب والأندلس.

وأصبحت قبيلة لمتونة تتمتع بمكانة مرموقة بين قبائل البربر لأن الطبقة الحاكمة تنتمى إلى هذه القبيلة، بالإضافة إلى قبيلة صنهاجة ومنهم جدالة ومسوفة ولمطة وقد أشار إلى ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله «وبعث - أى يوسف بن تاشفين - سنة ٤٧٠ هـ إلى صحراء لمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليهم من ملك المغرب وطاعة أهله ويؤكد عليهم فى القدوم إليه فوفد منهم جموع كثيرة ولاهم الأعمال، وصرف أعيانهم فى مهمات الأشغال فاكسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال وكثروا بكل مكان وساعدتهم الوقت والزمان وكثرت جموعهم وتوفرت عساكرهم»^(١) هذا وقد تمتع أبناء أسرة يوسف بن تاشفين وبنيه بوضع السيادة فى المدن المغربية والأندلسية على حد السواء، يقول ابن خلدون: «ثم اقتسم - أى يوسف بن تاشفين - المغرب عمالات على بنييه وأمراء قومه وذويه»^(٢).

فكان ينوب فى أغلب الأحيان عن أمير المسلمين فى الأندلس أمير من الأسرة المالكة أو من لمتونة عامة، فقد تولى حكم غرناطة من الأسرة الحاكمة تميم بن يوسف بن تاشفين وتاشفين بن على بن يوسف وسير بن الحاج^(٣) وعبد الله بن مزدلى^(٤).

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٣٣.

(٢) ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ١٨٥.

(٣) مجهول: نبذة تاريخية فى أخبار البربر: ص ٨٢، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٤٨،

ص ٤٩، السلاوى: الاستقصا: ج ٢ ص ٤٨.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٥٦.

واتبع الموحدون نفس السياسة حيث استأثر بنو عبد المؤمن بالخلافة وشغل بعض أفراد الأسرة منصب الوزارة^(١).

وقد بلغت قبيلة كومية - وهى القبيلة التى يستتب إليها الخليفة عبد المؤمن بن على - مكانة عظيمة وأصبحت من أعظم قبائل الموحدين واحتلت مكان الصدارة فى بلاد المغرب والأندلس، يقول المراكشى «ثم قبيلة عبد المؤمن تسمى كومية وهى قبيلة كبيرة وهى قبيلة كثيرة العدد جملة الشعوب لم يكن لها فى قديم الدهر ولا فى حديثه ذكر فى رياسة ولا حظ من نباهة، إنما كانوا أصحاب فلاحه ورعاة غنم وأصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن والحطب وسوى ذلك من سقط المتاع فتبارك المعز المذل المعطى المانع، فأصبح القوم وليس فوقهم أحد ببلاد المغرب ولا تطاول أيديهم يد يكون عبد المؤمن منهم»^(٢) هذا وقد تولى حكم غرناطة عدد من أبناء وأقارب الخليفة^(٣).

يقول المراكشى: «وأقام عبد المؤمن بجبل الفتح مرتباً للأمور مهدياً للملكة، وأعيان البلاد يفدون عليه كل يوم، إلى أن تم له ما أراد من إصلاح ما استولى عليه من جزيره الأندلس»

فولى مدينة أشبيلية وأعمالها ابنه يوسف، وهو الذى ولى الأمور بعده، وترك معه بها أشياخ الموحدين وذوى الرأى والتحصيل منهم من يرجع إليه فى أموره، ويعول عليه فيما ينويه.

وولى قرطبة وأعمالها أبو جفص عمر إيتى، وولى غرناطة وأعمالها ابنه عثمان بن عبد المؤمن، يكنى أبا سعيد، وكان من نبهاء أولاده ونجبائهم وذوى الصرامة منهم، وكان محباً فى الأدب، مؤثراً لأهله، يهتز للشعر ويشيب عليه، اجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكتاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده»^(٤).

(١) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٣٣٠، اتخذ عبد المؤمن بن على ابنه عمر وزيراً له، انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٦٧.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٤٢٣.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٤٢٣.

(٤) المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣.

ومع اتساع رقعة الدولة المرابطية والموحدية وزيادة مواردها بدأ الأمراء والسادة ينفقون عن سعة فيذكر الدكتور حسن محمود أن هؤلاء الأمراء والسادة قد اندمجوا في الحياة الاجتماعية في الأندلس، هذه الحياة التي كانت قد بلغت شأنًا عظيمًا من الرقي والأبهة في أواخر أيام ملوك الطوائف، وتألق نجم الحضارة في الأندلس بصورة لم تكن معهودة من قبل، ففتقروا أهل الأندلس في الأدب والفن والفلسفة، فلما فتحت بلاد الأندلس التقت حضارتان أو لونا من ألوان الحياة الاجتماعية: لون أندلسي رفيع ولون مغربي صحراوي أقل رقيًا وتفوقًا وكان منطق الأشياء يقضى بزن تتغلب الحياة الأكثر رقيًا فتصرع الحياة الأكثر ضعفًا، وهذا هو ما حدث، فقد صارت الحياة الأندلسية الرفيعة هذه الحياة الاجتماعية المغربية فتغلبت عليها وأثرت فيها، فقد استطاع الجيل الأول من هؤلاء الأمراء أمثال يوسف بن تاشفين وسير بن أبي بكر وعبد الله بن عائشة أن يقاوموا هذا التيار الجديد الوافد إليهم، ولكن هذه المؤثرات لم تستطع أن تصمد طويلا بعد وفاة يوسف، إذ تغلبت الحياة الأندلسية بمتعتها وبهجته ومسراتها، ولم يكن من الممكن أن يقاوم المرابطون هذه المتع طويلا، فقد عاشوا في ظلها وانغمسوا في حياتها واضطروا أن يعيشوا كما كان الناس يعيشون في الأندلس فكانوا يحيون حياة لا تختلف عن الحياة التي كان ملوك الطوائف يحيونها^(١)، وفي العصر الموحدى نجد السادة الموحدين يحيون حياة اللهو والترف فيها هو السيد أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن صاحب غرناطة يحيا حياة الترف واللهو^(٢)، فقد تنافس مع أبي جعفر بن سعيد من أمراء قلعة يحصب على حب الشاعرة الغرناطية حفصة الركونية^(٣).

المرأة الغرناطية

واحتلت المرأة الغرناطية مكانة مرموقة في المجتمع الغرناطي في عصر المرابطين والموحدين وصارت لها مشاركة واضحة في المجتمع، يقول ابن الخطيب «وحريمهم حريم جميل، موصوف بالسحر وتنعم بالجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشر

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٢١ - ص ٤٢٢.

(٢) المقرئ: نفح الطيب: ج ٢ ص ٣٨٥.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب: ج ١ ص ١٣٨ - ص ١٣٩، ابن الخطيب: الإحاطة: ج

١ ص ٢١٤ - ص ٢١٨.

وحقة الحركات ونبل الكلام وحسن المجاورة إلا أن الطول يندر فيهن وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنفيس بالذهبيات والدياجيات والتماجن في أشكال الحلى إلى غاية نساء الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وأن يعامل جميع من بها بستره ولا يسلبهم خفى لطفه بعزته وقدرته^(١).

وهنا نجد أن ابن الخطيب يصف نساء غرناطة وصفاً دقيقاً وهو شديد الإعجاب بهن، لا يكاد يأخذ على أوصافهن إلا ميلهن إلى القصر^(٢).

ومن النساء اللاتي ظهرن في عصر المرابطين ثم الموحيدين من نساء غرناطة نزهون القلاعية^(٣) ومن الشواعر اللاتي ظهرن في عهد عبد المؤمن بن علي، الأديبة الشاعرة المربية حفصة بنت الحاج الركونية الغرناطية^(٤)، وقد مدحت الخليفة عبد المؤمن بن علي^(٥).

أما المرأة المرابطية فكانت تتمتع بوضع كريم في القبيلة الصنهاجية لأن المرأة المرابطية كانت تشترك في مجلس القبيلة وتشارك برأيها في الأمور الهامة^(٦). فكان المرابطون يستعمون للنساء ويوكلون أمورهم لهن^(٧)، فكانوا يسمون الرجل باسم أمه،

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٩.

(٢) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٧م - ١٣٧٦ هـ ص ٩.

(٣) «فزهون القلاعية من أهل المائة إلخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح، والانطباع الزائد والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق، وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذكراتها ومرسلتها» انظر ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١٢١، وابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٤٢٦.

(٤) «كانت حفصة هذه تشتهر بالحسب والجمال والمال وكانت أستاذة بالإضافة إلى شهرتها الأدبية وقد طال عمرها حتى علمت نساء الخليفة يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن - توفيت بمراكش سنة ٥٨٦ هـ، انظر ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١٣٨، ياقوت: معجم الأدباء: ج ١٠ ص ٣١٩.

(٥) ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١٣٨، المقرئ: نفح الطيب: ج ٤ ص ١٧١ - ص ١٧٢.

(٦) حسن محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٥٢.

(٧) النويرى: نهاية الأرب: ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٠، المراكشى: المعجب: ص ٢٤١.

فكان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين وهو أخو أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، وكان من أعظم قادة المرابطين يعرف بابن عائشة^(١)، وكذلك عبد الله ابن فاطمة من أبرز قادة المرابطين وهو الذى دخل فى كثير من المعارك بالأندلس وأحرز فيها عدة انتصارات وكان معروفاً بابن فاطمة^(٢).

ويبدو أن المرأة كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية فى عصر المرابطين سواء فى بلاد المغرب أو الأندلس حتى أنها كانت تختلط بالرجال فى الأماكن العامة والمناسبات المختلفة مما جعل ابن عبدون ينهى عن ذلك بقوله «لا يترك الشباب أيام العيد يجلسون فيها على الطريق لاعتراض النساء ويجد فى منع ذلك المحتسب والقاضى يجب أن يمنع السلطان أن يجلس على أفنية القبور لمرأودة النساء ويتعاهدن بذلك كل يوم مرتين يفعل ذلك المحتسب»^(٣).

كما يرى ابن عبد الرؤوف «بمنع النساء من الوقوف على أبواب الدور لما فيه من الكشف وعدم الاستتار»^(٤) كذلك كانت المرأة المرابطية تتمتع بنفس الحرية فى بلاد المغرب، مما جعل ابن تومرت يستنكر هذا الوضع فى أكثر من مكان^(٥)، فعند نزوله بجايه فى عيد الفطر وجد اختلاط الرجال بالنساء فقام للتفريق بينهما بعصاة^(٦)، يقول ابن القطان «ثم حضر - أى ابن تومرت - عيداً فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحمل فزجروهم وغير ذلك عليهم، فوقعت لأجل ذلك نفرة استطال فيها الشر وسلبت النساء حليها وقام الهرج فسأل العزيز عن سبب ذلك فعرف بأنه لا سبب له إلا الفقيه السوسى»^(٧).

وفى عهد الموحيدين لم تتمتع المرأة بمثل النفوذ والحرية التى تمتعت بها فى عصر

(١) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٨.

(٢) ابن القطان: المصدر السابق: ص ٨.

(٣) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٢٧.

(٤) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل: ص ٣١١.

(٥) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٣٥٣.

(٦) البيهقي: أخبار المهدي: ص ٥٢.

(٧) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٤١.

المرابطين فكان ابن تومرت يمنع اختلاط النساء بالرجال كما سبق أن ذكرت، فقد اتبع الموحدون أحكام الدين بشأن حماية المرأة وصيانتها إلا أن هذا الحد من الحرية لم يمنع الموحدين في مناسبات مختلفة من إظهار تقديرهم واحترامهم للمرأة^(١)، فقد اشتهر المنصور الموحدي بإنصافه للمرأة، يقول ابن خلكان في صفات المنصور: «ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق»^(٢) ونالت المرأة ابتداء من عهد عبد المؤمن بن علي قسطاً وافرًا من التعليم مثل الأميرة زينب بنت يوسف بن عبد المؤمن التي درست علوم الدين واللغة، ونبتت في علم الأصول، وكانت هذه الأميرة، عالمة صائبة الرأي، وقد استطاعت أن تدفع بالمرأة المغربية إلى ميدان العلم والمعرفة^(٣).

(١) حسن على حسن: الحضارة في المغرب والأندلس: ص ٣٥٦.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج ٦ ص ١٠.

(٣) ابن الأبار: التكملة: ترجمة ٢١٢٢ «من مناقب عبد المؤمن بن علي أن جعل التعليم الابتدائي إجبارياً مفروضاً على كل مكلف من الرجال والنساء» ليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية: ص ١٣١ - ص ١٣٧، هذا ولقد أثرت الحروب التي اتصلت في تاريخ الأندلس بين المسلمين ونصارى أسبانيا - وخاصة منذ عصر المرابطين والموحدين وحتى سقوط الأندلس (غرناطة) في أيدي نصارى أسبانيا - على المرأة وحياتها فقد زاد عدد الأراذل في الأندلس زيادة ملحوظة عن أي قطر من الأقطار الإسلامية الأخرى.

عن تلك الظاهرة انظر ابن سعيد: المغرب: (رجل ابن قزمان) السالف الذكر، ص ٣٨٢، الزجل رقم ٨٧، عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس: ص ٧٠ - ص ٧١ هامش رقم ٢.

الحياة الخاصة لطبقة المترفين والأغنياء

إن ما وصلنا عن حياة طبقة الخاصة من المترفين والأغنياء يصوره لنا أدب هذا العصر الذى نحن بصدد دراسته، فأدب هذه الطبقة كان يصور حياتهم الاجتماعية المترفة تصويراً دقيقاً، فهم يقضون أوقات سهرهم فى لهو وفى مجالس الأئس وشرب الخمر وما يجرى فيها من مجون وخلاعة^(١)، فلم يكن لأفراد هذه الطبقة من مشاغل سوى كل ما يرضى الشباب ويمتتع مجالس الأدب^(٢)، ويذكر ابن سعيد فى كتابه المغرب أنهم كانوا يخرجون إلى كروم العنب والتين فى مألقة يفرحون فيها ويمرحون هناك^(٣)، قال ابن سعيد: «دخلت مدينة مألقة وأقمت إقامة أرضت الشباب وأمتعت مجالس الآداب وكان الذى يفضلها ويعجب بها ولا سيما فى أيام فزحهم وخروجهم إلى كروم العنب والتين، ولقد خرجنا إلى كرم أقمنا فيه مدة منفعته، فعددنا ذلك من أيام النعيم»^(٤).

هكذا كان هؤلاء المترفون يقضون أوقاتهم، وتصور لنا حياة الأديب أبى جعفر بن سعيد^(٥) من أمراء قلعة يحصب فى غرناطة تلك الحياة التى كانت تحياها تلك الطبقة، فنظرة هذا الأديب للحياة تتمثل فى حبه للحياة المترفة الخالية من المسؤولية فهى لهو وخمر وملاح وصيد وقنص وقد عبر عن ذلك أكثر من مرة، فحين ثار والده «واستبد بأمر قلعة يحصب حين ثار أهل الأندلس بسبب صولة بنى عبد المؤمن بالملثمين اتخذه وزيراً، واستنابه فى أمور فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه والده وقال: أفى مثل هذا الوقت الشديد تركن إلى الراحة؟ فكتب إليه»^(٦).

(١) حكمة الأوس: الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين، مكتبة الخانكي، القاهرة.

(٢) ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ٤٢٨.

(٣) المصدر السابق: ج ١ ص ٤٢٣ - ص ٤٢٤.

(٤) المصدر السابق: ج ١ نفس الصفحات.

(٥) سبق التعريف به، انظر ترجمته فى الإحاطة: ج ١ ص ٢١٤ - ص ٢١٨، ابن سعيد: المصدر

السابق: ج ٢ ص ١٦٤.

أنال فى العيش راحة

(٦) ————— ولاى فى أى وقت

= ما إن أنا صباحة

إن لم أنلها وعمرى

فلما قرأ الأبيات قال: لا ينفع الله بما لا يكون مركبا في الطبع مائلة له النفس، ثم وقع على ظهر ورقته: قد تركنا سراح أنسك وألحقنا يومك بأمسك^(١)، يقول المقرئ.

«ولما رجع إلى عبد المؤمن وباعه عبد الملك بن سعيد غمره إحسانا وبراً، وولى السيد أبو سعيد غرناطة فطلب كاتباً من أهلها فوصف له فضل أبي جعفر وحسبه وأدبه، فاستكتبه، فطلب منه أن يعفيه، فأبى إلا إن شرب أبو جعفر يوماً مع خواصه، وخرج ثاني يوم إلى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ولما اشتد البرد مالوا إلى خيمة ناطور، وجعلوا يصطادون ويشربون على ما اصطادوا، فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ويستطرد بما في نفسه^(٢).

وهكذا كثر في إنتاجهم الأدبي ما يعبر عن حياة هؤلاء المترفين من الخاصة حياة اللهو والخمر والطرب ومجالس الأئس ومطارحتهم الأشعار في منتزهات الأندلس من بينها غرناطة، حيث عدد هؤلاء المترفون من الأدباء محاسن غرناطة فها هو ابن سعيد صاحب المغرب يصف وادي مالقة^(٣)، وكان أصحاب الجاه الذين يحيون تلك الحياة ويجهرون

نحو الملاحنة
تمل منى راحنة
مما رأيت صلاحه
لمن يريد ارتياعه

من الغيم لذنا فيه باللهو والقنص
من السكر تغرينا بمتهب الغرض
أصيلاً وكل إن شدا جلجل رقص
على اللذات والبرد قد قرص
بخدمته لا يجعل البار في القفص

= وللملاح عيون تميل
وكأس رامي ميا إن
فأعفنى وأقلنى
مما في الوزارة حظ
المقرئ: نفح الطيب: ج ٤ ص ١٧٩.

(١) المقرئ: المصدر نفسه: ج ٤ ص ١٨٠.
(٢) ويوم تجلى الأفق منه بتعنبـر
وقد بقيت فينا من الزمى فضلة
ركبنا له صبحاً وليلاً وبعضنا
وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا
فقل لحريص إنى مقيد

المقرئ: المصدر السابق: ج ٤ ص ١٨٠ - ص ١٨١.

المقرئ: نفح الطيب: ج ٤ ص ١٨٠.

رأيت الحسن عنه لا يميل
بحيث الماء والظل والظليل

(٣) بوادي رية فلانى عرج فلانى
وهات الخمر صرفاء دون مزج
ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ٤٤٣.

بشرب الخمر دون حرج أو خوف وكان آخرون منهم يتخرجون من شرب الخمر وإظهار ذلك مثل ابن سيد اللص الذى تخرج الجلوس فى مجلس شراب عند أبى جعفر بن سعيد^(١)، وكان بعض السادة الموحدين لا يكتفون بالمجاهرة بشربها فحسب، بل يجبرون من يستحرم ذلك على شربها كالذى حدث للأديب الرحالة محمد بن جبير الذى استدعاه السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن، صاحب غرناطة لأن يكتب كتاباً عنده وهو على شربه، فمد يده إليه بكأس، فأظهر الانقباض وقال: يا سيدى ما شربتها قط، فقال: والله لتشربن منها سبعة، فلما رأى العزيمة شرب سبع كئوس، فمألاً له السيد الكأس من دنائير سبع مرات وصب ذلك فى حجره^(٢) ولم يكتف الشعراء بوصف الخمر وإنما جاوزوا ذلك إلى وصف كئوسها وزجاجتها ومجالس شربها وامتزج شعرهم هذا بوصف الرياض والمنتزهات فهذا جودى بن جودى يصف لنا لهوه بين الحدائق والأزهار، ثم يصف الخمرة وإبريقها^(٣).

وكان أبو الحسن رضى بن رضا المالى (توفى ٩٥٠ هـ / ١١٩٣ م) ينهك فى شرب الخمر حتى أنه لا يكاد يصحو منها، وكان يقول «أنى أمحق العمر سكرًا»^(٤).

كما كان هؤلاء الخاصة يتمتعون بالنزهة بالزوارق فى الأنهار وخاصة أنهار المربة فيها

(١) المقرئ: نفح الطيب: ج ٤ ص ١٩٢ - ص ٢٠٣، انظر ترجمة ابن سيد اللص، المقرئ: المصدر السابق: ج ٤ ص ٢٠٣، انظر ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ٢٥٢، ابن دحية: فى أشعار المغرب: ص ٢٠٠.

(٢) هو صاحب الرحلة المشهورة ولد سنة ٥٤٠ هـ ودرس الفقه والحديث بشاطبة ويقال إنه اضطر وهو يعمل مع عثمان بن عبد المؤمن إلى شرب الخمر فأرغم الحج إلى بيت الله ليكفر عنه خطيئته وقد رحل إلى المشرق مرتين: الأولى سنة ٥٨٧ هـ وهى التى كتب فيها رحلته والثانية سنة ٦١٤ هـ وتقدم فى صناعة القريض وصناعة الكتابة، وحمل عنه شعره فى الزهد وغيره وهو كثير مدون، توفى وهو ابن خمس وسبعين، انظر عنه المقرئ: نفح الطيب: ج ٢ ص ٣٨١ وما بعدها، ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ٣٨٤ هامش رقم ١، انظر ترجمة ابن جبير فى ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة، ص ٥٩٨ طبعة مصر.

(٣) شربنا وبرد الليل يطول صحبه
وقد هفت ورق الحمام بدوحها
مشعشة رقت وراقت كأنما
إذا قهقهه الإبريق قالوا تكلمت
وأردية الشمس المنيرة تنتشر
وكف الصبا زهر الحدائق تنتشر
يصاغ لها من صنعه المزج جوهر
كما أنها عن أعين المزج تنظر

ابن سعيد: المصدر السابق: ج ٢ ص ١١٠.

(٤) ابن سعيد: المصدر السابق: ج ١ ص ٤٢٦.

هو الشاعر أبو الحسين محمد بن سفر يقول فى وصف زوارق الأنهار وهى مملوءة بالفتية يتنزهون فيها ويلعبون^(١).

وقد صورت الرسائل الأدبية وخاصة المراسلات الإخوانية جانباً مهماً من العلاقات الاجتماعية التى كانت تربط هؤلاء الخاصة بعضهم ببعض، فقد كان هؤلاء الخاصة ذوى الميول المتقاربة تربطهم أواصر المودة والمحبة، فكانوا يدعون بعضهم البعض لمجالس الأئس بأن يرسلوا دعوات أدبية مملوءة بالشعر أو الشتر تدعو لمجالس أئس وتحت فيه على المجىء لهذا المجلس وتذكر ما سيتوفر فى تلك الأمسية من مباحج وسرور^(٢) أو تشير إلى بعض النوادر التى حدثت فى تلك الأمسيات ومن هذه المراسلات الإخوانية الأدبية قصيدة صنعها بعض الأدباء وكانوا قد اجتمعوا بغرناطة منهم محمد بن غالب الرصافى الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكتندى^(٣) (توفى ٨٥٤ هـ / ١١٨٨ م) وغيرهما من الفضلاء والرؤساء، فأرادوا يوماً أن يخرجوا «لنجد أو لحور مؤمل» وهما متزهران من أشرف وأظرف متزهات غرناطة، ليتفرجا ويصقلوا الخواطر بالتطلع فى ظاهر البلد، وكان الرصافى قد أظهر الزهد وترك الخلاعة، فقالوا: «ما لنا غنى عن أبى جعفر بن سعيد، اكتبوا له» فصنعوا له هذه الأبيات، وكتبوها له وجعلوا تحتها أسماءهم^(٤) فركبوا إلى جنته وما زالوا بالرصافى إلى أن شرب لما غلب عليه الطرب، فجواب أبى جعفر بن سعيد فى هذه المراسلة يصور لنا واقع هذه الحياة التى كانت تحياها هذه الطبقة فهى حياة مترفة بعيدة عن التقشف والزهد والحرمان^(٥).

(١) لو أبصرت عينك زورق فتية
وقد استداروا تحت ظل شعاره
ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ٢١٢.

(٢) حكمة الأوسى: الأدب فى عصر الموحدين: ص ١٧٩.

(٣) انظر ترجمة الكتندى فى المغرب: ج ٢ ص ٢٦٤ وابن الأبار: التكملة: ص ٥٣٥، وأدباء مالقة: ورقة ٢٧.

(٤) بعثنا إلى رب السماحة والمجد
يسعدنا عند الصبيحة فى غد
نسر من أنفسنا من شجونها
المقرى: نفع الطيب، ج ٣ ص ٥١٣

(٥) المقرى: نفع الطيب: ج ٣ ص ٥١٣، ص ٥١٤، ص ٥١٥، وما بعدها.

الحياة الاجتماعية لطبقة العامة من أهل غرناطة

عادات أهل غرناطة

يذكر ابن الخطيب في كتابه اللحمية البدرية وصفاً للعامة من أهل غرناطة وحياتهم الاجتماعية إذ يقول «فأحوال أهل هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوال سنية، والأهواء والنحل فيهم معروفة، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية»^(١).

«وعادة أهل هذه المدينة (غرناطة) الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم، والبروز إلى الفحوص»^(٢).

وكان أهل غرناطة مضرب الأمثال في النظافة، يبالغون في العناية بنظافة أبدانهم وثيابهم ويكثرن من الاستحمام، «وفيه من لا يكون عنده إلا قوت يومه فيطويه صائماً ويتنازع صابوناً يغسل به ثيابه»^(٣) وهم أهل تدبير واحتياط في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال^(٤).

وكانت عادة التسول من العادات المستقبحة عندهم يقول المقرئ «وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدروزه»^(٥) التي تكسل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبحة عندهم إلى نهاية، وإذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب، سبّوه وأهانوه فضلاً عن أن لا يتصدقوا عليه فلا تجد بالاندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عنز»^(٦).

(١) ابن الخطيب: اللحمية البدرية: ص ٣٨، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٤.

(٢) «جمع فحوص وهو المرج» انظر ابن الخطيب: نفس المصدر والصفحة هامش رقم ٢.

(٣) المقرئ: نفح الطيب، ج ١ ص ٢٢٠.

(٤) المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ٢٢٣.

(٥) الدروزه من الفارسية «درويزة» أى للكدية والشحذ (المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ٢٢٠ هامش رقم ١).

(٦) المقرئ: المصدر السابق: ج ١ ص ٢٢٠ وما بعدها.

والى جانب المتسولين كان هناك بعض القمارين والخمارين الذين يقومون باستدراج البعض للعب الورق أو بيع الخمر لهم للاستيلاء على ما معهم من نقود^(١).

ويرى الجرسفى أن يمنع ذلك وينهى عنه^(٢)، كما يرى الجرسفى أيضاً «منع السفلة والصبيان من الرش بالماء فى الأسواق والشوارع فى يوم المهرجان واللعبة بالمقارع والعصى فى الشارع»^(٣).

وفى يوم الجمع والأعياد يبدأ خروج النساء لزيارة المقابر فيتعرضون للمضايقات من جانب الشباب الذين تزدهم بهم الطرقات^(٤).

وينهى ابن عبدون عن هذا بقوله «لا يترك الشبان أيام العيد يجلسون فيها على الطرقات لاعتراض النساء، ويجد فى منع ذلك المحتسب والقاضى، يجب أن يمنع السلطان أن يجلس على أفنية القبور لمراودة النساء، ويتعاهد ذلك كل يوم مرتين، يفعل ذلك المحتسب»^(٥).

كما يرى ابن عبد الرؤوف «بمنع النساء من الوقوف على أبواب الدور لما فيه من الكشف وعدم الاستتار»^(٦).

كما نهى ابن عبدون عن دخول النساء المسلمات إلى الكنائس «فإن القسيسين فسقة»^(٧) «كما يمنع الإفرنجيات من الدخول فى الكنيسة إلا فى يوم فضل، أو عيد فإنهن يأكلن ويشربن ويزنين مع القسيسين، وما منهم واحد إلا وعنده اثنتان أو أكثر يبيت معهن، وقد صار هذا عرفاً عندهم، لأنهم حللوا والحرام استحرموا الحلال»^(٨).

وكانت الطرقات لا تخلو من الناس الذين يشغلون الطريق وطرح الأزيال، يقول ابن

(١) الجرسفى: ثلاث رسائل فى الحسبة: ص ١٢٣.

(٢) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٣.

(٣) الجرسفى: المصدر السابق: ص ١٢٤.

(٤) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ١٢.

(٥) ابن عبدون: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٦) ابن عبد الرؤوف: نفس المصدر: ص ١١٣.

(٧) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٨.

(٨) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٤٨ - ٤٩.

عبد الرؤف: «يمنع الناس عن الجلوس على الطرق والأحداث فيها وعقد المصارع فيها من غير حاجة وإلا لمأمون خاصة... ويمنع عن طرح الأزيال والجيف وما أشبههما في المحجات، فإن ذلك يضر بالديار»^(١).

كما انتشر في شوارع مالقة الكتبة ويسميهـم «كتاب الشارع» والناس مجتمعون حولهم لكتابة شكواهم وخطاباتهم وكان محرم عليهم كتابة سب أحد أو هجوه أو ما يتضمن سعاية للسلطان»^(٢).

ومن العادات التى انتشرت فى المجتمع الغرناطى عادة إهداء بواكير الفاكهة التى اشتهرت بها الأندلس مثل الرمان وحب الملوك (الكرز) والعنب وغيرها^(٣).

الحياة الاجتماعية المشتركة لجميع الطبقات

وبعد أن عرضنا للحياة الاجتماعية لطبقتى الخاصة والعامة فى غرناطة نعرض لحياة طبقة العامة والخاصة معاً وهى الحياة التى اشتركت فيها كل طوائف المجتمع الأندلسى عامة والغرناطى خاصة وهى الزواج وحياة الأسرة الغرناطية، الأعياد والمواسم والاحتفالات واللهو والطرب.

الزواج

يذكر ابن عبد الرؤف أن من شروط الخطبة اختيار الفتى لعروسه، فالاختيار عادة يتم بواسطة الأهل والأصدقاء أو يكون الفتى قد رأى الفتاة أو شاهدها، وأحياناً تتدخل الأمهات تدخلاً صريحاً فى اختيار العروس لأنبائهن وكان يقابل هذا التدخل أحياناً بعدم الرضى من جانب الشاب^(٤).

ويذكر ابن سهل «أن فرائض النكاح ثلاثة، الولى والصدّاق وشاهدان، ومسته إظهاره والوليمة والدخان، والنكاح مندوب إليه لمن قوى عليه ولا يكون إلا بولى ذكر وصدّاق

(١) ابن عبد الرؤف: نفس المصدر: ص ١١١.

(٢) السقطى: فى أدب الحسبة: ص ٦٨.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: مخطوطة الاسكوريال: لوحة ٣١٠ - ٣٢٤.

(٤) ابن عبد الرؤف: ثلاث رسائل: ص ٧٩.

ولا حد لأكثره وأقله محدود وهو ربع دينار أو ثلاثة دراهم كَيْلاً أو ما قيمته أحدهما»^(١) ولذلك يذكر ابن عبد الرؤوف أنه «لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها ولا يجوز النكاح بغير ولي». ^(٢)

ولقد كان الزواج يمر بكثير من الإجراءات حتى يتم من موجبات صحة النكاح وفي كيفية العقد وشروطه وفي الأولياء وفيمن تتول إليه الولاية في غياب الولي الشرعي وفي حكم غيبة الأب عن ابنته البكر ثم الصداق وحكمه وقدره وجنسه وتأجيله وما إلى ذلك ^(٣).

ويذكر ليفي برونسسال^(٤) «أن فترة الخطبة والزواج كانت مصحوبة بمصروفات كثيرة فقد كان أجر المأذونين مرتفعاً وكان طالب الزواج يقوم بتأسيس مكونات جهاز العروس وملابسها، ثم تحديد ميعاد الزفاف وتستمر احتفالات الزواج أسبوعاً كاملاً في منزل العروس تتلقى فيه تهاني نساء الأسرة والصديقات والأقرباء»^(٤).

وقد كانت المهور مرتفعة القيمة من ذلك ما دفعه أبو عبد الله بن أبي وإبراهيم وإلى غرناطة من مهر للسيد أبي حفص للزواج من ابنته أثناء مقامه في مراكش سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م^(٥).

وكان عقد الزواج يتم في المسجد، يقول التادلي «وكانت عامة أهل البلدان يعقدون أنكحتهم بالمساجد»^(٦) وكان المغنون يشتركون في إحياء حفلات الزواج ويرى ابن عبد

(١) ابن سهل: الإعلام بنوارل الأحكام (المعروفة بالأحكام الكبرى): ورقة ٧٩، انظر نورة التويجى: تحقيق المخطوط: ص ٤٥، ص ٢٨٣.

(٢) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل: ص ٧٠.

(٣) ابن رشد القرطبي: الأندلسي: (ت ٥٩٥ هـ) بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج ٢ تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم: ص ٣ - ص ٢٥ طبعة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ دار الكتب الإسلامية.

(5) Levi Provençal, L'Esp. M. V. 111, P. 403.

(٥) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٢٩٧، طبعة ١٩٦٧، كذلك حين عقد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قرانه على ابنة ابن مردنيش سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م وضع لها مهرًا قيمته ٥٠ ديناراً وقدم لها هدية قيمتها ألف دينار، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: القسم الموحدى، طبعة تطوان، ج ٤ ص ٢٢، ص ٢٣.

(٦) التادلي: التشوف: ص ٧٥.

الرءوف «أن يمنع اللهو كله على أنواعه فى الأعراس وغيرها كالعود وغيره إلا ما كان من الدف العربى الذى هو شبه الغربال خاصة»^(١).

وذكر ابن عبد الرؤوف أيضًا أنه على الرجل الذى تزوج بأكثر من واحدة «أن يسوى بينهما فى الملبس والطعام والمبيت ولا يفضل واحدة منهما على صاحبتها إلا ما لا يستطيع العدل فيه مثل الجماع والمحبة وليتق الله فى ذلك»^(٢).

وفى أثناء حفلات الزواج كان العامة من المدعويين يضربون البوق والكير والمزهر والطنبور والعود هذا إلى جانب غناء المغنين والمغنيات الذين كانوا يطلقون حناجرهم بالغناء ابتهاجًا بتلك المناسبة وكان يختلط الرجال بالنساء فى هذه الاحتفالات مما دعا الجرسفى إلى منع ذلك^(٣).

ووضحت كتب الحسبة أنه يجب أن يؤخذ سلاح الشبان لدى إقبالهم إلى العرس قبل أن يشربوا^(٤) وذلك منعا لحدوث أى مشاجرات أو حوادث، وكان الحواة أحيانًا يتقدمون موكب الزفاف ويرى ابن عبدون منع ذلك^(٥).

هذا وقد اشتهرت بعض المدن الأندلسية بجمال نسائها مثل نساء غرناطة، يقول ابن الخطيب: «وحريمهم حريم جميل موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفة الحركات»^(٦).

وقد كانت الظروف أحيانًا تفرق بين المجبين وتقضى على أحلامهم فى الزواج وتكوين الأسرة، من ذلك ما حدث لجعفر بن سعيد، وقد سبق الحديث عنه، فقد قتله والى غرناطة السيد أبو عثمان الموحدى بسبب منافسته له على حب الشاعرة الغرناطية حفصة الركونية^(٧).

(١) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل.

(٢) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق: ص ٨٠.

(٣) الجرسفى: ثلاث رسائل ص ١٢١.

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٥٤.

(٥) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٥١.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٩، اللوحة البدرية: ص ٤١.

(٧) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: ج ٢ ص ١٨٣، ترجم لها ابن دحية فى المطرب مصورة بدار الكتب المصرية ص ١٠، المقرئ: نفع الطيب: ج ٤ ص ١٧١ - ص ١٧٢ ياقوت: معجم الأدباء ج ١٠ ص ٢١٩ طبعة القاهرة.

الطلاق

وكما أن الزواج ظاهرة اجتماعية طبيعية كان الطلاق أيضًا إحدى الظواهر الاجتماعية الموجودة في المجتمع، فابن عبد الرؤوف يرى «بأن يؤدب من يحلف بالطلاق أو بطلاق الثلاث»^(١) كما يؤمر الرجل أن لا يتخذ النكاح والطلاق والعتاق هزلًا ولا لعبًا، لقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾^(٢) كما يؤدب «من شكّت به امرأته، وعليها آثار ضرب مبرح على حسب ما يظهر عليها من ذلك، إلا أن يكون ضربه إياها على مضجعها، فلا يعرض لها بمكرهه»^(٣).

كما يؤمر الموثقون أن لا يعقدوا مراجعة رجل طلق امرأته خُلِعَ^(٤) أو تمليك^(٥) وهي

(١) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل ص ٨٣.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣١.

(٣) ابن عبد الرؤوف: ص ٨٣.

«هذا وقد كان الزواج يمثل عبئًا على بعض الرجال العاشقين ومن هؤلاء الرجال ابن قزمان، فلم يكن ابن قزمان من أولئك الناس يحبون البيت ويألفون حياة الأسرة، بل كان قلق الشخصية مسرفًا، محبًا للشراب وولعًا باللهو والعبث، وقد قص علينا أنه تزوج مرة ولكنه ضاق بالزواج وبالمرأة وبمسئولية البيت، وقد عبر عن هذا أحسن تعبير واقواه، في أسلوب يكاد يكون حديثًا صالحًا لكل عصر، انظر عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس: ص ٧٦، انظر زجل ابن قزمان في ديوانه زجل من ١٤ - ٢٢، وانظر ابن سعيد: ج ١ ص ٢٨٣.

ولم يكن هذا هو مبدأ كل الرجال فيها هو الفقيه عبد الملك بن حبيب يحن إلى زوجته وبيته وأهله وأحسن بالغربة أثناء سفره لأداء فريضة الحج فنادى:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بأكناف نهر الثلج حين يصبوب
وحولى أصحابي وبتى وأمها ومعشر أهلى، والرؤوف مجيب

انظر عبد العزيز الأهواني: المرجع السابق ص ٧٨.

(٤) طلاق الخلع «الخلع والفدية والصح والمباراة كلها تشول إلى معنى واحد هو بذل المرأة العوض على طلاقها» انظر ابن رشد: بداية المجتهد ج ٢ ص ٧٨ وما بعدها.

(٥) طلاق التمليك هو تفويض الطلاق إلى الزوجة وللرجل أن يجعل إلى المرأة طلاقها وذلك على وجهين: توكيل وتمليك ففي التوكيل له أن يرجع ما لم تطلق نفسها، وفي التمليك ليس له ذلك «انظر كتاب مواهب الجليل في شرح مختصر أبى الضياء سيدى خليل، تأليف إمام المالكية في عصره».

محمد بن عبد الرحمن المغربي (ت ٩٥٤ هـ) الطبعة الأولى ١٣٢٩ هـ، مطبعة السعادة.

حامل منه، وقد أثقلت أو دخلت في ستة أشهر من حملها، لأنها مريضة ونكاح المريض لا يجوز^(١) «كما يؤدب كل من حلف بالطلاق أو بطلاق الثلاث»^(٢) كذلك «يؤمر الرجل ألا يكون محلاً لغيره فإن فعل ذلك عوقب هو والمرأة والبينة والذي عقد النكاح إن علموا بذلك»^(٣).

النزى الغرناطى

انتشر استخدام الملابس الصوفية بين سكان غرناطة فأصبح أكثر الناس يلبسون الأكسية الصوفية يقول ابن الخطيب «ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شتاء»^(٤) أما في الصيف فكانوا يرتدون أنواع الملابس المختلفة من حريرية^(٥) وقطنية وكتانية^(٦)، يقول ابن الخطيب أيضاً «والأردية الأفريقية والمقاطع التونسية والآزر المشقوقة فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة، في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»^(٧).

وكان فصل الصيف يبدأ عندهم ابتداء من مهرجان العنصرة الموافق ٢٤ يونيه من كل

(١) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق: ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٣٤ «الملف هو نسيج من الصوف، انظر الفصل الثانى من الرسالة، وهو الجوخ المنسوج من الصوف» ابن الخطيب: نفس المصدر والصفحة، للمحة البدرية: ص ٣٨.

(٥) كانت المربة في مقدمة المدن التي تضع النسيج وخاصة الحريرى بالإضافة إلى مالقة ومرسية، انظر ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ١٤ - ص ١٦، المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٨٧، طبعة سنة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٧.

(٦) اشتهر إقليم غرناطة بكثرة إنتاجه من الحرير والكتان وخاصة فحص البيرة وفنيانة ووادي آش، انظر الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٤، ص ١٤٣، ص ١٩٢، وهو ما ذكره معاهدتها ترغيباً لابن رزميرى فى امتلاكها، انظر مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص ٩١، وابن الخطيب: ج ١ ص ١٠٩.

(٧) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٣٤ (كما عرف أهل غرناطة نوعاً من القماش يعرف بالملبد ذو الألوان العجيبة) المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٨٧ «الملبد المختم نوع من القماش الحريرى كان يصنع فى غرناطة».

عام، وحتى أول أكتوبر، ثم يلبسون الملابس الصوفية الثقيلة والملونة بقية العام^(١).

وقد استخدم العامة الملابس الكتانية نظراً لرخصتها ومتانتها أما العمامة «فكانت لا تستعمل إلا نادراً ولا يلبسها إلا القضاة والفقهاء، وكان بعضهم يفضل عليها قلنسوة من الخز أثناء الصلاة وأثناء الدخول إلى الخلفاء والملوك»^(٢) يقول ابن الخطيب «والعمائم تقل في زى أهل هذه الحضرة إلا ما شاذ في شيوخهم وقضاتهم وعلماهم والجند المغربي منهم»^(٣).

وأهل غرناطة يفضلون اللون الأبيض في لباسهم^(٤) على عكس المرابطين الذين اتخذوا السواد شعاراً لهم حين نادوا بسيادة العباسيين^(٥)، لكن سرعان ما عاد الموحدون إلى اتخاذ البياض شعاراً لهم من جديد^(٦).

أما أهل المرية فكانوا يلبسون الملابس الموشاة والديباج^(٧) كما عرف أهل المرية لبس أنواع كثيرة من الثياب الفاخرة التي كانت تتجهها المدينة نفسها مثل «الديباج والسقلاطوني

(١) العمري: وصف أفريقية والمغرب والأندلس: ص ٤٢.

(٢) العمري: المصدر السابق: ص ٤٢، المقرئ: نفع الطيب: ج ١ ص ٢٢٢.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٦، ابن الخطيب: اللوحة البدرية: ص ٣٩.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٥.

(٥) المراكشي: المعجب: ص ١٤٧، أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ الأندلس ص ١٠٠.

(٦) S.P. Scott: History of Moorish Empire, Vol, 2P. 180.

(٧) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: ص ٤٢٢.

(٧) ياقوت: معجم البلدان: ج ٥ ص ١١٩، ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٤ «انتشرت هذه الصناعة في مدينة المرية التابعة لإقليم غرناطة فتفوقت على قرطبة وأجادت هذه الصناعة إجابة تامة، انظر المصدرين السابقين نفس الجزء والصفحة.

كان أهل غرناطة شأنهم شأن الأندلسيين يعتنون بأزيائهم وملابسهم ويتأنقون وبلغ اهتمام الخاصة منهم أنهم كانوا يفضلون الأزياء المحكمة الصنعة من إنتاج المرية التي كانت تنتج أفخر الثياب وأغلاها، وكان بعضهم من الخاصة مثل ابن قزمان على دراية بأوصاف الثياب وأنواع التفصيل وأصناف النسيج وله جولات كثيرة في الأسواق لاختيار الثياب كما يقول في الزجل ٨٧ انظر عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس: ص ٧٢، ص ٧٣ وفي هذا الزجل يحدثنا ابن قزمان بأنواع الثياب ويحدثنا بالفاظ اصطلاحية قل أن نجدها في كتاب آخر، انظر الزجل السابق: الأهواني نفس المرجع والصفحة.

مَحْشُوا جَدِيد مَشَاكِل
وَاسِع التَّصْرِيع وَكَامِل

كَتْرِيد نَلْبَس فِذ الْعِيد
حَسَن التَّفْصِيل مَلَح

والاصبهانى والجرجاني والستور المكلفة والثياب المعينة والعتابى الفاخرة^(١).

أما أهل مالقة فقد استخدموا فى أزيائهم الثياب المصنوعة من الحرير الموشاة بالذهب^(٢).

وإلى جانب أهل إقليم غرناطة عاشت معهم أجناس أخرى كان لكل كل منهم زياً خاصاً بهم سواء من البربر أو المرابطين أو الموحدين أو من أهل الذمة من النصارى واليهود.

فقد استخدم المرابطون الملابس الصوفية فى أزيائهم^(٣)، أما ألوان ملابسهم فكانت متنوعة، ومن أهم الألوان المستخدمة فى ملابس المرابطين اللون الأسود، فكانت أعلامهم وملابسهم سوداء^(٤) وإلى جانب اللون الأسود استخدم المرابطون عدة ألوان منها اللون الأصفر والأبيض^(٥)، كما استخدموا الملابس الكحلية اللون^(٦).

كذلك اتخذ المرابطون اللثام إذ كانوا يضعونه على وجوههم وصار هذا اللثام علامة

= وهو صاحب ذوق فى اختيار الألوان زيادة على خبرته بالأنواع فالثوب الأزرق يستلزم جبة خضراء، هذا وهو لا ينسى أن يخصص الأزرق بأنه سماوى والأخضر بأنه فستقى، انظر الأهوانى نفس المرجع ص ٧٤ والزجل رقم ٢٤.

(١) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤ «الديباج هو قماش من الحرير وهو نوع من الأقمشة

الحريرية والقطنية المختلفة الألوان، انظر Dozy, Diction. P.P. 113 - 436

أما العتابى فينسب إلى حى عتاب فى بغداد حيث توجد مصانعه Dozy, Op. Cit. P. 110

(٢) المقرئ: نفح الطيب: ج ٣ ص ٢١٩، طبعة سنة ١٩٦٧، ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠ «وفيهما - أى مالقة - تنسج الحلل الموشية التى تجاور ثمنها الآلاف ذت الصور العجيبة برسم الخلفاء فمن دونهم» انظر المصدرين السابقين نفس الجزء والصفحة.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ٥٨.

(٤) S.P. Scott: History of Moorish Epire; Vol. 2, P. 180

سيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير: ص ٧١٧، أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس: ص ١٠٠، حركات: المغرب عبر التاريخ: ص ٢٣٦.

(٥) ابن القاضى: جذوة الاقتباس: ص ١٤٥.

(٦) ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ٨٩.

أصبح اللثام يشير إلى كبار رجال الدولة وأبناء القبائل المرابطية، ومن هنا اتخذ بعض العامة اللثام زياً لهم للتمويه على الناس فأوجب ابن عبدون «عدم لبس اللثام إلا أن يكون صنهاجى أو لمتونى أو لمطى»^(٢).

أما الموحدون فقد استخدموا أيضاً الملابس الصوفية فكانت صنهاجة تستخدم الصوف ويحتزم أفرادها بمآزر صوف كانوا يسمونها «أسفاقس» وكانوا يتركزون رءوسهم عارية^(٣)، ويبدو أن البربر سواء من المرابطين أو الموحيدين بعد اتصالهم بأهل الأندلس وانفتاحهم على حياة اللهو لم يتعودوها في بلادهم، أقبلوا على ارتداء الملابس الحريرية المطرزة وغالوا في ذلك، مما دفع الخليفة المنصور الموحدى إلى إصدار أمر ببيع ما فى خزائن الدولة من هذه الحرائر كما طالب الرعية بالتخفيف من ارتداء هذه الملابس، يقول ابن عذارى «ثم أمر - أى المنصور الموحدى (٥٨٠ هـ) - بقطع لباس الغالى من الحرير والاحتزاء منه بالرسم الرقيق الصغير ومنع النساء من الطرز الحقبيل وأمر بالاكتفاء منه بالساذج القليل، وأمر بإخراج ما كان فى المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان لم تعرف ولم تستقصى»^(٤).

أما الجنود فكانوا صنفين جند أندلسى وجند بربرى، يقول ابن الخطيب «والأندلس

(١) الكبرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب: ص ١٧٠، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية: ص ٤٣٨، ما زالت قبائل الطوارق أو التوارجة فى صحراء الجزائر يستعملون اللثام، ويقال إنهم من قبيلة ترغة إحدى قبائل الملشمين، ويضعهم ابن خلدون فى كتلة البربر البرانس التى تنتمى إليها صنهاجة، انظر الكبرى: المغرب فى وصف إفريقية والمغرب: طبعة دى سنان الجزائر ١٩١١ ص ١٧٠، ابن خلدون: العبر: ج ٨ ص ٨٩ وما بعدها.

وقد اختلفت الآراء حول هذه العادة، وأغلب الظن أنهم أخذوها من زنوج أفريقيا المجاورين الذين استخدموا الاقتعة لدفع العين الشريرة عنهم انظر:

Ander Julian: Histoire de l'Afrique de Nord, P. 77, Paris, 1952.

(٢) ابن عبدون ثلاث رسائل: ص ٢٨ «أورد ابن تومرت فى كتابه أعز ما يطلب باباً فى وجوب مخالفة المرابطين فى زيهم وتحريم الاقتداء بهم» انظر ابن تومرت: أعز ما يطلب: ص ٢٦٣، الجزائر، سنة ١٩٠٣.

(٣) ابن سعيد: نزهة الاقطار: ج ١ ص ١١ والإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٦٢.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤، القسم الموحدى، طبعة تطوان، ص ١٠٣ - ص ١٠٤.

منها يقودهم رئيس من القرابة أو حصي^(١) من شيوخ الممالك، وزيهم في القديم شبه زى أقتالهم^(٢) وأضدادهم من جيرانهم الفرنج، إسباغ الدروع، وتعليق الترسه وحفا البياضات واتخاذ عُرَاصُ الأسنه وبشاعة قرايس السروج، واستركاب حملة الرايات خلفه، كل منهم بصفة تختصّ بسلاحه، وشهرة يُعرف بها^(٣).

«والبربري منه يرجع إلى قبائله المرينية والزنازية والتيجانية والمغراوية والعجيبة، والعرب المغربية إلى أقطاب ورءوس يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤسائهم، وقطب لعرفاهم، من كبار القبائل المرينية، يمت إلى ملك المغرب بنسب^(٤)».

ويقول ابن غازي: إن الجند المرابطي كان يتزيا بالثام والغفارة القرمزية وهو نوع من الكساء والعمامة ذات الذؤابة^(٥).

أما جنود الموحدين فقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى نوع الثياب التي كانت توزع عليهم من قبل الخلافة ففي سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م وزع الخليفة عبد المؤمن بن علي أثناء توجههم إلى غرناطة للقضاء على ابن همشك الثياب والكساء والعمائم والبرانس^(٦).

وفي سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م وزع عليهم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كسوة تامة لكل جندي وهي مكونة من غفارة وعمامة وكساء وقبطية وشقة^(٧).

أما اليهود فقد حدد لهم المنصور الموحدي زياً خاصاً بهم يتميزون به بين طوائف

(١) الحصى هو الرجل الوافر العقل، انظر الإحاطة: ج ١ ص ١٣٦، هامش رقم ١.

(٢) «المقصود هنا الذين يقاتلونهم».

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٦.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٦.

(٥) ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون طبع حجر مغربي، ص ٦.

«الغفارة كساء يلبس فوق آخر وهو رداء واسع يلبسه الجنود عادة وما زالت كلمة غفارة تستعمل في

المغرب بمعنى السلها. R. Dozy, Supplement aux Dictionnaires Arabes, 11 P. 218

(٦) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٢٢١ «البرنس كساء يكون غطاءً للرأس جزء منه متصل به وكانت مدينة نول في القديم مركزاً مصوراً لاقتناء البرانس» انظر المصدر السابق: نفس

الصفحة، هامش ٢، والإدرسي: نزهة المشتاق: ص ٦٠ و Dozy: Sup. T. 1 P. 79

(٧) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٢٢٩ - ص ٣٠٠، جمع غفارة: كساء يلبس فوق آخر،

انظر لسان العرب، والقبطية هي ثوب أبيض رقيق مستطيل الشكل، انظر ابن صاحب الصلاة:

نفس المصدر والصفحة.

الشعب وذلك حتى يمكن التمييز بينهم وبين غيرهم من المسلمين وخاصة بعد تظاهرهم بالإسلام^(١).

يقول ابن عذارى «فجعل - أى المنصور الموحدى - لهم صفة كحداد ثكلى المسلمين أردان قمصهم طول ذراع فى عرض ذراع وبرانيس زرق وقلانس زرق وذلك فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة المؤرخ ٥٩٥ هـ»^(٢).

ويضيف الدكتور مصطفى الشكعة فى كتابه الأدب الأندلسى أن أزياء النساء كان طابعها الأناقة والنفاسة والإسراف^(٣).

ويؤكد ابن الخطيب هذا المعنى بقوله عند الحديث عن نساء غرناطة «وقد بلغن من التفنن فى الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات، والتنفيس بالذهبيات والديجيات والتماجن فى أشكال الحلى إلى غاية نساء الله أن يُغض عنهن الدهر، ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وأن يعامل جميع من بها بستره، ولا يسلبهم خفى بعزته وقدرته»^(٤).

وهذا وقد استخدم أهل غرناطة الحلى بأنواعها الذهبية والفضية^(٥)، بالإضافة إلى الأحجار الكريمة التى كانت موجودة بكثرة فى الإقليم، يقول ابن الخطيب: «وحليهم فى القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص، إلى هذا العهد، فى أولى الجدة واللجين فى كثير من آلات الرجلين، فيمن عداهم، والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والنمرد ونفيس الجواهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة إلى ظل، أو أصالة معروفة موفورة»^(٥).

(١) الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: ص ١١.

(٢) ابن عذارى: البيان: ج ٤ القسم الموحدى تطوان ١٩٥٦ ص ١٨١.

(٣) مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسى: ص ٨٥.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٩.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٨ - ص ١٣٩.

الطعام والشراب

أما طعامهم «فالغالب عليهم القمح والفقراء يقتاتون الذرة العربية»^(١).

وقد تفنن سكان إقليم غرناطة فى صنع كثير من ألوان الطعام المختلفة وصارت موائدهم حافلة بالأنواع المختلفة من الأطعمة والحلوى وأصناف الفواكه والأشربة المختلفة وساعدهم على ذلك غنى البيئة الغرناطية التى كانت حافلة بشتى أنواع الفاكهة^(٢) والخضروات^(٣)، يقول ابن الخطيب: «وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث، الكروم البديعة، طوقاً موقوماً... وهى - أى غرناطة - ذوات الفواكه من اللوز والأجاص والكمثرى محدقة»^(٤) بالإضافة إلى أنواع اللحوم المختلفة سواء الغنم أو الأبقار أو الطيور^(٥)، وأنواع الأسماك المختلفة^(٦)، وأنواع التوابل والأفاوية^(٧) والتى استخدمها أهل غرناطة فى طعامهم.

هذا وشاع الترف^(١) بين طبقة الخاصة فى المأكّل فى ذلك العصر الذى نحن بصدد

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ص ١٢٠، عن فواكه غرناطة انظر الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣ - ص ٢٤، الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ١٩٢.

(٣) يقول ابن الخطيب: إن غرناطة «قد غصت الدكاكين بالخضر الناعمة والفواكه الطيبة، والتمر المدخرة» ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١١٥ - ص ١١٦.

(٤) ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١٢٠.

(٥) يقول ابن الخطيب: إن غرناطة «ذات بيادر فسيحة ومصاب للحمائم والدواجن مائلة» انظر ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١٢٥.

(٦) أمدت مدينة المنكب إحدى مدن إقليم غرناطة بأنواع كثيرة من الأسماك حيث يكثر بها صيد الأسماك، انظر ابن الخطيب: نفاضة الجراب، نشر أحمد مختار العبادى، ص ١٠٩، هامش ١، ص ٣٠٠ حاشية ٦، الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ١٩٩، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٦، البغدادى: مراصد الاطلاع: ج ٣ ص ١٦٤، أما شلوبانية فى وافة الأسماك، أيضا ابن الخطيب: مشاهدات: نشر العبادى ص ٨٠، الحميرى: المصدر السابق: ص ١٣٦، أما مالهة فكانت مستودعاً للأسماك المالحة التى تعمل وتحفظ فيها، انظر نفاضة الجراب: ص ٢٨٦، هامش ٣، أما مربلة فقد كانت مركزاً عظيماً لصيد الأسماك والسردين، انظر ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٧٥، حاشية ٤.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨.

دراسته، وقد تفنن الأغنياء فى طهو نوع واحد من الطيور بطرق مختلفة، فمثلاً كانت الدجاجة تطهى بطرق عديدة بحسب ما يضاف إليها، فقد كانت تحمر بالجوز والزعفران، أو تحمر باللوز المدقوق أو تحمر بماء الكزبر الأخضر أو بالصنوبر أو بالفستق، كما كانوا يشوون بعض الحيوانات الكبيرة مثل الخراف والعجول ويضعون بداخلها الطيور المشوية^(٢).

ولكن هذا الإسراف فى الطعام لم يكن موجوداً فى مطابخ العامة من الناس، وخاصة الطبقات الفقيرة التى لم تكن تستطيع عمل ذلك ووصل الحد ببعضهم أنه كان يلتقط بقايا مطبخ الخلفاء والحكام والأغنياء ويتخذ منه طعاماً لهم^(٣) يسد به رمقه، وبالإضافة إلى أنواع اللحوم من العجول والخراف والطيور بأنواعها كان أهل غرناطة يتناولون طعامهم من الأسماك البحرية وخاصة المدن البحرية مثل المرية والمنكب ومالقة^(٤)، فكانوا يعرفون من أنواع الأسماك والسردين الكثير بالإضافة إلى أنواع القنطون والحوت الذى كان متوفراً فى سواحل مالقة، ومن الأطباق المشهورة أيضاً طبق (البلاجة) وهى تصنع من الأكباد ويوضع

(١) بلغ الترف فى المأكول فى عصر الموحدين حداً أنه صنع للسيد أبى العلاء بسبته نوع من الأكل يسمى «عجل مشوى» وهو أن يؤخذ كبش فتى سمين مسلوخ ومنظف ويفتح بين فخذه فتحاً عميقاً ويخرج جميع ما فى جوفه من أحشاء برفق، ثم يدخل فى جوفه أوزة مشوية وفى جوف الأوزة دجاجة مشوية، وفى جوف الدجاجة فرخ حمام مشوى وفى جوف الفرخ رزور مشوية وفى جوفه عصفور مشوية أو مقلية، كل ذلك مشوية مدهونة بالمرقة الموصوفة للشواء ويخاط ذلك الفتحة ويدخل الكبش فى التنور المحمى ويترك حتى ينضج ويحمر ويطلق بتلك المرققة ثم يدخل فى جوف عجل قد أعد ويخاط عليه ويجعل فى تنور محمى ويترك فيه حتى ينضج ويحمر ثم يخرج ويقدم.

انظر آريش ميراندا: المطبخ الأسباني المغربى خلال عصر الموحدين: ص ١٤٣، هامش ٣، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٥٧، ص ١٣٧ - ص ١٥٥، انظر مجهول: الطبخ فى المغرب والأندلس: ص ٢٠٠ معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٦٥ تحقيق هويش ميراندا المجلد الخامس ص ١٣٧ - ص ١٥٥، ٢٠٠.

(٢) مجهول: الطبخ فى المغرب والأندلس: ص ١٣٢، ص ١٥١، ص ١٥٢، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٦٥، تقديم حسين مؤنس.

(٣) مجهول: المصدر السابق: ص ٨١.

(٤) مجهول: المصدر السابق: ص ١٧٢ - ص ١٧٧.

عليها الزيت والكزبرة والخل والثوم وتوضع في الطاجن وتطبخ^(١).

كذلك يحشي مصران الخراف باللحم^(٢)، كما كانت الكبد والقلوب تشوى داخل فرن من الطوب^(٣).

أما الأجبان فكانت تصنع من لبن البقر والغنم والعنز والجاموس ولا تؤكل جبن المجوس لأن ذبائحهم لا تحل للمسلمين^(٤).

وكانت التوابل تستعمل بكثرة في مختلف أنواع الأطعمة وخاصة في أنواع اللحوم سواء المطهوه أو المشوية أو المقلية، ومن أشهر التوابل التي استعملها أهل غرناطة الفلفل والزعفران^(٥) والقرفة والكزبرة والسنبل والزنجبيل واللوز والدارصيني^(٦) والكمون والكراوية، كما كانوا يضيفون الخل أيضا إلى معظم الأطعمة سواء كانت مشوية أو مطهية لكي تكسيها طعما ورائحة مقبولة^(٧).

وكان الأندلسيون من أهل غرناطة شأنهم باقي الأندلسيين لا يستعملون السمن أو الزبد في طعامهم إلا نادرا، كما كانوا يفضلون عليه الزيت، وكان الزيت يدخل في معظم الأطعمة سواء كانت مقلية أو مطهوه، وإذا حدث واستعملوا السمن فكانوا يضيفون إليه الزيت تخفيفا لحدته^(٨).

وقد اشتهرت بعض عناصر السكان بأنواع معينة من الأطعمة فالبربر وخاصة قبائل

(١) السقطي: أدب الحسبة: ص ٣٩.

(٢) السقطي: المرجع السابق: ص ٣٦.

(٣) Levi Provencal, L'Esp. M. Vol. 111, P. 415

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٢.

(٥) اختصت بسطة إحدى المدن التابعة لإقليم غرناطة بالزعفران، انظر الإدريسي: صفة المغرب: ص

٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١، حاشية ٩.

(٦) الدارصيني شجر له قشر يستعمل مسحوقه في أخلاط التوابل والبهار، انظر ابن ماجه المحتسب:

نهاية الرتبة: ص ٤٣.

(٧) مجهول: الطبخ: ص ٤٠، ص ٧٩، ص ٨٠، ص ٨٢.

(٨) مجهول: الطبخ: ص ٩.

لمتونة ومسوفة وغيرها من قبائل صنهاجة كانوا يأكلون لحوم الأغنام ويشربون البانها^(١).

كما كان لهم طعام وطنى يشترك فيه كل قبائل البربر ويأكلونه فى المناسبات وهو طعام أساسى وهو مكون من كبش مضاف إليه الملح^(٢).

وهناك بعض ألوان الطعان المنسوبة إلى بعض الفئات والأشخاص، ومن ذلك طعام الخاصة ويسمى بالصنهاجى والملوكى وهو مكون من لحوم البقر والغنم والدواجن ويستعمله الخاصة^(٣).

كما كان الملوك والخاصة والرؤساء يأكلون أمخاخ ما يذبح من الطيور والحيوانات^(٤). كما كانت توجد بعض الأطعمة الخاصة باليهود منها الفروج اليهودى^(٥) والحجلة اليهودية^(٦).

وكان كثيرون من أفراد الطبقة الخاصة يقدمون تلك الأصناف منفردة أى صنفا بعد صنف، بدلا من وضعها كلها على المائدة، دفعة واحدة، وكانت تلك هى عادة الناس والحكام والأغنياء منذ الفتح حتى القرن السادس الهجرى^(٧).

وكانت هناك تقاليد فى تقديم تلك الأطعمة، فكانت لا تقدم أصناف سهلة الهضم مع أخرى عسرة الهضم لأن ذلك يحدث التخممة وبعض أمراض المعدة، وكانوا يقدمون الأطعمة المخلوطة بالخل ثم الأطعمة الحلوة المذاق^(٨).

كما كانت هناك بعض الأطعمة الشعبية مثل الحشيشة والعصيدة، وكانت تصنع من لباب الخبز أو القمح المجروش ويضاف إليها اللبن والعسل والزبد والقرقة والسكر^(٩).

(١) مجهول: تواريخ مدينة فاس: ص ٢٧، البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية، ص ١٦٤.

(٢) البيذق: أخبار المهدي: ص ٧٣. (٣) مجهول: الطليخ: ص ١٢١.

(٤) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٤.

(٥) مجهول: نفس المصدر: ص ٣٥ - ٣٦.

(٦) مجهول: نفس المصدر: ص ٦٨.

(٧) مجهول: نفس المصدر: ص ٦ - ٨٥.

(٨) مجهول: المصدر السابق: ص ٧٦، ص ٨٢، ص ٨٥.

(٩) مجهول: الشيخ: ص ١٩١ - ١٩٤.

الشراب

أما عن الشراب الذى كان يتناوله الناس فى غرناطة فكان أشهره الخمر وكان شراب الخمر شيئاً عادياً فى حياة الخاصة والعامة، وقد رأينا كيف كان الخاصة يشربونها حيث كانوا يقضون أوقاتهم فى اللهو والنزهة والشراب، وكان الشعراء يقضون أوقاتهم فى اللهو، والنزاهة والشراب، وكان الشعراء والأدباء يشربونها لأنها تطلق النفس من عقالها وتزيد السرور، والأدباء المعدمون إذا ما تيسر لهم شربها فإنما يشربونها لنسيان الهموم والهرب من الأحزان^(١).

وكان ذوو الجاه يشربونها دون تحرج أو خوف وكان البعض الآخر يتحرج فى شربها مثل السيد اللص فقد تحرج فى شرب الخمر فى مجلس شراب عند أبى جعفر بن سعيد^(٢).

وكان بعض السادة الموحدين لا يكتفون بالمجاهرة فى شربها فحسب، بل يجبرون من يستحرم ذلك على شربها، كالذى حدث للأديب الرحالة محمد بن جبير^(٣) عندما استدعاه أبو سعيد بن عبد المؤمن، صاحب غرناطة، لأن يكتب كتاباً عنده وهو على شربه، فمد يده إليه بكأس، فأظهر الانقباض: وقال «يا سيدى ما شربتها قط، فقال: والله لتشربن منها سبعا، فلما رأى العزيمة شرب سبع كتوس فملأ السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره»^(٤) على ما سبقت الإشارة إليه.

(١) حكمة على الأوس: الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين: ص ١٩٢.

(٢) المقرئ: نفح الطيب: ج ٤ ص ٢٠٣، انظر القصة مفصلة فى الحديث عن الحياة الاجتماعية لطبقة الخاصة.

(٣) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جُبَيْر، الكنانى صاحب الرحلة وهو من ولد صخر بن بكر بن عبد مائة بن كنانة، أندلسى، شاطبى، بلنسى، مولده ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة أربعين وخمسمائة ببلسنية وسمع من أبيه ومن أبى عبد الله الأصيلى وأبى الحسن بن أبى العيشى وأخذ عنه القراءات وعنى بالأدب، فبلغ الغاية منه، وتقدم فى صناعة القريض والكتابة، انظر المقرئ: نفح الطيب: ج ٢ ص ٣٨١ - ص ٣٨٢، ابن الأبار: التكملة: ص ٥٩٨، والذيل والتكملة ص ٥٩٥، وابن الخطيب: الإحاطة: ج ٢ ص ١٦٨، ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ٣٨٤، النجوم الزاهرة: ج ٦ ص ٢٢١.

(٤) المقرئ: نفح الطيب: ج ٢ ص ٣٨٥، راجع ما سبق ص ٩.

ويقال: إن ابن جبير بعدما فرج من عنده أضمّر أن يجعل كفارة شربه الج بتلك الدنانير.

ولم تخل مجالس اللهو والطرب من شرب الخمر حيث كان الفتيان الصغار يطوفون بأكواب الخمر على الحاضرين، وكان هذه مدعاة لقول الشعر والتغزل بهؤلاء الغلمان^(١).

وكان عامة الناس لا يقدرون على شراء نبيذ العنب لأنه كان غالي الثمن فكانوا يصنعون أنواعاً رخيصة يستطيعون شراءها، مثل نبيذ العسل ونبيذ الذرة^(٢).

ومن الأشربة المشهورة التي اتخذها البربر - وخاصة قبائل المصامدة شرباً لهم - شراب اسمه الرب^(٣).

وكان المصامدة يشربون أيضاً شراب أنزير وهو حلو وله تأثير شديد كالخمر^(٤).

أما قبائل صنهاجة فكانوا ينقعون الزبيب في الماء ويشربونه^(٥) وقد ذكر صاحب كتاب الطبخ السالف الذكر أسماء للمشروبات رادت عن ثلاثين نوعاً^(٦).

(١) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب: ج ١ ص ٩٩، ص ٢٦٧، ص ٢٩٧، ج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض: ص ٧٧.

(٣) مجهول: الاستبصار: ص ٢١١ «الرب هو الطبخ الخائر من عصير العنب، كما هو في لسان العرب وقد كان شربه معهوداً أول الأمر إلى أن تنبهوا إلى أن مفعوله لا يختلف عن مفعول الخمر الحرام، فأصدروا الأوامر بمنعه، وهكذا فبعد أن كان الرب يقدم في الاحتفالات الرسمية، وبعد أن كان يباع في مكان خاص بمراكش (باب الرب) بعد ذلك صودر في جميع أنحاء المملكة سنة ٥٨٠هـ ورجع الناس إلى مبدأ ابن تومرت، مجهول: المصدر السابق: ص ٢١١، بروفنسال: رسائل موحدية: الرسالة ٢٨، ص ١٦٤، السلاوي: الاستقصا: ص ١٨٨، راجع أنواع الرويات: رب السفرجل، رب الرمان، رب التوت في كتاب الطبخ في المغرب والأندلس: ص ٢٥٥.

Allain et Deverden: Les Portes Anciennes de Marrakech: Hesperis, T. 44, 1957 Page 121 - 123

والرب معروف إلى الآن في أسبانيا ويعرف باسم Arrop، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٧١، ص ١٧٢.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ٦٢، «هو عبارة عن عصير عنب حلو يطبخ على النار ويخلط بكمية مثله من الماء، انظر الإدريسي: نفس المصدر: ص ٦٣.

(٥) ابن سعيد: نزهة الأنظار: ج ١ ص ١٠، انظر الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ٥٩.

(٦) الطبخ السالف الذكر: ص ٢٢١، ٢٣١، ص ٢٣٨، ص ٢٤٦ وما بعدها.

ومن الأشربة التي كان يقبل عليها الناس، شراب العسل مضاف إليه القرفة والزنجبيل وجوزة الطيب وهو ينفع في التداوى من أمراض الكبد ويقوى المعدة وسائر أمراض الاستسقا كما يحلل البلغم، ويلين البطن^(١).

أما شراب الجلاب وهو مصنوع من ماء الورد مضافاً إليه سكر ويستخدم لعلاج الأمراض السابقة وفي علاج بعض أمراض الحميات^(٢).

أما شراب المصطكى فهو شراب مضاف إليه النعناع والسكر والعسل وهو إلى جانب علاجه لأمراض المعدة والكبد يهضم الطعام ويمنع القيء^(٣).

أما شراب الورد الأخضر فكان يؤخذ من الورد الأخضر ويضاف إليه السكر وكان يستخدم كملين للإمساك^(٤).

كما استخدم الناس أنواعاً من الشراب الفاتحة للشهية مثل شراب الورد اليابس وهو من نبات الورد اليابس ويصفى ويضاف إليه السكر يستعمل كفاتح للشهية^(٥).

وكان شراب البنفسج يؤخذ من نوار البنفسج الأخضر مضافاً إليه السكر وهو يستعمل بالإضافة لعلاج الحميات الصفراء والتلين وقطع العطش يستعمل في علاج السعال اليابس^(٦).

أما شراب التمر الهندي فكان يضاف إليه الماء والسكر ويطبخ ومن منافعه أنه يمنع الإسهال ويوقف القيء كما أنه فاتح للشهية كما أنه يذهب حرارة الفم^(٧).

أما شراب الجزر فكان الجزر يؤخذ وتضاف إليه بعض المواد والعسل ويطبخ في ماء دافئ ومن فوائده أنه يحلل البلغم^(٨).

(١) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٣٨

(٢) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٣٩.

(٣) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٣٩.

(٤) نفس المصدر: ص ٢٤١.

(٥) نفس المصدر: ص ٢٤٢.

(٦) مجهول: الطيبخ: ص ٢٤٢.

(٧) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٤٦ - ص ٢٤٧.

(٨) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٤٧ - ص ٢٤٨.

أما شراب التفاح الحلو فكان يضاف إليه الماء والسكر وهو مهم فى علاج القلب^(١).
وهكذا تعددت الأشربة وتنوعت.

المواسم والأعياد

كانت الأعياد فى غرناطة كثيرة ومتنوعة، نذكر منها الأعياد الدينية مثل عيدى الفطر والأضحى، وعيد المولد النبوى فى ١٢ ربيع، وموسم عاشوراء فى العاشر من المحرم، ثم هناك عيد العصير^(٢)، ومع ما فى هذه الأعياد من الابتهاج والسرور إلا أنها أعياد مقتصرة، يقول ابن الخطيب: «وأعيادهم حسنة ماثلة إلى الاقتصاد»^(٣).

وكان أهل غرناطة شأنهم شأن المسلمين فى داخل الأندلس وخارجها يحتفلون بشهر رمضان وذلك بإقامة الحلقات الدينية^(٤) والصلاة فى المساجد.

ومن المراسم الدينية فى الأندلس ليلة القدر ففى ليلة السابع والعشرين من رمضان توقد الشموع فى المساجد^(٥)، ويحتفل المسلمون بهذه الليلة فيبتاعون الحلوى ويقدمونها^(٦).

(١) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٤٨.

(٢) يلاحظ أن كلمة عصير لم تطلق على عصير العنب فقط بل على التين الرطب أيضاً، راجع: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس ص ٩٣ حاشية ٢.

ولابن قزمان تصوير لنزهات خلوية أيام العصير وهى الأيام التى كان يخرج فيها الأندلسيون إلى الحقول والأدوية، حيث يبيتون عدة ليال هنالك، وقد ذكرها الشعراء فى أشعارهم ونقل ابن بسام طرقاتها منها وكان ابن قزمان يشترك فى هذه الأعياد حيث خرج فى رجال ونساء ومعهم آلات موسيقية يغنون ويرقصون ويعبثون ويستحمون فى النهر وقد ارتدى كل واحد منهم أجمل ما عنده.

انظر ديوان ابن قزمان الزجل رقم ٥٠، الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٩٩.

العصير هو الذى يسمى بالاسبانية Vendimia انظر الأهوانى: نفس المرجع والصفحة.

(٣) ابن الخطيب: اللوحة البدرية: ص ٤٠، الإحاطة: ج ١ ص ١٣٧.

(٤) أحمد بن القاسم (التادلى) كتاب المعزى فى أخبار مناقب الشيخ سيدى أبى يعزى رقم ١٢٤٩، دار الكتب ص ٧ مخطوط.

(٥) العمرى: مسالك الأبصار ج ١ ص ٢١٤، تحقيق أحمد زكى باشا، القاهرة، سنة ١٩٢٤ م.

(٦) الطرطوش: الحوادث والنبع: ص ١٤٠.

كذلك ليلة عاشوراء حيث كان بعض الصالحين يعدون الطعام ويدعون الناس لتناول احتفالا بهذه الليلة^(١).

أما يوم الجمعة فهو عيد الأسبوع عند المسلمين عامة وكان أهل غرناطة يحتفلون فيه بإقامة الصلاة، يقول ابن الخطيب «فتبصرهم في المساجد، أيام الجمع، كأنهم الأهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»^(٢).

وكان الناس يهتنون بعضهم البعض ويقبلون على شراء الحلوى ولذلك يرى الطرطوشى أنه «من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس في هذا اليوم على ابتياع الحلوى»^(٣).

ويرى ابن عبدون أنه لا يجب أن «يمشى الرجال والنساء في أيام العيد على طريق واحد»^(٤).

أما الطرطوشى فيرى أيضاً أنه من البدع خروج الرجال جميعاً أو أشتاتاً مع النساء مختلطين للتفرج في أيام العيد، ويخرجون للمصلى ويقمن فيه الخيم للتفريج لا للصلاة^(٥).

أما عيد الأضحى الذى يأتى فى العاشر من ذى الحجة فقد كان فرصة للاحتفال والتأنق سواء فى الطعام أو الشراب أو الملابس، فيذكر ابن عبد الرؤوف أن كل أسرة فقيرة أو غنية كانت تحرص على تقديم الأضحية خروفاً على الأقل وقد جرى التقليد على شراء الأضحية قبل النحر بيوم أو يومين^(٦).

(١) التادلى: التشوف: ص ٢٨٢.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٥.

(٣) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤٠.

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٧.

(٥) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤١.

(٦) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل: ص ١١٠.

صور لنا ابن قزمان فى رجليه (رجل رقم ٨، ٤٨، ٨٢، ٨٥، ٨٩، ٩١، ١١٨) كبش العيد وفرحة الناس وفرحته هو بكبش العيد وطرق طهيه كما يصور لنا منظراً من مناظر المدن الأندلسية فى القرن السادس، لا يزال قائماً حتى اليوم فى كثير من المدن الإسلامية، فقبل عيد الأضحى ببضعة =

وكان النحر مادة للتفاخر بين الأسر حيث يذكر الطرطوشى «أن الناس يتنافسون فى الضحية للافتخار لا للسنة ولا لطلب الأجر بل لإقامة الدنيا»^(١).

وكمظهر من مظاهر الاحتفال بالعيد، كان الناس يلبسون الملابس الجديدة مع التجميل والتزين^(٢).

كذلك شارك الغرناطيون إخوانهم المسيحيين فى أعيادهم مثل عيد ميلاد السيد المسيح وعيد العنصرة^(٣) أو عيد سان خوان الذى يحتفل به فى أسبانيا فى ٢٤ يونيه وهو يقابل عيد النيروز فى الشرق الذى يحتفل به فى شهر سبتمبر^(٤).

أما عيد الفصح فى ذكرى صلب المسيح عليه السلام، وخميس أبريل يسمونه خميس العهد، فيحتفل به النصارى قبل عيد الفصح بثلاثة أيام، فكانوا يملأون إناءً من الماء يرتلون عليه ثم يغسلون أرجلهم للتبرك كما فعل المسيح بتلاميذه فى مثل هذا اليوم ليعلمهم التواضع لبعضهم بعد أن أخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا^(٥).

كما أن هناك عيداً جماعياً لأهل غرناطة عامة وهو عيد العصير، الذى كان يقام عند جنى محصول العنب وعصره، وهو المحصول الرئيس لأهل غرناطة، فكان الأهالى

= أيام تساق الخراف من كل مكان إلى مبادين تسور بأخشاب ثم يذهب الناس يوم منى إلى هذه الأسواق مزدحمين، يقبلون الخراف ويسامون البائعين، يدفعون ثمن ما اعتزموا شراءه وينادون الحمالين، فيرفع الواحد منهم الخروف على عنقه ويمضى به إلى بيت المشتري، أما من فاتهم الشراء لفقرهم فينتظرون يوماً تقام فيه (فى الحارات) حفر تشوط فيها رؤوس الخراف ويقبل الفقراء على شرائها، صورة لا تزال موجودة إلى اليوم فى بلاد المغرب، انظر الأرجال السابقة، الأهوانى: الزجل فى الاندلس: ص ٧٩ - ص ٨٠.

(١) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١١٠.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٤١، بروفنسال: نخبة تاريخية فى أخبار البربر: ص ٣٦.

(٣) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤١.

(٤) Dozy: Supplement aux Dictionnaires Arabes, 11, P. 621

أحمد مختار العبادى: الأعياد فى مملكة غرناطة: ص ١٤٠، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى

مدريد، ابن بسام: الذخيرة: ج ٤ قسم ١ ص ٤٧.

(٥) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤١ حاشية رقم ٢.

يغادرون ديارهم ويتنقلون إلى حقول الكروم حيث يقيمون عدة أيام لجمع المحصول^(١)، يقول ابن الخطيب: «وعادة أهل هذه المدينة، الانتقال إلى حقل العصور أو أن إدراكه، بما تشتمل عليه دورهم والبروز إلى الفحوص بأولادهم معولين في ذلك على شهادتهم وأسلحتهم»^(٢).

يطلق الثور أو بقر الوحش كما يسميه ابن الخطيب، ثم تطلق عليه كلاب اللان المتوحشة^(٣) فتأخذ في نهش جسمه وأذنيه وتعلق بهما في صورة القرط من أذانها^(٤).

وهذا العمل التمهيدى كان الغرض منه هو الحد من قوة الثور وتهذيب حركته وهو ما يقوم مقامه اليوم عمل رماة السهام Banderilleros وطاعن الرمح Picador وذلك تمهيداً للقاء المصارع الذى كان فارساً مغواراً يصارع الثور وهو على فرسه المدرب ثم يقتله فى النهاية برمحه^(٥).

وقد استخدم الخاصة من الناس الصيد متعة لهم ووسيلة من وسائل اللهو فكانوا يخرجون فى نزعات لصيد طير الباز وهو نوع من الصقور فاهتموا به وقاموا بإعداده وتربيته حتى أنه ينسب إليه ربض باسمه عرف باسم ربض البيارين^(٦).

(١) العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس، مجلة عالم الفكر الكويتية، ص ١٠٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٨، اللوحة البدرية: ص ٤٠ «الفحوص» جمع فحص وهو المرج.

(٣) كلاب اللان وهى الكلاب المعروفة فى اللغة الانجليزية وواضح من اسمها أنها كلاب الشيران Bulldogs.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: لوحة ٤٤١ (نسخة الاسكوريال) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: نشر أحمد مختار العبادى ص ٦ حاشية ١، العبادى الأعياد فى مملكة غرناطة: ص ١٤٢.

(٥) العبادى: المصدر السابق: نفس الصفحة، ما رالت هذه اللعبة موجودة فى أسبانيا إلى اليوم وهو ما تشتهر به أسبانيا ضمن أماكنها السياحية فيأتيها السياح من كافة أنحاء العالم لمشاهدة آثارها ومناظر جنوب أسبانيا الخلابة، كان ذلك من رؤى الشخصية أثناء زيارة لى لأسبانيا سنة ١٩٨٢.

(٦) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤١، القلقشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٤ «هو من أكبر أرباض غرناطة ويقع فى شرق المدينة عن ربض البيارين انظر الباب الأول، العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة، القلقشندى: المصدر السابق نفس الصفحة.

بأما الموسيقى والغناء فكانت تمثل عنصراً هاماً في الحياة الاجتماعية لإقليم غرناطة، فكان أهل غرناطة يعشقون الموسيقى ويميلون إليها^(١)، يقول ابن الخطيب: «والغناء مدينتهم فاشى، حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها كثيراً من الأحداث كالخفافين^(٢) ومثلهم^(٣)».

هذا وقد برع أهل الأندلس في العزف على كثير من الآلات الموسيقية وعلى الأخص القيثارة والدف والمزمار والطبلة والعود^(٤)، بالإضافة إلى الآلات الوترية وهي كلها جوفاء والربط والرباب والقانون^(٥)، ويذكر ليفي بروفنسال أن الفرقة الموسيقية تتكون من المغنى تصحبه فرقة فيها عواد أو زامر وطبلة صغيرة وصاجات فيبدأ المغنى بالغناء ثم يرد الحاضرون^(٦) وراءه بعض المقاطع.

ومن أشهر الموسيقيين في غرناطة أبو الحسن علي بن الحمارة^(٧) وهو ممن برعوا في علم الألحان وعلمها واشتهر عنه «أنه كان يعمد للشعراء^(٨) فيقطع العود بيده، ثم يصنع منه هودا للغناء، وينظم الشعر ويلحنه ويغنى به»^(٩).

وكان المذهب المالكي من أشد المذاهب الفقهية تشدداً في منع وتحريم الآلات الموسيقية^(١٠).

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٧، اللوحة البدرية: ص ٣٨ - ص ٣٩.

(٢) الخفافين: هم الذين يصنعون الخفاف - جمع خف، الإحاطة: ج ١ ص ١٣٧ هامش رقم ٤.

(٣) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٤) جمال محرز: الرسوم الجدارية الإسلامية في البرطل بالحمراء: ص ٣١.

(٥) ابن خلدون: المقدمة: ص ٣٥٣.

(٦) بروفنسال: محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها: ص ٢٤، ترجمة عبد الهادي شعيرة، ما زالت هذه الطريقة في الغناء موجودة في أسبانيا حتى الآن فغناؤهم شرقى أقرب إلى الشرق من الغرب وقد شاهدت هذه الحفلات وطريقة الغناء أثناء رحلة إلى أسبانيا.

(٧) ترجم له الضبي في البغية ص ٥١٧ وقال شاعر أديب مجيد خبيث الهجاء ص ٥١٧، المقرئ: نفع الطيب: ج ٤ ص ١٤٠، ابن دحية: المطرب: ص ١٠٩.

(٨) الشعراء: الروضة ذات الشجر، والأرض كثيرة الشجر، ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ١٢٠ هامش ١.

(٩) ابن سعيد: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.

(١٠) يحيى بن عمر (أحكام السوق) تحقيق محمود على مكي صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد ١ - ٢ مجلد ٤ ص ١١٩ هامش ٢.

فيرى ابن عبد الرؤوف «أنه يجب أن يمنع اللهو كله على أنواعه فى الأعراس كالعود وغيره، إلا ما كان من الدف العربى الذى هو شبه الغربال خاصة وإن اختلف فى الكبر^(١)». وحافظت غرناطة على التراث الموسيقى الأندلسى حينما انحسر ملك المسلمين فيها، فيذكر ابن خلدون أن غرناطة أخذت تصدر الموسيقى الأندلسية إلى بلاد المغرب^(٢). وفى تونس يوجد إلى اليوم لون من الغناء الشعبى التونسى يعرف باسم لحن غرناطة^(٣).

(١) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل: ص ٨٣.

(٢) ابن خلدون: المقدمة: ص ٤٠٢، ص ٤٢٨.

الموسيقى الأندلسية الموجودة الآن فى بلاد المغرب ما هى إلا راسب موسيقى زرياب القديمة، انظر العبادى: الأعياد فى مملكة غرناطة: ص ١٤٥.

J. Rifers: La Musica de las Caantigs, P. 57.

(٣) العبادى: الأعياد فى غرناطة: ص ١٤٥.

الخاتمة

يقع إقليم غرناطة فى الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة الأيبيرية، ويحدها شمالاً ولايات جيان وقرطبة وأشبيلية ومن الشرق ولاية مرسية ومن الغرب ولاية قادس وأرض إنتقيرة.

وكانت غرناطة تشتمل على ثلاث ولايات، غرناطة العاصمة وتقع فى وسط الإقليم، ومدينة مالقة وتقع على الساحل الجنوبى الشرقى لبلاد الأندلس، والمرية وتقع على الساحل الشرقى للأندلس بين إمارتى مالقة ومرسية.

كانت غرناطة حين افتتح العرب بلاد الأندلس - مدينة صغيرة من أعمال ولاية إلبيرة وقد سقطت غرناطة فى أيدى العرب عقب انتصارهم على القوط فى موقعة شريش فى رمضان سنة ٩٢ هـ / ٧٧١ م

وقد ازدهرت مدينة إلبيرة فى عهد الخلافة وأصبحت عاصمة الولاية، واستمرت كذلك حتى انهارت الخلافة الأموية فى الأندلس واستولى رعماء البربر على معظم قواعد الأندلس الجنوبية، فاتخذ بنو زيرى غرناطة عاصمة لهم، ثم حدث بعد ذلك أن تدهورت الأحوال السياسية فى الأندلس منذ عهد ملوك الطوائف وبدأت الجبهة النصرانية توجه الصراع ضد المسلمين وعجز ملوك الطوائف عن صد عدوان النصارى، فسقطت طليطلة إحدى قواعد الأندلس الكبيرة فى يد ألفونسو السادس وذلك سنة ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م.

وكان للنكبة التى حلت بطليطلة أثر على المسلمين فى الأندلس، وشعر ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد بخطورة الوضع فلجئوا إلى الاستعانة بالمرابطين وذلك منذ ٤٦٧ هـ - ١٠٧٤ م، فاستجاب يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين وعبر إلى الأندلس ثم ما لبث أن انتصر على جيوش النصارى الأسبان بقيادة ألفونسو فى معركة الزلاقة فى شهر رجب سنة ٤٧٩ هـ - ١٠٨٦ م ومنذ ذلك الوقت بدأ المرابطون يتطلعون للاستيلاء على الأندلس خاصة بعد أن وقفوا على أحواله وعلى مدى ضعف ملوك الطوائف وتفككهم، فاستبدت بيوسف بن تاشفين فكرة الاستيلاء على البلاد الأندلسية ووضع حد لأطماع النصارى.

ولقد ساعد يوسف بن تاشفين على الاستيلاء على الأندلس أن أغلب الشعب الأندلسي كان يتشوق للخلاص من حكم ملوك الطوائف بعد أن أثقلت المغارم والضرائب كاهلهم، كذلك شجع فقهاء المغرب والأندلس والمشرق أيضاً يوسف بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف، فخرج يوسف بن تاشفين غازياً لبلادهم وتمكن من الاستيلاء على مالقة وقرطبة ثم على باقى البلاد الأندلسية وعزل جميع ملوك الطوائف ما عدا بنى هود.

ومنذ ذلك الحين أصبحت قرطبة شأنها شأن الولايات الأندلسية تابعة للحكومة المركزية فى مراكش وزاد تدفق البربر على إقليمها.

ولقد أمضى المرابطون أغلب فترة حكمهم للأندلس فى جهاد مستمر ضد القوى النصرانية، ولكن لما بدأ الضعف يسرى فى جسم الدولة المرابطية وظهر الموحدون فى المغرب وتنكر الأندلسيون لهم واشتد ضعف النصارى على الأندلس، فقاموا بهجمات متتالية على ممتلكات المسلمين وتوالت على الجيوش المرابطية الهزائم المتتالية.

ففقدوا ثقة الناس وتحرج موقفهم وكانت هزائمهم فى الأندلس ممهدة فعلاً لأمر الموحدين بالمغرب الذين كانوا سبباً مباشراً فى سقوط دولة المرابطين.

وقد كانت هذه الحركة على قدر كبير من الإحكام والتنظيم مما كفل لها الاستمرار إلى أن سقطت الدولة المرابطية وقامت على أنقاضها الدولة الموحدية ومؤسس هذه الدولة عبد المؤمن بن على الذى خلف داعية الموحدين محمد بن تومرت، وقد واصل عبد المؤمن جهادة ضد الدولة المرابطية، فتمكن من فتح وهران وتلمسان سنة ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م وسقطت مدينة فاس فى أيدي الموحدين سنة ٥٤٠ هـ - ١١٤٥ م وبعد سقوط فاس أخذت القبائل تتوافد عليه كما أن عدداً من المدن بعثت إليه بولائها، وبعد ذلك ضيق الموحدون الحصار على مراكش الذى استمر تسعة أشهر واقتحم الموحدون المدينة وبذا تكون الدولة المرابطية قد سقطت نهائياً فى المغرب ولكنها ظلت باقية بعض الوقت فى الأندلس، وأستطاع الموحدون بعد ذلك الاستيلاء على الأندلس.

وكانت الأندلس أيام المرابطين تضم ست مقاطعات: هى أشبيلية وقرطبة وسرقسطة وبلنسية ومرسية.

هذا وقد كانت البلاد الأندلسية تعتبر خلال العصر الموحدى، مثلما كانت عليه فى العهد المرابطى قطراً من أقطار الدولة الموحدية وكانت تنقسم إلى عدة ولايات، هى ولاية الغرب، شلب وأحوازها بالإضافة إلى شترين وأشبيلية وأحوازها وقرطبة وأحوازها وجيان وأحوازها وغرناطة وأحوازها والمرية وأحوازها وبلنسية والجزيرة، والجزيرة الشرقية قبل أن يستقل بها بنو غانية ومرسية وأعمالها.

وهكذا كانت أقاليم الأندلس خاضعة للحكومة المرابطية ثم الموحدية وفق سياسة منظمة، ومنذ عهد المرابطين وخلال عصر الموحدين ازدهر إقليم غرناطة كثيراً ونما نمواً سريعاً وغدت له أهمية كبيرة بين أقاليم الأندلس وبرزت سماته الخاصة.

وغرناطة مدينة مستديرة الشكل تقع على سفح جبل شلير.

ويصف المؤرخ توروبس بلباس غرناطة بأنها تشبه باقى المدن الأسبانية الإسلامية - بشوارعها الضيقة وميادينها الصغيرة - كما احتوت على أربعة أرباض كبرى.

وأول ما تلاحظه فى غرناطة الأسوار التى كانت تحيط بالمدينة، أما الأبواب فكان للمدينة ثلاثة عشر باباً.

امتازت غرناطة - شأنها شأن باقى المدن الأندلسية - بشوارعها الضيقة الملتوية وأزقتها المغلقة وميادينها القليلة.

أما عن نظام المنزل، فإنه لم يختلف عن نظام المنزل الإسلامى ذى الطراز المميز، فقد جرت العادة على أن يؤدى بابه إلى دهليز يتناسب مع حجم المنزل ويفضى هذا الدهليز إلى صحن المنزل الذى تلتف حوله الغرف.

والى جانب الدور والمنازل التى سكنتها العامة كانت توجد القصور الفخمة، التى حفلت بها غرناطة.

أما المتنزهات، فقد انتشرت فى غرناطة وأقاليمها المتنزهات والحدائق التى اتخذها الناس مكاناً للترهة وللترويح عن النفس.

هذا ويعتبر المسجد من أهم العماثر فى المدن الإسلامية، لذا فقد أصبح بحكم أهميته الدينية والتعليمية من أهم المعالم الإسلامية.

أما الحمامات فقد كانت لها أهمية كبرى فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس، وقد اشتهرت غرناطة بكثرة حماماتها، وكان الماء يجلب إليها من نهر حدرة الذى يشق المدينة، كما كثرت الحمامات أيضاً فى إقليم غرناطة مثل وادى آش ومالقة.

أما المقابر فكانت تقع خارج المدينة بجوار باب البيرة.

أما القناطر فقد أقامها أهل غرناطة على الأنهار الموجودة فى غرناطة مثل نهر شنيل وحدرة ويوجد بغرناطة خمس قناطر.

هذا وقد تقدمت الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة خلال عصر المرابطين والموحدين على أثر ما أبداه المرابطون وخلفاؤهم الموحدون من حرص على النهوض بالمغرب والأندلس فى شتى المجالات، فزاد الإنتاج الزراعى والصناعى والتجارى وتدفقت الأموال وارتفع الدخل العام للبلاد.

وقد شهد إقليم غرناطة تقدماً كبيراً فى النشاط الاقتصادى بسبب طبيعة الإقليم ذاته وما تميز به من خصوبة أراضيه وكثرة أنهاره التى ساعدت على قيام زراعة ناجحة فى قرى ومدن الإقليم، بالإضافة إلى وفرة المادة الخام، فقامت صناعات كثيرة وازدهرت، هذا إلى جانب شبكة الطرق البرية والبحرية التى ربطت قرى إقليم غرناطة ومدنه، بعضها ببعض، كما ربطت الإقليم، بسائر أقاليم الأندلس، إلى جانب الطرق التى ربطت بين إقليم غرناطة والعالم الخارجى.

ففى مجال الزراعة تمتع إقليم غرناطة، كما سبق أن ذكرت بسطح متميز وتربة خصبة وأنهار متعددة ساعدت على ازدهار الزراعة وقد توفرت لإقليم غرناطة أيضاً المادة الخام التى ساعدت على ازدهار الصناعة فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين.

فقامت عدة صناعات أهمها صناعة النسيج وصناعة السفن وصناعة بعض الأدوات من النحاس والحديد، بالإضافة إلى عدة صناعات أخرى.

وقد اشتهر إقليم غرناطة بإنتاجه الوفير من المعادن مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص والنحاس وإلى جانب العوامل الطبيعية السابقة، التى تمتع بها إقليم غرناطة وساعدت على ازدهار كل من الزراعة والصناعة كان للطرق التجارية أثر فى إنعاش حركة

التجارة الداخلية والخارجية، فقد تمتع إقليم غرناطة بشبكة من الطرق البرية ربطت بين مدن الإقليم داخليًا وخارجيًا بالإضافة إلى الطرق البحرية، وكثرة موانئ الإقليم كالمرية والمنكب ومالقة، التي كانت تخرج منها الأساطيل التجارية محملة بالبضائع آتية إليها بما تحتاجه البلاد فانتعشت التجارة الداخلية والخارجية.

وهكذا كان للعوامل الطبيعية أكبر الأثر في إنعاش الاقتصاد وتقدمه في إقليم غرناطة.

أما العوامل السياسية، فقد لعبت هي الأخرى دوراً هاماً في ازدهار الاقتصاد في بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة خاصة، فقد أثرت سياسة أمراء المرابطين والموحدين في ازدهار النشاط الاقتصادي سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة، فأسهموا في رفع مستوى الإنتاج في البلاد سواء في المغرب أو الأندلس، وفوفروا الأمن والطمأنينة للسكان وقضوا على الفتن والحروب ونقلوا الصراع إلى أرض نصارى أسبانيا، ووفروا لرعاياهم قدراً كبيراً من الأمان، وبالأمن والاستقرار الذي أشاعه المرابطون استطاع السكان استثمار الأرض ومضاعفة الإنتاج الزراعي.

وكان المزارعون هم أكثر الناس تضرراً بالاضطرابات والحروب الداخلية المستمرة قبل عهد المرابطين، فلماذا نشبت حرب بين أميرين فإن من الوسائل المتبعة ضد الطرف الآخر حرق المزارع وتخريب البساتين.

وكذلك كان نصارى أسبانيا إذا أغاروا على البلاد الإسلامية لا يترددوا في إحراق البساتين وإتلاف الزروع.

وما حدث للزراعة، حدث للتجارة، فقد استطاعت دولة المرابطين بعد أن نجحت في التوحيد بين أقاليم المغرب والأندلس أن تقر الأمن والسكينة في ربوعه كما سبق أن ذكرنا، ففي العصر المرابطي الأول، قبل معركة أقلش (سنة ٥٠١ هـ - ١١٠٨ م) استطاع المرابطون أن يحفظوا الأمن وأن يقرأوا السكينة، فسهروا على حماية الطرق وتأمين مسالكها وضبط الثغور وذلك بنقل الصراع إلى مناطق أسبانيا وبناء القلاع والحصون والأسوار حول المدن، مثل المرية وغرناطة وتشديد الراباطات والمحارس الساحلية في غرناطة وغيرها من المدن الساحلية سواء في بلاد المغرب أو الأندلس وذلك لحمايتها من الغارات البحرية التي كان يقوم بها الأعداء، فأمّن المرابطون بأسطولهم البحري حركة النقل في البحر.

ولما قامت الدولة الموحدية، أولى الموحدون النشأ الاقتصادي عناية خاصة وحاولوا توفير الأمن والاستقرار لأهل البلاد، فنقلوا الصراع كذلك إلى مناطق نصارى أسبانيا وبذلوا جهوداً كبيرة في إقامة الحصون حماية للمزارع، ومع كل جهود الموحدين هذه في حماية الأندلس بما فيها إقليم غرناطة ظل نصارى أسبانيا يوجهون اعتداءات مستمرة إلى كل بلاد الأندلس، ولذلك حرص الموحدون على عقد الصلح مع نصارى أسبانيا، رغبة في تحسين النشاط الاقتصادي وتحقيق الأمن للسكان حتى يستطيعوا ممارسة أنشطتهم الاقتصادية المختلفة دون خوف من سلب أو نهب أو حرق لزروع ونسف لبساتين فازدهرت الزراعة في المناطق الجنوبية مثل غرناطة ومالقة والمرية، كذلك اهتموا اهتماماً عظيماً بالأساطيل، فلقد وجه عبد المؤمن بن علي عنايته نحو إنشاء وتعمير المراسي ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية، فاستطاع أن ينشئ أقوى أسطول في البحر المتوسط.

هذا ولم تقتصر مهمة الأسطول الموحدى منذ عصر عبد المؤمن بن علي على جهاد نصارى أسبانيا، بل أخذ على عاتقه أيضاً مهمة قمع حركة القرصنة التي كانت منتشرة بين المسيحيين والمسلمين على السواء.

كذلك كانت سياسة الموحدين البحرية، تقوم على مبدأ احترام نوااميس التجارة الدولية وضمان السلام والطمأنينة في البحار.

وبعد ضم إقليم غرناطة إلى الدولة الموحدية عام ٥٥٧ هـ قام الخليفة عبد المؤمن بن علي بتنشيط حركة التجارة في إقليم غرناطة.

كذلك قطع الخليفة عبد المؤمن بن علي جميع المغارم والقبالات والمكوس التي فرضها المرابطون من قبل، كذلك اهتم الخلفاء الموحدون بالتجار والصناع وأمناء الأسواق.

وهكذا تضافرت هذه العوامل مجتمعة على ازدهار الحياة الاقتصادية في إقليم غرناطة وزيادة الإنتاج سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة.

ورافق هذا الازدهار الاقتصادي تحول كبير من حياة سكان المغرب والأندلس

الاجتماعية بالإضافة إلى أن البربر من سكان البلاد سواء في المغرب أو الأندلس، اكتسبوا العلوم والمعارف والخبرات الفنية وأصبح كثير منهم يمتهن مهناً لم يألفها من قبل ومن ثم ظهرت النفرة والعداوة بين البربر والأندلسيين ولكن هذا لم يمنع الأندلسيين من اضطرارهم إلى التعامل والتعايش مع هذه الطبقة الجديدة بل تسابقوا لخدمتها وهجروا أوطانهم وذويهم إلى بلاد المغرب مركز الحكم والسلطان حفاظاً على أموالهم ومكاسبهم ومراكزهم أو طلباً للمزيد.

ولقد بلغ من كثرة عدد المسافرين من مدينة غرناطة أن سمي أحد أرباضها الخارجية باسم حوز الوداع، وهو المكان الذي اعتاد فيه الغرناطيون توديع أهلهم وذويهم قبل رحيلهم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سبب ازدهار البلاد المغربية والأندلسية اقتصادياً وتفوقهما السياسي أمران بدأهما المرابطون وأتمهما الموحدون.

واستعراض النشاط الاقتصادي في هذا البحث يوضح مجهودات المرابطين والموحدين في هذا المجال ومن التعصب والتجنى أن نقول أن المرابطين والموحدين بخشونتهم وسياستهم كانوا السبب في انهيار الحضارة الأندلسية، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الأندلسيين أنفسهم كانوا سبباً رئيسياً في انهيار الحضارة الأندلسية وكان المنتظر من هؤلاء الأندلسيين أن يعيشوا في الأندلس في تآلف تحت ظل الدولة الإسلامية لكنهم لم يتخلصوا من روح التعصب، وشهد القرن الخامس والسادس والسابع الهجري صراعاً اجتماعياً بين العناصر الاجتماعية المختلفة التي لم تنصهر ولم تتجانس، أضف إلى ذلك طبيعة البلاد الأندلسية بجبالها ومجاورتها للنصارى فإنها تساعد الثوار باستمرار، أضف إلى ذلك ضعف الروح العربية فقد اختفت العناصر العربية وحلت محلها العناصر الأندلسية وهم الجيل المهجن من آباء عرب وأمهات أسبانيات ذلك التهجين أفقد الأندلسيين حماسهم لأصالة عروبتهم ولغتهم العربية التي بدأت هي الأخرى تنهزم أمام اللكنة العامية، والسلطة الحاكمة من البربر لم تتحمس لإصلاح الانهيار الاجتماعي الذي كان يدب في جسم البلاد الأندلسية وسرعان ما اغمسوا هم أنفسهم في الترف وانصرفوا إلى الدعة واللهو ومحاكاة الأندلسيين في معيشتهم وطريقة حياتهم.

وغدت المرأة فى المجتمع الغرناطى أول المتأثرين، فتأثرت بالأسبانيات وقلدتها فى كثير من عاداتها وأخلاقياتها، كما كثرت البدع والخرافات فى حياة المجتمع الذى اعتمد فى مظاهر حياته على الترف والبدخ، وشهدت الأندلس الكثير من الأمراض الاجتماعية وخاصة ما شاع من الغناء واللهو وعكوف الناس على الملذات فانغمسوا فى شرب الخمر التى كانت منتشرة بين جميع فئات المجتمع أضف إلى ذلك الانحلال الاجتماعى الذى سرى فى المجتمع الأندلسى وأدى فى النهاية إلى ضياع الأندلس الإسلامية.

الملاحق

ملحق (١)

هذه رسالة موجهة من على بن يوسف من محلته بظاهر قرطبة

خلال إحدى الزيارات، وهي عبارة عن وصية من السلطان لرعيته:

«كتابنا أبقاكم الله وسلمكم، وتولاكم وأكرمكم، ووقاكم الأسواء وعصمكم، من محلتنا يمنها الله بظاهر قرطبة - حرسها الله - في يوم كذا من شهر كذا عام كذا، ويتأدى إليكم من قبل واليكم وخليفتنا فيكم أبي فلان أبقاه الله، وهو النائب عنا في تدبيركم وإقامة أموركم، وسياسة صغيركم وكبيركم، ليس لأحد معه في ذلك بد، ولا مصدر ولا مورد، ولا مقام ولا مقعد، قد فوضنا إليه في ذلك كله، وأفردنا النظر في دقه وجله، وكثرة وقلة، وحكمناه في جميعكم، يثيب من استحق الثواب، ويعاقب من استحق العقاب، ويكرم أهل الإحسان، ويهين من أساء أشد الهوان، ويتمسك منكم بمن أراد، ويسرح من رأى تسريحه، ويبعد من كان سبيله الإبعاد، وما فعل من ذلك كله فنحن فعلناه، وما قال فيه فكأننا نحن قلناه، ولا نوقف ما أمصناه، ولا نمضى ما وقفه وأباه، ولا نرى في أحد منكم إلا ما يراه، ولا نتولا - كائنًا ما كان - إلا أن يتولا، ولا نرضى من أقواله ما لا يرضاه، بلساننا يتكلم، وعما في جناننا يترجم، وعلى ما يوافقنا يسدى ويلحم، وإلى ما يرضينا يمضى ويتقدم، فاسمعوا وأطيعوه ولا تخالفوه فلن يعدو وجه القصد ولا نعصوه، ولا تألوه انقيادًا وطاعة، ولا تدخروا عنه فيما يستعملكم فيه جهدًا ولا استطاعة، وإياكم والخوض في أمر جعلناه إليه، واحذروا من تعقب ما صغر أو كبر عليه، واضربوا عنه، ودعوا ما لا يعينكم منه، وليرشد خياركم شراركم، وليبصر كباركم صغاركم، وحسبنا هذا إنذارًا لكم، وإنذارًا إليكم، ولا عذر بعد، ولا يلزم من تعدى إلا نفسه، وبالله التوفيق، والسلام عليكم^(١).

(١) انظر: محمود على مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ - سنة ١٩٥٩م.

ملحق (٢)

هذه رسالة موجهة من على بن يوسف من مراکش إلى أحد عماله،

يأمره أن يستشير أحد الفقهاء في مختلف أمور الحكم:

«كتابنا أطال الله في طاعته مدتك، وأدام بتقواه حرمتك، وأفاض نعمتك، وتولى توفيقك وعصمتك، من حضرة مراکش حرسها الله، وقد علمت محل ذى الوزارتين الأجل الفقيه الأفاضل ولينا أيده الله بتقواه من صدق ولايتنا، ومكانه من حسن رعايتنا، وأنه ممن يستشفى برأيه، ويهتدى بهديه، ويستثمر النجح من سعيه، ويتعرف السداد فى رأيه، فينبغى لك أن تشاوره فى كل ما تأتى وتذر، وتورد وتصدر، وتقدم وتؤخر، فلن تعدم منه مشيراً نصيحاً، فامثل فى ذلك عهدنا، ولا تتعدّ فيه حدنا، وتوخّ معه من مصالح البلد ما يحسن موقعه عندنا، ويقتضى شكرنا وحمدنا، إن شاء الله، والسلام^(١).

(١) انظر: محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ - سنة ١٩٥٩م ص ١٧٧.

ملحق (٣)

رسالة موجهة من علي بن يوسف إلى قاضي مالقه^(١) في ٥ ذى الحجة سنة ٥٢٣هـ.

(كتابنا كتب الله أعمالك مبرورة، ومساعدك مشكورة، وعرفك الآلاء موفورة، من حضرة مراکش، حرسها الله، لخمس بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، وإن من رتب من الأمر حيث رتبت، وحسب من القيام بالمهمات حيث حسبت، لم يسعه أن ينأى عن قضية تجرى ببلده، ولا أن تدركه غفلة عن تفقد ما تحت يده، وقد تجمعت الآن بهذه الحضرة عصائب الشاكين، وكثرت أرفاع المتظلمين، وكان من أمورهم بين ومشكل، (١٧٨) وفيهم محق ومبطل، فلم يخل ما كانوا يجيئون به من قول مزور، وباطل في صورة الحق مصور، وعندما التبس الكذب من ذلك بالصدق، والتف المبطل بالمحق صددنا أرفاعهم عن الحصوص، وصرفنا دونها وجه القبول، وأوعزنا إلى جماعتهم لما خفناه من تلبيسهم في الأمور، وشوبهم المباح بالمحذور، بأننا لا ننظر لأحد منهم في حق يدعيه، ولا أمر يوجب أو ينفيه، إلا بعد أن يأتي ببيان من قاضى بلده، وكتاب ينطق عن صحة ما بيده، فانصرفوا وفي نفوسنا - علم الله - من قبلهم ما يشق حمله، ولا يخف مثله، فإنه لا يمكن إلا أن يكون فيهم الصادق البر، والرجل المضطر، لكن الخير أردنا، والبر قصدنا، ولما كان هذا وجب أن نلتمس لأموهم وجهًا يتوصل به إلى معرفة الصحيح من السقيم، والمعوج من القويم، فوكلنا ذلك إلى قضاة البلدان، وألزمناهم القيام به والفحص عنه مع الأعيان، لأن موضوع القضاء إنما هو لرفع المشكلات، وتمييز الحقائق من المتشابهات، والفصل بعد التبرم في الدعاوى والمنازعات، ومع هذا فنقول: إن هؤلاء الرافعين لو وجدوا في بلادهم أشكاء، وألفوا عند متقلدى الأمور لرد ظلاماتهم وفاء، لما تجشموا إلينا بعد الشقة، ولا تحملوا نحونا عظيم المشقة، ولولا أننا نخليهم من التعسف، وسوء التكلف، لشددنا في جهة القضاء عارضة الكلام، ولثقلنا عليهم وطأة الملام، وقد قلدناك تقليدًا تامًا أن تنظر بجهتك من شكاوى العامة في اللطيف والجليل، وسمناك القيام

(١) ابن محمد عبد الله بن أحمد بن عمر القيسى المالقي، ولد سنة ٤٥٦هـ وتولى قضاء مالقة وكانت وفاته سنة ٥٤٣هـ.

بالخفيف منها والثقل، فتفقد ما قبلك حق تفقده (٧٨ب) وتعهد أحفى تعهده، فإنك إذا أمنت التطلع، وأدمنت إلى جانب الرعية التلفت والتسمع، لم تشذ عن علمك ما يجرى ببلدك لاجتماعه وانحصاره، وتقارب ما بين مسافته وأقطاره، وإن حقاً على الجار أن يفرج ضغطة جاره، فاستكشف - وفقك الله - الأحوال وتعرف صورها، واستعلم مع الرعية شأن الرعية وخبرها، فكل ما رفعته إليك من أحوالها، ونظمت فيه من عمالها، أجرته مع الحق كيف جرى، وعممت بالنظر، ولم تخص قضية دون أخرى، فكل بك معصوب، وأنت عنه محاسب وبه مطلوب، ومدار هذا الأمر اختيار الحكام الذين استنبهتهم فى أقطارك القاصية، ونصبتهم فى الجهات النائية، فشرطهم الثقة والديانة، والصون والأمانة، فإنهم إذا كانوا بهذه الصفة جرت أمورهم على سبيلها القاصد، وسيرها الراشد، وأمنت فى جهات الرعية والأحكام، وأمناً بك فيها من اللبس والمداخلة مع الأيام، فلا تقلد عملك إلا معروفاً بلطف النفس والعفاف، ونقياً يقنع بالكفاف، ويتنزه عن الإسفاف، رحفظ من كل منهموم لا يشيع، ومسف لا يتورع، فالحريص أصم أعمى لا يرى ولا يسمع، ويعد توليك إياهم فأشرف عليهم إشرافاً يتعقب أحوالهم، فمن رأيت منه جنفاً، أو نقص عليك من أطراف الحق طرفاً، صرفته مذموماً، وأخرته ملوماً، فتفقد هذا من أمورهم، فإنك مضطر إليه فى الديانة، وفيما يباشرونه من أمور الرعية التى لا ترضى بهضمها، ولا تفر أحداً على ظلمها، ومما نعيده (١٧٩) ونتقدم إليك فيه أمر اللوازم الجارية هناك أن تتصفحها وتلمحها، فما لم يكن منها فى عهدنا موجوداً، ولا من قبلنا محدوداً، ولا فى مصالح المسلمين معدوداً، فهو رد على كل وال رسمه، ومصرف على كل من ألزمه، لا يؤدى منه نكير، ولا يحمل منه فتيل، وأى عامل من عمال الرعية قامت الشهادة عندك بتعديه، وعلمت صحة استهدافه وتصديه، فإنه أمره إلى صاحب البلد مستعمله وموليه وأشعره بما ثبت عندك فيه، فإن غل يد أذيته، وأنفذ عزله عن رعيته، وإلا فأخفف ذلك إلينا فى سائر ما يتوقف لديك من الأمور التى تقصر عنها يدك، وتتقطع دون النفاذ فيها غايتك وأمدك، لينفذ من عندنا ما يقف منازعك عنده، ويسهل لك كل صعب بعده، ومما تفقده من أحوال الرعية ما يؤخذ به الحاضر عن الغائب، ويطلب به الباقي بعد الذاهب، فهذا الصنف أيضاً من الظلامات تبطله وترد حكمه، وتعفى أثره ورسمه، وأمر الزكوات

على تباينها فى الصفة، وأنواعها المختلفة، تجرى على موجب فريضتها، وتوقف على حد شريعتها، لا تحرف ولا تبدل، ولا تصرف عن جهتها ولا تعدل، هذه - أعزك الله - أمثال مضروبة، وهدايات منصوبة، وقوانين موضوعة، وأعلام على طرق الحق مرفوعة، قد تبرأنا إليك من وزرها، وتخففنا بإسنادها إلى نظرك من إصرها، وفى أكثرها كانت الأرفع ترد، وعصائب المتظلمين تحتشد، وأنت إذا كشفت غيبتها ونفضت طرقها، وأعطيتها من بحثك (٧٩ب) وتأملك حقها، ارتفعت الشبهة، وانزاحت العلة، وتوفرت على المسلمين الرحلة، وهدأت الرعية وتفرغت لأشغالها، ولزمت صالح أعمالها، فانظر فى هذه الأمثلة والجمل إلى أقصى ما ينقسم إليه أقسامها، وقفها على حد ما تقف عليه الشريعة وأحكامها، واكفنا ما استكفيناك، وانهض نهوض المستقبل بما حملناك، وأى عذر لك وقد شددنا من أرك، وعضدنا من أمرك، وإن تطلّعنا لو كيد لما نجدده عندك من النفوذ، هذه الوصايا الجامعة، والحجة المبالغة، وستبلغنا الأنهاء، ويتصل بنا الثناء، وبعد ذلك الثواب والجزاء، لا إله غيره، والسلام، أعزك الله ليقرأ الكتاب على الكافة بالمسجد، فإن فيه زجراً للمعتدين، وأخذاً فوق أيدي المسفدين، وبلاغاً يحمله ويصيره الراكب ويتلقاه عن الشاهد الغائب إن شاء الله تعالى (١).

(١) انظر: محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩ هـ - سنة ١٩٥٩ م ص ١٧٠ - ١٧٤.

ملحق (٤)

رسالة كتب بها قاضى سرقسطة والجمهور فيها إلى الأمير
أبى الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين حين حاصرها ابن رذمير
وأستغلبها أعادها الله

من ملتزمى طاعة سلطانه ومستجديه على أعداء الله ثابت بن عبد الله وجماعة
سرقسطة من الجمهور فيها من عباد الله .

أطال الله بقاء الأمير الأجل، الرفيع القدر والمحل لحرم الإسلام يمنعه... (١) من
كرب عظيم على المسلمين يزيحه عنهم ويدفعه .

كتابنا أيدك الله بتقواه، ووفقك لا شراء دار حسناء، بمجاهدة عذاه يوم الثلاثاء السابع
عشر من الشهر المبارك شعبان، عن حال قد عظم بلاؤها وأدلهمت ضراؤها، فنحن فى
كرب عظيم وجهد أليم قد جل العزاء وعظم الخطب، وأظلنا الهلاك والعطب، فياغوثاه! ثم
ياغوثاه! إلى الله دعوة... (٢) دعاه وأمله لدفع الضر ورجاه سبحانه المرجو عند الشدائد،
الجميل الكرم والعوائد، وبالله ويا للسلام! لقد انتهك حماه، وفضت عراه! وبلغ المأمول
من بغيته عذاه، ويا حسرتاه على حضرة قد أشفت على شفى الهلاك طالما عمر بالإيمان
وازدهرن بإقامة الصلوات، وتلاوة القرآن، ترجع مراتع للصلبان، ومشاهد ذميمة لعبدة
الأوثان، وياويلاه على مسجد جامعها المكرم! وقد كان مأنوسًا بتلاوة القرآن المعظم،
تطؤه الكفرة الفساق بذميم أقدامها، ويؤملون أن يندسوه بقبیح آثامها، ويعمروه بعبادة
أصنامها، ويتخذوه معاطن لخنازيرها ومواطن لخماراتها ومواخيرها، ثم يا حسرتاه! على
نسوة مكنونات عذارى، يعدن فى أوثان الأسارى، وعلى رجال أصبحوا حيارى بل هم
سكارى وما هم بسكارى، ولكن الكرب الذى دهمهم شديد والضر الذى مسهم عظيم
جهيد، من حذرهم على بنيات - كن من الستر بخيار الوجوه - أن يروا فيهن السوء

(١) ناقصة فى الأصل.

(٢) ناقصة والغالب أنها (مؤمن).

والمكروه، وقد كن لا يبدون للنظار، فالآن حان أن يبرزن إلى الكفار، وعلى صبية أصفال قد كانوا نشثوا في حجور الإيمان، يصيرون في عبيد الأوثان أهل الكفر وأصحاب الشيطان.

فما ظنك أيها الأمير بمن يلوذ به بعد الله الجمهور بأمة هي وقايد هذه العظائم الفادحة، والنوائب الكالحة؟ هو المطالب بدمائها إذا أسلمها في آخر ذمائها، وتركها أغراضنا لأعدائها، حين أحجم عن لقاءها، فإلى الله بك المشتكى ثم إلى رسوله المصطفى، ثم إلى ولي عهدة أمير المسلمين المرتضى، حيث ابتعثك بأجناده وأمدك بالجم الغفير من أعداده نادباً لك إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده، والذب عن أوليائه المعتصمين بحبل طاعته، والمتجملين السبعة الأشهر الشدائد الهائلة في جنب موالاته ومشايعته، من أمة قد نهكهم ألم الجوع وبلغ المدى بهم من الضر الوجيع، قد برح بهم الحصار، وقعدت عن نصرتهم الأنصار، فترى الأطفال بل الرجال جوعاً يعجرون، يلوذون برحمة الله ويستغيثون ويتمنون مقدمك بل يتضرعون، حتى كأنك قلت فيها: اخسأوا فيها ولا تكلمون! وما كان إلا أن وصلت وصل الله برك بتقواه على مقربة من هذه الحضرة ونحن نأمل منك بحول الله أسباب النصره بتلك العساكر التي أقر الله بهاؤها وسر النفوس رهاؤها، فسرعان ما اثنتيت وما انتهيت! وارعويت وما أذنت! خايا عن اللقاء ناكصاً على عقبيك عن الأعداء، فما أوليتنا عنا بل أوليتنا بلاء، وعلى الداء داء، بل أدواء، وتناهت بنا الحال جهداً والتواء، بل أذللت الإسلام والمسلمين واجترحت فضيحة الدنيا والدين!.

فيا لله ويا للإسلام! لقد اهتضم عرمة وحماه أشد الاهتضام! إذ أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح الإحجام، ونكصت عن لقاء عدوة وهو في فئة قليلة وأمه رذيلة، وطائفه قليلة يستنصر بالصلبان والأصنام، وأنتم تستنصرون بشعائر الإسلام، وكلمة الله هي العليا وبه الطولى، وكلمة الذين كفروا السفلى، وإن من وهن الإيمان وأشد الضعف الفرار عن الضعف، فكيف عن أقل من الصنف؟ فما قبح من بالصغار وسيم خطه الخسف، فما هذا الجبن والفرع؟ وما هذا الهلع والجزع؟ بل ما هذا العار والضيغ؟ أتحسبون يا معشر المرابطين وإخواننا في ذات الله المؤمنين أن سبق على سرقسطة القدر بما يتوقع منه المكروه والحذر أنكم تلبعون بعدها ريقاً، وتجردون في سائر بلاد الأندلس - عصمها الله ..

مسلكا من النجاة أو طريقاً؟ كلا! والله ليسومنكم الكفار عنها جلاء وفراراً وليخرجنكم منها داراً داراً! فسرقسطة حرسها الله هي السد الذي إن فتق فتقت بعده أسداد والبلد الذي إن استبيح لأعداء الله استبيحت له أقطار وبلاد!.

فالآن أيها الأمير الأجل! هذه أبواب الجنة قد فتحت، وأعلام الفتح قد طلعت، فالمنيعة ولا الدنية! والنار ولا العار! فأين النفوس الأبية؟ وأين الأنفة والحمية؟ وأين الهمم المرابطة، فلتقدح عن زنادها بانتضاء جدها وامتناء جدها واجتهادها، وملاقاة أعداء الله وجهادها، فإن حزب الله هم الغالبون، وقد ضمن تعالى لمن يجاهد في سبيله أن ينصره، ولمن حامى عن دينه أن يؤيده ويظهره، في هذا أيها الأمير الأجل؟ ألا ترغب في رضوانه واشتراء جناته بمقارعة حزب شيطانه، والدفاع عن أهل إيمانه؟ فاستعن بالله على عدوه وحربه، واعمد به بصيرة في ذات الله إلى أخوان الشيطان وحزبه، فلإنهم أغراض للمنايا والحتوف، ونهز للرماح والسيوف، ولا ترض بحطة العار وسوء الذكر والصيت في جميع الأمصار ولا تكن كمن قيل فيه:

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ولا يرا من العدو فتيلاً

ولن يسعك عند الله ولا عن مؤمن عذر في التأخير والارعواء عن مناجزة الكفار والأعداء، وكتابنا هذا أيها الأمير اعتذار تقوم لنا به الحجة في جميع البلاد، وعند سائر العباد، فياسلامكم إيانا إلى أهل الكفر والالحاد، ونحن مؤمنون، بل موقنون من إجابتكم إلى نصرتنا، وإعذاذك إلى الدفاع عن حضرتنا، وأنت لا تتأخر عن تلبية ندائنا ودعائنا إلى استنقاذنا من أيدي أعدائنا، فدفاعك إنما هو في ذات الله وعن كلمه... (١) ومحاماتك عن الإسلام وحزبه، فذلك الفخر الأنبل لك في الأخرى والدنيا، ومورث لك عند الله المنزل العلياء، فكم تحيى من أمم، وتجلى من كروب وغم!.

وإن تكن منك الأخرى، وهي الأبعد عن متانة دينك وصحة يقينك فأقبل بعسرك على مقربة من سرقسطة - عصمها الله ليخرج الجميع عنها ويبرأ إلى العدو وقمة الله منها ولا تتأخر - يكفما كان - طرفة عين، فالأمر أضيق والحال أزهر فعد بنا من المطل والتسويق قبل وقوع المكروه والمخوف، وإلا فأنتم المطالبون عند الله بدمائنا وأموالنا،

(١) ناقصة في الأصل ولعلها (الحق).

والمستولون عن صبيتنا وأطفالنا، لإحجامكم عن أعدائنا، وتببطكم عن إجابة ندائنا، وهذه حال نعيذك أيها الأمير الأجل عنها، فإنها تحملك من العار ما لم تحمله أحدًا، وترثك وجميع المرابطين الخزي أبدًا، فالله الله اتقوه وأيدوا دينه، وانصروه، فقد تعين عليكم جهاد الكفار، والذب عن الحريم والديار، قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ الآية، وقد برئتم بإسلامنا للأعداء من نصر الإسلام وعند الله لطف خفى، ومن رحمته ينزل الصنع الحفى ويغنىنا الله عنكم، وهو الحميد الغنى!

ومن متحملى كتابنا هذا، وهم ثقاتنا، تقب من كنه حالنا على ما لم يتضمنه الخطاب، ولا استوعبه الإطناب بمنه وله أتم الطول فى الإصغاء إليهم واقتضاء ما لديهم إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١).

(١) انظر: حسين مؤنس، الشجر الأعلى الاندلسى، ص ١٣٢ - ١٣٧.

ملحق (٥)

«رسالة من أمير المسلمين علي بن يوسف إلى أهل الأندلس»

كتابنا أبقاكم الله، وأكرمكم بتقواه، ويسركم لما يرضاه، ووفد حظوظكم من حسناه، يوم كذا من عام كذا، ويتأدى إليكم من قبل واليكم، وخليفتنا فيكم، وهو النائب عنا في تدبيركم، وبإقامة أموركم، وسياسة صغيركم وكبيركم، ليس لأحد معه في شيء من ذلك يد ولا مع مشهده إلا بآدنه وإباحته مشهد، قد فوضنا إليه في ذلك كله، وأفردنا النظر في دقه وجله، وكثره وقله، ولن يألوكم نظراً يصلح لكم، وينجح أعمالكم ويحسن به الله عقباكم ومآلكم، وهو بلساننا متكلم، وعمّا في ضميرنا مترجم، وفي قالب رأينا مفرغ، وعلى منواله مسد وملجم، ما أمضاه أمضيّنا، وما وقفه وقفناه، فاسمعوا منه في ذات الله (٨ب) وأطيعوه، ولا تخالفوه فيما يراه من مصالحنا ومصالحكم ولا تعصوه، وما دعاكم إليه فابتدروه، وما حد لكم اجتنباه فاجتنبوه، وإياكم وما يسخطه من التشغيّب عليه فيما ينتحيه، والفقيه الأجل القاضي أبو فلان يصل في ذات الله على سنن الحق يده، ويقصد مقصده، وكذلك ألو الرأي من جميعكم يكون معه جماعة، وعلى جبل ذراع طاقه، ويهدون إليه ما يغيب عنه من أمور سائركم، ويطلعونه على ما يخفى عليه من أحوال أكابرهم وأصاغرهم، حسبنا هذا توصية، وتذكرة جامعة مستوفية، ولا حجة بعد لمن جار عن السنن، وخالف الواجب عليه المتعين، ولا يلم من خالف عهدنا، وتعدى قصدناه إلا رأيّه ونفسه الأمانة بالسوء، وبالله التوفيق والسلام^(١).

(١) انظر: محمود على مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩ هـ - سنة ١٩٥٩ م ص ١٧٥، ١٧٦.

ملحق (٦)

رسالة من

الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن

إلى أخيه السيد أبي سعيد عثمان وأصحابه الطلبة بقرطبة، يوصى فيها بأن تجرى الأحكام وفقاً للعدل وتحري الدقة، وألا يقضى فى أمر الدماء إلا بعد رفعه إلى الخليفة، من إنشاء الوزير الكاتب أبي الحسن بن عياش، ومؤرخه فى شهر رمضان سنة ٥٦١هـ.

(منقولة عن كتاب «المن بالإمامة» لابن صاحب الصلاة مخطوط أكسفورد لوحات

٧٩ب - ٨٢ب.

ونشرها العلامة جولدسيهر فى بحثه:

(Materialien zur Kenntniss der Almohaden Bewegung) P.134 - 138.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده

من الأمير يوسف ابن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصره، وأمدهم بمعونته، إلى الشيخ الأجل أختنا الأعز علينا، الأكرم لدينا، أبي سعيد وأصحابه، الطلبة الذين بقرطبة أعزهم الله، ودام كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فلإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلى على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونرضى عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم نجله وسليته، ونوالى الدعاء لسيدنا أمير المؤمنين القائم بأمره والداعى إلى سبيله، وإنا كتبناه إليكم أكرمكم الله بتقواه، وكلاً جانبكم وحماء، من حضرة مراکش حرسها الله، والذى نوصيكم به تقوى الله تعالى، والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، وموالاته شكره على ما هدى أولياء أمره، وأنصار دعوته، وحماة كلمته، من صرف أئنة المحبة والاهتمام، وإحكام منابر الأحكام، فيما وكله إليهم من أمور الإسلام، إلى أن تجرى على السداد، وتنسق على سبيل الإرشاد، وتقيم على المهيع، وتمضى على المنهج، وتسير فى الواضح، وتهتدى على اللاحب،

ويسلك بها فى الجدد، الذى من سلكه أحمدت منه الآثار، وأمن عليه العثار، وارتضى له الإيراد والإصدار، فىكون العمل فيها على اليقين، الهادى إلى الصراط المستبين، المأمون فى سلوكه من المزلة والضلال، المرجو فى الاهتدا به حسن العاقبة وصلاح الحال، فنسأله تعالى جده عونًا من قبله على هذا الغرض العام الجدوى يصاحب، وتوفيقًا من لدنه فى هذا النظر الشامل المنفعة يجاور ويصاقب، وأنه أدام الله كرامتكم، لما كانت مبانى هذا الأمر العزيز أدامه الله على التقوى مؤسسة، وأوامره ونواهيه على الله ورسوله جرية مترقبة، وإليها فى الأخذ والتركة مستندة، وبمقتضياتها فى جميع الأحكام آخذة عاملة، إذ هى نور الحق وسراج، وعمود الصدق ومعراج وسبيل الفوز ومنهاجه، ورائد الثواب وبشير، وقائد العقاب ونكير، فمن ائتم بكتاب الله، الذى هو الإمام المنادى والحق الواضح البدى، وبسنة رسوله ﷺ، التى جعل العمل بها كالعمل بكتابه، والوقوف عند حدها كالوقوف عند حده، أمن من الغوائل، فى العاجل والآجل، وبلغ من السلامة فى الحالين إلى أقصى أمد الأمل، ولم يوجد للباطل إليه سبيلًا، ولم يتمكن للشيطان أن يجد فى تضليله واستهوائه صرًا ولا حويلا، فتوفرت الدواعى على الدعاء إليها، وحمل الكافة عليها، وأخذ الجميع بما يفقههم لديها، وقد أمر الله تعالى، من أمر الناس بطاعته، أن يحكموا بالعدل ويضعوا للعبد موازين القسط، فلم يكن لهم بد من امتثال أمره، والاستناد إلى حكمه، وكانت الوجوه التى تفضى إلى الحق، فى فصل قضايا العباد متتقة، والطرق المؤدية إلى مغنى الصدق ومعناه ملتبسة ومتشعبة، فخرج فيها بنيات تخطئ الصراط المستقيم، وتضل الضلال البعيد، فصار إمضاءها من غير استناد إلى هذا الهدى المتبوع، والعلم المرفوع، خطرًا على ممضيها، وإنفاذها على غير هذا السنن غررًا على منفيها، ولما كان الأمر كذلك، تعين ووجب وثبت وترقب، أن نخاطب جميع عمال بلاد الموحدين أعزهم الله، شرقًا وغربًا وبعداً وقربًا، خطابًا يتساوى فيه جميعهم، ويتوازى فى العمل فيه كافةهم، ألا يحكموا فى الدماء حكمًا من تلقائهم، ولا يريقوها بباد أو رأى من آرائهم، ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم، ويتقرر فيما يروقه لديهم، إلا بعد أن تُرفع إلينا النارلة على وجهها، وتؤدى على كنهها، وتشرح حسب ما وقعت عليه، وتنتهى بالتوثق والبيان إلى ما انتهت إليه، وتقيّد بالشهود العدول، المعروفين فى مواضعهم بالعدل

والرضا، الموجبين للقبول، وتكتب أقوال المظلومين وحججهم، وإقرارهم واعترافهم، وحجج الظالمين فى مقالاتهم واستظهارهم فى بياناتهم، مُعطى كل جانب حقه، موفى كل قائد قوله، فتكون مخاطبتكم أعزكم الله، ومخاطبة من يتناول هذا الكتاب وتوجه إليه هذا القصد، خطاب من تَحَمَّل الشهادة ويؤدى فيها أمانة، على ما يجب من البيان الذى لا يعتوره التباس ولا يطمس وجهه إشكال، ويتوثقون فى المظلومين بالدماء بسجنهم وتقيفهم، ويتوكفون ما تصلكم به المخاطبة، فتقفون عند مقتضاه، ولا يعدلون عن شيء من معناه، مراقباً كل منكم إلهه ومولاه، علماً بأنه يعلم سره ونجواه، وأنه يسمعه ويراه، واعلموا وفقكم الله وأسعدكم، أن هذا الحكم عام فى جميع النوازل، التى أطلقت السنة فيها القتل وستته، وحكمت به وشرعته، كمن قتل نفساً وأقر بالقتل، أو شهد العدول عليه به، ومن بدل ديناً وارتد عنه، ومن أتى الفاحشة بعد الإحصان، باعتراف أو دليل أو شهادة مقبولة، وما خير الأئمة فيه من قتل المحاربين والساعين فى الأرض بالفساد، والمتأملين أمر الله بالاستهزاء والعناد، سواء سُن ذلك كله أو وقع فيه ضرب يشاكله مجراه، واحد فى التوقف عن إمضائه، والتأخر عن تنفيذه، إلا بعد المطالعة، وتعريف وجه العمل من المجاوبة وكذلك وفقكم الله يكون التوقف فيما عدا المذكور من النوازل، التى يكون [فيها] أحكام دون النفوس من قتل الخطأ وديات الشجاج، وعقول الأعضاء، وأرش الجراحات، ووجه القصاص، والقطع فى السرقات، إلى غير ذلك من القضايا المشككة فى الأموال وإطلاقها واستحقاقها، وفى الرقاب وإعتاقها واسترقاقها، وملبسات المناكحات والمعاملات، وما أشبهها من الأمور التى الإقدام على الحكم فيه تهجم، والعمل فيها بغير استناد إلى ما يجب تسور، فتوقفوا أعزكم الله عن جميع ما فُسِّر لكم، ولو أخفه توقف الساعى فى نجاته، العامل لديناه وآخرته، وقد ورد فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله من الخطر الوكيل، والوعيد الشديد، فى إراقة الدماء، واستباحة الأموال، واستحلال الحرمات إلا بوجه صحيح، لا يسلم إلا من طريق العصمة، ولا تهتدى إليه إلا أنوار الحكمة، ما يزع العقلاء، ويكف الألباء، ويحذرهم من سطو الله وعقابه، ويخوفهم من أليم عذابه، فعملوا على ما رسم فى هذا الكتاب، من التعريف بما يبطن وإنهاء كل ما ينزل، ليتصلكم من التوقيف، والبيان والتعريف، لما يظهر لكم به بركة الاقتداء، وتستبرق منه عليكم أنوار

الائتمام والاهتداء، ويتراءى لكم به الحق فى صوره الصادقة، ومثله المطابقة، ومناظره الموافقة، ومطالعه المشرقة، بفضل الله ورحمته، وملاك ما يسدد مقاصدكم فى جميع أحوالكم، ويوجب لكم الرضا فى كافة أقوالكم وأفعالكم، تقوى الله فى السر والجهر، وخفيته فى الباطن والظاهر، وقدع النفس عن هواها، وكبحها بلجام النهى عن الركض فى ميدان رداها، وطاعة أمره العظيم والجري على سننه المستقيم، فلذلك عصمة من الزلل، وتوفيق فى القول والعمل بفضل الله، وقد وجب أكرمكم الله لهذا الكتاب، بما انطوى عليه من الأغراض الشاملة المنفعة، العامة المصلحة أن يعطى حقه من الإشاعة والتشهير، ويهض مقتضاه إلى الصغير والكبير، ويجمع الناس لقراءته وتلقى مضمته، ويساوى فيه بين الغائب والشاهد، والبادى والحاضر، بإسماع من حضر ومخاطبة من غاب، ممن يتعلق بنظركم ويدخل تحت عملكم، ليأخذ الجميع بقسطه من المسرة، وتعرف بركته واستشعار عائده، وأنسه بما أمر به هذا الأمر العزيز، من إفاضة العدل، وبسط الدعة والأمن، وإقامة أمر الله تعالى على وجهه المتعين، وسننه الواضح المبين، إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وتعالى وبركاته، كتب فى الثالث من شهر رمضان المعظم سنة إحدى وستين وخمسمائة.

ملحق (٧)

رسالة

من الخليفة أبي يعقوب يوسف

إلى الطلبة الذين بغرناطة، يشير فيها إلى وصول بيعتهم مع أشياخ غرناطة، وينوه بولائهم ووفائهم، ويوصى بإكرامهم وبرهم.

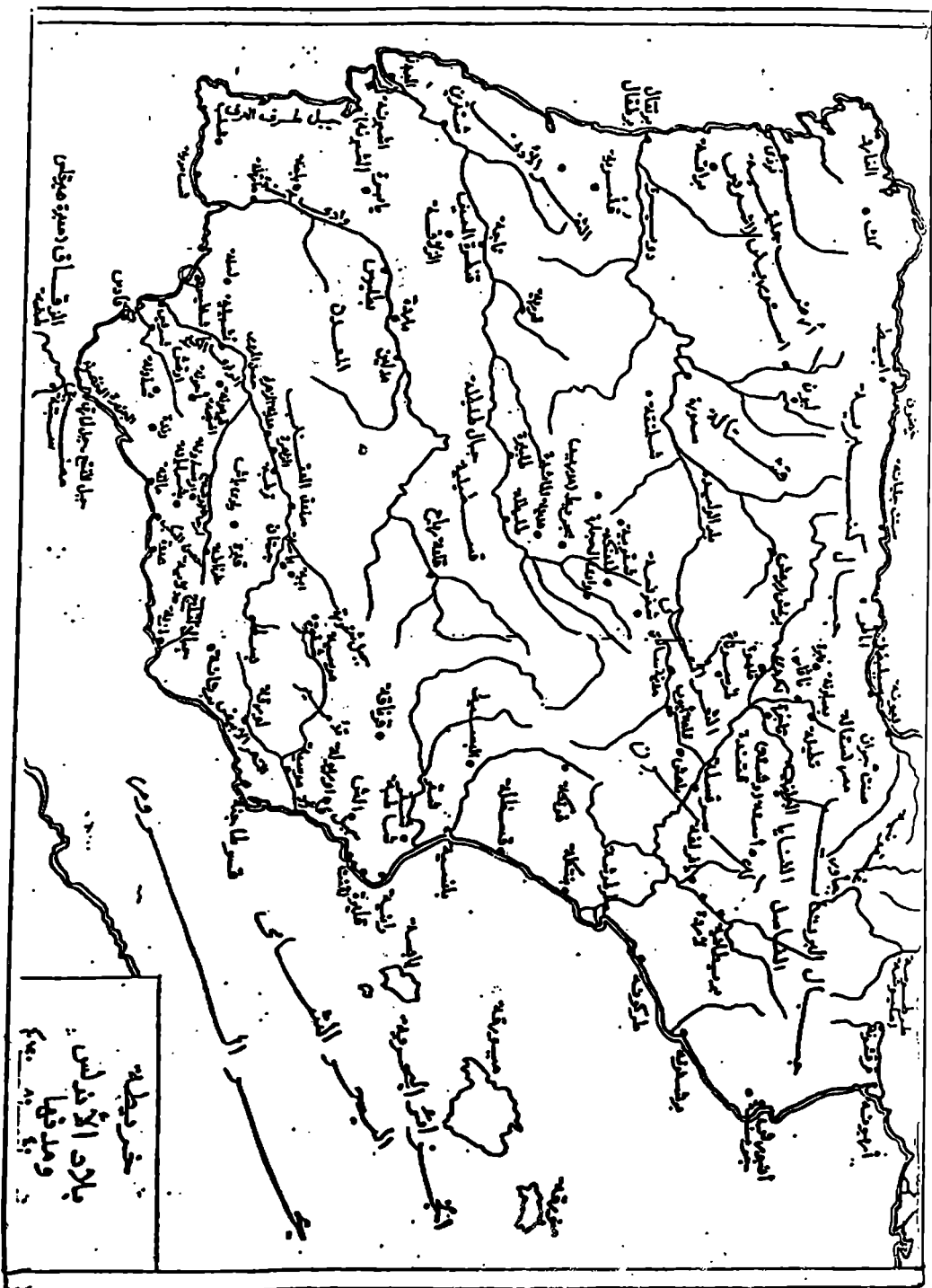
(منقولة عن كتاب «المن بالإمامة» مخطوط أكسفورد لوحة ١٠٥ ب)

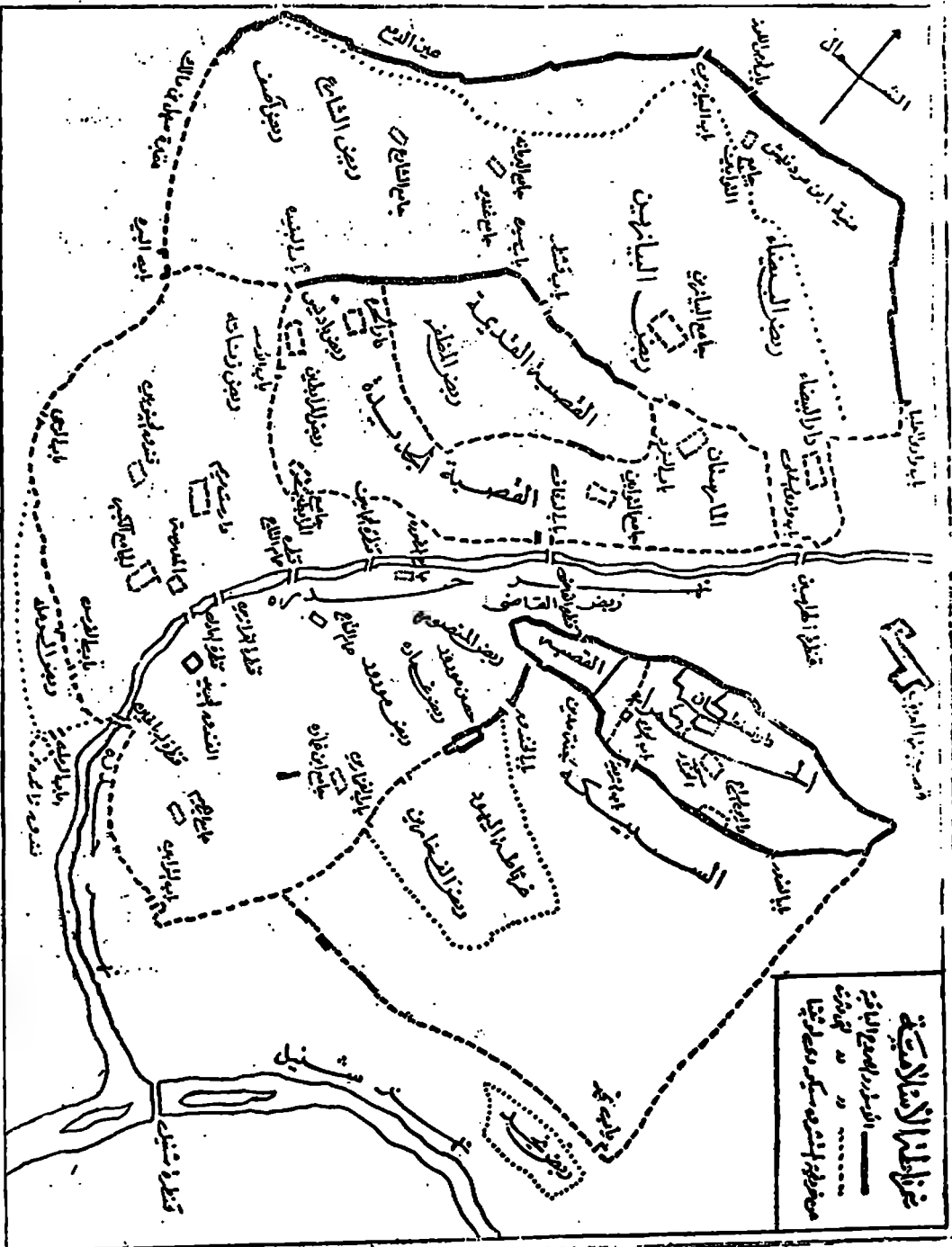
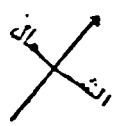
بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم

والحمد لله وحده، من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيد الله نصره، وأعزه بمعونته إلى الطلبة الذين بأغرناطة أكرمهم الله بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وتعالى وبركاته، أما بعد فإننا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلى على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضا عن الإمام المعصوب، المهدي المعلوم، القائم بأمر الله والداعى إلى سبيله، ونوالى الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام أمير المؤمنين مسنى أمره العزيز إلى غاية تميمه وتكميله، فإننا كتبناه إليكم أكرمكم الله بتقواه من حضرة مراكش حرسها الله والذى نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه، وقد وصلنا كتابكم من عند الشيوخ من إغرناطة، حرسها الله والموحدين، وفق الله جميعهم، ووفقنا عليه، ورأينا ما تحملوه عن الموحدين بأغرناطة، حرسها الله وجيرانهم من انعقاد إجماعهم على ما أجمع عليه شيوخ أهل [الهدى] وأعيانهم من الأمر الذى أوجبوا على أنفسهم المبايعة عليه، وأعطاه صفقة اليد فيه، وقد وفقهم الله لما وفق إليه أهل أمره، وذوى العصمة من طائفته، الله تعالى يتقبل منهم عملهم ويعرفهم بركة ما التزموه، ويعينهم على القيام بواجبهم والوفاء بحقه وقد انصرف هؤلاء الأشياخ المذكورين بعد إقامتهم بهذه الحضرة ونيلهم بركاتنا، ما يجدون أثره فى أحوالهم (وسريان) الانتفاع به

نقلا عن محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس - عصر المرابطين والموحدين - القسم الثانى -

فى أقوالهم وأعمالهم، فاعرفوا لهم حق وفادتهم ومكان وفادتهم أحمّلوهم خيراً بهم على
الرعاية المتصلة، والمبرة الحافلة المشتملة، إن شاء الله تعالى، والله ولى عونكم
وصوبكم، لا رب غيره، والسلام الكريم العميم عليكم ورحمه الله وبركاته، كتب فى
الثانى عشر من شوال عام ثلاثة وستين وخمس مائة.





خزائن الاسلاميه
المطبعة المطبوعه في
مصر مطبعة المطبعة
مصر مطبعة المطبعة

المصادر

أولاً: قائمة المخطوطات:

- ١- البرزلى: (أبى القاسم بن أحمد البلوى البرزلى)
جامع مسائل الأحكام مما نزل بالمفتين والحكام، الخزانة الملكية
(الرباط) رقم ٤٨٨٤ .
- ٢- التادلى: (أحمد بن القاسم بن محمد بن سالم بن عبد العزيز الهروى)
كتاب المعزى فى أخبار مناقب الشيخ سيدى أبى يعزى رقم ١٢٤٩ دار
الكتب المصرية
- ٣- ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة، مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣ .
رقم الحل فى نظم الدول
مكتبة باريس الوطنية
5020
٥٠٢٠
- ٤- ابن رحال: (أبى الحسن على)
كشف القناع عن مسائل الصناع
الخزانة العامة الرباط مجموعة رقم ١٠٧٩ د .
- ٥- ابن أبى زرع: (أبو الحسن على بن محمد)
الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس
مخطوط دار الكتب الوطنية باريس
١٨٦٨
1868
- ٦- ابن أبى زمنين: (أبو عبد محمد)
كتاب قدوى الغازى، ورقة ٢٩، مخطوط رقم ٥٧٥ المكتبة الوطنية مدريد

٧- ابن سهل: (أبو الأصمغ عيسى)

ت ٤٨٦ هـ - ١٠٩٣ م

الأعلام بنوازل الأحكام

المعرفة بالأحكام الكبرى

مخطوط بدار الكتب المصرية

٨- السيوطي: (عبد الرحمن بن أبي بكر)

ت ٩١١

البستان في أخبار الزمان

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٠٢٤

٩- الشطبي: (محمد الشطبي المغربي)

كتاب الجمان في أخبار الزمان

مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٤١٦

١٠- العيني: (بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسن)

ت ٨٥٥ هـ

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان

مخطوط رقم ١٥٨٤ دار الكتاب

١١- العمري: (ابن فضل الله العمري)

ت ٧٤٨ هـ

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

مخطوط دار الكتب المصرية

ج ٢ قسم ١٦

١٢- النويرى: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد)

ت ٧٧٥هـ

نهاية الأرب فى فنون الأدب

مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩

١٣- مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية

1873

دار الكتب الوطنية باريس

١٨٧٣

١٤- المقرئ: (أبى العباس أحمد المقرئ التلمسانى)

ت ١٠٤١هـ

عرف الطيب فى أخبار ابن الخطيب

1883

دار الكتب الوطنية باريس

١٨٨٣

ثانيًا: المؤلفات العربية القديمة (المصادر)

١- ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) ٣٢

ت ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م.

- الحلة السراء: جزءان تحقيق حسين مؤنس سنة ١٩٦٣

- التكملة لكتاب الصلة، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦، طبعة مدريد ١٨٨٨ - ١٨٨٩ تحقيق كوديرا.

- المعجم في أصحاب أبي على الصدفى، تحقيق كوديرا وزيد بن مجريط
روخس سنة ١٨٨٥ م.

٢- ابن الأثير: (على بن أحمد بن أبي الكرم)

ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٨ هـ

- الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٧ ومطبعة الاستقامة

٣- الإدريسي: (محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف)

ت ٥٥٨ هـ - ١١٦٣ م

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر الأندلس

نشر دوزى ودى غويه، طبعة ليدن ١٨٦٦ م

٤- الأشبيلي: (ابن العوام)

توفي آخر القرن السادس

- كتاب الفلاحة باعتناء بانكورى

مدريد ١٨٠٢ م

٥- الإصطخرى: (أبو أسحاق إبراهيم بن محمد الفارس الإصطخرى المعروف بالكرخى)

ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى

«المسالك والممالك»

٦- ابن أبى أصيبعة: (موفق الدين أبى العباسى أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس

الصفدى الخزرجى)

ت ٦٦٧هـ - ١٢٧٠م

- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، نشر نزار رضا

بيروت سنة ١٩٦٥

٧- ابن بسام: (محمد بن أحمد بن بسام المحتسب)

ت فى القرن التاسع الهجرى

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائى

- مطبعة دار المعارف بغداد سنة ١٩٦٨م

٨- ابن بسام: (أبو الحسن على بن بسام الشترينى)

ت ٩٤٢هـ - ١٥٣٥م

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة

تحقيق إحسان عباس

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة

القسمان الأول والرابع، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩

- ١٩٤٥

٩- ابن بشكوال: (أبو القاسم خلف بن عبد الملك)

ت ٥٧٨هـ - ١١٨٢م

- الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم

القاهرة سنة ١٩٦٦م

١٠- ابن بصال: (أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال)

- كتاب الفلاحة تحقيق بيكروسا ومحمد عزيما، تطوان، منشورات

محمد مولاي الحسن ١٩٥٥

١١- ابن بطوطة: (أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى) ٧٧٩ هـ - ١٣٧٨

- تحفة النظر فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

نشر وترجمة Defremary et sanguinette

باريس سنة ١٩٢٢م، وطبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٧م

١٢- البغدادى: (صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى)

٧٣٩ هـ - ١٣٣٨م

مراسد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع

- ثلاثة أجزاء (القاهرة سنة ١٩٥٤)

١٣- البكرى: (أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى)

٤٨٧ هـ - ١٠٩٧م

- المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب نشر دى سلان سنة ١٩١١م

١٤- ابن بلقين: (عبد الله)

- التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى ريرى فى غرناطة نشرة ليفى

بروفنسال، القاهرة دار المعارف سنة ١٩٥٥

١٥- ابن البناء: (أبى العباس المراكشى)

- رسالة فى الاتواء

١٦- البيذق: (أبو بكر الصنهاجى) (القرن السادس الهجرى)

- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين

نشر ليفى بروفنسال سنة ١٩٢٨ بباريس، طبعة الرباط وطبعة دار المنصور
سنة ١٩٧١ .

١٧- التادلى: (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن)

ت حوالى ٩١٧ هـ

- التشوف إلى رجال التصوف، نشره وصححه أدولف فور سنة ١٩٥٨،
الرباط

١٨- التطلى: (ديوان الأعمى التطلى)

١٩- ابن تومرت: (المهدي محمد بن عبد الله)

ت ٥٢٤ هـ

- أعز ما يطلب، مشتمل على جميع تعاليق الإمام محمد بن تومرت
الجزائر ١٩٠٣ م

٢٠- ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام، دمشق سنة ١٩٦٧

٢١- ابن جبير: (الحسين محمد بن أحمد)

ت ٤٥٦ هـ

- رحلة ابن جبير، بيروت سنة ١٩٥٩

- نشر حسين نصار القاهرة سنة ١٩٥٥

٢٢- الجزنائى: (أبو الحسن على)

- زهرة الآس فى بناء مدينة فاس سنة ١٩٢٢ م - ١٢٤٠ هـ

الجزائر طبع باعتناء الفريدل

٢٣- ابن حزم: (أبو محمد على بن أحمد)

ت ٤٥٦ - ١٠٦٣ م

- جمهرة أنساب العرب

- جمهرة ليفي برونسفال - دار المعارف، تحقيق عبد السلام هارون القاهرة
سنة ١٩٧١ م

- الرد على ابن النخيلة اليهودي

تحقيق إحسان عباس، القاهرة دار العروبة سنة ١٩٦٠

٢٤- أبي الحسن: (على بن يوسف الحكيم)

ألف كتابه في القرن الثامن الهجري

- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة

تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة
١٩٥٨ م

٢٥- الحميري: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العظيم)

ت ٨٦٦ هـ - ١٤٦١ م

- الروض المعطار في خبر الأقطار قطعة مأخوذة من كتاب صفة جزيرة
الأندلس تحقيق ليفي برونسفال - القاهرة ١٩٣٧ م

٢٦- الحميدي: (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي)

ت ٤٨٨ هـ - ١٠٩٥ م

- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس

ضمن المكتبة الأندلسية سنة ١٩٦٦ م

٢٧- ابن حوقل النصيبى: (أبو القاسم محمد بن على)

ت في النصف الآخر من القرن الرابع الهجري

- كتاب صورة الأرض

نشر مكتبة دار الحياة - بيروت

٢٨- ابن خاقان: (الفتح بن خاقان)

ت ٥٢٩هـ - ١١٣٤م

- قلائد العقيان في محاسن الزمان ط ١ سنة ١٣٢٠هـ مصر

المطبعة العتيقة بتونس تقديم محمد العناني

٢٩- ابن الخطيب: (لسان الدين بن الخطيب السلماني)

ت ٧٧٦هـ - ١٣٧٤هـ

- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام

القسم الثاني تحقيق ليفي بروفنسال - الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦م

- أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد

إبراهيم الكتاني، تحت عنوان «تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط»

سنة ١٩٦٤م

- الإحاطة في أخبار غرناطة ٤ أجزاء

تحقيق محمد عبد الله عنان القاهرة سنة ١٩٧٣م

- اللوحة البدرية في الدولة النصرية.

- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب (مجموعة من رسائله) نشر أحمد

مختار العبادي - الإسكندرية سنة ١٩٥٨.

- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب

نشر أحمد مختار العبادي - القاهرة سنة ١٩٦٧

- كناسة الدكان بعد انتقال السكان

نشو محمد كمال شبانة - القاهرة ١٩٦٦م

- رقم الحلل في نظم الدول - تونس سنة ١٣١٧هـ

٣٠- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد)

ت ٨٠٨ هـ

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ٧ أجزاء .

- المقدمة، طبعة دار الشعب، طبعة بيروت سنة ١٩٧١، سنة ١٩٧٩
وطبعة الكشف، منشورات مؤسسة الأعلى

٣١- ابن خلدون: التعريف برحلته شرقًا وغربًا، نشر محمد بن تاووت

٣٢- ابن خلكان: (أبى العباس أحمد بن خلكان)

ت ٦٨١ هـ

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ أجزاء طبعة سنة ١٩٤٨ النهضة المصرية .

٣٣- خليفة بن خياط: انظر تاريخ خليفة ابن خياط

٣٤- ابن دحية: (أبو الخطاب عمر ابن الشيخ الإمام أبى على)

ت ٦٢٣ هـ

- المطرب فى أشعار أهل المغرب ج ١ الخرطوم سنة ١٩٥٤م

- المطرب فى أشعار المغرب، تحقيق إبراهيم الأبيارى، القاهرة،
المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٤م .

٣٥- ابن أبى دينار: (محمد بن القاسم الرعينى القيروانى)

- المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ط ١ تونس ١٢٨٦ هـ

٣٦- ابن رشد: (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى الأندلسى)

الشهير بابن رشد الحفيد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ - ١١٩٩م

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد جزءان، راجع أصوله وعلق عليه عبد الحليم
محمد عبد الحليم، طبعة دار الكتب الإسلامية سنة ١٩٨٣م - ١٤٠٣ هـ

٣٧- ابن الزبير: (أبو جعفر أحمد) القسم الأخير، تحقيق ليفي بروفنسال

- وهو ذيل للصلة البشكوالية، الرباط، المطبعة الاقتصادية سنة ١٩٣٧

٣٨- الزجالي: (أبي يحيى)

عاش في القرن السابع

- أمثال العوام في الأندلس، قسم ٢ استخرجها وحققها محمد بن شريفة،

فاس سنة ١٩٧١م

٣٩- ابن أبي زرع: (أبو الحسن علي بن عبد الله)

ت ٧٤١هـ - ١٣٤٠م

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة

فاس، دار المنصور، الرباط سنة ١٩٧٢م وطبعة الرباط تحقيق الهاشمي،

الفيلاي سنة ١٩٣٦، ونسخة أخرى طبعة حجر دار الكتب، وطبعة

أوبسالة باعثناء كارل بوجن تورنبرغ سنة ١٨٤٣م - ١٨٦٤م

٤٠- الزركشي: (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن إبراهيم اللؤلؤي)

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس المكتبة العتيقة سنة ١٩٦٦م

٤١- الزهري: (أبي محمد بن أبي بكر الزهري)

- كتاب الجغرافيا

ت في حدود ٥٥٦ هـ - ١١٦٠م

تحقيق محمد الحاج الصادق، دمشق المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات

العربية

٤٢- ابن زيد القيرواني

- الرسالة: طبعة الجزائر

فصل في غسل الموتى وتكفينهم وتحنيطهم.

٤٣- ابن سعيد: (محمود بن سعيد مقديش الصفاقس)

ت ١٢٢٨هـ - ١٨١٣م

- نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار، تونس ١٣٢١هـ

٤٤- ابن سعيد: (المغرب الأندلس)

ت ٦٧٣هـ - ١٢٧٤

- المغرب فى حلى المغرب «جزءان»

تحقيق شوقى ضيف

٤٥- ابن سعيد: الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، بيروت سنة ١٩٧٠م، طبعة
الجزائر ١٩٨٢

- رايات المبرزين - نشر غرسية غومس

٤٦- السقطى: (أبو عبد الله محمد بن أبى محمد ألسقطى المالكى الأندلسى)

ت ٦٣١هـ - ١٢٣٤م

- فى أدب الحسبة

نشر ج. س كولان، وليفى بروفنسال

٤٧- ابن سهل: (أبو الأصبع عيسى)

ت ٤٨٦هـ - ١٠٩٣م

- الأحكام الكبرى مخطوط الرباط

تحقيق نورة عبد العزيز التويجى رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب
جامعة الملك سعود - الرياض

٤٨- ابن الشباط: (محمد بن على بن محمد بن الشباط المصرى)

- صلة السمط، استخراج قسمة الأندلس

أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، سنة
١٩٦٥م - ١٩٦٦م

مجلد ١٣، ٤١ سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨

٤٩- ابن شهيد: (أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر -
ابن عيسى بن الوضاح الأشجعي)

ت ٤٢٦هـ - ١٠٣٥م

- ديوان ابن شهيد الأندلس، تحقيق يعقوب زكي، مراجعة محمود علي
مكي، دار الكاتب العرب للطباعة والنشر بدون تاريخ القاهرة

- رسالة التوايع والزوايع

٥٠- ابن صاحب الصلاة: (عبد الملك)

ت نهاية القرن السادس الهجري

- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم
الوارثين - السفر الثاني.

تحقيق عبد الهادي التازي - بيروت ط - بيروت ١٩٦٤م وطبعة سنة
١٩٧٩ الجمهورية العراقية.

٥١- الضبي: (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة)

ت ٥٥٩هـ - ١٢٠٢م

- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس.

المكتبة الأندلسية مصر سنة ١٩٦٧

٥٢- الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهري (٥٤١ هـ -

٥٢٠هـ - ١٠٥٩ - ١١٢٦م)

- الحوادث والبدع

تحقيق الطالبي تونس سنة ١٩٥٩م

٥٣- سراج الملوك الطبعة

ت ١٢٨٩هـ

٥٤- ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن

ت ٢٧٦هـ - ٨٨٩م

- كتاب فتوح أفريقية والأندلس، نشر الجزائر ١٩٤٨م

٥٥- ابن عبد الله: (محمد بن ابن عبد الله)

- مجموعة اليواقيت العصرية

مصر سنة ١٣٩٤هـ

٥٦- ابن عبد الرؤوف: (أحمد بن عبد الله)

- في أدب الحسبة والمحتسب

(ضمن مجموعة ثلاث رسائل في الحسبة)

تحقيق ليفي بروفنسال مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية

القاهرة سنة ١٩٥٥م

٥٧- ابن عبدون:

- رسالة في القضاء والحسبة

(ضمن مجموعة ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة)

٥٨- ابن عذاري المراكشي

ت في أواخر القرن السابع الهجري

- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

الجزء الاول والثاني تحقيق ج. س كولان وليفى بروفنسال دار الثقافة

بيروت

الجزء الثالث تحقيق ليفى بروفنسال دار الثقافة - بيروت

الجزء الرابع تحقيق إحسان عباس، بيروت دار الثقافة سنة ١٩٦٧ م

جزء ٤ قسم ٣ القسم الموحدى، تحقيق هويثى ميراندا ومشاركة محمد ابن تاويت ومحمد إبراهيم الكتانى معهد مولاي الحسن تطوان سنة ١٩٦٠

٥٩- العذرى: (أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى)

ت ٤٧٨هـ - ١٠٨٥م

- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع البستان فى غرائب البلدان والممالك إلى جميع الممالك، نشر وتحقيق عبد العزيز الأهوانى معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥.

٦٠- العمرى: (ابن فضل الله): (شهاب الدين أحمد بن يحيى الكاتب الدمشقى العمرى)

ت ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار

- وصف أفريقية والمغرب والأندلس

تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب - تونس

٦١- عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياش اليحصبى السبتي

ت ٥٤٤هـ - ١١٤٩م

- الأعلام بحدود قواعد الإسلام - تحقيق محمد بن تاويت الطنجى - الرباط سنة ١٩٦٤م

٦٢- ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت)

٦٣- ابن غازي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي)

ت ٩١٩هـ - ١٥١٣م

- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون طبع حجر مغربي.

٦٤- ابن غالب: (محمد بن أيوب الأندلسي)

ت في القرن السادس الهجري

- قطعة من كتاب فرحة الأنفس

تحقيق لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ١ جزء

٢ سنة ١٩٥٥

٦٥- الغبريني: (أبي العباس أحمد)

- عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية، الجزائر

المطبعة الشعالبية ١٣٢٨ ع و ط. ١٩٧٠م تحقيق رابع بونار (مجموعة

زخائر العرب)

٦٦- ابن فرحون: (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمرى)

ت ٧٩٩هـ

- الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، القاهرة

مطبعة السعادة سنة ١٣٩١هـ - ١٣٩٦م

٦٧- ابن القاضي: (أحمد بن القاضي المكناسي)

ت ١٠٢٥هـ - ١٦١٦م

- جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ٢ قسم دار المنصور

للطباعة والوراقة الرباط ١٩٧٤م

- جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس طبعة حجر فاس سنة

١٢٠٩

٦٨- القرطبي: عريب بن سعد القرطبي

ت أواخر القرن الرابع

- تقويم قرطبة، نشرة مع ترجمة فرنسية دوزي، ليدن، بريل الطبعة الجديدة، سنة ١٩٦١.

٦٩- القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود القزويني)

ت ٦٨٢هـ - ١٢٣٨م

- أثار البلاد وأخبار العباد

٧٠- ابن القطان: (أبو علي حسين بن علي بن القطان)

ت ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م

- جزء من كتاب نظم الجمان، تحقيق محمود علي مكي تطوان المغرب، المطبعة المهدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط سنة ١٩٦٤م.

٧١- القلقشندي: (أبو العباس أحمد)

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا

القاهرة سنة ١٩١٣ الجزء الخامس

٧٢- ابن القوطية: (محمد بن عمرو بن عبد العزيز أبو بكر)

ت ٦٣٧

- تاريخ افتتاح الأندلس

تحقيق عبد الله أنيس الطباع - بيروت سنة ١٩٧٥ وطبعة ريبيرا مدريد سنة ١٨٦٨م

٧٣- ابن الكردبوس: أبو مروان عبد الملك

ت ٦٨١هـ - ١٢٨٣م

- تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط (محمد بن علي)

استخرج قسمة الأندلسي أحمد مختار العبادي

(نصان جديان)

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١ م

٧٤- الماوردي: (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي)

ت ٤٥٠ هـ

- الأحكام السلطانية

القاهرة طبعة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠

مكتبة وطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

٧٥- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهما

E.Lafuente مجريط سنة ١٩٦٧ م

٧٦- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد

مطبعة جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨

٧٧- مجهول: مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية

تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، المطبعة الاقتصادية سنة ١٩٤١ م

٧٨- مجهول: الطبخ في المغرب والأندلس

- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، تحقيق أمبروزيو أويثي

ميراندا تقديم حسين مؤنس مدريد سنة ١٩٥٥

٧٩- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار انمراكية

مجهول من أهل القرن الثامن الهجري

- تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة

دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ - سنة

١٩٧٩ م

٨٠- مجهول: نخب تاريخية جامعة لأخبار البربر فى القرون الوسطى المعروفة باسم
مفاخر البربر جمعها ونشرها ليفى برونسال سنة ١٩٢٣م

٨١- المجلدى: (أحمد سعيد)

ت ١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م

- التيسير فى أحكام التسعير

تحقيق موسى لقبال الجزائر سنة ١٩٦٠م

٨٢- ابن منظور: (جمال الدين محمد بن مكرم أنصارى)

ت ٧١١هـ - ١٣١١م

- لسان العرب

طبعة مصورة عن طبعة بولاق ٢٠ مجلد المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والنشر

٨٣- أبو المحاسن: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى)

ت ٨٧٤هـ - ١٢٥٤م

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٦م

٨٤- المراكشى: (عباس بن إبراهيم)

- الأعلام بمن حل مراكشى وأغمات من الأعلام

٨ أجزاء ج ٣ سنة ١٩٦٣م

٨٥- المراكشى: (عبد الله المراكشى)

- الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة

٣ أسفار، السفر الأول تحقيق محمد بن شريفة، والسفران الرابع

والخامس تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الشقافة ١٩٦٤ - ١٩٦٥،

السفر الأول بدون تاريخ

٨٦- المراكشى: (عبد الواحد)

ت ٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م

- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان،

القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م

٨٧- المراكشى: (محمد الفتيحي)

- السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، القاهرة،

مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٤١ هـ

٨٨- المقدس: (شمس الدين أبو عبد الله محمد)

ت ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ليدن سنة ١٩٠٦

٨٩- المقرئ: (شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني)

ت ١٤٠١ هـ - ١٦٣٨ م

- أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض

تحقيق مصطفى السقا وآخرون

القاهرة سنة ١٣٥٩ هـ - سنة ١٩٤٠ م

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن

الخطيب

تحقيق إحسان عباس ٨ أجزاء

بيروت سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

- تحقيق محيى الدين عبد الحميد ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م

٩٠- المقریزی: (تقی الدین أحمد بن علی)

ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان بولاق سنة ١٢٧٠هـ

٩١- ابن المؤقت: (محمد بن عبد الله)

- السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية

جزءان - طبع حجر مراكشي سنة ١٢٣٥هـ

٩٢- الناصري: (أبو العباسي أحمد بن خالد الناصري)

ت ١٣١٥هـ

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدار البيضاء سنة ١٩٥٤م

٩٣- النباهي: (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين)

ت ٧٧٦هـ

- تاريخ قضاة الأندلس، المسمى المراقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا

نشر ليفي برونفسال ط ١ دار الكاتب المصري سنة ١٩٤٨م

٩٤- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد)

ت ٧٣٣هـ

- نهاية الأرب في فنون الأدب

الجزء الرابع والعشرون

تحقيق حسين نصار

المجلس الأعلى للثقافة - الهيئة المصرية العامة للكتاب

٩٥- ابن الوردي: (سراج الدين بن حفص بن عمر أبي الفوارس)

ت ٨٦١هـ - ١٤٥٧م

- كتاب خريدة العجائب وفريدة الضرائب نشر ليدن سنة ١٨٢٣هـ -

٩٦- الونشريشى: (أبى العباس أحمد بن يحيى)

ت ٩١٤هـ - ١٠٨٥م

- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس ١٢
جزء مطبعة الشافعة بدون تاريخ، فاس

٩٧- ياقوت: (أبو عبد الله)

ت ٦٢٦هـ

٥ أجزاء طبعة طهران ١٩٦٥

٦ أجزاء طبعة ١٨٦٦ - ١٨٧٣

٨ أجزاء فى أربع مجلدات طبعة القاهرة سنة ١٩٠٦

٩٨- يحيى بن عمر

ت ٢٨٩هـ - ٩٠١م

- أحكام السوق

تحقيق محمود على مكى

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد العدد ٢ مجلد ٤ مدريد سنة
١٩٥٦.

ثالثاً: المراجع العربية الحديث:

١- إبراهيم حركات:

- المغرب عبر التاريخ ط الدار البيضاء الطبعة الأولى ١٩٦٥م - ١٣٨٤هـ
طبعة دار السلمي

- النظام السياسى والحربى فى عهد المرابطين، الدار البيضاء، منشورات
مكتبة الوحدة العربية دون تاريخ

٢- أمارى: (مشيل)

- المكتبة العربية الصقلية

- ليسك سنة ١٨٧٥م

٣- أمبرسيو هويثى ميراندا

- على بن يوسف وأعماله فى الأندلس، بحث نشر فى مجلة تطوان
الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد ٣ - ٤، ١٩٥٨ - ١٩٥٩م ص
١٥٣ - ص ١٧٦.

- واقعة اقلش ومصرع الأمير شانجة، مجلة تطوان، العدد الثانى سنة
١٩٥٧م

- المطبخ الأسبانى خلال العصر الموحدى مجلة معهد الدراسات مدريد
المجلد الخامس سنة ١٩٥٧.

٤- إحسان عباس

- الجانب السياسى من رحلة ابن العربى إلى المشرق، مجلة الأبحاث
الجامعة الأمريكية بيروت سنة ١٩٦٣م

- الأدب الأندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت،
الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٨م

٥- أحمد مختار العبادي .

- الأعياد في مملكة غرناطة مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد
المجلد الخامس عشر سنة ١٩٧٠م

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس الإسكندرية طبعة سنة ١٩٦٨م .

- في تاريخ المغرب والأندلس طبعة سنة ١٩٧٨م .

٦- بروفنسال: (ليفى)

- محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها .

٧- توروس بلباس

- الأبنية الأسبانية الإسلامية

- مجلة معهد الدراسات الإسلامية العدد الأول سنة ١٩٥٤م

٨- جمال سرور

- تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف

القرن الخامس الهجرى القاهرة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

٩- جمال محرز:

- الرسوم الجدارية الإسلامية فى البوطل بالحمراء

١٠- جوليان: «شارل أندريه»

- تاريخ أفريقية: ترجمة عوض أباطة سنة ١٩٦٨م

١١- الجيلالى: عبد الرحمن بن محمد:

- تاريخ الجزائر العام جزءان ط ٢ ١٩٦٥م بيروت

١٢- حسن إبراهيم حسن

النظم الإسلامية

١٣- حسن أحمد محمود

- قيام دولة المرابطين مكتبة النهضة سنة ١٩٥٧

١٤- حسن حسنى عبد الوهاب

.. ورقات من الحضارة العربية فى أفريقية قسم ٢ تونس ١٩٦٦

١٥- حسن على حسن

- الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين
والموحدين مكتبة الخانكي - مصر سنة ١٩٨٠م

١٦- حسين مؤنس

- الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس مجلة معهد الدراسات الإسلامية
مدريد سنة ١٩٦٧م

- الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين وسقوط سرقسطة فى أيدي
النصارى سنة ٥١٢هـ / ١١٨م مع أربع وثائق جديدة مجلة - كلية
الآداب، القاهرة، المجلد ١١ ج٢ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ص ٩١ - ص
١٤٣

- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم فى الأندلس صحيفة
المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد المجلد الأول، العدد الثالث
سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ص ٩٧ - ص ١٤٠ .

- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين للموحدين، سنة
٥٢٠هـ - ٥٤٠هـ مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد سنة
١٩٥٥ المجلد الأول العدد الثالث .

- تطور العمارة الإسلامية فى الأندلس كلية الآداب جامعة فؤاد الأول .

.. فتح العرب للمغرب

١٧- حكمة على الأوسى

- الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين مكتبة - الخانكى القاهرة

١٨- رابح بونار

المغرب العربى تاريخ وثقافة - الجزائر سنة ١٩٦٨م

١٩- ذكى محمد حسن: فنون الإسلام، ط (١) سنة ١٩٤٨م النهضة المصرية

٢٠- شكيب أرسلان: الحلل السندسية فى الاخبار والآثار الأندلسية، بيروت ١٣٥٨هـ

منشورات دار مكتبة الحياة، الجزء الثالث

٢١- شوقى أبو خليل

الزلاقة:

دار الفكر، دمشق طبعة سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٢٢- صبح الصالح

النظم الإسلامية

٢٣- ضياء الدين الرئيس: الخراج والنظم المالية للدول الإسلامية طبعة سنة ١٩٦١

لأنجلو المصرية

٢٤- عبد الرحمن الحجى

التاريخ الأندلسى، من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ٩٢هـ -

٨٩٧هـ / ٧١١م - ١٤٩٢م دار القلم، دمشق، بيروت، دار القلم

الكويت، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - سنة ١٩٧٩م

٢٥- عبد الله على علام

- الدعوة الموحدية بالمغرب (القاهرة سنة ١٩٦٤م)

- الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على

مطابع دار المعارف مصر سنة ١٩٧١م

٢٦- عثمان الكعاك

الحضارة المغربية فى حوض البحر المتوسط

٢٧- عز الدين موسى

النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى فى القرن السادس الهجرى دار

الشروق سنة ١٩٨٣م

٢٨- على محمد حمودة: تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى، دار

الكتاب العربى بمصر طبعة ١ سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م، طبعة ١٣٨٠ - ١٩٦١م

٢٩- فيليب خورى حتى: تاريخ العرب المطول، الجزء الثانى الطبعة الرابعة سنة

١٩٦٥م

٣٠- مبارك الميلى

- تاريخ الجزائر العام فى القديم والحديث جـ ٢ مطبعة الجزائر ١٣٥٠هـ

٣١- محمد الفاس

- أصول الأعلام الجغرافية الأندلسية مجلة البيئة عدد يونيو سنة ١٩٦٢م

٣٢- محمد المنونى

- العلوم والآداب والفنون على عصر الموحدين تطوان المطبعة المصرية

١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

٣٣- محمد بحر عبد المجيد

- اليهود فى الأندلس، المكتبة الثقافية عدد ٢٣٧، سنة ١٩٧٠م

٣٤- محمد مجيد السعيد

- الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: منشورات وزارة الثقافة

والإعلام - الجمهورية العراقية.

٣٥- محمد طرطوشة:

- نظرية ابن خلدون في الاقتصاد والقرآن مجلة الفكر (تونس) العدد ١٥

طبعة سنة ١٩٦٧م

٣٦- محمد عبد الله عنان

- دولة الإسلام في الأندلس

- عصر الطوائف

- عصر المرابطين والموحدين

- الآثار الأندلسية الباقية

- نهاية الأندلس

٣٧- محمد عبد الهادي شعيرة

- المرابطون وتاريخهم السياسي ط ١ سنة ١٩٦٩م القاهرة

٣٨- محمد كمال شبانة

- يوسف الأول سلطان غرناطة

٣٩- محمد ولد دادة

- مفهوم الملك في المغرب

- بيروت، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري سنة ١٩٧١م

٤٠- محمود علي مكي

- وثائق تاريخية جديدة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد

٤١- المرير

- الأبحاث السامية ج٢ تطوان سنة ١٩٥٢م

٤٢- مصطفى الشكعة

- الادب الأندلسي

٤٣- مصطفى الهمشري

- الأعمال المصرفية في الإسلام.

٤٤- مورينو

- الفن الإسلامي في أسبانيا

٤٥- موسى لقبال

- الحسبة المذهبية في بلاد المغرب

٤٦- ناجي معروف

- المدخل في تاريخ الحضارة العربية الطبعة الأولى بغداد سنة ١٣٧٩م

٤٧- نعمة العزاري:

أبو بكر الزبيدي النحوي وآثاره في النحو واللغة النجف سنة ١٩٧٥م.

٤٨- يوسف أشباخ

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين

- ترجمة محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٩٥٨م

١٣٧٧هـ.

رابعاً المراجع الأجنبية

1. Abbady: (Ahamd Mujtar Al Abbady)
- El Reino de Granada en la Época de Muhammed v (Madrid 1973)
2. Aly Mohamed Fhamy.
- Muslim sea power in the Eastern Mediterranean from the seventh to the tenth century. A.D. 1950.
3. Amariom M.I.: Diplomi arabi del archivio fiorentio, V.I. Firenze, le Monnier, 1863.
4. Bel. A.: Contribution a l'étude des dirhems de l'époque almohade, d'après un groupe important de ces monnaies récemment découvertes à Tlemcen Hespéris, 1933, Tome XVI, pp 1 - 68.
5. Brelvi: Islam in Africa. Lahor 1964.
6. Budgett-Meakin: The Moorish Empire. London, 1899.
7. Bosch villa, J.: historia de Marruecos los Almoravides, Tetuan, Instituto General Franco, 1956.
8. Codero, F. : Decadencia y Desaparición de los Almoravides en Espana, Zaragoza, 1899.
9. Dozy, R.: Histoire de musulmanes d'Espagne, 4 x : Leyde, Brill, 1861.
- Historia Abbadidarum, 2 v., Leyde, Brill, 1946.
- Recherches sur l'histoire et l'histoire de l'Espagne pendant le moyen âge, Leyde Brill, 1881.
- Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2, v. Leyde, Brill, 1881.
- Dictionnaire De 'Tailloes' des noms des Vêtements chez les Arabesm Amsterdam, 1845.
10. Gayangos "Pascual de Gayangos":
- The history of the Mohammedan dynasties in Spain.
Extracted by Ahamad at Mappari. 2 vols. London 1840 - 1843.

11. Gomez. "G" Elogio del Islam espanol, resala fi Fadl al Andulus.
12. Goitein, :S.D." Jews and Arabs: Their contacts through the Ages, New York; Schocken, 1955.
- Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, Brill, 1968.
13. Heyd (w)
- Histoire du commerce du Levant au Moyen Age, 2 v.,
(leipzig, v 1, 1923); v. 2, 188.
14. Hopkins, "J.F.p."
- Medieval Muslim Government of Barbary until the six century of the Hijra, London 1963.
15. Julien, "A", Histoire de l'Afrique du Nord, paris 1951. (Jusou`a la conquête arabes)
- 1952 (depuis la conquete arabes)
16. Lafuente: "M"
- Historia General de Espana. 1899.
17. Lane-poole- "S" The Moonish in Spain, London, (1867)
- Catalogue of the collections of oriental coins, London, 1897.
18. Lambert: "Elie":
- : Les mosques de type andalous en Espagne et en Afrique du Nord, Al-Andalus, vol. XIV: 1949.
19. Laviox (H)
- Catalogues des monnaies musulmanes de la Bibliotheque Nationale: Espagne et Afrique, Paris 1861.
20. Levi-provençal,
- La peninsula Iberique du Moyen-Age d'aprez le Kitab Ar-Rawd al Mitar d'Ibn Abd al Munim al Himyari (leiden 1938).
- le voyage d'Ibn Battuta dans le royaume de Granada (1939),
Melange offerts a william Marçais. Paris (1950)
- Inscriptions Arabes d'Espagne, paris (1931)

-
- L'Espagne Musulmane au xieme Siecle Paris (1951).
 - Una cronica de Abd Al Rohoman III Al Nasir. Madrid Granada 1950.
21. Du Mas-Latri, L., traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique seprentriionale au moyen-âge, Paris, 1965.
 22. Massignon, "I" le Maroc dans les premieres annees du XVI siècle, Alger, 1906.
 23. Melchor, "Antuna, "P"
 - Sevilla y sus monumentos arabes, El-Escorial, 1930.
 24. Miranda "Huici"
 - La invasion de los Almoravides y la batalla de Zallacam (Hespéris 1953).
 25. Pidal (u) The cid and his Spain London 1934.
 26. Prescott: (William H.):
 - History of the reign of ferdinand and Isabella the catholic. (London 1895).
 27. Ribera "J"
 - La Musica de las cantigas
 28. Scott, "S.P." History of Mooris Empire.
 29. Simonet: "F." J. Historia de los Mozarabes de Espana, Madrid, 1903.
 - Description del reino de Granada bajo la dominacion de los Naseritas. "Madroid 1860".
 30. Terrasse (Henri):
 - Histoire du Maroc. Casablanca 1951.
 31. Torres Balbas., "Leopoldo"
 - Arquitectos Andoluces de las epocas Almoravide y Almohade Al-Andalus 1946.
 32. Vives, preioto, La reforma N ummimtica de los Almohades, Madrid 1915.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٧
نقد لمصادر	١٣

الباب الأول

غرناطة وحفظها فى عصر المرابطين والموحدين	١٩
التحديد الجغرافى لإقليم غرناطة	٢١
نشأة غرناطة	٢٧
المدينة الرئيسية غرناطة	٥٠
الارياض	٥٠
الأسوار والأبواب	٥١
الدور والقصور	٥٣
المتنزهات	٥٧
المساجد	٥٩
الحمامات	٦٢
المقابر	٦٤
القناطر	٦٧

الباب الثانى

الحياة الاقتصادية فى عصر المرابطين والموحدين	٦٩
العوامل المؤثرة فى الحياة الاقتصادية	٧١
الزراعة	٨٨
الملكية العقارية	٨٨

الموضوع	الصفحة
الملكية العامة	٨٩
الإقطاع	٩٥
الملكية الخاصة	٩٩
الرى والنظام الزراعى	١٠٢
طرق الزراعة	١٠٤
المحاصيل الزراعية	١١٠
القمح والشعير	١١١
القطن والكتان والحريز	١١١
الزيتون	١١٢
قصب السكر	١١٣
الفواكه	١١٣
الثروة الحيوانية	١١٧
الرعى وتربية الماشية	١١٧
تربية الطيور والدواجن	١١٧
الثروة السمكية	١١٨
الصناعة	١١٩
توفر المادة الخام	١١٩
الصناع وأرباب الحرف	١٢٢
الصناعات المعدنية	١٢٦
صناعة الحلى	١٢٧
الصناعات الزراعية وما يتصل بها	١٢٨

١٢٨.

صناعة الملابس والمنسوجات

١٣١

صناعة البسط

١٣٢

المطاحن

١٣٢

صناعة الخمور

١٣٤

صناعة السكر وتجفيف الفاكهة

١٣٥

صناعة العطور والأدوية

١٣٦

الصناعات الفخارية والخزفية

١٣٨

الصناعات الجلدية

١٤٠

التجارة

١٤١

التجارة الداخلية وأهم مسالكها

١٤٤

الأسواق

١٤٦

الرقابة على الأسواق

١٥٠

أسعار السلع داخل الأسواق

١٥٢

تسعير السلع

١٥٢

الفنادق

١٥٤

القياسر

١٥٤

التجارة الخارجية وأهم مسالكها

١٦٠

الطرق البحرية

١٦٢

الصادرات والواردات

١٦٢

المعادن

١٦٣

الفاكهة

الموضوع	الصفحة
المصنوعات الذهبية والجلدية	١٦٤
المنسوجات الحريرية والكتانية	١٦٤
الواردات	١٦٦
النظام المالى	١٦٨
السياسة المالية المتغيرة	١٦٨
مصادر دخل الدولة	١٧٥
الزكاة	١٧٥
الجزية	١٧٧
الغنيمة	١٧٧
المصادر	١٧٨
النفقات	١٧٩
نفقات الجيش	١٧٩
المرتبات	١٨٣
نفقات البناء والتعمير	١٨٥
نفقات متنوعة	١٨٦
الإدارة المالية	١٨٧
السكة	١٩٠

الباب الثالث

الحياة الاجتماعية فى إقليم غرناطة	١٩٧
العوامل المؤثرة فى الحياة الاجتماعية	١٩٩
عناصر المجتمع الغرناطى	٢٠٧

٢٠٧

البربر

٢١٥

الأندلسيون

٢١٩

أهل الذمة

٢٣١

فئات المجتمع الغرناطى فى عصر الموحدين

٢٣١

الفقهاء والشعراء وأهل العلم

٢٤٠

رجال الدولة - القادة والأمراء

٢٤٢

المرأة الغرناطية

٢٤٦

الحياة الخاصة لطبقة المترفين والأغنياء

٢٥٠

الحياة الاجتماعية لطبقة العامة من أهل غرناطة

٢٥٢

الحياة الاجتماعية المشتركة لجميع الطبقات

٢٥٢

الزواج

٢٥٥

الطلاق

٢٥٦

الزى الغرناطى

٢٦٢

الطعام والشراب

٢٦٩

المواسم والأعياد

٢٧٥

الخاتمة

٢٨٣

الملاحق

٣٠١

الخرائط

٣٠٣

المصادر

٣٣٧

فهرس الموضوعات

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧
ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧
ص . ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة